

# رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ

## وَنَزْهَةُ الْمُشْتَاقِينَ

العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

يصلح لسائر الناس ، وعون على الدين والدنيا .

ومرقاة للذة العاجلة ولذة العقبى .

المؤلف

✻ الكلام الموضوع بين القوسين المستطايين [ ] وبين القوسين المنحنين ( )  
زيادة في بعض أصول الكتاب .

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد : فإن كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين من أهم الكتب التي ألقت في الحب ، بل هو أنفعها . وهو كما قال فيه المؤلف : يصلح لسائر الناس وعون على الدين والدنيا ، ومرقاة للذة العاجلة ولذة العقبى . والقارىء يجد فيه ما يشبع همه إلى هذا اللون من المعرفة ، لأنه يجمع إلى الكلام عن الحب وفلسفته ومذاهب الناس فيه ، رأى الشريعة وحكمتها وأدبها . وهو روضة حافلة بالطرائف الأدبية والمسائل الفقهية ، إلى جانب ما يشيع فيه من ألوان الغزل الرقيق والوعظ الرفيق وما ينفرد به من وصف شامل لأنواع الحب ، وعرض جميل لأحوال العشاق وأخبار المحبين .

ومؤلف الكتاب : العالم الفقيه ابن قيم الجوزية ، إمام من أئمة الدين ، ورائد من رواد التحرر الفكري ، وداعية من أعظم دعاة الاجتهاد ونبذ التقليد الأعمى . كان - مع تمسكه بالكتاب والسنة - لا يتقيد بمذهب ، ولا يلتزم برأى ، وإنما يسير مع الحق حيث سار ، ويدعو إلى النظر والتأمل ، ويحث على تفهم روح الدين ، والتعمق في البحث عن حقائق الأمور والكشف عن مصادر الأحكام .

وكانت له أهداف عظيمة يسعى لتحقيقها ، وآراء نبيلة يدعو للعمل بها ، هي العودة بالدين إلى منابعه الأولى ، واتباع منهج السلف الصالح في التشريع : نقاء لا تشوبه شائبة ، واستقامة لازيع فيها ولا اعوجاج . وكان يرى أن الفقه هو قانون الحياة ، وما دامت الحياة في تطور مستمر ، فينبغي للفقه أن يتطور ، وأن يسير الحياة ، ويواكب الناس في حاجاتهم المتجددة في هذه الدنيا .

ولكنه مع هذه الدعوة كان يحارب الانحراف في العقيدة ، ويهاجم المغالين من الصوفية ومن علماء عصره .

( ب )

وكان يقول : بالصبر واليقين تنال الإمامة . ولا بد للسالك من همة تسيره  
وتدنيه ، وعلم يبصره ويهديه .

### ترجمة المؤلف وأقوال العلماء فيه

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز  
الزرعي<sup>(١)</sup> الدمشقي . ولد في صفر سنة ٦٩١ هـ وتوفي في رجب سنة ٧٥١ هـ . وبذلك  
يكون قد مات وعمره يقرب من ستين سنة ، وصلى عليه في الجامع الأموي ثم  
بجامع جراح<sup>(٢)</sup> ، وكانت جنازته عظيمة ، ودفن مع والديه بمقبرة الباب الصغير .  
وكان رحمه الله جريء اللسان ، فصيح البيان ، عالماً ، فقيهاً ، مفسراً ، محدثاً ، نحويًا  
أصولياً ، أم بالمدسة الجوزية<sup>(٣)</sup> ، ودرس بالصدريّة<sup>(٤)</sup> مدة طويلة ، وحج مرات  
كثيرة وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة  
الطواف أماًراً يتعجب منه .

وقد شهد له العلماء بالفضل والسبق في خدمة الدين والعلم ، ومن ذلك ما قاله  
الحافظ ابن رجب الحنبلي : عني بالحديث وفنونه وبعض رجاله ، وكان يشتغل في الفقه  
ويحميد تقريره ، وفي النحو ويدريه . وقال أيضاً : كان رحمه الله ذا عبادة وتهجد  
وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيت أوسع منه علماً  
ولا أعرف بهاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه .

وقال القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه ،

---

( ١ ) نسبة إلى زرع ( بضم الزاي ) قرية من حوران ، وهي التي تسمى الآن  
أزرع . وزرع كانت زرا . أنظر ياقوت .

( ٢ ) خارج الباب الصغير وهو معروف إلى اليوم وكان من قبل مسجداً للجناز .

( ٣ ) مدرسة بالبزورية ( قديماً سوق القمح ) بدمشق ، بناها يحيى الدين بن  
الحافظ الجوزي . وقد احترقت في أول الثورة السورية وماتزال كذلك إلى اليوم .

( ٤ ) مدرسة كانت بدرب يقال له درب رينخان وقد حثمت آثارها وأصبحت دوراً



(ح)

ودرس بالهدرية ، وأمّ بالجوزية مدة طويلة ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ..  
وقال عنه ابن حجر : كان جرى الجنان ، واسع العلم ، عارفاً بالخلاف ومذهب  
السلف . وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل  
ينتصر له في جميع ذلك <sup>(١)</sup> ، وقد هذب كتبه . وقال : وكان إذا صلى الصبح  
جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ويقول : هذه غدوتي ، لو لم أقعدها  
سقطت قواي . وقال ملا على القاريء فيه وفي شيخه : إنهما كانا من أكابر  
أهل السنة والجماعة ، ومن أولياء هذه الأمة . وقال الحافظ السيوطي : وصار من  
الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصول والعربية . وقال الحافظ ابن  
ناصر الدين الشافعي : أحد المحققين ، علم المصنفين ، نادرة المفسرين .

### محبته

وكان من البدهي أن يحدث لهذا العالم الحر ، الخارج على التقاليد الموروثة ،  
المنكر للبدع المألوفة ، ما حدث لثـلـه من معارضة ، وأن تقوم حول آرائه  
الجديدة ضجة ، وأن ينقسم الناس فيه إلى اثنين : متعصب له ، وحائق عليه .  
وقد أصابه ما أصاب شيخه وما يصيب المصاحين والمجدين عادة من أذى  
واضطهاد ، فقد اعتقل معه في القلعة بعد أن أهين وطيف به على جبل مضروباً  
بالدرة ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن مات شيخه . . وجرت له محن أخرى ، منها  
ما حدث له لإنكاره شد الرحيل لزيارة قبر الخليل ، وما حدث له مع السبكي وغيره  
عندما أفق بجواز المسابقة بغير محلل ، فطلبه السبكي وأنكر عليه ذلك ، فرجع  
عما كان يفق به . وكان أثناء حبسه مشغلاً بتلاوة القرآن ، مغرماً بالتدبر  
والتفكير ، وفتح الله عليه من ذلك خير كثير وعلم وفير .

---

(١) ثبت أن ابن القيم كان كثيراً ما يخالف أستاذه ابن تيمية متى استبان له  
الدليل ووضع أمامه الحق في غير ما ارتآه .

(د)

## ثقافته

ليس غريباً وقد نشأ ابن القيم في عصر ازدهر فيه العلم وكثر العلماء أن يكون غزير المعرفة ، واسع الثقافة ، وقد وجد السبيل أمامه ممهداً لدراسة العلوم الشرعية والعربية وعلم الكلام ، والتصوف ، كذلك كان قسطه من دراسة التاريخ والسير وعلم الاجتماع وأفراً ، وقد يعجب القارئ إذا عرف أنه كان عظيم الدراية بالمسائل الأدبية والنحوية وفنون الشعر ، وأنه كان ملماً بكثير من العلوم التي كانت معروفة في عصره إمام الخبير ، كما كان مشغولاً بجمع الكتب ، مجدداً في البحث عنها . قال عنه ابن حجر : كان مغرمًا بجمع الكتب ، فحصل منها ما لا يحصر ، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلاً ، سوى ما اختاروه لأنفسهم .

## شيوخه وتلاميذه

من شيوخه : ابن عبد الدائم ، وعيسى المظعم ، والقاضي تقي الدين بن سليمان ، وابن الشبرازي ، والشهاب النابلسي العابر ، وإسماعيل بن مكتوم ، وفاطمة بنت جوهر وغيرهم . قرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي ، وقرأ الأصول على الصفي الهندي ، والفقه على المجد الحاراني وتقي الدين بن تيمية الذي نرجع نهجه ، وأخذ منه معظم علمه ، ولازمه إلى أن مات . قال الحافظ بن حجر العسقلاني : لو لم يكن للشيخ تقي الدين بن تيمية من المناقب إلا تلميذه الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظمة منزلته .

أما تلاميذه فهم كثير ، منهم الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب صاحب طبقات الحنابلة ، وشمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي صاحب مختصر طبقات الحنابلة لأبي يعلى ، ومنهم ابن كثير صاحب البداية والنهاية الذي شهد له وقال فيه : كان حسن القراءة والخلق ، كثير التردد ، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه .

وابن عبد الهادى الذى قال فيه ابن رجب : أخذ عنه العلم خلق كثير ، وكان الفضلاء يعظمونه ويتلمذون عليه كابن عبد الهادى وغيره .

ومن أولاده الذين أخذوا عنه : الحافظ إبراهيم ، وعبد الله الذى تولى التدريس بالصدرية بعد وفاة والده .

### مؤلفاته

ولابن القيم مؤلفات كثيرة وتصانيف عديدة ، نشر بعضها - وهو القليل - وما يزال أكثرها مدفوناً فى خزائن دور الكتب . والمطلع على هذه المؤلفات التى نذكر فيما يلى بعضاً منها يدرك أن المؤلف كان غزير المادة ، واسع الأفق ، حجة فى كل ما كتب :

أعلام الموقعين عن رب العالمين ، بدائع الفوائد ، أخبار النساء  
إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، إغاثة اللهفان فى حكم طلاق الفضيحة والسكران  
التبيان فى أقسام القرآن ، جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام  
الجواب السكاكى لمن سأل عن الدواء الشافى ، حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح  
زاد المعاد فى هدى خير العباد ، أجزاء ، كتاب الصلاة وحكم تاركها .  
عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، الكلم الطيب ، تفسير المعوذتين .  
مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الطرق الحسكية .  
الوابل الصيب من الكلم الطيب ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة .

وإنى لأرجو أن يكون لهذا الكتاب القيم ، فى طبعته هذه - التى بذلت الجهد فى تصحيحها ومراجعتها وتفسير ما غمض من كلماتها - ما كان لطبعاته السابقة من إهتمام القراء وعنايتهم ، وأن يغفروا لى ما قد يرونه فيها من قصور أو تقصير .  
والله أسأل : أن يقوم به الموج ، وأن يهدى به الضال ، وأن ينفع به الأمة ،  
لأنه على ما يشاءقدير .

( و )

## المراجع

- |   |                                       |
|---|---------------------------------------|
| معجم البلدان لياقوت                     | القرآن الكريم                         |
| يتيمة الدهر للثعالبي                    | صحیح البخاری .                        |
| وفیات الأعيان لابن خلكان                | » مسلم                                |
| شرح الإحياء للعراق                      | » الترمذی .                           |
| السائل المحمدية للترمذی                 | سنن ابن ماجه                          |
| أقرب الموارد للشرتوني                   | » النسائي                             |
| القاموس المحيط للفيروزاباذي             | المسند لابن حنبل                      |
| لسان العرب لأبن منظور                   | الرسالة القشيرية... للقشيري           |
| سلمان الفارسي للدكتور مجيب المصري       | طبقات الحنابلة لابن رجب               |
| المعجم الوسيط ( مجمع اللغة العربية )    | عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم   |
| تزيين الأسوافي للأنطاكي                 | ابن قيم الجوزية لعبد العظيم شرف الدين |
| سحر العيون لتلميذ شهاب الدين الحجازي    | الصحاح للجوهري                        |
| معجم أفاظ القرآن ( مجمع اللغة العربية ) | طبقات ابن سعد                         |
| تهذيب التهذيب لابن حجر                  | تيسير الوصول للشيباني                 |
| الدرر السكامة لابن حجر                  | حماية الأولياء لأبي نعيم              |
| ضبط الأعلام لأحمد تيمور                 | حادی الأرواح لابن القيم               |
| ديوان الصبابة لابن حجلة                 | ديوان ابن الفارض                      |
| طبقات السبكي                            | الترغيب والترهيب للمنذري              |
| الزواجر لابن حجر الهيتمي                | التبيان في أقسام القرآن لابن القيم    |
| مكتاب الأربعين للنووي                   | الجامع الصغير للسيوطي                 |

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب بسر يا كريم

الحمد لله الذى جعل المحبة إلى الظفر بالمحبوب سبيلا ، ونصب طاعته ،  
والخضوع له على صدق المحبة دليلا ، وحرّك بها النفوس إلى أنواع الكمالات  
إيثارا لطلبها وتحصيلا ، وأودعها العالم العلوى والسفلى لإخراج كماله من القوة  
إلى الفعل إيجادا وإمدادا وقبولا ، وأثار بها الهمم السامية والعزائم العالية إلى  
أشرف غاياتها تخصيصا لها وتأهيدا ، فسبحان من صرّف عليها القلوب كما يشاء  
ولما يشاء بقدرته ، واستخرج بها ما خلق له كل حى بمحكمته ، وصرّفها أنواعا  
وأقساما بين بريته ، وفصلها تفصيلا ، فجعل كل محبوبٍ لمحبه نصيبا ، مخطئا كان  
فى محبته أو مصيبا ، وجعله بحبه منعمّا أو قتيلا . قسمها بين محب الرحمن ،  
ومحب الأوثان ، ومحب النيران ، ومحب الصُّلبان ، ومحب الأوطان ، ومحب  
الإخوان ، ومحب النسوان ، ومحب الصبيان ، ومحب الأثمان<sup>(١)</sup> ، ومحب الإيمان ،  
ومحب الألحان ، ومحب القرآن . وفضّل أهل محبته ومحبة كتابه ورسوله على  
سائر المحبين تفضيلا ، فبالحبة وللمحبة وُجدت الأرض والسموات ، وعليها فُطرت  
الخلوقات ، ولها تحرّكت الأفلاك الدائرات ، وبها وصلت الحركات إلى غاياتها ،  
وأتصلت بداياتها بنهاياتها ، وبها ظفرت النفوس بمطالبها ، وحصلت على نيل  
مآربها ، وتخلصت من معاطبها<sup>(٢)</sup> ، واتخذت إلى ربها سبيلا ، وكان لها دون غيره  
مأمولا وسُولا ، وبها نالت الحياة الطيبة وذائق طعم الإيمان لما رضيت بالله ربّا

(١) الأثمان : الاموال .

(٢) المعاطب : المهالك ، واحدها معطب كمنذهب .

وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقرّ برؤيته ، شاهد بوحدانيته ، منقاد إليه لمحبهته ، مدعّن له بطاعته ، معترف بنعمته ، فارّ إليه من ذنبه وخطيئته ، مؤمل لعفوه ورحمته ، طامع في مغفرته ، برى إليه من حوله وقوّته ، لا يبتغي سواه ربّاً ولا يتخذ من دونه وليّاً ولا وكيلًا ، عائذ به ، مانح إليه ، لا يروم عن عبوديته انتقالاً ولا تحويلاً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عبادِهِ ، أقرب الخلق إليه وسيلة ، وأعظمهم عنده جاهاً ، وأسمعهم لديه شفاعة ، وأحبهم إليه ، وأكرمهم عليه ، أرسله للإيمان منادياً ، وإلى الجنة داعياً ، وإلى صراطه المستقيم هادياً ، وفي مرضاته ومحبّاه ساعياً ، وبكل معروفٍ آمراً ، وعن كل منكرٍ ناهياً ، رفع له ذكره ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين<sup>(١)</sup> ، وقرن اسمه باسمه ، فإذا ذكر الله ذكر معه ، كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحدٍ خطبة ولا تشهد ولا أذان حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين :

أُعزّ عليه للتبوة خاتم	من الله ميمونٌ يلوح ويشهد
وضمّ الإله أمم النبي إلى اسمه	إذ قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجلّه	فدو العرش محمودٌ وهذا محمد

أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، وافترض على العباد محبته وطاعته ، وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسدّ إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتح لأحدٍ إلا من طريقه . فلا مطعم في الفوز يجزّل الثواب ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجر : ( لعمرك إنهم لنى سكرتهم يعمهون ) وأكثر المفسرين على أن القسم مقصود به النبي صلى الله عليه وسلم .

والنجاة من وبيل<sup>(١)</sup> العقاب ، إلا لمن كان خافه من السالكين ، ولا يؤمن عبد حتى يكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ، فصلى الله وملائكته وأنبيأوه ورسله وجميع عباده المؤمنين عليه ، كما وحد الله وعرف أمته به ودعا إليه ، صلاة لا تروم عنه انتقالاً ولا تحويلاً ، وعلى آله الطيبين ، وصحبه الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، جعل هذه القلوب أوعية ، فخبرها أوعاها للخير وارشاد ، وشرها أوعاها للغي والفساد ، وسائط عليها الهوى ، وامتنحها بمخالفته لتتال بمخالفته جنة المأوى ، ويستحق من لا يصلح للجنة بمتابعته ناراً تلظى ، وجعله مركب النفس الأمارة بالسوء وقوتها وغذاها ، وداء النفس المظنة ومخالفته دواها ، ثم أوجب سبحانه وتعالى على العبد في هذه المدة القصيرة التي هي بالإضافة إلى الآخرة كساعة من نهار ، أو كليل ينال الإصبع حين يدخلها في بحر من البحار<sup>(٢)</sup> ، عصيان النفس الأمارة ومجانبة هواها ، وردعها عن شهواتها التي في نيلها رداها ، ومنعها من الركون إلى لذاتها ، ومطالبة ما استدعته العيون الطامحة بلحظاتها ، لتتال نصيبها من كرامته وثوابه موفراً كاملاً ، وتلتذّ آجلاً بأضعاف ما تركته لله عاجلاً ، وأمرها بالصيام عن محارمه ليكون فطرها عنده يوم لقائه ، وأخبرها أن معظم نهار الصيام قد ذهب ، وأن عيد اللقاء قد اقترب . فلا يطول عليها الأمد باستبطائه . كما قيل :

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

- 
- ( ١ ) وبيل العقاب : شديده . قال تعالى في سورة المزمل ( فأخذناه أخذاً ويبلاً ) .  
 ( ٢ ) هذا المعنى مأخوذ من حديث رواه مسلم وغيره عن المستورد بن شداد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم لإصبغه في اليم فإنه ينظر بهم ترجع » .

هيأها لأمر عظيم ، وأعدّها لخطبٍ جسيم ، وأدّخر لها مالا عينٌ رأت ،  
ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشرٍ من النعيم المقيم ، واقتضت حكمته  
البالغة أنها لا تصل إليه إلا من طريق المكاره والنصب ، ولا تعبرُ إليه إلا على  
جسر المشقة والتعب ، فحجبه بالمكروهات صيانةً له عن الأنفس الدنيّات ،  
المؤثّرة للرذائل والسفليات ، وثمرت إليه النفوس العلويات ، والهمم العليّات ،  
امتطت في السير إليه ظهور العزّمات ، فسارت في ظهورها إلى أشرف الغايات .

وركب سرّوا والليل مُرخٍ رِوَاقَه      على كل مغبرٍّ الموارد قاتم  
حدّوا<sup>(١)</sup> عزّمات ضاعت الأرض بينها      فصار سُراهم في ظهور العزّام  
أرتهم نجومُ الليل ما يطلبونه      على عاتق الشعري وهام النعائم<sup>(٢)</sup>  
فأمّوا حمّى لا ينبغي لسواهم      وما أخذتهم فيه لومة لأئم

أجابوا منادى الحبيب لما أذن لهم حمّى على الفلاح ، وبذلوا نفوسهم في  
مرضاته بذل الحب بالرضا والسماح ، وواصلوا السير إليه بالغدوّ والرواح . فحمدوا  
عند الوصول مسراهم وإنما يحمّدُ القوم السرى<sup>(٣)</sup> عند الصباح ، تعبوا قليلا ،  
فاستراحوا طويلا ، وتركوا حقيرا ، واعتاضوا عظيما . وضعوا اللذة العاجلة  
والعاقبة الحميدة في ميزان العقل فظهر لهم التفاوت ، فرأوا من أعظم السّفه بيع  
الحياة الطيبة الدائمة في النعيم المقيم بلذة ساعةٍ تذهب شهوتها ، وتبقى شقوتها .

( ١ ) حدا الإبل وبها : ساقها وحشها على السير بالحداء .

( ٢ ) الشمري : كوكب نير يطلع عند شدة الحر . قال تعالى في سورة النجم :  
( وأنه هورب الشمري ) وهما شعريان العَبُور والغُمَيْصَاء .

( ٣ ) السرى : سيرة عامة الليل . يؤنث ويذكر . وهذا المثل يضرب لمن يحتمل  
المشقة رجاء الراحة ، وفي الحديث على منزلة الأمر ، والصبر ، وتوطين النفس حتى  
يحمد عاقبته .



هذا وإن من أيام اللذات لو صفت للعبد من أول عمره إلى آخره لكانت كسحابة صيفٍ تنقشع عن قليل ، وخيال طيفٍ ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل . قال الله تعالى : ( أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ )<sup>(١)</sup> ومن ظفر بأمواله من ثواب الله ، فكأنه لم يُوترَ<sup>(٢)</sup> من دهره بما كان يحاذره ويخشاه ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمثل بهذا البيت من الشعر :

كأنك لم تُوترَ من الدهر مرةً إذا أنت أدركت الذى أنت طالبه

## فصل

وهذا ثمرة العقل الذى به عرف الله سبحانه وتعالى وأسماءه وصفاته كماله ونعوتُ جلاله ، وبه أمرن المؤمنين بكتبته ورسله ولقائه وملأته ، وبه عرفت آيات ربوبيته وأدلة وحدانيته ومعجزات رسله ، وبه امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه ، وهو الذى تلمس العواقب فراقبها ، وعمل بمقتضى مصالحها ، وقاوم الهوى فردَّ جيشه مفلولا ، وساعد الصبر حتى ظفر به بعد أن كان يسهامه مقتولا ، وحثَّ على الفضائل ، ونهى عن الرذائل ، وفتح للعانى وأدرك الغوامض ، وشدَّ أزرَّ العزم فاستوى على سوقه ، وقوى أزرَّ الحزم حتى حظى من الله بتوقيفه ، فاستجلب ما يزين ، ونفى ما يشين ، فإذا نزل وسلطانه أسر جنود الهوى فحصرها فى حبس من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه ، ونهض بصاحبه إلى منازل الملوك ، إذا صير الهوى الملك بمنزلة العبد للملوك ، فهى شجرة

(١) الآيات ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ . سورة الشعراء .

(٢) وتر الرجل : أفرعه وأدركه بمكروه ، ووتره أيضاً إذا أصابه بوتر وهو الذحل ، أى الشار عامة أو الظلم فيه .

عزَّتها الفكر في العواقب ، وساقها الصبر ، وأغصانها العلم ، وورقها حسن الخلق ، وثمرها الحكمة ، ومادتها توفيق مَنْ أَرَمَته الأمور بيديه ، وابتداؤها منه واتهاؤها إليه . وإذا كان هذا وصفه ، ففبيح أن يُدال<sup>(١)</sup> عليه عدوُّه فيعزله عن مملكته ؛ ويحطه عن رتبته ، ويستنزله عن درجته ، فيصبح أسيراً بعد أن كان أميراً ، ومحكوماً بعد أن كان حاكماً ، وتابعاً بعد أن كان متبوعاً ، ومن صبر على حكمه أرنعة<sup>(٢)</sup> في رياض الأمانى والمنى ، ومن خرج عن حكمه أورده حياض الهلاك والردى ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لقد سبق إلى جنات عدن أقوامٌ ما كانوا بأكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا أعماراً ، لكنهم عقلوا عن الله مواعظه فوجلت منه قلوبهم ، واطمأنت إليه نفوسهم ، وجشعت له جوارحهم ، ففاقوا الناس بطيب المنزلة وعلوِّ الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذى يعرف خير الشرين . وقالت عائشة رضى الله عنها : قد أفلح من جعل الله له عقلاً . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ولد لكسرى مولودٌ فأحضر بعض المؤدِّبين ووضع الصبى بين يديه وقال : ما خير ما أوتى هذا المولود ؟ قال : عقلٌ يولد معه . قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأدبٌ حسنٌ يعيش به فى الناس . قال : فإن لم يكن ؟ قال : فصاعقةٌ تحرقه . وقال بعض أهل العلم : لما أهبط الله تبارك وتعالى آدم إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء : الدين ، والخلق ، والعقل ، فقال : إن الله يخيِّرك بين هذه الثلاثة ، فقال : يا جبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء إلا فى

( ١ ) يدال عليه : يغلبه وينتصر عليه .

( ٢ ) أرنعه : نصمه ، والرتع : التتعم ، ورتع : أكل وشرب ما شاء فى خصب وسعة . قال تعالى فى سورة يوسف ( أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ) .

الجنسة ، ومدَّ يده إلى العقل فضمَّه إلى نفسه فقال للآخرين : اصعدوا . فقالوا :  
أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان . فصارت الثلاثة إلى آدم عليه السلام .  
وهذه الثلاثة أعظم كرامة أكرم الله بها عبده ، وأجلُّ عطية أعطاه إياها .  
وجعل لها ثلاثة أعداء : الهوى ، والشيطان ، والنفس الأمارة . والحرب بينهما  
دُولٌ وسِجالٌ<sup>(١)</sup> ، ( وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَعَزِّيزُ الْحَكِيمِ )<sup>(٢)</sup> وقال  
وهب بن منبه : قرأت في بعض ما أنزل الله تعالى : إن الشيطان لم يكابد شيئاً  
أشدَّ عليه من مؤمنٍ عاقل ، وإنه ليسوق مائة جاهلٍ فيستجرِّهم حتى يركب  
رقابهم فيقتادون له حيث شاء ، ويكابد المؤمن العاقل فيضُعب عليه حتى ينال  
منه شيئاً من حاجته ، قال : وإزالة الجبل صخرة صخرة أهرون على الشيطان  
من مكابدة المؤمن العاقل ، فإذا لم يقدر عليه تحوَّل إلى الجاهل فيستأمره ،  
ويتمكن من قياده حتى يُسلمه إلى الفضايح التي يتعجل بها في الدنيا الجُلْدَ والرجم  
والقطعَ والصاب والنضيحة ، وفي الآخرة العار والنار والسَّار<sup>(٣)</sup> . وإن الرجلين  
ايستويان في البرِّ ويكون بينهما في الفضل كما بين المشرق والمغرب بالعقل ، وما  
عبدَ الله بشيءٍ أفضل من العقل . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : لو أن العاقل  
أصبح وأمسى وله ذنوبٌ بعدد الرمل كان وشيكاً بالنجاة والتخلص منها ، ولو  
أن الجاهل أصبح وأمسى وله من الحسنات وأعمال البرِّ عدد الرمل لكان وشيكاً  
أن لا يسلم له منها مثقال ذرة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : إن العاقل إذا زلَّ  
تدارك ذلك بالتوبة والعقل الذي رُزقه ، والجاهل بمنزلة الذي يبني ويهدم ،  
فيأتيه من جهله ما يفسد صالح عمله ، وقال الحسن : لا يَسِمَ دين الرجل حتى

( ١ ) الحرب بينهما سجال : يعني أنها مرة لهم ومرة عليهم .

( ٢ ) الآية ١٢٦ : سورة آل عمران .

( ٣ ) السَّار : أقبح العيب ، العار ، الأمر المشهور بالشنعة .

يتمّ عقله ، وما أودع الله امرأً عقلاً إلا استنقذه به يوماً . وقال بعض الحكماء : من لم يكن عقله أغلب الأشياء عليه كان حتفه <sup>(١)</sup> وهلاكه في أحب الأشياء إليه . وقال يوسف بن أسباط : العقل سراج ما بطن ، وزينة ما ظهر ، وسائس الجسد ، وممالك أمر العبد ، ولا تصالح الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه . وقيل لعبد الله بن المبارك : ما أفضل ما أعطى الرجل بعد الإسلام ؟ قال : غريزة عقل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أدبٌ حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخٌ صالحٌ يستشير ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صمتٌ طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موتٌ عاجل . وفي ذلك قيل :

ما وهب الله لأمرئ هبةً      أحسنَ من عقله ومن أدبه  
هما جمال النقي فإن فقداه      ففقداه للحياة أجملُ به

## فصل

وإذا كانت الدولة للعقل سالمة الهوى ، وكان من خدمه وأتباعه ، كما أن الدولة إذا كانت للهوى ، صار العقل أسيراً في يديه ، محكوماً عليه . ولما كان العبد لا ينفك عن الهوى مادام حياً - فإن هواه لازم له - كان له الأمر بخروجه عن الهوى بالكليّة كالممتنع ، ولكن المقدور له والمأمور به أن يصرف هواه عن مرآئع الملكة إلى مواطن الأمن والسلامة ، مثاله : أن الله سبحانه وتعالى لم يأمره بصرف قلبه عن هوى النساء جملة ، بل أمره بصرف ذلك الهوى إلى نكاح ما طاب له منهنّ من واحدةٍ إلى أربع ، ومن الإماء ما شاء ، فأنصرف مجرى الهوى من محلٍّ إلى محلٍّ ، وكانت الريح دبوراً <sup>(٢)</sup> فاستحالت صباً ، وكذلك هو الظفر والغلبة والقهر ، لم يأمر بالخروج عنه ، بل أمر بصرفه إلى الظفر والقهر والغلبة للباطل وحزبه ، وشرع له من أنواع المغالبات بالسباق وغيره

(١) الخنف : الموت .

(٢) الدور : ريح تهب من المغرب وتقابل القبول وهي الصبا .

مما يُمرّنه ويَعُدُّه للظفر ، وكذلك هوى الكبر والفخر والخِيلاء مأذونٌ فيه ، بل مستحبٌ في محاربة أعداء الله . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبا دُجَانَةَ سِمَاكَ بنَ خَرْشَةَ الأنصاري يتبختر بين الصّفين فقال : « إنها لَمِشِيَّةٌ يبغضها الله إلا في مثل هذا الوطن » . وقال : إن من الخِيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغض الله ، فالتى يحبها اختيال الرجل في الحرب وعند الصدقة وذكر الحديث <sup>(١)</sup> . فما حرّم الله على عباده شيئاً إلا عوّضهم خيراً منه ، كما حرّم عليهم الاستقسام بالأزلام <sup>(٢)</sup> وعوّضهم منه دعاء الاستخارة ، وحرّم عليهم الرّبا وعوّضهم منه التجارة الرابحة ، وحرّم عليهم القمار وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيّل والإبل والسهم ، وحرّم عليهم الحرير وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن ، وحرّم عليهم الزنا واللواط وأعاضهم منهما بالنكاح والتسرى بصنوف النساء الحسان ، وحرّم عليهم شرب المسكر وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن ، وحرّم عليهم سماع آلات اللّهو من المعازف والمثاني ، وأعاضهم عنها بسماع القرآن والسبع المثاني ، وحرّم عليهم الخبائث من المظومات ، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات . ومن تلمّح

---

( ١ ) في مسند الإمام أحمد عن جابر بن عتيك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ، وإن من الخِيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله . فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريّة . وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير ريّة . وأما الخِيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال واختياله عند الصدقة ، والخِيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل في الفخر والبغى » .

( ٢ ) جمع زلم : السهم الذي لا ريش له . وكانوا في الجاهلية يستقسمون بالأزلام ، كانوا يكتبون عليها الأمر والنهي ويضعونها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده فيه وأخرج سهماً فإن خرج مافيه الأمر مضى لقصده . وإن خرج مافيه النهي كف .

هذا وتأمله هان عليه ترك الهوى المزدى ، واعتاض عنه بالنافع المجدى ، وعرف  
حكمة الله ورحمته وتام نعمته على عباده فيما أمرهم به ونهاهم عنه وفيما أباحه لهم ،  
وأنة لم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه إليهم ، ولأنهاهم عنه بخلاً منه تعالى عليهم ،  
بل أمرهم بما أمرهم إحساناً منه ورحمة ، ونهاهم عما نهاهم عنه صيانة لهم وحماية<sup>(١)</sup> .  
فلذلك وضعنا هذا الكتاب وضع عقد الصلح بين الهوى والعقل ، وإذا تم عقد  
الصلح بينهما سهل على العبد محاربة النفس والشيطان ، والله سبحانه المستعان ،  
وعليه التكلان ، فما كان فيه من صوابٍ فمن الله فهو الموفق له والمعين عليه ،  
وما كان فيه من خطأٍ فنى ومن الشيطان . والله ورسوله من ذلك بريتان .  
وقد جعلته تسعة وعشرين باباً :

الباب الأول : فى أسماء الحبة .

الباب الثانى : فى اشتقاق هذه الأسماء ومعانيها .

الباب الثالث : فى نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض .

الباب الرابع : فى أن العالم العلوى والسفلى إنما وجد بالحبة ولأجلها .

الباب الخامس : فى دواعى الحبة ومتعلقها .

الباب السادس : فى أحكام النظر وغائلته وما يبنى على صاحبه .

الباب السابع : فى ذكر مناظرة بين القلب والعين .

الباب الثامن : فى ذكر الشبهة التى احتج بها من أباح النظر إلى من  
لا يحل له الاستمتاع به وأباح عشقه .

الباب التاسع : فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفة وما لها وما عليها  
فى هذا الاحتجاج .

الباب العاشر : فى ذكر حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس فيه .

---

( ١ ) الحمية : الامتناع عما يضر والوقاية منه .

الباب الحادى عشر : فى العشق وهل هو اضطرارىٌّ خارجٌ عن الاختيار ،  
أو أمرٌ اختياريٌّ ، واختلاف الناس فى ذلك وذكر الصواب فيه .

الباب الثانى عشر : فى سكرة العشاق .

الباب الثالث عشر : فى أن اللذة تابعة للمحبة فى الكمال والنقصان .

الباب الرابع عشر : فى من مدح العشق ومنه ، وغبط صاحبه على ما أوتيّه  
من مناه .

الباب الخامس عشر : فى من ذمّ العشق وتبرّم به ، وما احتجّ به كل فريق  
على صحة مذهبه .

الباب السادس عشر : فى الحكم بين الفريقين ، وفصل النزاع بين  
الطائفتين .

الباب السابع عشر : فى استحباب تحيّر الصور الجميلة للوصال الذى يحبه  
الله ورسوله .

الباب الثامن عشر : فى أن دواء المحبين ، فى كمال الوصال الذى أباحه  
رب العالمين .

الباب التاسع عشر : فى ذكر فضيلة الجمال ، وميل النفوس إليه على  
كل حال .

الباب العشرون : فى علامات المحبة وشواهداها .

الباب الحادى والعشرون : فى اقتضاء المحبة أفراد الحبيب بالمحب ، وعدم  
التشريك بينه وبين غيره فيه .

الباب الثانى والعشرون : فى غيرة المحبين على أحبائهم .

الباب الثالث والعشرون : فى عفاف المحبين مع أحبائهم .

الباب الرابع والعشرون : فى ارتكاب سهل الحرام ، وما يفضى إليه من  
المفاسد والآلام .

الباب الخامس والعشرون : في رحمة المحبين ، والشفاعة لهم إلى أحبائهم في الوصال الذي يُدبِّحه الدين .

الباب السادس والعشرون : في ترك المحبين أدنى المحبوبيين رغبةً في أعلاها .

الباب السابع والعشرون : فيمن ترك محبوبه حراماً فُبذل له حلالاً ، أو أعاضه الله خيراً منه .

الباب الثامن والعشرون : فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام ، على لذّة الوصال الحرام .

الباب التاسع والعشرون : في ذمّ الهوى ، وما في مخالفته من نيسل المنى .  
وسميته :

### ( روضة المحبين ، ونزهة السناقيين )

والمرغوب إلى من يقف على هذا الكتاب أن يعذر صاحبه ، فإنه علقه في حال بعده عن وطنه ، وغيبته عن كتبه ، فاعسى أن يبلغ خاطره المكدود ، وسعيه الجهود ، مع بضاعته المزجاة<sup>(١)</sup> ، التي حقيقٌ بحاملها أن يقال فيه « تسمع بالمُعَيَّدِ خيرٌ من أن تراه » وها هو قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراشقين ، وغرضاً لأُسنّة الطاعنين ، فلقاريه غُثمه ، وعلى مؤلفه غُرمه ، وهذه بضاعته تعرض عليك ، وموليتّه<sup>(٢)</sup> تهدي إليك ، فإن صادفت كفوّاً كريماً لها لن تعدم منه إمساكاً بمعروفٍ أو تسريحاً بإحسان ، وإن صادفت غيره فالله تعالى المستعان ، وعايه التكلان . وقدرضى من مهرها بدعوةٍ خالصةٍ إن وافقت قبولاً واستحساناً ، وبردّ جميلٍ إن كان حظها احتقاراً واستهجاناً . والمنصف يهب

---

( ١ ) مزجاة : رديئة ومردودة . والمزجى الشيء القليل . قال تعالى في سورة يوسف « وجئنا ببضاعة مزجاة » .

( ٢ ) موليتّه : من له ولاية عليها .



خطأ الخطيء لإصابته ، وضيئاته لحسناته . فهذه سنة الله في عباده جزاء وثواباً .  
ومن ذا الذى يكون قوله كله منديداً وعمله كله صواباً ؟ وهل ذلك إلا المعصوم  
الذى لا ينطق عن الهوى ، ونطقه وحى يوحى ، فما صح عنه فهو نقلٌ مصدق  
عن قائل معصوم ، وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم ، فإن صح  
النقل لم يكن القائل معصوماً ، وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلوماً .

### فصل

وهذا الكتاب يصلح لسائر طبقات الناس . فإنه يصلح عوناً على الدين  
وعلى الدنيا ، ومرقاةً للذة العاجلة ولذة العقبى ، وفيه من ذكر أقسام المحبة وأحكامها  
ومتعلقاتها ، ومحجها وفاسدها ، وآفاتھا وغوائلها<sup>(١)</sup> ، وأسبابها وموانعها ، وما يناسب  
ذلك من نكث تفسيرية ، وأحاديث نبوية ، ومسائل فقهية ، وآثار سلفية ،  
وشواهد شرعية ، ووقائع كونية ، ما يكون مُتمِّماً لقاريه ، مُرَوِّحاً للناظر فيه ،  
فإن شاء أوسعها جداً وأعطاها ترغيباً وترهيباً ، وإن شاء أخذ من هزله ومُلَحِّه  
نصيهاً ، فتارةً يضحكه وتارةً يبكيه ، وطوراً يبعده من أسباب اللذة الفانية ، وطوراً  
يرغبه فيها ويدنيه . فإن شئت وجدته واعظاً ناصحاً ، وإن شئت وجدته بنصيبك  
من اللذة والشهوة ووصل الحبيب مسامحاً . وهذا حين الشروع فى الأبواب ،  
والله سبحانه ألفتاح من الخير كل باب ، وهو المسؤول سبحانه أن يجعله خالصاً  
لوجه الكريم ، مديناً من رضاه والفوز بجنات النعيم ، والله متولى سريرة العبد  
وكسبه ، وهو سبحانه عند لسان كل قائلٍ وقلبه ، ( وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ  
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ  
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )<sup>(٢)</sup> .

(١) جمع غائلة : الفساد ، والشر ، والذاهية .

(٢) الآية ١٠٦ : سورة التوبة .

# الباب الأول

## في أسماء المحبة

لما كان الفهم لهذا المسمى أشدّ ، وهو بقلوبهم أعلق ، كانت أسماؤه لديهم أكثر . وهذا عادتهم في كل ما اشتدّ الفهم له ، أو كثر خطوره على قلوبهم ، تعظيماً له ، أو اهتماماً به ، أو محبةً له . فالأول كالأسد والسيف ، والثاني كالدهية ، والثالث كالخمر . وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب ، فوضعوا له قريباً من ستين <sup>(١)</sup> اسماً وهي : المَحَبَّة ، والعَلاقَة ، والهَوَى ، والصَّبُوة ، والصَّبَابَة ، والشَّغَف ، والمِلَقَة ، والوَجْد ، والكَلَف ، والتَّئِم ، والعِشْق ، والجَوَى ، والدَّنَف ، والشَّجْو ، والشَّوْق ، والخِلابة ، والبلايل ، والتَّبَارِيح ، والسَّدَم ، والفِغْرَات ، والوَهْل ، والشَّجَن ، واللاعِج ، والاكتِئاب ، والوصَب ، والحُزْن ، والكَمَد ، واللَّدَع ، والحُرَق ، والشَّهْد ، والأَرْق ، والآهف ، والحنين ، والاستكانة ، والتَّبالَة ، واللَّوْعَة ، والفتُون ، والجُنُون ، والآمَم ، والخَبْلُ ، والرَّسَيْس ، والداءُ المُخاير ، والود ، والخِلَّة ، والخِلْم ، والغَرَام ، والهُيام ، والتَّدْلِيَةُ ، وَالْوَلَة ، والتَّعَبُد . وقد ذكّر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه ، وإنما هي من مُوجباته وأحكامه فتركنا ذكرها <sup>(٢)</sup> .

---

(١) كذا . ولم يذكر المؤلف منها غير خمسين .

(٢) أكثر ما ذكره هو من صفات الحب وآثاره كما يتضح ذلك في

الباب الثاني .

# الباب الثاني

في استقانا هذه الأسماء ومعانيها

فأما الحبة ققيل : أصلها الصفاء لأن العرب تقول اصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان ، وقيل : مأخوذة من الحباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد ، فعلى هذا الحبة غليان القلب وثورانه عند الاحتياج إلى لقاء المحبوب ، وقيل : مشتقة من اللزوم والثبات ، ومنه أحب البعير إذا برك فلم يقيم ، قال الشاعر (١) :

حلت عليه بالقلادة ضرباً (٢) ضرب بعير السوء إذ أحب

فكان الحب قد لزم قلبه محبوبة فلم يرم عنه انتقلا ، وقيل : بل هي مأخوذة من القلق والاضطراب ، ومنه سمي القرط حباً لقلقه في الأذن واضطرابه ، قال الشاعر (٣) :

تبيت الحية النضاض (٤) منه مكان الحب تستمع السرارا

وقيل : بل هي مأخوذة من الحب جمع حبة ، وهو لباب الشيء وخالصة وأصله ، فإن الحب أصل النبات والشجر ، وقيل : بل هي مأخوذة من الحب الذي هو إناء واسع يوضع فيه الشيء فيمتلئ به بحيث لا يسع غيره ،

---

( ١ ) هو أبو محمد الفقعسي ، كما قال ياقوت في حاشيته على الصحاح .

( ٢ ) هكذا : والذي في الكشف وكتب اللفظة حلت عليه بالقفيل ضرباً أي

بالسوط .

( ٣ ) هو الراعي

( ٤ ) النضاض من الحيات : الذي لا يثبت في مكانه لثورته ونشاطه أو الذي

يخرج لسانه ويحركه .

وكذلك قلب الحب ليس فيه سعة لغير محبوبة ، وقيل : مأخوذة من الحب وهو الخشببات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع عليها من جرّة أو غيرها فسمى الحب بذلك لأن الحب يتحمل لأجل محبوه الأثقال ، كما تتحمل الخشببات ثقل ما يوضع عليها ، وقيل : بل هي مأخوذة من حبة القلب وهي سويداؤه ، ويقال : ثمرته ، فسميت المحبة بذلك لوصولها إلى حبة القلب ، وذلك قريب من قولهم : ظهره إذا أصاب ظهره ، ورأسه إذا أصاب رأسه ، وإذا أصاب رثته ، وبطنه إذا أصاب بطنه ، ولكن في هذه الأفعال وصل أثر الفاعل إلى المفعول ، وأما في المحبة فالأثر إنما وصل إلى المحب . وبعد ففيه لغتان حبّ وأحبّ قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

أحبُّ أبا مروان من أجل ثمره<sup>(٢)</sup> وأعلم أن الرفق بالمرء أرفق  
ووالله لولا ثمره ما حبيته ولا كان أدنى من عبيد ومُشْرِقٍ  
كذلك أنشد الجوهري بالإقواء<sup>(٣)</sup> فجمع بين اللغتين ، ولكن في جانب الفعل واسم الفاعل غلبوا الرباعي فقالوا : أحبه يحبّه فهو مُحِب ، وفي المفعول غلبوا فَعَلَ فقالوا في الأكثر محبوبٌ ولم يقولوا : مُحَبٌّ إلا نادراً ، قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

ولقد نزلت فلا تظنّي غيره منى بمنزلة المحبّ المكرم

- 
- ( ١ ) هو غيلان بن شجاع النهشلي كما قال ياقوت في حاشيته على الصحاح .  
( ٢ ) في الصحاح : ثمره ، والثر : المال المشتمل بخفف ويشقل ، وقرأ أبو عمرو : وكان له ثمر بضم فسكون وفسره بأنواع الأموال .  
( ٣ ) الإقواء : اختلاف حركة الروى ، ورواية الجوهري : أحب بفتح الالف وكسر الحاء وقال : هذا شاذ . وعلى هذا لم يجمع فيه بين اللغتين بل جمع فيه بين الماسي والمصارع من حب .  
( ٤ ) هو عترة بن شداد .

فهذا من أفعل ، وأما حبيب فأكثر استعمالهم له بمعنى المحبوب :  
قال الشاعر :

وما زرت ليلي أن تكون حبيبة      إلى ولا دين لها أنا طالبيه  
وقد استعملوه بمعنى الحب ، قال الشاعر :

وما هجرتك النفس أنك عندها      قليل ولا أن قل منك نصيها  
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا      بقول إذا ما جئت هذا حبيبها

فهذا يحتمل أن يكون بمعنى المحبوب وأن يكون بمعنى المُحِبِّ ، وأما الحبُّ  
بكسر الحاء قلعة في الحبِّ وغالب استعماله بمعنى المحبوب قال في الصحاح : الحبُّ  
الحبة وكذلك الحب بالكسر . والحبُّ أيضاً الحبيب مثل خَدْنٍ وَخَدَيْنِ .  
قلت : وهذا نظير ذُبْحٍ بمعنى مذبوح ، ونَهَبٍ بمعنى منهوب ، ورَشَقٍ بمعنى  
مرشوق ، ومنه السَّبُّ ويشترك فيه الفاعل والمفعول ، قال أبو عبيد : السَّبُّ  
بالكسر الكثير السَّبَاب ، قال الجوهري : وسِبُّكَ الذي يُسَابُكَ ، قال حسان :  
لَا تَسُبَّنِي فَلَسْتُ بِسَبِّي      إن سبِّي من الرجال الكريمُ

والصواب أنه عبد الرحمن بن حسان . وقد يشترك فيه المصدر والمفعول نحو  
رَزَقَ . وفي إعطائهم ضمة الحاء للمصدر سرٌّ لطيف ، فإن الكسرة أخفُّ  
من الضمة ، والمحسوب أخف على قلوبهم من نفس الحبِّ ، فأعطوا الحركة  
الخفيفة للأخف ، والثقيلة للأثقل ، ويقال : أَحَبُّهُ حُبًّا ومحبةً والمحبة أمُّ باب  
هذه الأسماء .

## فصل

وأما كلام الناس في حدِّها فكثير ، قليل : هي الميل الدائم ، بالقلب الهائم .  
وقيل : إيثار المحبوب ، على جميع المصحوب ، وقيل : موافقة الحبيب ،

فى المشهد والمغيب . وقيل : اتَّحَادُ مُرَادِ الْحُبِّ وَمُرَادِ الْمَحْبُوبِ . وقيل : إِثَارُ مُرَادِ الْمَحْبُوبِ عَلَى مُرَادِ الْحُبِّ . وقيل : إِقَامَةُ الْخِدْمَةِ مَعَ الْقِيَامِ بِالْحُرْمَةِ . وقيل : اسْتِقْلَالُ الْكَثِيرِ مِنْكَ لِمَحْبُوبِكَ ، وَاسْتِكْثَارُ الْقَلِيلِ مِنْهُ إِلَيْكَ . وقيل : اسْتِيْلَاءُ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ عَلَى قَلْبِ الْحُبِّ . وقيل : حَقِيقَتُهَا أَنَّ تَهَبَ كُلِّكَ لِمَنْ أَحْبَبْتَهُ ، فَلَا يَبْقَى لَكَ مِنْكَ شَيْءٌ . وقيل : هِىَ أَنْ تَمْحُوَ مِنْ قَلْبِكَ مَا سِوَى الْمَحْبُوبِ ، وقيل : هِىَ الْغَيْبَةُ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ تُذْتَقَصَ حُرْمَتُهُ ، وَالْغَيْبَةُ عَلَى الْقَلْبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ سِوَاهُ . وقيل : هِىَ الْإِرَادَةُ الَّتِي لَا تَنْقُصُ بِالْجَفَاءِ ، وَلَا تَزِيدُ بِالْبِرِّ . وقيل : هِىَ حِفْظُ الْحُدُودِ ، فَلَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ حُدُودَهُ . وقيل : هِىَ قِيَامُكَ لِمَحْبُوبِكَ بِكُلِّ مَا يَحِبُّهُ مِنْكَ . وقيل : هِىَ مُجَانَبَةُ السُّلُوءِ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَمَا قِيلَ :

وَمَنْ كَانَ مِنْ طَوْلِ الْهَوَى ذَاقَ سَلَوَةً      فَإِنِّى مِنْ لِيلى لَهَا غَيْرُ ذَائِقِ  
وَأَكْثَرُ شَيْءٍ نِلْتَهُ مِنْ وَصَالِهَا      أُمَانِىُّ لَمْ تَصْدُقْ كَلَامَهُ بَارِقِ  
وقيل : نَارُ تَحْرِيقِ مِنَ الْقَلْبِ مَا سِوَى مُرَادِ الْمَحْبُوبِ . وقيل : ذِكْرُ الْمَحْبُوبِ عَلَى عِدَدِ الْأَنْفَاسِ كَمَا قِيلَ <sup>(١)</sup> :

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ      وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

وقيل : عَمَى الْقَلْبُ عَنْ رُؤْيَا غَيْرِ الْمَحْبُوبِ ، وَصَمَّهُ عَنْ سَمَاعِ الْعَدْلِ فِيهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيَصِمُ » <sup>(٢)</sup> رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وقيل : مِيلُكَ إِلَى الْمَحْبُوبِ بِكُلِّيَّتِكَ ، ثُمَّ إِثْرَارُكَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَرُوحِكَ

( ١ ) الْبَيْتُ لِلْسِّنِّى .

( ٢ ) فِى مَسَدِّ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « حُبُّكَ

الشَّيْءَ يَصِمُ وَيُعْمِي » .

ومالك ، ثم موافقتك له سرّاً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه ، وقيل :  
 هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ،  
 واضطراب بلا سكون ، فيضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه ، فيضطرب  
 شوقاً إليه ويسكن عنده . وهذا معنى قول بعضهم : هي حركة القلب على  
 الدوام إلى المحبوب وسكونه عنده ، وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام  
 كما قيل :

ومن عَجَبٍ أَنِي أَحِنُّ إِلَيْهِمْ      وأسأل عنهم من لَقِيتُ وهم معي  
 وتطلبهم عيني وهم في سوادها      ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي  
 وقيل : هي أن يكون المحبوب أقرب إلى الحب من رُوحه كما قيل :  
 يامقيماً في خاطري وجناني      وبعيداً عن ناظري وعياني  
 أنتَ رُوحِي إِن كُنْتُ لَسْتُ أراها      فهي أدنى إِلَيَّ من كلِّ داني  
 وقيل : هي حضور المحبوب عند الحب دائماً كما قيل :

خيالكَ في عيني وذكركَ في في      ومشواك في قلبي فأين تغيب ؟  
 وقيل : هي أن يستوى قرب دار المحبوب وبعدها عند الحب كما قيل :  
 يا ثاويّاً بين الجوانح والحشى <sup>(١)</sup>      مني وإنْ بَعُدْتُ عَنِّي دِيَارُهُ  
 عطفاً على صبٍّ يحبكِ هائمٍ      إِن لَمْ تَصِلْهُ تَصَدَّعَتْ أَعْشَارُهُ <sup>(٢)</sup>  
 لا يستفيق من الغرام وكما      حجبوك عنه تَهْتَكْتُ أَسْتَارُهُ

( ١ ) الجوانح جمع جانحة : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلع  
 مما يلي الظهر والحشى : مادون الحجاب مما في البطن . والحشا : ما انضمت  
 عليه الضلوع .

( ٢ ) جمع عشر : القطعة من كل شيء

وقيل : هي ثبات القلب على أحكام الغرام واستلذاذ العذل فيه والملام كما قيل (١) :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى متأخر عنه ولا متقدم  
وأهنتى فأهنتُ نفسى جاهداً ما من يهون عليكِ ممن يُكدرم  
أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبهم إذ كان حظى منكِ حظى منهم  
أجدُ الملامةَ فى هـواكِ لذيدةً حباً لذكركِ فليكنى اللومُ

### فصل

وأما العلاقة وتسمى العلقَ بوزن الفاق فهي من أسماها قال الجوهري : والعلق أيضاً الهوى يقال : نظرة من ذى علق ، قال الشاعر (٢) :

ولقد أردتُ الصبرَ عنكِ فعاقنى علقٌ بقلبي من هواكِ قديمٌ  
وقد علقها بالكسر وعلق حبها بقلبه ، أى هوئها وعلق بها علوقاً ،  
وسميت علاقةً لتعلق القلب بالحبوب ، قال الشاعر (٣) :  
أعلاقةٌ أم الوليدِ بعدما أفنانُ رأسكِ كالنعامِ المخلصِ (٤)

### فصل

وأما الهوى فهو ميلُ النفس إلى الشيء ، وفعله هَوَى يَهْوَى هَوًى ، مثل عَمِيَ يَعْمَى عَمًى . وأما هَوَى يَهْوَى بالفتح فهو السقوط ، ومصدره الهوى

( ١ ) هو لآبى الشيص .

( ٢ ) هو ابن الدمينه كما قال ياقوت .

( ٣ ) هو المزار الفقعى كما قال ياقوت .

( ٤ ) الثغام بالفتح : نبت يكون فى الجبل يبيض إذا يبس ويشبه به الشيب .  
والمخلص : الذى خالط سواده البياض .



بالضم ، ويقال الهوى أيضاً على نفس المحبوب ، قال الشاعر :

إِنِ اتَى زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا

ويقال : هذا هوى فلان<sup>(١)</sup> وفلانة هواه ، أى مَهْوِيَّتُهُ ومحبوبته ، وأكثر ما يستعمل في الحب المذموم كما قال الله تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى )<sup>(٢)</sup> ويقال : إنما سمي هوى لأنه يهوى بصاحبه . وقد يستعمل في الحب المدح استعمالاً مقيداً . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ »<sup>(٣)</sup> وفي الصحيحين عن عروة قال : كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة رضى الله عنها : أَمَا تَسْتَحْيِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ ؟ فَلَمَّا نَزَلَتْ ( تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ )<sup>(٤)</sup> قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك . وفي قصة أسارى بدر قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضى الله عنه ولم يهوَ ما قلت ، وذكر الحديث<sup>(٥)</sup> . وفي السنن أن أعرابياً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : جئت أسألك عن الهوى فقال : « المرء مع من أحب » .

( ١ ) كذا .. ولعل الصواب : هوى فلانة .

( ٢ ) الآيتان ٤٠ و ٤١ . سورة النازعات .

( ٣ ) في الأربعين للنزوى قال : هو حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة

بإسناد صحيح .

( ٤ ) الآية ٥١ . سورة الاحزاب .

( ٥ ) في صحيح مسلم . رواه أيضاً الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى

كما قال السيوطى .

## فصل

وأما الصَّبُوة والصَّبَا فنِ أسماؤها أيضاً قال في الصحاح : والصَّبَا من الشوق يقال منه : تصابا وصبا يَصْبُو صَبُوءَةً وَصُبُوءًا ، أى مال إلى الجهل ، وَأَصْبَتْهُ الجارية وَصَبِيَّ صَبَاءً مثل سَمِعَ سَمَاعًا ، أى لعب مع الصبيان . قلت : أصل الكلمة من الميل يقال : صبا إلى كذا ، أى مال إليه ، وَسُمِّيَتِ الصَّبُوءَةُ بذلك لميل صاحبها إلى المرأة الصبيَّة والجمع صبايا مثل مَطِيَّةٍ وَمَطَايَا ، والتصابي هو تعاطى الصَّبُوءَةِ مثل التمايل وبابه . والفرق بين الصَّبَا والصَّبُوءَةِ والتصابي أن التصابي هو تعاطى الصَّبَا وأن تنل فعل ذى الصَّبُوءَةِ . وأما الصَّبَا فهو نفس الميل . وأما الصَّبُوءَةُ فالمرَّة من ذلك مثل العَشُوءَةِ والكَبُوءَةِ ، وقد يقال على الصفة اللازمة مثل القَسُوءَةِ . وقد قال يوسف الصِّدِّيق عليه السلام : (وَالْأَتَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) <sup>(١)</sup>

## فصل

وأما الصَّبَابَةُ فقول في الصحاح : هى رقة الشوق وحرارته ، يقال : رجل صَبٌّ عاشقٌ مشتاق ، وقد صَبَبْتُ يَا رَجُلُ بالكسر ، قال الشاعر <sup>(٢)</sup> :

ولستَ تَصَبُّ إلى الظاعنين إذا ما صديقك لم يَصْبَبْ

قلت : والصَّبَابَةُ من المضاعف من صَبَّ يَصْبَبْ ، وَالصَّبَا وَالصَّبُوءَةُ من المعتل ، وهم كثيراً ما يعاقبون بينهما ، فينبغي تناسب لفظي ومعنوي ، قال الشاعر :

تَشْكِيَّ المَجْبُونِ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي

---

(١) الآية ٣٣ : سورة يوسف . (٢) هو الكميث كما قال ياقوت

ويقال : رجلٌ صَبٌّ وامرأةٌ صَبٌّ كما يقال : رجلٌ عدْلٌ وامرأةٌ عدْلٌ .

### فصل

وأما الشَّغَفُ فمن أسمائها أيضاً : قال الله تعالى : ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا )<sup>(١)</sup> قال الجوهري وغيره : والشَّغاف غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب يقال : شَغَفَهُ الحب ، أى بلغ شَغَافَهُ ، وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) ثم قال : دخل حُبُّهُ تحت الشَّغَاف .

### فصل

وأما الشَّعَفُ بالعين المهملة فى الصحاح شَعَفَهُ الحُبُّ ، أى أحرق قلبه ، وقال أبو زيد : أمرضه ، وقد شُعِفَ بكذا فهو مشعوفٌ ، وقرأ الحسن ( قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ) قال : بطنها حُبًّا .

### فصل

وأما اللَّقَّةُ فهى فعلة من وَمَقَّ يَمَقُّ ، وَالْمَقَّةُ المحبة والهاء عوضٌ من الواو كالعِظَّة والعِدَّة والزِنَّة ، فإن أصلها فعل فخذفوا الفاء فعوضوا منها تاء القَانِث جبراً للكلمة وتعويضاً لما سقط منها ، والفعل وَمَقَّ يَمَقُّ بالكسر فيها ، أى أحبه فهو وامق .

### فصل

وأما الوَجْدُ فهو الحب الذى يتبعه الحزن ، وأكثر ما يُستعمل الوَجْدُ فى الحزن ، يقال منه : وَجَدَ وَجْدًا بالفتح ، ونحن نذكر هذه المادة وتصاريفها ، يقال : وَجَدَ مطلوبه يحبه وُجودًا ، فإن تعلّق ذلك بالضالّة سمّوه وَجْدَانًا ،

وَوَجَدَ عَلَيْهِ فِي الْغَضَبِ مَوْجِدَةً ، وَوَجَدَ فِي الْحُزْنِ وَجْداً بِالْفَتْحِ ، وَوَجَدَ فِي الْمَالِ ، أَيْ صَارَ وَاجِداً وَوَجْداً وَوَجْداً بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَجِدَةً إِذَا اسْتَفْنَى ، وَأَمَّا إِطْلَافُ اسْمِ الْوَجْدِ عَلَى مَجْرَدِ مُطْلَقِ الْمَحَبَّةِ فَغَيْرُ مَعْرُوفٍ ، وَإِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى مَحَبَّةٍ مَعَهَا فَقَدْ يُوجِبُ الْحُزْنَ .

## فصل

وَأَمَّا الْكَلْفُ فَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْحُبِّ أَيْضاً ، يُقَالُ : كَلِفْتُ بِهِذَا الْأَمْرَ أَيْ أَوْلَعْتُ بِهِ فَأَنَا كَلِفْتُ بِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ عَنْ عِلْمِ

وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ مِنَ الْكُلْفَةِ وَالْمَشَقَّةِ ، يُقَالُ : كَلَّفَهُ تَكْلِيفاً إِذَا أَمَرَهُ بِمَا يَشُقُّ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) <sup>(١)</sup> وَمِنْهُ تَكَلَّفْتُ الْأَمْرَ تَجَسَّمْتُهُ ، وَالْكُلْفَةُ مَا يُتَكَلَّفُ مِنْ نَائِبَةٍ أَوْ حَقٍّ . وَالتَّكَلُّفُ الْمُتَعَرِّضُ لِمَا لَا يَنْعِيهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ) <sup>(٢)</sup> وَقِيلَ : هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَثَرِ وَهُوَ شَيْءٌ يَعْلُو الْوَجْهَ كَالسَّمْسِمِ . وَالْكَلْفُ أَيْضاً : لَوْنٌ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ وَهِيَ حُمْرَةٌ كَدِرَةٌ تَعْلُو الْوَجْهَ ، وَالْأَسْمُ الْكُلْفَةُ .

## فصل

وَأَمَّا التَّيِّمُ <sup>(٣)</sup> فَهُوَ التَّعَبُّدُ ، قَالَ فِي الصَّحَاحِ : تَيَّمُ اللَّهُ أَيْ عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَصْلُهُ

( ١ ) الْآيَةُ ٢٨٦ . سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( ٢ ) الْآيَةُ ٨٦ . سُورَةُ ص .

( ٣ ) لَعَلَّ الصَّوَابَ هُوَ التَّيْمُ : أَنْ يَسْتَعْبِدَ الْهَوَى ، وَهُوَ ذَهَابُ الْعَقْلِ

مِنَ الْهَوَى .

من قولهم : تيممه الحب إذا عبده وذللّه فهو متيمّ ، ويقال : تامته المرأة ، قال  
لقيط بن زُرارة :

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت    إحدى نساء بني ذهل بن شيباناً

## فصل

وأما العشق فهو أمر هذه الأسماء وأخبثها ، وقلّ ما ولّعت به العرب ،  
وكانهم ستروا اسمه وكنّوا عنه بهذه الأسماء فلم يكادوا يفصحوا به ، ولا تكاد  
تجده في شعرهم القديم ، وإنما أولع به المتأخرون ، ولم يقع هذا اللفظ في القرآن  
ولا في السنة إلا في حديث سويد بن سعيد<sup>(١)</sup> وسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى .  
وبعد فقد استعملوه في كلامهم ، قال الشاعر :

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا    سوى أن يقولوا إني لك عاشق  
نعم صدق الواشون أنت حبيبة    إليّ وإن لم تصف منك الخلاق

قال في الصحاح : العشق فرط الحب ، وقد عشقها عشقاً مثل علمٍ علماً وعشقاً  
أيضاً عن الفراء ، قال رؤبة :

\* ولم يضعها بين فرك<sup>(٢)</sup> وعشق \*

قال ابن السراج : إنما حرّ كه ضرورة وإنما لم يحرّ كه بالكسر إتباعاً  
للعين كأنه كره الجمع بين كسرتين فإن هذا عزيز في الأسماء ، ورجلٌ عشيقٌ  
مثل فيسيق ، أي كثير العشق ، والتعشّق تكلف العشق قال الفراء : يقولون  
امرأةٌ محبٌّ لزوجها وعاشق . وقال ابن سيده : العشق عجب المحب بالمحبوب  
يكون في عفاف الحب ودعارته ، يعنى في العفة والفجور . وقيل : العشق الاسم

(١) هو حديث : « من عشق ففكتم فمات فهو شهيد »

(٢) فرك : بهضم وكره .

والعشق المصدر ، وقيل : هو مأخوذ من شجرة يقال لها : عاشقة<sup>(١)</sup> تخضر ثم تدبّق وتصفّر ، قال الزّجاج واشتقاق العاشق من ذلك ، وقال الفراء : عشق عشقاً وعشقاً إذا أفرط في الحب ، والعاشق الفاعل ، والمعشوق المفعول ، والعشيق يقال لهذا ولهذا ، وامرأة عاشق وعاشقة قال<sup>(٢)</sup> :

وَلَدَّ كَطَعَمِ الصَّرْحَدِيِّ طَرَحْتُهُ عَشِيَّةَ خَمْسِ الْقَوْمِ وَالْعَيْنُ عَاشِقَةٌ<sup>(٣)</sup>

وقال الفراء : العشق نبت لزّج ، وُسِّمِيَ العشق الذي يكون من الإنسان للصّوفة بالقلب وقال ابن الأعرابي : العَشَقَةُ اللّبلابة تخضر وتصفّر وتعلق بالذي يليها من الأشجار ، فاشتقّ من ذلك العاشق . وقد اختلف الناس هل يُطَلَقُ هذا الاسم في حقّ الله تعالى ؟ فقالت طائفة من الصوفية : لا بأس بإطلاقه ، وذكروا فيه أثراً لا يثبت ، وفيه : فإذا فعل ذلك عشقني وعشقتني ، وقال جمهور الناس : لا يُطَلَقُ ذلك في حقّه سبحانه وتعالى ، فلا يقال إنه يعشق ، ولا يقال عشقه عبده ، ثم اختلفوا في سبب المنع على ثلاثة أقوال ، أحدها : عدم التوقيف<sup>(٤)</sup> بخلاف المحبة . الثاني : أن العشق إفراط المحبة ، ولا يمكن ذلك في حقّ الربّ تعالى ، فإن الله تعالى لا يوصف بالإفراط في شيء ، ولا يبلغ عبده ما يستحقّه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغيّر

( ١ ) كذا . . والذي في كتب اللغة عشقة بفتحتين وستأتي قريباً .

( ٢ ) هو الراعي .

( ٣ ) في اللسان : صرخد : موضع نسب إليه الشراب في قول الراعي .  
والخمس : من أطماء الإبل أن ترد الإبل الماء في اليوم الخامس من ورودها السابق .  
وقوله : ولد ، يريد نوم لذيذ ، وإلهاء في عاشقة تعود على النوم وذكر العين على معنى الطرف .

( ٤ ) التوقيف في الشرع كالنص .

كما يقال للشجرة المذكورة عاشقة<sup>(١)</sup> ، ولا يطلق ذلك على الله سبحانه وتعالى .

## فصل

وأما الْجَوَى في الصحاح : الجوى : الحُرْقَة وشدة الوجد من عشق أو حُزْن ، تقول منه : جَوَى الرجل بالكسر فهو جَوٍ مثل دَوٍ ، ومنه قيل للماء المتغير المُنْتِن : جَوٍ ، قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

ثم كان المزاج ماءً سحابٍ لا جَوٍ آجن<sup>(٣)</sup> ولا مطروق

## فصل

وأما الدَّنَفُ فلا تكاد تستعمله العرب في الحب ، وإنما وَلِعَ به المتأخرون ، وإنما استعملته العرب في المرض . قال في الصحاح : الدَّنَفُ بالتحريك المرض الملازم ، رَجَلَ دَنَفٌ أيضاً يعنى بفتح النون وامرأةٌ دَنَفٌ وقومٌ دَنَفٌ ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والثنية والجمع ، فإن قلت : رَجَلَ دَنَفٌ بكسر النون قلت : امرأةٌ دَنَفَةٌ أنثى وثنيته وجهته ، وقد دَنَفَ المريضُ بالكسر ثُمِّلَ وأدَنَفَ بالآل مثله ، وأدنفه المرضُ يتعدى ولا يتعدى فهو مُدْنَفٌ ومُدْنَفٌ . قلت : وكأنهم استعاروا هذا الاسم للحب اللازم تشبيهاً له به والله أعلم .

## فصل

وأما الشَّجْوُ فهو حبٌّ يتبعه هُمٌّ وحزن . قال في الصحاح : الشَّجْوُ : الهمُّ والحُزن ، يقال : شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوًا : إذا أحزنه ، وأشجَاهُ يُشْجِيهِ إِشْجَاءً :

( ١ ) الصواب عاشقه ، أنظر صفحة ( ٢٨ ) .

( ٢ ) هو عدى بن زيد .

( ٣ ) آجن الماء : تغير طعمه ولونه ورائحته .

إذا أَغَصَّهُ . تقول منهما جميعاً : شَجِيَّ بالكسر يَشَجِيَّ شَجِيَّ قال الشاعر <sup>(١)</sup> :

لا تنكروا القتل وقد سُبِينَا      في حلقكم عَظْمٌ وقد شَجِينَا  
أراد حلوقكم ، والشَجِيَّ ما يَنْشَبُ في الحلق من عَظْمٍ أو غيره ، ورجلٌ  
شَجِيٌّ ، أى حزينٌ وامرأةٌ شَجِيَّةٌ على فِعْلَةٍ . فأُطِيقَ هذا الاسم على الحب للزومه  
كالشَجِيَّ الذى يعاقب بالهلع وينشَبُ فيه .

## فصل

وأما الشوق فهو سفر القلب إلى المحبوب ، وقد وقع هذا الاسم في السنة ،  
ففي المسند من حديث عمار بن ياسر أنه صلى صلاةً فأوجز فيها ، فقيل له :  
أوجزت يا أبا اليقظان ، فقال : لقد دعوت فيها بدعراتٍ سمعتن من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يدعو بهن : اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ،  
أَحْيِنِي إذا كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى . وأسألك  
خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا ، وأسألك  
القصد فى الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفدُ ، وأسألك قرة عينٍ لا تنقطع ،  
وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك بَرْدَ العيش بعد الموت ، وأسألك لذة  
النظر إلى وجهك ، والشوقَ إلى لقائك ، فى غير ضراءٍ مضرة ، ولا فتنةٍ مضلة ،  
اللهم زيننا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداةً مهتدين <sup>(٢)</sup> . وجاء فى أثرٍ إسرائيلى :  
طال شوق الأبرار إلى لقاءى ، وأنا إلى لقاءهم أشوق . وقد قال الله تعالى :  
( مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ) <sup>(٣)</sup> . قال بعض العارفين :

( ١ ) هو المسيب بن زيد مناة .

( ٢ ) هكذا .. وفى بعض ألفاظه اختلاف عما فى المسند وجامعى السيوطى

( ٣ ) الآية . سورة العنكبوت .



لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعداً للقاء تسكن به قلوبهم . وبعد فهذه اللفظة من أسماء الحب ، قال في الصحاح : الشوق والاشتياق : نزاع النفس إلى الشيء ، يقال : شاقني الشيء يشوقني فهو شائق وأنا مشوق وشوقني فتشوقتُ : إذا هيج شوقك ، قال الراجز :

يادار مية بالدكاديك البرق<sup>(١)</sup> سقياً لقد هيّجت شوق المشتاق

يريد المشتاق قال سيبويه : كهمز ما ليس بمهموز ضرورة .

### فصل

واختلف في الفرق بين الشوق والاشتياق أيهما أقوى ، فقالت طائفة : الشوق أقوى فإنه صفة لازمة ، والاشتياق فيه نوع افتعال كما يدل عليه بناؤه كالاشتياق ونحوه ، وقالت فرقة : الاشتياق أقوى لكثرة حروفه ، وكلما قوي المعنى وزاد زادوا حروفه ، وحكمت فرقة ثالثة بين القولين . وقالت : الاشتياق يكون إلى غائب ، وأما الشوق فإنه يكون للحاضر والغائب . والصواب أن يقال : الشوق مصدر شاقه يشوقه إذا دعاه إلى الاشتياق إليه ، فالشوق داعية الاشتياق ومبداه ، والاشتياق موجه وغايته ، فإنه يقال : شاقني فاشتقت ، فالاشتياق فعل مطاوع لشاقني . واختلف أرباب الشوق هل يزول الشوق بالوصل أو يزيد ؟ فقالت طائفة : يزول ، فإن الشوق سفر القلب إلى المحبوب ، فإذا وصل إليه انتهى السفر .

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر<sup>(٢)</sup>

( ١ ) في الصحاح يادارمى قال : والدكداك من الرمل : ما لتبد منه بالأرض ولم يرتفع والجمع الدكادك والدكاديك . والبرقة بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطن مختلطة والجمع برق .

( ٢ ) البيت للمعمر بن حمار .

قالوا : ولأن الشوق إنما يكون لغائب فلا معنى له مع الحضور ، ولهذا إنما يقال للغائب : أَمَا إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ : وأما من لم يزل حاضراً مع المحب فلا يوصف بالشوق إليه . وقالت طائفة : بل يزيد بالقرب واللقاء واستدلوا بقول الشاعر :

وأعظم ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دنتِ الحيامُ من الخيامِ

قالوا : ولأن الشوق هو حُرقة المحبة والتهابُ نارها في قلوب المحب ، وذلك مما يزيده اقرب والمواصلة . والصواب أن الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب ، قال ابن ازمعي :

أعانقُها والنفسُ بعدُ مشوِّقةٌ إليها وهل بعد العناق تداني  
وَأَلَمَ فُها كي تزولَ صبا بتي فيشدُّ ما أَلقي من الهيمانِ  
ولم يك مقدارُ الذي بي من الجوى ليشْفِيه ما ترشِفُ الشففتانِ  
كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن يَرى الروحين متمزجانِ

## فصل

وأما الخِلابة فهي الحب الخادع ، وهو الحب الذي وصل إلى الخُلب وهو الحجاب الذي بين القلب وسراد البطن . وسمى الحب خِلابةً لأنه يخدع ألباب أربابه ، والخِلابة : الخديعة باللسان ، يقال : خَلَبَهُ يَخْلِبُهُ بالضم واختابه مثله . وفي المثل : إذا لم تَغْلِبْ فَاخْلُبْ ، أى فاحدع . والخِلابة : الخداعة من النساء قال الشاعر (١) :

أودى الشبابُ وحبُّ الخالة (٢) الخَلابة وقد برئتُ فما بالقلب من قَلْبِهِ (٣)

( ١ ) فى الصحاح : قال الفر .

( ٢ ) فى الصحاح : امرأة خالة ، أى مختالة ، وقوم خالة ، أى مختالون ، ويروى الخَلابة أيضاً بفتح اللام على أنه جمع وهم الذين يخدعون النساء .

( ٣ ) أى برئت من داء الحب ولم يعد بالقلب علة .

قال ابن السكيت : رجلٌ خَلَّابٌ ، أى خَدَّاعٌ كَذَّابٌ ، ومنه البرق  
 الخَلْبُ الذى لا غيث فيه كأنه خادع ، ومنه قيل لمن يَعِدُ ولا يُنجز : إنما أنت  
 برق خُلْبٍ . والخَلْبُ أيضاً : السحاب الذى لا مطر فيه ، ومنه الحديث :  
 « إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لَا خِلَابَةَ »<sup>(١)</sup> أى لا خديعة . والحب أحق ما يُسمَّى بهذا  
 الاسم ، لأنه يُعمى ويُصم ، ويخدع لبَّ المحب وقلبه .

## فصل

وأما البلبال فجمع بَلْبَلَةٍ ، يقال : بلبال الحب وبلابل الشوق ، وهى  
 وساوسه وهمه . قال فى الصحاح : البَلْبَلَةُ والبَلْبَالُ : الهمُّ وَوَسْوَاسُ الصدر .

## فصل

وأما التباريح فيقال : تباريح الحب ، وتباريح الشوق ، وتباريح الجوى .  
 وبرَّح به الحب والشوق : إذا أصابه منه التبرُّح وهو الشدة . قال فى الصحاح :  
 لقيت منه برَّحاً بارحاً ، أى شدةً وأذى ، قال الشاعر :  
 أَجِدُّ هَذَا تَهَمُّكَ اللَّهُ كَلَّا      دعاك الهوى برَّحٌ لعينيك بارحُ  
 ولقيت منه بنات برَّح وبنى برَّح ، ولقيت منه البرَّحين والبرَّحين ، بكسر الباء  
 وضمها ، أى الشدائد والدواهي .

## فصل

وأما السَّدَمُ بالتحريك فهو الحب الذى يتبعه ندمٌ وحزن . قال فى الصحاح :  
 السَّدَمُ بالتحريك : النَّدَمُ والحُزْنُ وقد سَدِمَ بالكسر ، ورجلٌ نادِمٌ سَادِمٌ  
 وَنَدَمَانُ سَدَمَانُ ، وهو إيتاعٌ ، وما له همٌّ ولا سَدَمٌ إلا ذاك .

## فصل

وأما الغمرات فهي جمع غمرة ، والغمرة ما يغمر القلب من حب أو  
شكر أو غفلة . قال الله تعالى : ( قَتَلَ آدَارَاصُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ  
سَاهُونَ )<sup>(١)</sup> أى فى غفلة قد غمرت قلوبهم . وقال تعالى : ( فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ  
حَتَّىٰ حِينٍ )<sup>(٢)</sup> ومنه الماء الغمر الكثير الذى يغطى من دخل فيه ، ومنه غمرات  
الموت ، أى شدائده ، وكذلك غمرات الحب ، وهو ما يغطى قاب المحب  
فيغمره ، ومنه قولهم : رجل غمر الرداء ، كناية عن السخاء ، لأنه يغمر  
العيوب ، أى يغطيها فلا يظهر مع السخاء عيب . قال كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً      غلقت اضحكته رقاب المال

وقال القطامي يصف سفينة نوح :

إلى الجودي حتى صار حجراً      وكان لذلك الغمر انحسار<sup>(٣)</sup>

أى لذلك الماء الذى غمر الأرض ومن عليها .

## فصل

وأما الوهل فهو بتجريك الماء وأصله النزع والزع ، يقال : وهل  
يؤهل وهو وهل ومؤهل . قال القطامي يصف إبلاً :

( ١ ) الآيتان ١٠ و ١١ . سورة الذاريات .

( ٢ ) الآية ٥٥ . سورة المؤمنون .

( ٣ ) الجودي : هو الجبل الذى استوت عليه سفينة سيدنا نوح عليه السلام .  
والحجر : الممنوع الذى له حاجز . والغمر جمع غمرة . قال ابن سيده : وجمع  
السلامة أكثر .

وترى لجيُضَتَيْنِ عند رحيلنا      وَهَلَّا كَانَ بَيْنَ جِنَّةٍ أُولَقِ (١)  
وإنما كان النَوَهْلُ من أسماء الحب لما فيه من الرَّوع ، ومنه يقال :  
جمالٌ رائع . فإن قيل : ما سبب رَوْعَةِ الجمال ولأى شئ إذا رأى المحبُّ  
محبوبَهُ فجأةً يرتاع لذلك ويصفرُّ لونه ويُبْهَتُ . قال الشاعر :

وما هو إلا أن أراها نُجَاءَةً      فَأُبْهَتَ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ

وكثيرٌ من الناس يرى محبوبه فيصنرُ ويرتعد ؟ قيل : هذا مما خفى سببه  
على أكثر المحبين فلا يدرون ما سببه ، فقيل سببه أن الجمال سلطانٌ على  
القلوب ، وإذا بدا راع القلوب بسلطانهِ ، كما يرُوعها الملك ونحوهُ من له سلطانٌ  
على الأبدان ، فسلطان الجمال والمجبة على القلوب ، وسلطان الملوك على الأبدان ،  
فإذا كان السلطان الذى على الأبدان يرُوع إذا بدا ، فكيف بالسلطان الذى هو  
أعظم منه ؟ قالوا : وأيضاً فإن الجمال يأسِرُ القلب فيحسُّ القلب بأنه أُسِيرٌ  
ولا بُدَّ لتلك الصورة التى يدت له ، فيرتاع كما يرتاع الرجل إذا أحسَّ بمن  
يأسِرُهُ ، ولهذا إذا أمن الناظر من ذلك لم تحسُّ له هذه الرَّوْعَةُ . قال الشاعر :

علامةٌ من كان الهوى بفؤاده      إذا ما رأى محبوبَهُ يتغير

## فصل

وأما الشَّجَنُ فهو من أسمائه ، فإن الشَّجَنَ الحاجة حيث كانت ، وحاجة  
المحب أشد شئ إلى محبوبه . قال الراجز :

---

( ١ ) فى اللسان قال : وهو الروغان والمدول عن التصد ، وأصل الجيُض  
الميل عن الشيء . والأولق : الجنون ، وقيل : الخفة من اللشاط كالجنون .

إِنِّي سَأُبْدِي لَكَ فِيمَا أُبْدِي لِي شَجَانُ شَجْنٌ يُنْجَدُ  
 وشَجْنٌ لِي بِبِلَادِ السُّنْدِ  
 والجمع شَجُون . قال : والنفس شَتَّى شُجُونُهَا<sup>(١)</sup> ، ويجمع على أَشْجَان .  
 قال الشاعر :

تَحْمَلُ أَفْصَحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي وَلِلنَّاسِ أَشْجَانُ وَلِي شَجْنٌ وَحْدِي  
 وَقَدْ شَجَّعْتَنِي الْحَاجَةُ تَشْجُنِي شَجْعًا : إِذَا حَبَسْتُكَ ، وَوَجْهٌ آخِرٌ أَيْضًا  
 وَهُوَ أَنَّ الشَّجْنَ الْحُزْنَ وَالْجَمْعَ أَشْجَان ، وَقَدْ شَجَّنَ بِالْكَسْرِ فَهُوَ شَاجِنٌ  
 وَأَشْجَنَهُ غَيْرُهُ وَشَجَّنَهُ ، أَيْ أَحْزَنَهُ ، وَالْحُبُّ فِيهِ الْأَمْرَانِ : هَذَا وَهَذَا .

## فصل

وَأَمَّا اللَّاعِجُ فَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَوْلِهِمْ : لَعَجَهُ الضَّرْبُ إِذَا أَلَمَهُ وَأَحْرَقَ  
 جِلْدَهُ . قَالَ الْهَذَلِيُّ<sup>(٢)</sup> :

\* ضَرْبًا أَلَمًا بِسَبْتٍ يَأْعِجُ الْجِلْدَ<sup>(٣)</sup> \*

وَيَقَالُ : هُوَ لَاعِجٌ لِحَرِّقَةِ الْقَوَادِ مِنَ الْحُبِّ .

## فصل

وَأَمَّا الْاِكْتِمَابُ فَهُوَ افْتِعَالٌ مِنَ الْكَاتِبَةِ ، وَهِيَ سُوءُ الْحَالِ وَالْاِنْكِسَارُ  
 مِنَ الْحُزَنِ ، وَقَدْ كَتَبَ الرَّجُلُ يَكْتُبُ كِتَابَةً وَكَاتَبَ كِرَافَةً وَرَافَةً ، وَذِمَاقَةً

( ١ ) أَصْلُ الْبَيْتِ رَوَاهُ ابْنُ بَرِيٍّ وَهُوَ :

ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْذَنَ الْوَحْشُ وَالنَّقْتُ رَفَاقَ بِهِ وَالنَّفْسُ شَتَّى شُجُونُهَا

( ٢ ) فِي يَاقُوتَ : هُوَ عَبْدُ ذِمَافِ بْنِ رُبَيْعِ الْجَرْدِيِّ ، وَصَدْرُهُ :

• إِذَا تَجَرَّدَ نُوحٌ قَامَتَا مَعَهُ •

( ٣ ) السَّبْتُ بِالْكَسْرِ : نَكْلُ جِلْدِهِ دِرْعًا . يَلْهَجُ : يُؤْلِمُ وَيَحْرِقُ .

ونشأة فهو كَثِيبٌ ، وامرأةٌ كَثِيبَةٌ وكأباءٌ أيضاً . قال الرازي<sup>(١)</sup> :

\* أَوْ أَنْ تُرَى كَأَبَاءٌ لَمْ تَبْرَنْشِقْ \*

واكتأب الرجلُ مثله ، وَرَمَادٌ مُكْتَتَبٌ اللون : إذا ضرب إلى السواد كما يكون وجه الكثيب ، والكأبة تتولد من حصول الحب وفوت المحبوب فتحدثُ بينهما حالةٌ سيئة تسمى الكأبة .

### فصل

وأما الوَصَبُ فهو ألمُ الحُبِّ ومرضه فإن أصل الوَصَبِ المرض ، وقد وَصَبَ الرجلُ يَوْصَبُ فهو وَصِيبٌ ، وَأَوْصَبَهُ اللهُ فهو مُوَصَّبٌ ، وَالْمُوَصَّبُ بالتشديد الكثير الأوجاع . وفي الحديث الصحيح : « لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ وَلَا وَصَبٍ حَتَّى الشَّوْكَةِ يَشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ »<sup>(٢)</sup> وَوَصَبَ الشيءُ يَصِيبُ وَصُوبًا إذا دام ، تقول : وَصَبَ الرجلُ على الأمر إذا دام عليه . قال الله تعالى : (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ)<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا)<sup>(٤)</sup> أي الطاعة دأمة .

### فصل

وأما الحزن فقد عُدَّ من أسماء المحبة والصواب أنه ليس من أسمائها ، وإنما هو حالة تحدث للمحب ، وهي ورود المكروه عليه ، وهو خلاف المسرة ، ولما كان الحُب لا يخلو من ورود مالا يسرّ على قلب المحب كان الحزن من لوازمه .

( ١ ) في ياقوت : هو جندل بن المشني الطهوي يخاطب ابنة أخيه .

والمبرنشق : الفرح المسرور وقد ابرنشق .

( ٢ ) في صحيح مسلم وغيره بالفاظ متقاربة .

( ٣ ) الآية ٩ . سورة الصافات .

( ٤ ) الآية ٥٢ . سورة النحل .

وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ » <sup>(١)</sup> ، فاستعاذ صلى الله عليه وسلم من ثمانية أشياء ، كل شيء منهنما قرينان . فالهم والحزن قرينان ، فإن ورود المكروه على القلب إن كان لما مضى فهو الحزن ، وإن كان لما يستقبل فهو الهم ، والعجز والكسل قرينان فإن تخلف العبد عن كماله إن كان من عدم القدرة فهو العجز ، وإن كان من عدم الإرادة فهو الكسل ، والجبن والبخل قرينان ، فإن الرجل يراود منه النفع بماله أو ببدنه ، فالجبان لا ينفع ببدنه ، والبخیل لا ينفع بماله ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ قرينان ، فإن قهر الناس نوعان : نوعٌ بحق فهو ضلع الدين ، ونوعٌ يباطل فهو غلبة الرجال . وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة الخوف والحزن ، فلا يحزنون على ما مضى ، ولا يخافون مما يأتي ، ولا يطيب العيش إلا بذلك ، والحب يلزمه الخوف والحزن .

## فصل

وأما الكمدُ فمن أحكام المحبة في الحقيقة وليس من أسمائها ، ولكن المتكلمون في هذا الباب لا يفرقون بين اسم الشيء ولازمه وحكمه ، والكمد الحزن المكتوم ، تقول منه : كمد الرجل فهو كمدٌ وَكَيْدٌ وَالْكُمْدَةُ تَغْيِيرُ اللَّوْنِ وَأَكْمَدَ الْقَصَّارُ الثَّوبَ إِذَا لَمْ يُنْقَه .

## فصل

وأما الازدع فهو من أحكام المحبة أيضاً ، وأصله من لَدَعَ النار . يقال :

( ١ ) في الصحيحين وغيرهما . والضلع : القهر .



لَذَعْتُهُ النَّارُ لَذْعًا : أحرقته ، ثم شبهوا لَذْعَ اللسان بلَذْعِ النار ، فقالوا : لَذَعَهُ بلسانه ، أى أحرقه بكلامه ، يقال : أعوذ بالله من لَوَازِجِهِ .

### فصل

وأما الحُرْقُ فهو أيضاً من عوارض الحُب وآثاره ، والحُرْقَةُ تكون من الحُب تارةً ومنه قولهم : مالك حُرْقَةٌ عَلَى هذا الأمر ، وتكون من الغيظ ومنه فى الحديث : « تَرَكَتُهُمْ يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ » .

### فصل

وأما السُّهْدُ فهو أيضاً من آثار المحبة ولوازمها ، فالسُّهْدُ : الأَرْقُ وقد سَهَدَ الرجل بالكسر يَسْهَدُ سَهْدًا ، والسُّهْدُ بضم السين والهاء : القليل النوم . قال أبو كبير الهذلي :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْجَنَانِ مُبْطِنًا      سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْوَجَلِ<sup>(١)</sup>  
وسهده أنا فهو مُسَهَّدٌ .

### فصل

وأما الأَرْقُ فهو أيضاً من آثار المحبة ولوازمها فإنه السهر . وقد أَرَقْتُ بالكسر أى سهرت ، وكذلك انْتَرَقْتُ عَلَى افتعلت فَأَنَا أَرِقٌ ، وَأَرَقِي كَذَا تَأْرِيقًا ، أى سهرنى .

### فصل

وأما اللَّهْفُ فمن أحكامها وآثارها أيضاً ، يقال : لَهَفَ بالكسر يَلْهَفُ

( ١ ) حوش الجنان ، أى حديد الفؤاد . والمبطن : الضامر البطن . والهوجل : الرجل الالهوج .

لَهْفًا أَى حَزَنٍ وَتَحَسُّرٍ . وَكَذَلِكَ التَّلَهْفُ عَلَى الشَّيْءِ . وَقَوْلُهُمْ : يَا لَهْفَ فُلَانٍ  
كَلِمَةٌ يُتَحَسَّرُ بِهَا عَلَى مَا فَاتَ ، وَاللَّهْفَانُ الْمُنْتَحَسِرُ ، وَاللَّهْفُ الْمَضْطَرُ .

## فصل

وَأَمَّا الْخَنِينُ فَقَالَ فِي الصَّحَاحِ : الْخَنِينُ الشُّوقُ وَتَوَقَّانُ النَّفْسُ ، تَقُولُ  
مِنْهُ : حَنَّ إِلَى يَوْمٍ يَخِينُ حَنِينًا فَهُوَ حَنَّ ، وَالْحَنَّانُ الرَّحْمَةُ ، تَقُولُ مِنْهُ : حَنَّ عَلَيْهِ  
يَخِينُ حَنَّانًا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَحَنَّاكَ مِنْ دُونِنَا ) <sup>(١)</sup> وَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ تَرَحَّمْ ،  
وَالْعَرَبُ تَقُولُ : حَنَّانَكَ يَا رَبِّ وَحَنَّانِيكَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَى رَحْمَتِكَ ، قَالَ  
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَيَمْنَحُهَا بَنُو سَمَجَى بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمْ حَنَّانَكَ ذَا الْخَنَّانِ <sup>(٢)</sup> .  
وَقَالَ طَرَفَةُ :

أَبَا مَنْذَرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضُنَا حَنَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ  
وَفِي الْحَقِيقَةِ الْخَنِينُ مِنْ آثَارِ الْحُبِّ وَمُوجِبَاتِهِ ، وَحَنِينُ النَّاقَةِ صَوْتُهَا  
فِي نَزَاعِهَا إِلَى وَلَدِهَا . وَحَنَّةُ الرَّجُلِ امْرَأَتُهُ . قَالَ <sup>(٣)</sup> :

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ دُجَى سَرَيْتُ وَلَمْ تَفِرْنِي حَنَّةٌ وَبَيْتُ  
قُلْتُ : سُمِّيَتْ حَنَّةً لِأَنَّ الرَّجُلَ يَخِينُ إِلَيْهَا أَيْنَ كَانَ

## فصل

وَأَمَّا الْأَسْتِكَانَةُ فَهِيَ أَيْضًا مِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ وَأَحْكَامِهِ ، لِأَنَّ أَسْمَاءَهُ الْخُتْمَةَ

(١) الْآيَةُ ١٢ . سُورَةُ مَرْيَمَ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : يَمْنَحُهَا رَوَايَةُ الْأَصْمَعِيِّ ، أَى يُعْطِيهَا ، وَرَوَاهُ ابْنُ  
الْأَعْرَابِيِّ : وَيَمْنَحُهَا .

(٣) هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَفْصِيُّ

به ، وأصلها الخضوع . قال الله تعالى : (فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) <sup>(١)</sup> وقال تعالى : (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا) <sup>(٢)</sup> وأصلها استفعل من الكون ، وهذا الاشتقاق والتصريف يطابق اللفظ ، وأما المعنى فالمستكن ساكن خاشع ضد الطائش ، ولكن لا يوافق السكون تصريح اللفظة فإنه إن كان افتعل كان ينبغي أن يقال استكن لأنه ليس في كلامهم افتعال ، والحق أنه استعمل من الكون فنقلوا حركة الواو إلى الكاف قبلها فتحركت الواو أصلاً وانفتح ما قبلها تقديرأ فقلت ألقا كاستقام ، والكون الحالة التي فيها إنباةٌ وذللٌ وخضوع . وهذا يُحمد إذا كان لله ، ويذم إذا كان لغيره ، ومنه الحديث : « أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ » <sup>(٣)</sup> أى الرجوع عن الاستقامة بعد ما كنت عليها .

## فصل

وأما التَّباله ففى فعالة من تَبَلَّه إذا أفناه . قال الجوهري : تَبَلَّهم الدهر وأتبلهم إذا أفناهم . قال الأعشى :

أَنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبَ بِهِ رَيْبُ الزَّمَانِ وَدَهْرٌ مُتَبِلٌ خَبِلُ  
أى يذهب بالأهل والولد ، وتبله الحب ، أى أسقمه وأفسده . قلت : ومنه قول كعب بن زهير بن أبى سلمى :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيمٌ عندها لم يفد مكبول

(١) الآية ٧٧ . سورة المؤمنون .

(٢) الآية ١٤٦ . سورة آل عمران .

(٣) ويروى بعد السكون وقد رجح النووى هذه الرواية فى الأذكار والحديث رواه أئمة مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه . والخور : النقص والكور : الزيادة . يعنى من النقص بعد الزيادة .

## فصل

وأما اللّوْعَةُ فقال في الصحاح : لَوْعَةُ الحب حُرْقَتُهُ وَقَدْ لَاعَهُ الْحُبُّ يَلُوعُهُ  
وَالنَّاعَ فُوَادُهُ أَيْ احْتَرَقَ مِنَ الشَّوْقِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : أَتَانُ لَاعَةَ الْفُؤَادِ إِلَى  
جَحْشِهَا . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَيْ لَاعَةُ الْفُؤَادِ وَهِيَ الَّتِي كَانَهَا وَلَهِىَ مِنَ الْفَزَعِ .

## فصل

وأما المفتون فهو مصدر فَتَنَهُ يَفْتِنُهُ فُتُونًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا )<sup>(١)</sup>  
أَيْ امْتَحَنَّاكَ وَابْتَخَرْنَاكَ . وَالْفِتْنَةُ يُقَالُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ<sup>(٢)</sup> ، أَحَدُهَا : الِامْتِحَانُ  
وَالِابْتِحَارُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ )<sup>(٣)</sup> أَيْ امْتِحَانُكَ وَابْتِحَارُكَ  
وَالثَّانِي : الْإِفْتِنَانُ نَفْسَهُ ، يُقَالُ : هَذِهِ فِتْنَةُ فَلَانٍ ، أَيْ إِفْتِنَانُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
( وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً )<sup>(٤)</sup> يُقَالُ : أَصَابَتْهُ  
الْفِتْنَةُ وَفَتَنَتْهُ الدُّنْيَا وَفِتْنَتُهُ الْمَرْأَةُ وَأَفْتِنَتْهُ . قَالَ الْأَعْمَشُ :

لَنْ فُتِنْتَنِي لَهْيَ بِالْأَمْسِ أَفْتَنْتَ سَعِيدًا فَأَصْحَى قَدْ قَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ  
وَأُنْكَرَ الْأَصْحَى أَفْتِنْتَهُ . وَالثَّالِثُ : الْمَفْتُونُ بِهِ نَفْسُهُ يُسَمَّى فِتْنَةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
( إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ )<sup>(٥)</sup> وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ( ثُمَّ لَمْ تَكُنْ  
فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ )<sup>(٦)</sup> أَيْ لَمْ تَكُنْ عَاقِبَةُ  
شِرْكِهِمْ إِلَّا أَنْ تَبَرَّأُوا مِنْهُ وَأُنْكَرُوهُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ( يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ

( ١ ) الْآيَةُ ٤٠ . سُورَةُ طه .

( ٢ ) ذَكَرَ بَعْضُ الْمُرْسَرِينَ أَنَّ الْفِتْنَةَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ وَجْهًا وَفَعْلُهَا .

( ٣ ) الْآيَةُ ٢٥٤ . سُورَةُ الْأَعْرَافِ

( ٤ ) الْآيَةُ ٢٥ . سُورَةُ الْأَنْفَالِ .

( ٥ ) الْآيَةُ ١٥ . سُورَةُ التَّغَابُنِ ( ٦ ) الْآيَةُ ٢٣ . سُورَةُ الْأَنْعَامِ .

يُفْتَنُونَ . ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ<sup>(١)</sup> ) قليل المعنى يحرقون ، ومنه فتنن الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته ودينار مفتون . قال الخليل : والفتن : الإحراق قال الله تعالى : ( يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ) وورق فتين ، أى فضة مُحْرَقَة . وافتنن الرجل وفتن : إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله . وفتنته المرأة إذا واهبته ، وقوله تعالى : ( فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ )<sup>(٢)</sup> أى لا تفتنون على عبادته إلا من سبق فى علم الله أنه يصلى الجحيم فذلك الذى يفتن بفتنتكم إياه ، وأما قوله تعالى : ( فَسَتَبْصِرُ وَيُبَشِّرُونَ . بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ )<sup>(٣)</sup> قيل : الباء زائدة ، وقيل : المفتون مصدر كالمعقول والميسور والمحلوف والمعسور ، والصواب أن يُبصر مُضَمَّنٌ معنى يَشْعُرُ ويعلم ، قال الله تعالى : ( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِتَادِرٍ )<sup>(٤)</sup> فعدى فعل الرؤية بالباء وفى الحديث : « الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَسْعُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفُتْنَانِ »<sup>(٥)</sup> يروى بفتح الفاء وهو واحد وبضمة وهو جمع فأتى كتاجير وتجار . والمقصود أن الحب موضع الفتون فأتى من قن إلا بالحبية .

## فصل

وأما الجنون فمن الحب ما يكون جنونا ، ومنه قوله :

- 
- ( ١ ) الآيتان ١٣ و ١٤ . سورة الذاريات .  
 ( ٢ ) الآيات ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ . سورة الصافات .  
 ( ٣ ) الآيتان ٥ و ٦ . سورة القلم ( ٤ ) الآية ٣٣ . سورة الأحقاف .  
 ( ٥ ) فى الجامع الكبير للسيوطى : المسلم أخو المسلم الخ قال : رواه أبو داود والبيهقى والطبرانى .

قالت جُنِنْتُ بِن تَهْوَى قُلْتُ لَهَا أَلْعَشَقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْجَانِينِ  
 الْعَشَقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْجَنُونُ فِي الْحِينِ<sup>(١)</sup>  
 وَأَصْلُ الْمَادَّةِ مِنَ السَّتْرِ فِي جَمِيعِ تَصَارِيفِهَا ، وَمِنْهُ أَجَنَّةُ اللَّيْلِ وَجَنَّ عَلَيْهِ :  
 إِذَا سَتَرَهُ ، وَمِنْهُ الْجَنِينُ لِاسْتِتَارِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَمِنْهُ الْجَنَّةُ لِاسْتِتَارِهَا بِالْأَشْجَارِ ،  
 وَمِنْهُ الْمَجْنُونُ لِاسْتِتَارِ الْمَضَارِبِ بِهِ وَالْمَضْرُوبِ ، وَمِنْهُ الْجَنُّ لِاسْتِتَارِهِمْ عَنِ الْعَيُونِ  
 بِخِلَافِ الْإِنْسِ فَإِنَّهُمْ يُؤْتَسُّونَ أَى يُرَوْنَ ، وَمِنْهُ الْجُنَّةُ بِالضَّمِّ وَهِيَ مَا اسْتَتَرَتْ  
 بِهِ وَاتَّقَيْتْ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً )<sup>(٢)</sup> وَأَجَنَنْتُ الْمَيِّتَ :  
 وَارَيْتُهُ فِي الْقَبْرِ فَهُوَ جَنِينٌ . وَالْحُبُّ الْمَفْرُطُ يَسْتَرِ الْعَقْلَ فَلَا يَعْتَمِلُ الْحُبُّ مَا يَنْفَعُهُ  
 وَيُضِرُّهُ فَهُوَ شَعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ .

## فصل

وَأَمَّا اللَّامُّ فَهُوَ طَرَفٌ مِنَ الْجَنُونِ ، وَرَجُلٌ مَلُومٌ ، أَى بِهِ لَمَمٌ ، وَيُقَالُ  
 أَيْضًا : أَصَابَتْ فَلَانًا مِنَ الْجِنِّ لَمَةً وَهُوَ الْمَسُّ وَالشَّيْءُ الْقَلِيلُ قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ .  
 قُلْتُ : وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ مِنَ الْمَقَارِبَةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ  
 الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّامَمَ )<sup>(٣)</sup> وَهِيَ الصَّغَائِرُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :  
 مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ بِاللَّامَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ الْعَيْنُ تَزَنَّى وَزَنَاها  
 النَّظَرُ ، وَالْيَدُ تَزَنَّى وَزَنَاها الْبَطْشُ ، وَالرَّجُلُ تَزَنَّى وَزَنَاها الْمَشْيُ ، وَالْفَمُّ يَزَنَّى  
 وَزَنَاها الْقُبْلُ . وَمِنْهُ أَلَمَّ بِكَذَا ، أَى قَارَبَهُ وَدَنَا مِنْهُ ، وَغَلَامٌ مُلِمٌ ، أَى قَارَبَ

( ١ ) الْحِينُ : الْوَقْتُ طَالَ أَوْ قَصُرَ .

( ٢ ) الْآيَةُ ١٦ . سُورَةُ الْمَجَادَلَةِ . وَالْآيَةُ ٢ . سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ .

( ٣ ) الْآيَةُ ٣٢ . سُورَةُ النَّجْمِ .

البلوغ ، وفي الحديث : « إِنَّ يَمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُيْلِمُ »<sup>(١)</sup> ،  
أى يقرب من ذلك . وبالجمله فلا يستبين كون اللَّمَم من أسماء الحب وإن كان  
قد ذكره جماعة إلا أن يقال : إن المحبوب قد أَلَمَّ بقلب الحب ، أى نزل به ،  
ومنه أَلِمَ بنا ، أى انزل بنا ، ومنه قوله :

مَتَى تَأْتِنَا تُلَمِّمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطَبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجِبَا

## فصل

وَأَمَّا الْخُبْلُ فَمِنْ مَوْجِبَاتِ الْعَشْقِ وَآثَارِهِ لَا مِنْ أَسْمَاءٍ وَإِنْ ذَكَرَ مِنْ أَسْمَاءِهِ  
فَإِنَّ أَصْلَهُ الْفَسَادُ وَجَمْعُهُ خُبُولٌ ، وَالْخُبْلُ بِالتَّحْرِيكِ الْجَن ، يُقَالُ بِهِ خَبِلٌ ، أَيْ  
شَيْءٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ خَبَلَهُ وَخَبَلَهُ وَآخَتَبَلَهُ : إِذَا أَفْسَدَ عَقْلَهُ أَوْ عَضُوهُ ،  
وَرَجُلٌ مُحْبَلٌ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ وَالْفَسَادِ .

## فصل

وَأَمَّا الرَّسِيسُ فَقَدْ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ رَسِيسُ الْهَوَى وَالشَّوْقِ وَرَسِيسُ  
الْحُبِّ ، فَظَنَّ مَنْ أَدْخَلَهُ فِي أَسْمَاءِ الْحُبِّ أَنَّهُ مِنْهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ الرَّسِيسُ  
الشَّيْءُ الثَّابِتُ ، فَرَسِيسُ الْحُبِّ ثَبَاتُهُ وَدَوَامُهُ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَسِّ  
الْحُمَى وَرَسِيدِهَا وَهُوَ أَوَّلُ مَسَّهَا ، فَشَبَّهُوا رَسِيسَ الْحُبِّ بِحَرَارَتِهِ وَخُرْقَتِهِ  
بِرَسِيسِ الْحُمَى ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَجْعَلُوا الْأَوَارَ مِنْ أَسْمَاءِ الْحُبِّ  
لأنه يضاف إليه ، قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

(١) فِي الْمُصْحِحِينَ ، وَيُقَالُ : حَبَطَتِ الدَّابَّةُ حَبَطًا بِالتَّحْرِيكِ إِذَا أَصَابَتْ  
مَرْعَى طَيِّبًا فَأَفْرَطَتْ فِي الْأَكْلِ حَتَّى تَنْتَفِخَ فَنَمُوتَ . وَالْحَبَاطُ : وَجَعُ الْبَطْنِ مِنَ  
الِاتِّفَاقِ كَثْرَةَ الْأَكْلِ أَوْ لَا كُلَّ غَيْرِ مُوَافِقٍ .  
(٢) هُوَ عُرْوَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ .

إذا وجدتُ أوارَ الحبِّ في كبدِي      أقبلتُ نحو سِقَاءِ القَوْمِ أَتَرِدُ  
هَبْنِي بَرَدْتُ بَرْدَ الْمَاءِ ظَاهِرَهُ      فَمِنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ  
وقد وقع إضافة الرَّسِيسِ إلى الهوى في شعر ذى الرُّمَّة حيث يقول :  
إذا غَيَّرَ النَّأْيُ الْحَبِيبِينَ لَمْ يَكُنْ      رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةٍ يَبْرَحُ  
وفيه إشكالٌ نحوى ليس هذا موضعه .

### فصل

وأما الداءُ الْمُخَامِرُ فهو من أوصافه وَسَمِّيَ مُخَامِرًا لمخالطته القلب والروح  
يقال خامره ، قال الجوهري : والمُخَامَرَةُ المخالطة ، وخامر الرجل المكان إذا  
لزمه . وقد يكون أَخَذَ من قولهم : استخمر فلانٌ فلانًا إذا استعبده ، وكان  
العشق داءً مستعبدًا للعاشق ، ومنه حديث مُعَاذٍ : مَنِ اسْتَخْمَرَ قَوْمًا<sup>(١)</sup> ، أى  
أَخَذَهُمْ قَهْرًا وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ ، فَالْحُبُّ دَاءٌ مُخَالِطٌ مُسْتَعْبِدٌ .

### فصل

وأما الْوَدُّ فهو خالص الحبِّ وَاللَّطْفُ وَأَرْقُهُ ، وهو من الحبِّ بمنزلة  
الرأفة من الرحمة ، قال الجوهري : وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوْدُهُ وَدًّا إذا أحببته . والودُّ  
والوَدَّ والوَدَّ الْمَوَدَّةُ ، تقول : بَوَدَّيْ أَنْ يَكُونَ كَذَا ، وأما قول الشاعر :  
أَيُّهَا الْعَائِدُ الْمُسَائِلُ عَنَا      وَبَوَدَّيْكَ أَنْ تَرَى أَكْفَانِي

فإنما أشبع كسرة الدال ليستقيم له البيت فصارت ياء . والودُّ الوديد بمعنى  
المودود والجمع أَوْدٌ مِثْلُ قِدْحٍ وَأَقْدَحٌ وَذُئِبٌ وَأَذُوبٌ ، وهما يتوآدان وهما أَوْدَاءٌ ،  
والوَدُودُ المحب ، ورجالٌ وَدَّاءٌ يستوى فيه المذكر والمؤنث لكونه وصفًا

---

(١) ذكر الزمخشري في الزائق هذا الحديث وابن الأثير في النهاية وغيرهما  
من أصحاب اللغة .



داخلا عَلَى وصف المبالغة . قلت : الودود من صفات الله سبحانه وتعالى أصله من المودة ، واختلِف فيه عَلَى قواين : فقيل : هو ودود بمعنى واد كضروب بمعنى ضارب وقتول بمعنى قاتل ونؤوم بمعنى نائم ، ويشهد لهذا القول أن فعولاً في صفات الله سبحانه وتعالى ذلَّ كغفور بمعنى غافر ، وشكور بمعنى شاكر ، وصبور بمعنى صابر ، وقيل : بل هو بمعنى مودود وهو الحبيب ، وبذلك فسره البخارى فى صحيحه ، فقال : الودود الحبيب ، والأول أظهر لاقتراحه بالغفور فى قوله : ( وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ )<sup>(١)</sup> وبالرحيم فى قوله : ( إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ )<sup>(٢)</sup> وفيه سرٌ لطيف وهو أنه يحب التوابين وأنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال : ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ )<sup>(٣)</sup> فالتائب حبيب الله ، فالود أصنى الحب وألطفه .

### فضل

وأما الخلة فتوحيد الحبة ، فالخليل هو الذى توحد حبه لمحوبه ، وهى رتبة لا تقبل المشاركة ، ولهذا اختص بها فى العالم الخليلان إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، كما قال الله تعالى : ( وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا )<sup>(٤)</sup> وصحَّ عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا »<sup>(٥)</sup> وفى الصحيح<sup>(٦)</sup> عنه صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا . وَلَكِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ » ، وفى الصحيح أيضاً : « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ

( ١ ) الآية ١٤ . سورة البروج . ( ٢ ) الآية ٩٠ . سورة هود .

( ٣ ) الآية ٣٢٢ . سورة البقرة . ( ٤ ) الآية ١٢٤ . سورة النساء .

( ٥ ) رواه ابن ماجه والبيهقى وغيرهما . كما قال السيوطى .

( ٦ ) فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ متقاربة . وسيأتى قريباً .

مِنْ خُلَّتِهِ»<sup>(١)</sup>. ولما كانت اُخْلُة مرتبة لا تقبل المشاركة امتحن الله سبحانه إبراهيم الخليل بذبح ولده لما أخذ شعبةً من قلبه ، فأراد سبحانه أن يخلص تلك الشعبة له ولا تكون لغيره ، فامتنحه بذبح ولده ، والمراد ذبحة من قلبه ، لا ذبحه بالمُدَّة ، فلما أسلما لأمر الله وقدم محبة الله تعالى على محبة الولد ، خلص مقام الخُلَّة وفدى الولد بالذَّبَح .

وقيل : إنما سُمِّيت خُلَّةً لتخلل الحبة جميع أجزائها روح ، قال :  
قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمي الخليل خليلاً  
واُخْلُة الخليل يستوى فيه المذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر قولك  
خليلٌ بَيْنَ اُخْلَاةٍ واُخْلُولَةٍ ، قال<sup>(٢)</sup> :

ألا أبلغاً خُلَّتِي جابراً بأن خليلك لم يُقْتَلْ  
ويجمع على خِلَالٍ مثل مُقَاةٍ وقِلَالٍ . واخِلُّ الودَّ والصديق ، واخِلَالٍ  
أيضاً مصدر بمعنى المُخَالَّة ، ومنه قوله تعالى : ( لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ )<sup>(٣)</sup> ،  
وقال في الآية الأخرى : ( لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ )<sup>(٤)</sup> ، قال امرؤ القيس :  
\* ولست بمَقْلِي اِنْخِلَالٍ ولا قَالِي \*<sup>(٥)</sup>

والخليل الصديق والأنثى خاليلة ، واخِلَالَةٌ واُخْلَالَةٌ واُخْلَالَةٌ بكسر الخاء  
وفتحها وضمها : الصداقة والمردة . قال<sup>(٦)</sup> :  
وكيف تُوَاصِلُ من أصبحت خَالَاتُهُ كَأَنِّي مَرْحَبٍ<sup>(٧)</sup>

---

( ١ ) رواه مسلم بلفظ آخر . ( ٢ ) هو أوفى بن مطر المازني .  
( ٣ ) الآية ٣١ . سورة إبراهيم . ( ٤ ) الآية ٢٥٤ . سورة البقرة .  
( ٥ ) صدر البيت : صرفت الهوى عن من خشية الردى . ولست . . . :  
كما قال ياقوت . ( ٦ ) هو الذابنة الجمعدى . كما قال ياقوت .  
( ٧ ) في الصحاح : وأبو مرحب كنية الظل ، ويقال هو كنية عرقب الذى قيل  
فيه : مواعيد عرقب .

وقد ظن بعض من لاعلم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل ، وقال : محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله ، وهذا باطلٌ من وجوه كثيرة ، منها : إنَّ الخلَّةَ خاصةٌ والمحبةُ عامةٌ فإن الله يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين ، وقال في عباده المؤمنين : ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ )<sup>(١)</sup> ، ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل ، وأخبر أن أحبَّ النساء إليه عائشة ومن الرجال أبوها<sup>(٢)</sup> ، ومنها : أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا »<sup>(٣)</sup> . ومنها أنه قال : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ »<sup>(٤)</sup> .

## فصل

وأما الخِلْمُ فهو مأخوذ من المُخَالَمَةِ وهي المصادقة والمودة ، والخِلْمُ الصديق ، والأحلام الأصحاب ، قال الكُمَيْت :

إذا ابتسر الحربَ أخلامُها كِشَافًا وهِيَجَّتْ الأفْعَلُ<sup>(٥)</sup>

## فصل

وأما الغرام فهو الحبُّ اللازم ، يقال : رجلٌ مُغرَمٌ بالحبِّ ، أى قد لزمه الحب وأصل المادة من اللزوم ، ومنه قولهم رجلٌ مُغرَمٌ من الغُرم أو الدين ، قال في الصحاح والغرام الولوع ، وقد أغرِمَ بالشيء ، أى أولِيعَ به ، والغريم

( ١ ) الآية ٥٧ . سورة المائدة .

( ٢ ) رواه البخارى ومسلم وسيأتى فى الباب الرابع عشر .

( ٣ ) تقدم تفهيمهما فى صفحة ٤٦ .

( ٤ ) فى اللسان : وابتسر الفحل الناقة ضربها قبل الضبعة وهى شدة الشهوة . وفى الكشاف أن تلحق الناقة فى غير زمان لقاحها ، ويقال ذلك فى الحرب على المثل .

الذى عليه الدين ، يقال : خذ من غريم السوء ماسنح ، ويكون الغريم أيضاً الذى له الدين ، قال كثير عزة :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول<sup>١</sup> معنى غريمها  
ومن المادة قوله تعالى فى جهنم : ( إِنْ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا )<sup>(١)</sup> والغرام :  
الشر الدائم اللازم والعذاب ، قال بشر<sup>(٢)</sup> :  
ويوم النّسار ويوم الجفأ رِكانا عذاباً وكنّا غراماً<sup>(٣)</sup>  
وقال الأعشى :

إِنْ يعاقب يكن غراماً وإِنْ يُعـ طِرْ جزيلاً فإنه لا يبالى  
وقال أبو عبيدة : ( إِنْ عَذَابَهَا كُنَّ غَرَامًا )<sup>(٤)</sup> كلن هلاكاً ولزماً لهم .  
واللفظ المحبة عندهم واستعذابهم لها لم يكادوا يطلقون عليها لفظ انغرام وإن  
لهجّ به المتأخرون .

## فصل

وأما الهيام قال فى الصحاح : هام على وجه يهيم<sup>١</sup> هيماً وهيماناً ذهب من  
العشق أو غيره ، وقلب<sup>٢</sup> مستهام ، أى هائم ، والهيام بالضم : أشد العطش  
والهيام كالجنون من العشق ، والهيام : داء يأخذ الإبل فتهيم لاترعى ، يقال : ناقة  
هيماء قال : والهيام بالكسر : الإبل العطاش الواحد هيمان ، وناقة هيمى

( ١ ) الآية ٦٥ . سورة الفرقان .

( ٢ ) وكذلك هو فى الصحاح . أما فى اللسان فقد نسبة للطرماح .

( ٣ ) النّسار : ماء لبني عامر ، ومنه يوم النّسار . والجفأ : ماء لبني تميم  
ينجد ومنه يوم الجفأ .

( ٤ ) الآية ٦٥ . سورة الفرقان .

مثل عطشان وعطشى ، وقوم هيم ، أى عطاش ، وقد هاموا هياماً ، وقوله تعالى : ( فَشَارِبُونَ ثُرْبَ الْهِيمِ )<sup>(١)</sup> هى الإبل العطاش . قلت : جمع أهيم هيم مثل أحمر وحر وهو جمع فعلاء أيضاً كصفراء وصفرا<sup>(٢)</sup> .

## فصل

وأما التدليله فى الصحاح : التدليله ذهاب العقل من الهوى ، يقال : دلّه الحب ، أى حيره وأدهشه ، ودله هو يدله قال أبو زيد : الدلوه : الناقة لانكاد تحن إلى ألف ولا ولد ، وقد دلّته عن إلفها وعن ولدها تدله دلوها .

## فصل

وأما الوله فقال فى الصحاح : الوله : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، ورجل وله وامرأة وله وواله . قال الأعشى :  
فَأَقْبَلْتُ وَالْهَامَا شَكْلِي عَلَى عَجَلٍ كُلُّ دَهَاها وَكُلُّ عِنْدَهَا اجْتَمَا  
وقد وله يواله ولها ولها وولها وواله وواله وهو افتعل أدغم .  
قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

وَأَتَلَهُ الْغَيُورُ

والتعليه أن يفرق بين الأم وولدها ، وفى الحديث : « لَا تَوَلَّ وَالِدَهُ »

(١) الآية ٥٥ . سورة الواقعة .

(٢) فى اللسان : جمع على فعل ثم خفف وكسرت الهاء لأجل الياء ، ومن

العرب من يقول : هائم والأثنى هائمة ثم يجمعونه على هيم .

(٣) هو مليح الهذلى ، والبيت فى اللسان :

لأنا ما حال دون كلام سعدى تناقى الدار وأتله النيبور

بَوْلَدِهَا» (١) ، أَى لَا تُجْعَلُ وَالْهَاءُ وَذَلِكَ فِي السَّبَايَا . وَنَاقَةُ وَالِهُ : إِذَا اشْتَدَّ وَجْدُهَا عَلَى وَلَدِهَا . وَالْمِيلَاةُ الَّتِي مِنْ عَادَتِهَا أَنْ يَشْتَدَّ وَجْدُهَا عَلَى وَلَدِهَا صَارَتْ الْوَاوِيَاءُ لِكُسْرَةِ مَاقْبَلِهَا . وَمَاءُ مُوَلَّةً وَمُوَلَّةً أُرْسِلَ فِي الصَّحْرَاءِ فَذَهَبَ ، وَقَوْلُ رُؤْبَةٍ :

بِهِ تَمَطَّتْ غَوَلٌ كُلِّ مِيلَةٍ    بِنَا حَرَاجِيحُ الْمَهَارَى الثُّفَّةِ (٢)  
أَرَادَ الْبِلَادَ الَّتِي تُوَلَّهُ الْإِنْسَانُ ، أَى تَحْيَرُهُ .

## فصل

وَأَمَّا التَّعَبُّدُ فَهُوَ غَايَةُ الْحُبِّ وَغَايَةُ الذِّلِّ ، يَقَالُ : عَبْدُهُ الْحَبُّ ، أَى ذَلَّهُ . وَطَرِيقُ مُعَبَّدٍ بِالْأَقْدَامِ ، أَى مُذَلَّلٌ ، وَكَذَلِكَ الْحُبُّ قَدْ ذَلَّلَهُ الْحُبُّ وَوَطَّأَهُ ، وَلَا تَصَاحُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يَغْفِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ شَاءَ . فَحُبَّةُ الْعِبَادِيَّةِ هِيَ أَشْرَفُ أَنْوَاعِ الْحُبِّ ، وَهِيَ خَالِصُ حَقِّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ سَائِرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُعَاذُ ، قُلْتُ : كَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعَدَيْكَ ، قَالَ : ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ ، قُلْتُ : كَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعَدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً فَقَالَ : يَا مُعَاذُ ، قُلْتُ : كَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعَدَيْكَ ، قَالَ : أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ لَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَنْنِ . كَمَا قَالَ السِّيَوِيُّ .

(٢) تَمَطَّتْ : أَى سَارَتْ سَيْرًا طَوِيلًا . وَالْغَوَلُ : بَعْدُ الْمَفَازَةِ . وَالْحَرَاجِيحُ جَمْعُ حَرَجٍ وَهُوَ الذَّاقَةُ الْخَوِيلَةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . وَالْمَهَارَى : الْإِبِلُ الْمُنْسَوْبَةُ إِلَى مَهْرَةِ بْنِ حِيدَانَ . وَالثُّفَّةُ : السَّكَاةُ وَالذَّلِيلَةُ .

فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم بالمار<sup>(١)</sup> . وقد ذكر الله سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته ، وهى مقام التحدى ، ومقام الإسراء ، ومقام الدعوة ، فقال فى التحدى : ( وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ )<sup>(٢)</sup> ، وقال فى مقام الإسراء : ( سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ )<sup>(٣)</sup> ، وقال فى مقام الدعوة : ( وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ )<sup>(٤)</sup> . وإذا تدافع أولو العزم الشفاعة الكبرى يوم القيامة يقول المسيح لهم : اذهبوا إلى محمد عبدغفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر . فنال ذلك المقام بكمال العبودية لله وكمال مغفرة الله له ، فأشرف صفات العبد صفة العبودية ، وأحب أسمائه إلى الله أسم العبودية ، كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدُقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ »<sup>(٥)</sup> . وإنما كان حارث وهام أصدقها لأن كل أحد لا بد له من هم وإرادة وعزم ينشأ عنه حرثه وفعله ، وكلُّ أحدٍ حارثٌ وهام ، وإنما كان أقبحها حربٌ ومُرَّةٌ لما فى مسمى هذين الأسمين من الكراهة ونفور العقل عنهما وبالله التوفيق .

---

( ١ ) رواه الشيخان والإمام أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان كما قال السيوطى .

( ٢ ) الآية ٢٣ . سورة البقرة ( ٢ ) أول سورة الإسراء .

( ٣ ) الآية ١٩ . سورة الجن .

( ٤ ) فى تفسير الوصول للشيبانى : أخرجه أبو داود واللفظ له وللذئبانى مختصراً

كما روى النسب الأول منه مسلم والترمذى وابن ماجه وغيرهم .

## الباب الثالث

في نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض هل هي بالترادف أو التباين

فالأسماء الدالة على مسمى واحد نوعان : أحدها أن يدلّ عليه باعتبار الذات فقط ، فهذا النوع هو المترادفُ ترادفًا محضًا ، وهذا كالحنطة والقمح والبرّ والأسم - والكُنْيَة واللقب إذا لم يكن فيه مدحٌ ولا ذمٌّ وإنما أتى به لجرد التعريف ، والنوع الثاني أن يدلّ على ذاتٍ واحدة باعتبار تباين صفاتها كأسماء الرب تعالى ، وأسماء كلامه ، وأسماء نبية ، وأسماء اليوم الآخر ، فهذا النوع مترادفٌ بالنسبة إلى الذات ، متباينٌ بالنسبة إلى الصفات ، فالرب والرحمن والعزيز والقدير والمَلِكُ يدلّ على ذاتٍ واحدةٍ باعتبار صفاتٍ متعددة ، وكذلك البشير والنذير والحاشر والعاقب والمآحى ، وكذلك يوم القيامة ويوم البعث ويوم الجمع ويوم التغابن ويوم الآزفة ونحوها ، وكذلك القرآن والفرقان والكتاب والهُدَى ونحوها ، وكذلك أسماء السيف فإن تعدّدها بحسب أوصاف وإضافاتٍ مختلفة ، كالمهندد والعَضْب والصَّارم ونحوها ، وقد عرفت تباين الأوصاف في أسماء المحبة ، وقد أنكر كثيرٌ من الناس الترادف في اللغة ، وكانهم أرادوا هذا المعنى ، وأنه ما من إسمين لمسمًى واحدٍ إلا وبينهما فرقٌ في صفةٍ أو نسبةٍ أو إضافة ، سواء علمت لنا أو لم تُعلم ، وهذا الذي قالوه صحيحٌ باعتبار الواضع الواحد ، ولكن قد يقعُ الترادفُ باعتبار واضعَيْن مختلفَيْن يسمى أحدهما المسمى باسم ، ويسميه الواضع الآخر باسم غيره ، ويشتهر الوضعان عند القبيلة الواحدة ، وهذا كثير ومن هنا يقع الاشتراك أيضًا ، فالأصل في اللغة هو التباين وهو أكثر اللغة والله أعلم .



## الباب الرابع

في أنه العالم العلوي والسفلي إنما وجد بالجهة ولا جعلها وأنه مركبات الأفلاك  
والشمس والقمر والنجوم ومركبات الملائكة والحيوانات  
ومركبة كل متحرك إنما وجدت بسبب الحب

وهذا باب شريف من أشرف أبواب الكتاب ، وقبل تقريره لابد من  
بيان مقدمة وهي أن الحركات ثلاث : حركة إرادية ، وحركة طبيعية ، وحركة  
قسرية ، وبيان الحصر أن مبدأ الحركة إما أن يكون من المتحرك أو من غيره ،  
فإن كان من المتحرك فإما أن يقارنها شعوره وعلمه بها أولاً ، فإن قارنها الشعور  
والعلم فهي الإرادية ، وإن لم يقارنها الشعور والعلم فهي الطبيعية ، وإن كانت من  
غيره فهي القسرية ، وإن شئت أن تقول المتحرك إما أن يتحرك بإرادته أولاً ،  
فإن تحرك بإرادته فحركته إرادية ، وإن تحرك بغير إرادته فإما أن تكون حركته  
إلى نحو مركزه أولاً ، فإن تحرك إلى جهة مركزه فحركته طبيعية ، وإن تحرك  
إلى غير جهة مركزه فحركته قسرية ، إذا ثبت هذا فالحركة الإرادية تابعة لإرادة  
المتحرك ، والمراد إما أن يكون مراداً لنفسه أو لغيره ، ولا بد أن ينتهي المراد  
لغيره إلى مراد نفسه دفعا للدور والتسلسل . والإرادة إما أن تكون لجلب منفعة  
ولذة إما للمتحرك وإما لغيره ، أو دفع ألم ومضرة إما عن المتحرك أو عن غيره ،  
والعاقل لا يجلب لغيره منفعة ولا يدفع عنه مضرة إلا لما له في ذلك من  
اللذة ودفع الألم ، فصارت حركته الإرادية تابعة لحيته ، بل هذا حكم كل حي  
متحرك . وأما الحركة الطبيعية فهي حركة الشيء إلى مستقره ومركزه ، وتلك  
تابعة للحركة التي اقتضت خروجه عن مركزه ، وهي القسرية التي إنما تكون  
بقسر قاسر أخرجه عن مركزه إما باختياره كحركة الحجر إلى أسفل إذا رمى به

إلى جهة فوق، وإما بغير اختيار مُحَرَّك كتحريك الرياح للأجسام إلى جهة مهابَّها، وهذه الحركة تابعة للقاسر، وحركة القاسر ليست منه بل مبدؤها من غيره، فإن الملائكة موكَّلةٌ بالعالم العلوى والسفلى تدبِّره بأمر الله عز وجل كما قال الله تعالى: (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) <sup>(١)</sup> وقال: (فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا) <sup>(٢)</sup> وقال تعالى: (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا، وَالنَّائِرَاتِ نَشْرًا، فَالْغَارِقَاتِ فَرَقًا، فَالْمُعْتِمَاتِ ذِكْرًا) <sup>(٣)</sup> وقال: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) <sup>(٤)</sup> وقد وكل الله سبحانه بالأفلاك والشمس والقمر ملائكةً تحركها، ووكل بالرياح ملائكةً تصرفها بأمره وهم خزنتها، قال الله تعالى: (وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرَيْحِ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ) <sup>(٥)</sup> وقال غير واحد من السلف: عتت على الخزان فلم يقدروا على ضبطها (ذكره البخارى فى صحيحه) ووكل بالقطر ملائكةً، وبالسحاب ملائكةً تسوقه إلى حيث أمرت به، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ سَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَتَمَعَّ السَّحَابَةُ حَتَّى اتَّهَتْ إِلَى حَدِيقَةٍ فَأَفْرَغَتْ مَاءَهَا فِيهَا، فَتَنَظَرَ فَإِذَا رَجُلٌ فِي الْحَدِيقَةِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاةٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَقَالَ فُلَانُ الْإِسْمِ الَّذِى سَمِعَهُ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ: إِنِّى سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ فِي هَذِهِ السَّحَابَةِ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَمَا تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ؟ فَقَالَ: إِنِّى أَنْظَرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَجْعَلُهُ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ:

- 
- (١) الآية ٥. سورة النازعات. (٢) الآية ٤. سورة الذاريات.  
 (٣) أوائل سورة المرسلات. (٤) أوائل سورة النازعات.  
 (٥) الآية ٦. سورة الحاقة.

ثُمَّ أَتَصَدَّقُ بِهِ ، وَثُمَّ أَنْفَتَهُ عَلَى عِيَالِي ، وَثُمَّ أَرُدُّهُ فِيهَا <sup>(١)</sup> . ووَكَّلَ الله سبحانه بالجبال ملائكة ، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاءه ملك الجبال يسلم عليه ويستأذنه في هلاك قومه إن أحب ، فقال : « بَلْ أَسْتَأْنِي لَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا <sup>(٢)</sup> » ووَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يقول : يارب نطفة ؟ يارب علقة ؟ يارب مضغة ؟ يارب ذكر ؟ أم أنثى ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ وشقي أم سعيد ؟ ووَكَّلَ بكل عبد أربعة من الملائكة في هذه الدنيا : حافظان عن يمينه وعن شماله يكتبان أعماله ، ومُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَقْلُسُهُمْ ائْتَانِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ <sup>(٣)</sup> ، ووَكَّلَ بالموت ملائكة ، ووَكَّلَ بِمُسَاءَلَةِ الْمَوْتِ ملائكة في القبور ، ووَكَّلَ بِالرَّحِمَةِ ملائكة ، وبالعذاب ملائكة ، وبالمؤمن ملائكة يثبتونه وَيُوزِّنُونَهُ <sup>(٤)</sup> إِلَى الطَّاعَاتِ أَرَا ، ووَكَّلَ بِالنَّارِ ملائكة يبنونها ويوقدون ، ويصنعون أغلالها وسلاسلها وَيُقِيمُونَ بِأَمْرِهَا ، ووَكَّلَ بِالْجَنَّةِ ملائكة يبنونها ويفرشونها ، ويصنعون أرائكها وسُرُرَهَا وَمَنَاقِبَهَا وَزَرَائِبَهَا <sup>(٥)</sup> فَأَمْرُ الْعَالَمِ الْعُلَى وَالسُّفلى وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِتَدْيِيرِ الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمْرُهُ ، (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) <sup>(٦)</sup> و (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

(١) أخرجه مسلم مطولا .

(٢) في كتاب الشفاء د بل أرجو ، وقال شارحه الخفاجي : هذا الحديث رواه الشيخان وأصحاب الكتب الستة .

(٣) من أمر الله : بأمر الله وإذنه كما جاء في تفسير الخازن .

(٤) يوزونه : يفرغونه .

(٥) الأرائك : الأسرة المنجدة المزينة . والمناقب : آنية الأكل . والمنارق :

الوسائد . والزرابي : البسط .

(٦) الآية ٢٧ . سورة الأنبياء .

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ<sup>(١)</sup> . فأخبر أنهم لا يعصونه في أمره ، وأنهم قادرون على تنفيذ أوامره ليس بهم عجز عنها ، بخلاف من يترك ما أمر به عجزاً فلا يعصى الله ما أمره ، وإن لم يفعل ما أمره به ، وكذلك البحار قد وُكِّلت بها ملائكة تسجرها<sup>(٢)</sup> وتمنعها أن تفيض على الأرض فتغرق أهلها ، وكذلك أعمال بنى آدم خيرها وشرها قد وُكِّلت بها ملائكة تحصيها وتحفظها وتكتبها ، ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إلا به . وهى خمس : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

وإذا عُرفَ ذلك عُرفَ أن كل حركةٍ فى العالم فسببها الملائكة ، وحركتهم طاعةُ الله بأمره وإرادته ، فيرجع الأمر كله إلى تنفيذ مراد الرب تعالى شرعاً وقدرًا ، والملائكة هم المنفذون ذلك بأمره ، ولذلك سُموا ملائكة من الألوية وهى الرسالة ، فهم رسل الله فى تنفيذ أوامره .

والمقصود أن حركات الأفلاك وما حوته تابعةٌ للحركة الإرادية المستنزمة للمحبة ، فالمحبة والإرادة أصل كل فعل ومبداه ، فلا يكون الفعل إلا عن محبة وإرادة ، حتى دفعه للأمور التى يبغضها ويكرهها ، فإنما يدفعها بإرادته ومحبته لأضدادها واللذة التى يبددها بالدفع كما يقال : شفى غيظه ، وشفى صدره ، والشفاء والعافية يكون للمحبوب وإن كلن كريهاً ، مثل شرب الدواء الذى يُدفع به ألم المرض ، فإنه وإن كان مكروهاً من وجهٍ فهو محبوبٌ لما فيه من زوال المكروه وحصول المحبوب ، وكذلك فعلُ الأشياء الخالقة للهوى ، فإنها وإن كانت مكروهةً فإنما تُفعل لمحبةٍ وإرادة ، وإن لم تكن محبوبةً لنفسها فإنها

( ١ ) الآية ٦ . سورة التحريم .

( ٢ ) تسجرها : تملؤها . قال الله تعالى : ( والبحر المسجور ) .

مستازمةً للمحبيب لنفسه . فلا يترك الحى ما يُحبه ويهواه ، إلا لما يُحبه ويهواه ، ولكن يترك أضعفهما محبةً لأقواها محبةً ، ولذلك كانت المحبة والإرادة أصلاً للبغيض والكراهة ، فإن البغيض المكروه ينافى وجود المحبوب ، والفعل إما أن يتناول وجود المحبوب أو دفع المكروه المستلزم لوجود المحبوب ، فعاد الفعل كله إلى وجود المحبوب .

والحركة الاختيارية أصلها الإرادة ، والقسرية والطبيعية تابعتان لها ، فعاد الأمر إلى الحركة الإرادية ، فجميع حركات العالم العلوى والسفلى تابعة للإرادة والمحبة ، وبها تحرك العالم ولأجلها ، فهى العلة الفاعلية والغائية ، بل هى التى بها ولأجلها وجد العالم ، فما تحرك فى العالم العلوى والسفلى حركةً إلا بالإرادة والمحبة سببها وغايتها ، بل حقيقة المحبة حركة نفس الحب إلى محبوبه ، فالحبة حركة بلا سكون . وكال المحبة هو العبودية ، والذل ، والخضوع ، والطاعة للمحبيب ، وهو الحق الذى به وله خلقت السموات والأرض والدنيا والآخرة ، قال تعالى : ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ )<sup>(١)</sup> وقال الله تعالى : ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا )<sup>(٣)</sup> .

والحق الذى خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التى هى كمال محبته والخضوع والذل له ، ولوازم عبوديته من الأمر والنهى والثواب والعقاب ، ولأجل ذلك أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنة والنار . والسموات والأرض إنما قامت بالعدل الذى هو صراط الله الذى هو عليه وهو أحب

( ١ ) الآية ٨٥ . سورة الحجر . ( ٢ ) الآية ٢٧ . سورة ص .

( ٣ ) الآية ١١٦ . سورة المؤمنون .

الأشياء إلى الله تعالى قال الله تعالى حاكياً عن نبيه شعيب عليه السلام :  
 ( إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا  
 إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )<sup>(١)</sup> فبو على صراطٍ مستقيم في شرعه وقدره ، وهو  
 العدل الذي به ظهر الخلق والأمر والثواب والعقاب ، وهو الحق الذي به وله  
 خلقت السموات والأرض وما بينهما ، ولهذا قال المؤمنون في عبادتهم : ( رَبَّنَا  
 مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ )<sup>(٢)</sup> فز هو اربهم سبحانه أن يكون خلق  
 السموات عبثاً لغر حكمة ولا غاية محمودة ، وهو سبحانه يُحمّد لهذه الغايات  
 المحمودة كما يُحمّد لذاته وأوصافه ، فالغايات المحمودة في أفعاله هي الحكمة التي  
 يحبها ويرضاها ، وخلق ما يكره لاستئزاه ما يحبه وترتب المحبوب له عليه ،  
 ولذلك يترك سبحانه فعل بعض ما يحبه لما يترتب عليه من فوات محبوب له  
 أعظم منه ، أو حصول مكروهٍ أكره إليه من ذلك المحبوب ، وهذا كما ثبتَّ  
 قلوب أعدائه عن الإيمان به وطاعته ، لأنه يكره طاعتهم ويُفوّت بها ما هو  
 أحبُّ إليه منها من جهادهم وما يترتب عليه من الموالاة فيه والمعاداة ، وبذل  
 أوليائه نفوسهم فيه ، وإيثار محبته ورضاه على نفوسهم ، ولأجل هذا خلق  
 الموت والحياة وجعل ما على الأرض زينة لها ، قال تعالى : ( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ  
 وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا )<sup>(٣)</sup> . وقال : ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى  
 الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا )<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) الآية ٥٦ . سورة هود .

( ٢ ) الآية ١٩١ . سورة آل عمران .

( ٣ ) الآية ٢ . سورة الملك .

( ٤ ) الآية ٧ . سورة الكهف .

وقال تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ  
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا )<sup>(١)</sup> فأخبر سبحانه عن  
خالق العالم والموت والحياة وتزيين الأرض بما عليها أنه للابتلاء والامتحان  
ليختبر خلقه أيهم أحسن عملاً ، فيكون عمله موافقاً لحبّ الرب تعالى ، فيوافق  
الغاية التي خلّق هو لها وخلق لأجلها العالم ، وهي عبوديته المتضمنة لمحبه وطاعته ،  
وهي العملُ الأحسنُ وهو مَوَاقِعُ محبته ورضاه ، وقدّر سبحانه مقاديرَ تخالفها  
بمحكمته في تقديرها ، وامتنحن خلقه بين أمره وقدّره ليلوهم أيهم أحسنُ عملاً .  
فانقسم الخلق في هذا الابتلاء فريقين : فريقاً داروا مع أوامره ومحابّه ،  
ووقفوا حيث وقف بهم الأمر ، وتحجروا حيث حرّكهم الأمر ، واستعملوا  
الأمر في القدر ، وركبوا سفينةَ الأمر في بحر القدر ، وحكّموا الأمر  
على القدر ، ونازعوا القدرَ بالقدر امتثالاً لأمره واتباعاً لرضاه ، فهؤلاء  
هم الناجون .

والفريق الثاني عارضوا بين الأمر والقدر ، وبين ما يحبه ويرضاه ، وبين  
ما قدّره وقضاه ، ثم افترقوا أربع فِرَقٍ :  
فرقةٌ كذّبت بالقدرَ محافظةً على الأمر ، فأبطلت الأمر من حيث حافظت  
على القدر ، فإن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر ، وهو نظام التوحيد ، فمن  
كذّب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه .

وفرقةٌ ردت الأمر بالقدر وهؤلاء من أكَفَرِ الخلق ، وهم الذين حكى الله  
قولهم في القرآن إذ قالوا : ( لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا

مِنْ شَيْءٍ) <sup>(١)</sup> . وقالوا أيضاً : (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) <sup>(٢)</sup> . وقالوا أيضاً : (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) <sup>(٣)</sup> . وقالوا أيضاً : (أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) <sup>(٤)</sup> . فجعلهم الله سبحانه وتعالى بذلك مكذّبين خاربين ليس لهم علم ، وأخبر أنهم في ضلال مبين .

وفرقه دارت مع القدر ، فسارت بسيره ، ونزلت بنزوله ، ودانت به ، ولم تبالِ وافق الأمر أو خالفه ، بل دينها القدر ، فالحلّالُ ماحلٌ بيدها قدراً ، والحرام ماحرٌ ممتهُ قدراً ، وهم مع من غلبَ قدراً من مسلمٍ أو كافرٍ ، برّاً كان أو فاجراً ، وخواصُّ هؤلاء وعِبَادُهُمْ لما شهدوا الحقيقة الكونية القدرية — ااروا مع الكفار المسلّطين بالقدر ، وهم خفراؤهم ، فهؤلاء أيضاً كفّار .

وفرقه وقفت مع القدر مع اعترافها بأنه خلافُ الأمر ، ولم تدن به ولكنها استرسلت معه ، ولم تُحكِّم عليه الأمر وتُجيزت عن دفع القدر بالقدر اتباعاً للأمر ، فهؤلاء مفرطون ، وهم بين عاجزٍ وعاصٍ لله ، وهؤلاء الفرقُ كلهم مُؤَمِّمُونَ بشيخهم إبليس ، فإنه أولُ من قدّم القدر على الأمر وعارضه به ، وقال : (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) <sup>(٥)</sup> وقال : (فَبِمَا أَغْرَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) <sup>(٦)</sup> فردّ أمر الله بقدره ، واحتج على ربه بالقدر . وانقسم أتباعه أربع فرق كما رأيت ، فإبليس

(١) الآية ١٤٨ . سورة الأنعام (٢) الآية ٣٥ . سورة النحل .

(٣) الآية ٢٠ . سورة الزخرف (٤) الآية ٤٧ . سورة يس .

(٥) الآية ٣٩ . سورة الحجر . (٦) الآية ١٥ . سورة الأعراف .



وجنوده أرسلوا بالقدر إرسالاً كونياً . فالقدر دينهم . قال الله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَرْبَابًا )<sup>(١)</sup> فدينهم القدر ، ومصيرهم سقر . فبمث الله الرسل بالأمر وأمرهم أن يحاربوا به أهل القدر ، وشرع لهم من أمره سُنَنًا وأمرهم أن يركبوا فيها هم وأتباعهم في بحر القدر ، وخصَّ بالنجاة من ركبها كما خصَّ بالنجاة أصحاب السفينة ، وجعل ذلك آية للعالمين . فأصحاب الأمر حرب لأصحاب القدر حتى يرُدُّوهم إلى الأمر ، وأصحاب القدر يحاربون أصحاب الأمر حتى يخرجوهم منه ، فالرسلُ دينهم الأمرُ مع إيمانهم بالقدر وتحكيم الأمر عليه ، وإبليسُ وأتباعه دينهم القدر ودفعُ الأمر به ، فتأمل هذه المسألة في القدر والأمر وانقسام العالم فيها إلى هذه الأقسام الخمسة ، وبالله التوفيق .

فحركاتُ العالم العلوى والسفلى وما فيهما موافقة للأمر ، إما الأمر الدينى الذى يحبه الله ويرضاه ، وإما الأمر السكونى الذى قدرة وقضاه ، وهو سبحانه لم يقدره سدى ولا قضاه عبثاً ، بل لما فيه من الحكمة والغايات الحميدة ، وما يترتب عليه من أمور يحب غاياتها وإن كره أسبابها ومبادئها ، فإنه سبحانه وتعالى يحب المغفرة وإن كره معاصى عباده ، ويحب السر وإن كره ما يستر عبده عليه ، ويحب العتق وإن كره الحب الذى يُعتق عليه من النار ، ويحب العفو كما فى الحديث : « أَللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَأَعْفُ عَنِّي »<sup>(٢)</sup> وإن كره ما يعفو عنه من الأوزار ، ويحب التوايين وتوبتهم وإن كره معاصيهم

( ١ ) الآية ٨٤ . سورة مريم .

( ٢ ) روى بالأسانيد الصحيحة فى كتب الترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهما كما جاء فى الإذكار للنروى

التي يتوبون إليه منها ، ويحب الجهاد وأهله بل هم أحب خلقه إليه وإن كره أفعال من يجاهدونه ، وهذا باب واسع قد فُتِح لك فادخل منه يُطاعك على رياض من المعرفة مُوثقة مات من فاته بحسرتها ، وبالله التوفيق .

وهذا موضع يضيق عنه عدة أسفار واللييب يدخل إليه من بابه ، وممر هذا الباب أنه سبحانه كامل في أسمائه وصفاته ، فله الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه ما ، وهو يحب أسمائه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها في خلقه ، فإن ذلك من لوازم كماله ، فإنه سبحانه وتعالى يحب الوبر ، جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، جواد يحب الأجواد ، قوى ، والمؤمن القوى أحب إليه من المؤمن الضعيف ، حيي يحب أهل الحياء ، وفي يحب أهل الوفاء ، شكور يحب الشاكرين ، صادق يحب الصادقين ، محسن يحب المحسنين .

فإذا كان يحب العفو والمغفرة والحلم والصفح والستر لم يكن بد من تقديره للأسباب التي تظهر آثار هذه الصفات فيها ، ويستدل بها عباده على كمال أسمائه وصفاته ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى محبته وحمده وتمجيده والثناء عليه بما هو أهله ، فتحصل الغاية التي خلق لها الخلق ، وإن فاتت من بعضهم فذلك افوات سبب اكمالها وظهورها ، فتضمن ذلك الفوات المكروه له أمراً هو أحب إليه من عدمه ، فتأمل هذا الموضع حق التأمل . وهذا ننكشف يوم القيامة للخليقة بأجمعهم حين يجمعهم في صعيد واحد ، ويوصل إلى كل نفس ما ينبغي إيصاله إليها من الخير والشر ، واللذة والألم ، حتى مثقال الذرة ، ويوصل كل نفس إلى غايتها التي تشهد هي أنها أولى بها ، فحينئذ ينطق الكون

بأجعة بحمده تبارك وتعالى قالًا وحالًا ، كما قال سبحانه وتعالى : ( وَتَرَى  
الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ  
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )<sup>(١)</sup> ، فحذف فاعل القول لأنه غيرُ  
معين ، بل كلُّ أحدٍ يحمده على ذلك الحكم الذى حكم فيه ، فيحمده أهلُ  
السموات وأهلُ الأرض ، والأبرارُ والفجارُ ، والإنسُ والجنُّ حتى أهلُ النار .  
قال الحسن أو غيره : لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه  
سبيلًا ، وهذا والله أعلمُ هو السرُّ الذى حذف لأجله الفاعل فى قوله : ( قِيلَ  
أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا )<sup>(٢)</sup> وقوله : ( وَقِيلَ أَدْخُلَا النَّارَ  
مَعَ الدَّاخِلِينَ )<sup>(٣)</sup> كأن الكون كله نطق بذلك وقاله لهم ، والله تعالى  
أعلم بالصواب .

( ١ ) الآية ٧٥ . سورة الزمر

( ٢ ) الآية ٧٢ . سورة الزمر .

( ٣ ) الآية ١٠ . سورة التحريم .

## الباب الخامس

في دواعي المحبة ومنعقدتها

الداعي قد يُراد به الشعور الذي تتبَّعه الإرادةُ والميل ، فذلك قائمٌ بالمحبِّ ، وقد يُراد به السببُ الذي لأجله وُجدت المحبةُ وتعلَّقت به ، وذلك قائمٌ بالمحجوب ، ونحن نريد بالداعي مجموعَ الأمرين ، وهو ما قام بالمحجوب من الصفات التي تدعو إلى محبَّته ، وما قام بالمحب من الشعور بها ، والموافقة التي بين الحب والمحجوب ، وهي الرابطة بينهما وتسمَّى بين المخلوق والمخلوق مناسبةً وملاءمةً .

فها هنا أمور : وصفُ المحجوب وجماله ، وشعورُ الحب به ، والمناسبةُ وهي العلاقة والملاءمة التي بين الحب والمحجوب ، فتقويت الثلاثة وكَمَلَّتْ ، قُوِيَت المحبة واستحكمت ، ونقصان المحبة وضعفها بحسب ضعف هذه الثلاثة أو تقصُّها ، فتقوى كان المحجوبُ في غاية الجمال ، وشعورُ الحب بجماله أتمَّ شعور ، والمناسبة التي بين الرُّوحين قويَّةٌ ، فذلك الحبُّ اللازم الدائم ، وقد يكون الجمال في نفسه ناقصاً لكن هو في عين المحب كامل ، فتكون قوَّة محبته بحسب ذلك الجمال عنده ، فإن حُبَّكَ للشَّيء يُعْمَى وَيُصِمُّ ، فلا يرى المحبُّ أحداً أحسنَ من محبوبه ، كما يُحْسِكِي أَنْ عَزَّةً دخلت على الحجاج فقال لها : يا عَزَّةُ والله ما أنتِ كما قال فيك كثيرٌ ، فقالت : أيها الأمير إنه لم يرَني بالعين التي رأيتني بها . ولا ريب أن المحجوب أحلى في عين محبه وأكبر في صدره من غيره ، وقد أفصح بهذا القائلُ في قوله <sup>(١)</sup> :

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحه وحُسناً على النسوان أم ليس لي عقلُ

(١) هو الحكم بن معمر الحضري .

وقد يكون الجمال مَوْفَرًّا لكنه ناقصُ الشعور به فتَضَعُفَ محبته لذلك ،  
فلو كُشِفَ له عن حقيقته لأمر قلبه ، ولهذا أَمَرَ النساءَ بستر وجوههن عن  
الرجال ، فإن ظهور الوجه يُسِفِرُ عن كمال المحاسن فيقع الافتتان ، ولهذا شُرِعَ  
للخاطب أن ينظر إلى المخطوبة ، فإنه إذا شاهد حسنَهَا وجمالَهَا كان ذلك أدعى  
إلى حصول المحبة والألفة بينهما كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :  
« إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ خِطْبَةَ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَإِنَّهُ  
أَحْرَى أَنْ يُؤَدِّمَ بَيْنَهُمَا » <sup>(١)</sup> أى يُلَاقِ وَيُوافِقُ وَيَصَاحُ . ومنه الأدام الذى  
يَصْلُحُ به الخبز ، وإذا وُجِدَ ذلك كَأَنَّه وانتَفَتِ المناسبة والعلاقة التى بينهما لم  
تَسْتَحْكَمْ المحبة ؛ وربما لم تقع البتة ، فإن التناسُبَ الذى بين الأرواح من أقوى  
أسباب المحبة .

\* فكلُّ امرئٍ يصبو إلى من يناسبه \*

وهذه المناسبة نوعان : أصلية من أصل الخلقة ، وعارضة بسبب المجاورة  
أو الاشتراك فى أمرٍ من الأمور ، فإن من ناسب قصدك قصده حصل التوافقُ  
بين رُوحك ورُوحه ، فإذا اختلف القصدُ زال التوافقُ ، فأما التناسُبُ الأصلى  
فهو اتفاق أخلاق وتشاكل أرواح وشوق كلِّ نفس إلى مُشاكلها ، فإن شبه  
الشيء ينجذب إليه بالطبع ، فتكون الروحان متشاكلتين فى أصل الخلقة ،  
فتنجذب كلٌّ منهما إلى الأخرى بالطبع ، وقد يقع الانجذاب والميلُ

( ١ ) مأخوذ من حديثين الأول رواه أبو داود ولفظه : « إِذَا خَاطَبَ أَحَدُكُمْ  
المرأةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ ، وَالْآخَرُ رواه النسائي  
عن المغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه قال : خطبت امرأة فى عهد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال لى : أنظرت إليها ؟ قلت : لا قال : فانظر إليها فإنه أجدى  
أن يؤدم بينكما .

بالخاصية ، وهذا لا يعلل ولا يُعرف سببه كانجذاب الحديد إلى الحجر المغناطيس . ولا ريب أن وقوع هذا القدر بين الأرواح أعظم من وقوعه بين الجمادات كما قيل :

محاسنها هيولى<sup>(١)</sup> كل حسنٍ ومغنطيسُ أفئدة الرجال

وهذا الذى حمل بعض الناس على أن قال : إن العشق لا يقف على الحسن والجمال ولا يلزم من عدمه عدمه ، وإنما هو تشاكل النفوس وتمازجها في الطباع المخلوقة ، كما قيل<sup>(٢)</sup> :

وما الحبُّ من حُسنٍ ولا من مَلاحةٍ ولكنه شىء به الروحُ تكلف<sup>(٣)</sup>

قال هذا القائل : فحقيقته أنه مرآة يُبصر فيها المحبُّ طباعه ورقيقته في صورة محبوبه ، ففي الحقيقة لم يحبَّ إلا نفسه وطباعه ومشاكله .

قال بعضهم لمحبوبه : صادفتُ فيك جوهرَ نفسى ومُشاكلتها في كل أحوالها ، فانبعثت نفسى نحوك وانقادت إليك ، وإنما هو ريت نفسى . وهذا صحيح من وجه ، فإن المناسبة علة الصِّمِّ شرعاً وقدرًا ، وشاهد هذا بالاعتبار أن أحبَّ الأغذية إلى الحيوان ما كان أشبه بجوهر بدنه وأكثرَ مناسبةً له ، وكما قويت المناسبة بين الغاذى والغذاء كان ميلُ النفس إليه أكثرَ ، وكما بعدت المناسبة حصلت النَّفَرَةُ عنه ، ولا ريب أن هذا قدرٌ زائدٌ على مجرد الحسن

( ١ ) الهيولى : مادة الشيء الذى يصنع منها . وعند القدماء : مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة قابلة للتشكيل والتصوير ، وهى التى صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادية .

( ٢ ) هو لمحمد بن داود الظاهري كما جاء في ديوان الصبابة .

( ٣ ) كلف الشيء وبه : أحبه وأولع به .

والجمال ، ولهذا كانت النفوسُ الشريفةُ الزكيةُ العُلويةُ تعشق صفاتِ الكمالِ بالذات ، فأحبُّ شيءٍ إليها العلمُ والشجاعةُ والعِفَّةُ والجودُ والإحسانُ والصبرُ والثباتُ لمناسبة هذه الأوصافِ لجوهرها ، بخلاف النفوسِ اللئيمةِ الدنيئةِ فإنها يَمَعُزِلُ عن محبة هذه الصفات ، وكثيرٌ من الناسِ يحمِلُهُ على الجودِ والإحسانِ فرطُ عشقه ومحبتِهِ له واللذَّةُ التي يجدها في بذله ، كما قال المأمون : لقد حُبَّ إلىَّ العفو حتى خشيتُ أن لا أُوَجِّرَ عليه . وقيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : تعلمت هذا العلم لله ؟ فقال : أما لله فعزیز ، ولكن نىءُ حُبِّ إلىَّ ففعلته . وقال آخر : إني لأفرح بالعطاء وألتذ به أكثرُ وأعظم مما يفرح الآخذ بما يأخذه مني . وفي هذا قيل في مدح بعض الكرماء من أبيات :

وتأخذه عند المكارم هَزَّةٌ      كما أهتزَّ عند البارح<sup>(١)</sup> الغُصْنُ الرَّطْبُ

وقال شاعر الحماسة :

تراه إذا ماجتْهُ مُتَهَلِّلًا      كأنك تعطيه الذي أنت سائلُهُ<sup>(٢)</sup>

وكثيرٌ من الأجواد يعشق الجودَ أعظمَ عِشْقٍ ، فلا يصبرُ عنه مع حاجته إلى ما يجود به ، ولا يقبل فيه عذْلَ عاذلٍ ، ولا تأخذه فيه لومةُ لائمٍ ، وأما عشاق العلم فأعظمُ شَغَفًا به وعشْقًا له من كل عاشقٍ بمعشوقه ، وكثيرٌ منهم لا يَسْقُلُهُ عنه أجملُ صورة من البشر . وقيل لامرأة الزُّبَيْرِ بن بكار أو غيره : هنيئًا لك إذ ليست لك ضَرَّةٌ ، فقالت : والله لهذه الكتبُ أضْرُءُ عليَّ من عِدَّةِ ضرائرٍ .

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وقد ورد في شرح ديوانه (ص ١٤٢) طبعة دار الكتب المصرية . ونسب في الأغاني (ج ١٣) طبع بولاق لعبد الله ابن الزبير الأسدي .

وحدثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية عن أبيه قال : كان الجُدُّ إذا دخل الخلاء يقول لي : اقرأ في هذا الكتاب وارفع صوتك حتى أسمع . وأعرف من أصابه مرضٌ من صداعٍ وحُمى وكان الكتاب عند رأسه ، فإذا وجدَ إفاقةً قرأ فيه ، فإذا غلبَ وضعه ، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك فقال : إن هذا لا يحلُّ لك فإنك تُعين على نفسك وتكون سبباً لقوات مطلوبك . وحدثني شيخنا قال : ابتدأني مرضٌ فقال لي الطبيب : إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض ، قتلته : لا أصبر على ذلك وأنا أحاكمك إلى علمك ، أليست النفس إذا فرحت ومُرت قَوِيَت الطبيعةُ فدفعت المرض ؟ فقال : بلى ، قتلته له : فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجدُ راحةً ، فقال : هذا خارجٌ عن علاجنا ، أو كما قال :

ففسقُ صفات الكمال من أنفع العشق وأعلاه ، وإنما يكون بالمناسبة التي بين الروح وتلك الصفات ولهذا كان أعلى الأرواح وأشرفها أعلاها وأشرفها معشوقاً كما قيل :

أنت القليلُ بكلٍّ من أحببته فاختَر لنفسِكَ في الهوى من تصطفى  
فإذا كانت المحبةُ بالمشكلة والمناسبة ثبتت وتمكَّنت ولم يُزِلْ لها إلا مانعٌ  
أقوى من السبب ، وإذا لم تكن بالمشكلة فإنما هي محبةٌ لغرضٍ من الأغراض  
تزول عند انقضاءه وتضمحلُّ ، فمن أحببك لأمرٍ ولَّى عند انقضائه ، فداعى المحبة  
وباعثها إن كان غرضاً للمحبِّ لم يكن لمحبهته بقاء ، وإن كان أمراً قائماً بالمحبيب  
سريع الزوال والانتقال زالت محبته بزواله ، وإن كان صفةً لازمةً فمحبته باقيةٌ  
ببقاء داعيها ما لم يعارضه معارضٌ يوجب زوالها ، وهو إما تغَيُّر حال في المحب ،  
أو أذى من المحبوب ، فإن الأذى إما أن يُضَعِفَ المحبةَ أو يزيلها .



قال الشاعر :

خذى العفو منى تستديى مودتى      ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب  
فإنى رأيتُ الحبَّ فى القلب والأذى      إذ اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهب

وهذا موضعُ انقسم المحبُّون فيه قسمين : ففرقةٌ قالت : ليس بحبٍّ صحيح ما يزيله الأذى ، بل علامةُ الحبِّ الصحيح أنه لا ينقص بالجمود ولا يذهبه أذى قالوا : بل المحبُّ يلتذُّ بأذى محبوبه له ، كما قال أبو الشَّيص :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى      متأخراً عنه ولا متقدماً  
وأهنتنى فأهنتُ نفسى جاهداً      ما من يهون عليكِ من يكرم  
أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبهم      إذ كان حظى منك حظىَّ منهم  
أجدُ الملامةَ فى هـواكِ لذينة      حبا لذكركِ فليعلمنى اللوم<sup>(١)</sup>

فهذا هو الحبُّ على الحقيقة فإنه متضمنٌ لغاية الموافقة ، بحيث قد اتخذ مراده ومرادَ محبوبه من نفسه ، فأهان نفسه موافقة لإهانة محبوبه له ، وأحبَّ أعداءه لما أشبههم بحبوبة فى أذاه . وهذا وإن كانت الطباعُ تأباه لكنه موجبُ الحبِّ التام ومقتضاه . وقالت فرقةٌ : بل الأذى مزيلٌ للحب ، فإن الطباع مجبولة على كراهة من يؤذيها ، كما أن القلوب مجبولة على حبٍّ من يحسن إليها . وما ذكره أولئك فدعوى منهم .

والإنصاف أن يقال : يجتمع فى القلب بغضُ أذى الحبيب وكراهته ، ومحبة من وجه آخر ، فيحبه ويُبغضُ أذاه ، وهذا هو الواقع ، والغالبُ منها يوارى

المغلوب ويبقى الحكم له ، وقد كشف عن بعض هذا المعنى الشاعرُ  
في قوله <sup>(١)</sup> .

ولو قلتِ طأً في النار أعلمُ أنه رضا لكِ أو مُدُن لنا من وصالِكِ  
لقدّمتُ رجلى نحوها فوطئتها هدىً منك لي أو ضلّةً من ضلالِكِ  
وإن ساءني أن نلتقي بمساءٍ فقد سرّني أني خُطرتُ بِبالِكِ <sup>(٢)</sup>  
فهذا قد أنصف حيث أخبر أنه يسوؤه أن يناله محبوبه بمساءة ويسره  
خطوره بباله ، لا كمن ادّعى أنه يلتذّ بأذى محبوبه له ، فإن هذا خارجٌ عن  
الطباع ، اللهم إلا أن يكون ذلك الأذى وسيلةً إلى رضى المحبوب وقربه ، فإنه  
يلتذّ به إذا لاحظ غايته وعاقبته ، فهذا يقع ، وقد أخبرني بعض الأطباء قال :  
إنى ألتذّ بالدواء الكريه إذا علمتُ ما يحصلُ به من الشفاء ، وأضعه على لساني  
وأترشّفه بحبةً له ، ومن هذا التذاذُ الحبين بالمشاقّ التي توصلهم إلى وصال  
محبوبهم وقربه ، وكلما ذكروا روح الوصال وأن مام فيه طريقٌ موصلٌ إليه ،  
لذّ لهم مقاساته ، وطاب لهم تحمّله . كما قال الشاعر :

لها أحاديثُ من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد  
لها بوجهك نورٌ تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادى  
إذا شككت من كلال السير أوعدها رَوْحَ اللقاء فتقوى عند ميعاد

والمقصود أن الحبة تستدعى مشاكلةً ومناسبةً ، وقد ذكر الإمام أحمد بن  
حنبل رحمه الله تعالى في مسنده من حديث عائشة رضی الله عنها : أن امرأةً

(١) هو عبد الله بن الدمينية .

(٢) سيأتى هذا البيت في الباب المشرى وفيه لئن ساءني ... لقد سرّني الخ ،  
وهو الصواب .

كانت تدخل على قريش فتضحكهم ، فقدمت المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على من نزلت فلانة ؟ فقالت : على فلانة المضحكة ، فقال : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تنافرت منها اختلف » . وأصل الحديث في الصحيح <sup>(١)</sup> . وذكر لبقرات رجل من أهل النقص يحبه فاعتم لذلك وقال : ما أحبني إلا وقد وافقته في بعض أخلاقه ، وأخذ المتنبي هذا المعنى فقلبه وأجاد فقال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل <sup>(٢)</sup>

وقال بعض الأطباء : العشق امتزاج الروح بالروح لما بينهما من التناسب والتشاكل ، فإذا امتزج الماء بالماء امتنع تخليص بعضه من بعض ، ولذلك تبلى الحبة بين الشخصين حتى يتألم أحدهما بتألم الآخر ، ويسقم بسقمه وهو لا يشعر . ويذكر أن رجلاً كان يحب شخصاً فرض فدخل عليه أصحابه يعودونه فوجدوا به خفةً فانبسط معهم ، وقال : من أين جئتم ؟ قالوا : من عند فلان عدنا ، فقال : أو كان عليلاً ؟ قالوا : نعم وقد عوفي ، فقال : والله لقد أنكرت علي هذه ولم أعرف لها سبباً غير أني توهمت أن ذلك لعل نالت بعض من أحب ، ولقد وجدت في يومي هسداً راحةً ففرحت طمعاً أن يكون الله سبحانه وتعالى شفاه ، ثم دعا بدواة فكتب إلى محبوبه <sup>(٣)</sup> :

( ١ ) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم .

( ٢ ) في بعض نسخ الديوان :

فهي الشهادة لي بأني كامل \*

( ٣ ) الشعر لأبي نواس قاله في رحمة بن نجاح كما في ديوانه ( ص ٢٩٩ ) م ممر ببعض اختلاف وزيادة بيتين والقوافي فيه مفتوحة خطاباً للذكر . وجاء في ديوان العصابة لابن أبي حجلة أنها قيلت في عنان جارية الناطني فهي هناك كما هي هنا مكسورة خطاباً للأنثى .

إِنِّي حُجِمْتُ وَلَمْ أَشْعُرْ بِحُجْمِكَ      حَتَّى تَحْدِثَ عُوَادِي بِشُكْوَاكِ  
فَقُلْتُ مَا كَانَتْ الْحُمَى لَتَطْرُقَنِي      مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ إِلَّا لِحُمَاكِ  
وَحَصَلَةٍ كُنْتُ فِيهَا غَيْرَ مُتَّهِمٍ      عَافَانِي اللَّهُ مِنْهَا حِينَ عَافَاكِ  
حَتَّى اتَّفَقَتْ نَفْسِي وَنَفْسُكَ فِي      هَذَا وَذَاكَ وَفِي هَذَا وَفِي ذَاكَ  
وَيُحْسِكُنِي أَنْ رَجُلًا مَرَضَ مِنْ يَحِبُّهُ فَعَادَهُ الْمَحَبَّةُ فَمَرَضَ مِنْ وَقْتِهِ ، فَعُوفِي  
مَحْبُوبَهُ فَجَاءَ يَعُودُهُ فَلَمَّا رَأَاهُ عُوفِي مِنْ وَقْتِهِ وَأَنْشُدْ:

مَرَضَ الْحَبِيبُ فَعُدَّتُهُ      فَرَضْتُ مِنْ حَذَرِي <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ  
وَأَتَى الْحَبِيبُ يَعُودُنِي      فَبَرِثْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ لَا تَكَادُ تَجِدُ اثْنَيْنِ يَتَحَابَّانِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا مَشَاكِلَةٌ  
أَوْ اتِّفَاقٌ فِي فِعْلٍ أَوْ حَالٍ أَوْ مَقْصِدٍ ، فَإِذَا تَبَايَنَتِ الْمَقَاصِدُ وَالْأَوْصَافُ وَالْأَفْعَالُ  
وَالطَّرَائِقُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلَّا النَّفَرَةُ وَالْبَعْدُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ، وَيَكْفِي فِي هَذَا الْحَدِيثُ  
الصَّحِيحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ  
وَتَرَائِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ  
سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ » <sup>(٢)</sup> .

فَإِنْ قِيلَ : فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُمْ يَقْتَضِي أَنَّهُ إِذَا أَحَبَّ شَخْصٌ شَخْصًا أَنَّ  
يَكُونُ الْآخَرُ يَحِبُّهُ فَيَشْتَرِكَانِ فِي الْحُبِّ ، وَالْوَاقِعُ يُشْهَدُ بِخِلَافِهِ ، فَكَمْ مِنْ مَحَبٍّ غَيْرِ  
مَحْبُوبٍ بَلْ بِسَيْفِ الْبَغْضِ مَضْرُوبٍ ، قِيلَ : قَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي جَوَابِ هَذَا  
السُّؤَالِ ، فَأَمَّا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ فَإِنَّهُ قَالَ : الَّذِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ أَنَّ الْعَشْقَ اتِّصَالٌ  
بَيْنَ أَجْزَاءِ النُّفُوسِ الْمَقْسُومَةِ فِي هَذِهِ الْخَلْقَةِ فِي أَصْلِ عُنْصُرِهَا الرَّفِيعِ ، لَا عَلَى

( ١ ) فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : مِنْ وَجْدِي عَلَيْهِ .

( ٢ ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَأَحْمَدُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ .

ما حكاه محمد بن داود عن بعض أهل الفلسفة أن الأرواح أكرّ مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها في مقرّ عالمها العلوى ومجاورتها في هيئة تركيبها . وقد علمنا أن سرّ التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال ، فالشكل إنما يستدعى شكله والمثل إلى مثله ساكن . وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد . والتنافر في الأضداد ، والموافقة في الأنداد ، والنزاع فيما تشابه موجود بيننا ، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف ، وجوهرها الجوهر الصعّاد المعتدل ، وسنخها<sup>(١)</sup> المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار ؟ والله تعالى يقول : ( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا )<sup>(٢)</sup> فجعل علة السكون أنها منه ، ولو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب أن لا يستحسن الأخص من الصور ، ونحن نجد كثيراً ممن يؤثّر الأدنى ويعلم فضل غيره ولا يجد محيداً لقلبه عنه ، ولو كان للموافقة في الأخلاق لما أحب المرء من لا يساعده ولا يوافقه ، فعلمنا أنه متى لا في ذات النفس ، وربما كانت المحبة لسبب من الأسباب ، وتلك تفتى بقضاء سببها .

قال : ومما يؤكد هذا القول أننا قد علمنا أن المحبة ضروب : فأفضأها محبة المتحابين في الله عز وجل إما لاجتهاد في العمل ، وإما لاتفاق في أصل المذهب ، وإما لفضل علم يمنحه الإنسان . ومحبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب ، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة لبر يضعه المرء عند أخيه ، ومحبة لطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمها ستره ،

( ١ ) السنخ : الأصل من كل شيء .

( ٢ ) الآية ١٨٨ . سورة الأعراف .

ومحبةً لبلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبةً العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس . وكل هذه الأجناس فنقضيةٌ مع انقضاء عِلَلِها ، وزائدةٌ بزيادتها ، وناقصةٌ بنقصانها ، متأكدةٌ بدنوِّها ، فائرةٌ ببعدها ، حاشا لمحبة العشق الصحيح المتمكن من النفس . ثم أورد هذا السؤال <sup>(١)</sup> قال : والجواب أن نفس الذي لا يحب من يُحبه مُكْتَنَفَةٌ الجهات ببعض الأعراض الساترة ، والحُجُبِ المحيطة بها من الطبائع الأرضية ، فلم تُحَسَّ بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تَخَلَّصَتْ لاستويا في الاتصال والمحبة . ونفس المحب متَخَلِّصَةٌ عالمةٌ بمكان ما كان يَشْرَكُها في المجاورة . طالبةٌ له قاصدةٌ إليه باحثةٌ عنه مشتتةٌ لملاقاته ، جاذبةٌ له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد ، وكالنار في الحجر .

وأجابت طائفةٌ أخرى أن الأرواح خُلِقَتْ عَلَى هيئة الكرة ثُمَّ قُسمَتْ . فأى رُوحين تلاقيتا هناك وتجاورتا تألفتما في هذا العالم وتجاوبتا ، وإن تنافرتا هناك تنافرتا هنا ، وإن تألفتما من وجهٍ وتنافرتا من وجهٍ كانتا كذلك هاهنا ، وهذا الجواب مبنيٌّ عَلَى الأصل الفاسد الذي أَصْلَهُ هُوَ لاءُ أن الأرواح موجودةٌ قبل الأجساد ، وأنها كانت متعارفةً متجاورةً هناك ، تتلاقى وتتعارف وهذا خطأ ، بل الصحيح الذي دلَّ عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقةٌ مع الأجساد ، وأن الملك المَوْكَلَّ بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروحَ إِذَا مضى

---

( ١ ) يشير إلى السؤال الذي تقدم في الصفحة ٧٤ وهو : فإن قيل فهذا الذي ذكرتم يقتضى أنه إذا أحب شخص شخصاً أن يكون الآخر يحبه فيشتركان في المحبة والوانع يشهد بخلافه . وهذا السؤال ليس لفظ ابن حزم وإنما أوردته المؤلف بالمعنى .

على النطفة أربعة أشهر ودخلت في الخامس ، وذلك أوّل حدوث الرّوح فيه .  
ومن قال إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط ، وأفحج منه قول من قال : إنها  
قديمة ، أو توقّف في ذلك ، بل الصواب في الجواب أن يقال : إن المحبة  
كما تقدّم قسمان : محبة عَرَضِيَّة غَرَضِيَّة ، فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل  
يقارنها مَقْتُ المحبوب وبغضه للمحب كثيراً ، إلا إذا كان له معه غرضٌ  
نظيرُ غرضه فإنه يحبّه لغرضه منه ، كما يكون بين الرجل والمرأة اللذين لكلّ  
منهما غرضٌ مع صاحبه . والقسم الثاني محبة رُوحانية سببها المشاكلة والاتفاق  
بين الرّوحين ، فهذه لا تكون إلا من الجانبين ولا بدّ ، فلو فُتّش المحب  
المحبة الصادقة قلبَ المحبوب لوجد عنده من محبته نظيرَ ما عنده أو دونه  
أو فوقه .

## فصل

وإذا كانت المحبة من الجانبين استراح بها كلّ واحدٍ من المحبين ،  
وسكّن ذلك بعضَ مابه وعدّه نوعاً من الوصال ، وقالت امرأة من العرب :  
حَجَجْتُ ولم أَحْجُجْ لذنْبِ عَمَلْتِهِ      ولكن لتُعْدِينِي عَلَى قَاطِعِ الْحَبْلِ  
ذهبتَ بعقلي في هواه صغيرةً      وقد كبرت سُنِّي فَرُدَّ بِهِ عَقْلِي  
وإلا فسوّ الحبَّ بيني وبينه      فإنك يامولاي تُوصَفُ بِالْعَدْلِ  
وقال آخر :

فياربِّ أشغلها بحبي كما بهيَا      شَغَلْتَ فَوَادِي كِي يَخْفَ الَّذِي بِيَا  
وقالت امرأة تعاتب بعلمها . أسأل الذي قسم بين العباد معاشهم أن يقيم  
الحبَّ بيني وبينك ، ثم أنشدت :

أُدْعُو الَّذِي صَرَفَ الْهَوَى مَنِّي إِلَيْكَ وَمِنْكَ عَنِّي  
أَنْ يَبْتَلِيكَ بِمَا أَبْتَلَا نِي أَوْ يَسَلَّ الْحَبَّ مِنِّي

وقال آخر :

فِيَارِبِّ إِنْ لَمْ تَقْسِمِ الْحَبَّ بَيْنَنَا بِشَطْرَيْنِ فَاجْعَلْنِي عَلَى هَجْرهَا جَلْدًا  
وَأَعْقِبْنِي السُّلُوفَ عَنْهَا وَرُدِّلِي فَوَادِيَّ مِنْ سَلَمَى أَثْبُكَ بِهِ حَمْدًا  
وقال أبو الهذيل العَلَّاف : لا يجوز في دَوْر الفلك ولا في تركيب الطبائع  
ولا في الواجب ولا في الممكن أَنْ يكون محبُّ ليس لمحبه به إليه ميل ، وإلى  
هذا المذهب ذهب أبو العباس الناشئ حيث يقول :

عَيْنَاكِ شَاهِدَتَانِ أَنَّكَ مِنْ حَرِّ الْهَوَى تَجْدِينِ مَا أَجِدُ  
بِكَ مَا بِنَا لَكِنْ عَلَى مَضَضٍ تَتَجَلَّلِينَ وَمَا بِنَا جَلْدُ

وقال أبو عُيَيْنَةَ :

تَبَيْتُ بِنَا تَهْدِي وَأَهْدِي بِذِكْرهَا كَلَانَا يَقَاسِي اللَّيْلَ وَهُوَ مُسَهَّدُ  
وَمَا رَقَدَتْ إِلَّا رَأَتْني ضَجِيفَهَا كَذَلِكَ أَرَاهَا فِي الْكُرَى حِينَ أَرْقُدُ  
تَقَرُّ بِذَنبِي حِينَ أَعْفُو وَنَلْتَقِي وَأَسْأَلُهَا يَقْظَانَ عَنْهُ فَتَجْجَدُ  
كَلَانَا سِوَاهُ فِي الْهَوَى غَيْرَ أَنَّهَا تَجَلَّدُ أَحْيَانًا وَمَا لِي تَجَلَّدُ

وقال عُرْوَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ :

إِنْ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادِكَ مَالَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا  
فَبِكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا فَكَلَاكَ أَبَدِي لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةِ كُلِّهَا

فَإِذَا تَشَاكَلَتِ النُّفُوسُ وَتَمَازَجَتِ الْأَرْوَاحُ وَتَفَاعَلَتِ تَفَاعَلَتْ عَنْهَا الْأَبْدَانُ ،  
وَطَلَبْتَ نَظِيرَ الْإِمْتِزَاجِ وَالْجَوَارِ الَّذِي بَيْنَ الْأَرْوَاحِ ، فَإِنَّ الْبَدْنَ آلَةَ الرُّوحِ  
وَمَرْكَبُهُ ، وَبِهَذَا رَكَّبَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ شَهْوَةَ الْجَمَاعِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى طَلِبًا



للاُمْتَزَاجِ والاختلاطِ بين البدنين ، كما هو بين الرُّوحَيْنِ ، ولهذا يسمَّى جماعاً  
وخلاطاً ونكاحاً وإفضاءً ، لأن كل واحدٍ منها يُفَضَّى إلى صاحبه فيزول  
الفضاء بينهما .

فإن قيل : فهذا يوجب تأكُّدَ الحبِّ بالجماع وقوَّتَه به والواقعُ خلافه ، فإن  
الجماعَ يُطْفِئُ نارَ المحبة ويُبَرِّدُ حرارتَها ويسكِّنُ نفسَ المحبِّ ، قيل : الناسُ  
مختلفون في هذا فمنهم من يكون بعد الجماع أقوى محبةً وأمكنَ وأثبتَ مما قبله ،  
ويكون بمنزلة من وُصف له شيءٌ ملائمٌ فأحبَّه ، فلما ذاقه كان له أشدَّ محبةً ،  
وإليه أشدَّ اشتياقاً ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث  
عروج الملائكة إلى ربهم أنه سبحانه يسألهم عن عبادِهِ — وهو أعلم بهم —  
فيقولون : إنهم يسبحونك ويحمدونك ويقدمونك فيقول : وهل رأوني ؟  
فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأوني ؟ فتقول الملائكة : لو رأوك لكانوا  
أشدَّ تسبيحاً وتقديساً وتمجيداً ثم يقولون : ويسألونك الجنة فيقول : وهل  
رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فتقول الملائكة : لو رأوها  
لكانوا أشدَّ لها طائلاً وذكر الحديث <sup>(١)</sup> . ومعلوم أن محبةً من ذاق الشيء  
الملائمَ وعُدِمَ صبره عنه أقوى من محبة من لم يذُقْهُ ، بل نفسه مقطومةٌ  
عنه ، والمودةُ التي بين الزوجين والمحبةُ بعد الجماعِ أعظمُ من التي كانت قبله .  
والسببُ الطبيعي أن شهوة القلب متمزجةٌ بلذَّةِ العين ، فإذا رأت العينُ اشتهى  
القلبُ ، فإذا باشر الجسمُ الجسمَ اجتمع شهوةُ القلب ولذَّةُ العين ولذة  
المباشرة ، فإذا فارق هذه الحال كان نزاعٌ نفسه إنيها أشدَّ ، وشوقه إليها  
أعظمُ كما قيل :

وأكثرُ ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دنتِ الديارُ من الديارِ

(١) رواه البخاري مطولاً ومسلم والإمام أحمد .

ولذلك يتضاعف الألم والحسرة على من رأى محبوبه أو باشره ثم حيلَ  
بينه وبينه ، فتضاعفُ ألمه وحسرتُه في مقابلة مضاعفة لذّة من عاوده ، وهذا في  
جانب المرأة أقوى فإنها إذا ذاقَتْ عُسَيْلَةَ الرجل ولا سيما أوَّلَ عُسَيْلَةٍ لم تكْد  
تصبر عنه بعد ذلك ، قال أيمن بن خُرَيْم :

يَمِيتُ الْعَتَابَ خِلَاطُ النِّسَاءِ وَيُحْيِي اجْتِنَابُ الْخِلَاطِ الْعَتَابَا

وتزوَّجَ زهير بن مسكين الفهرى جارية ولم يكن عنده ما يرضيها به ، فلما  
أمكنته من نفسها لم ترَ عنه ما ترضى به فذهبت ولم تعدْ ، فقال في ذلك أشعاراً  
كثيرة ، منها :

✓ تقول وقد قبَلْتُهَا أَلْفَ قُبْلَةٍ      كفك أُمَامِيٍّ لَدَيْكَ نَمُو الْقُبْلُ  
✓ فقلت لها حُبٌّ عَلَى الْقَلْبِ حَفْظُهُ      وطولُ بَكَاءٍ تَسْتَفِيزُ لَهُ الْقَلْلُ  
✓ فقلت لعمرُ اللَّهِ مَا لَذَّةُ الْفَتَى      من الحُبِّ فِي قَوْلٍ يَخَالِفُهُ الْفَعْلُ

وقال آخر :

رَأَيْتُ حُبِّي سَعَادُ بِلَا جَمَاعٍ      فقالت حُبُّنَا حُبُّ أَشْطَاعٍ  
ولست أريد حُبًّا لَيْسَ فِيهِ      مَتَاعٌ مِنْكَ يَدْخُلُ فِي مَتَاعِي  
فَلَوْ قَبَلْتَنِي أَلْفًا وَأَلْفًا      لما أَرْضَيْتُ إِلَّا بِالْجَمَاعِ  
إِذَا مَا لَصَبْتُ لَمْ يَكْ ذَا جَمَاعٍ      يَرَى الْمَحْبُوبَ كَالشَّيْءِ الْمُضَاعِ  
جَمَاعُ الصَّبِّ غَايَةُ كُلِّ أَتَى      وداعيةٌ لِأَهْلِ الْعَشْقِ دَاعِي  
فقلت لهما وقد ولَّتْ تَعَالَى      فَإِنَّكَ بَعْدَ هَذَا لَنْ تُرَاعِي  
وإنك لو سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ      خَلَى عَنْ جَمَاعِكَ لَنْ تَطَاعِي

فَقَالَتْ مَرْحَبًا بِفَتَى كَرِيمٍ      وَلَا أَهْلًا بِذِي الْخَنَعِ الْبِرَاعِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَا الْبَعْلُ لَمْ يَكُ ذَا جِجَاعٍ      يُزَى فِي الْبَيْتِ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَمَّا شَكُوْتُ الْحَبَّ قَالَتْ كَذِبَتْنِي      فَكَمْ زُورَةٍ مَنَى قَصْدُكَ خَالِيًا  
فَمَا حُلَّ فِيهَا مِنْ إِزَارٍ لِلذِّقِّ      قَعَدْتُ وَحَاجَاتُ الْفُؤَادِ كَمَا هِيَ  
وَهَل رَاحَةُ الْمَرْءِ فِي وَرْدِ مَنْهَلٍ      وَيَرْجِعُ بَعْدَ الْوَرْدِ ظَمَانٌ صَادِيًا  
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

لَمْ يَصْفُ وَصَلَ لِمَعْشُورَيْنِ لَمْ يَذُقَا<sup>(٢)</sup>      وَصَلًا يَجِلُّ عَلَى كُلِّ الذَّاذَاتِ  
وَقَالَ هُدُبَةُ بْنُ الْخَشْرَمِ :

وَاللَّهِ مَا يَشْفِي الْفُؤَادَ الْهَائِمَا      نَثُ الرِّقَى وَعَقْدُكَ التَّمَامَا  
وَلَا الْحَدِيثُ دُونَ أَنْ تُتْلَازِمَا      وَلَا الْأَزَامُ دُونَ أَنْ تُفَاعَمَا<sup>(٣)</sup>  
وَلَا الْفِعَامُ دُونَ أَنْ تُفَاقَمَا<sup>(٤)</sup>      وَتَعْلُوَ الْقَوَائِمُ الْقَوَائِمَا  
وَقَالَ آخَرُ :

قُولَا لِمَا تَسْكُوهُ الْتَى      فِي نَظَرَةٍ قَضَتْ الْوَطْرُ

( ١ ) الْخَنَعُ : الَّذِي يَكْتَفِي مِنَ النِّسَاءِ بِالْمُغَازَلَةِ وَالْمَلَاعِبَةِ ، وَخَمَعَ فَلَانُ النِّسَاءَ : مَا لَهُنَّ وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمُغَازَلَةِ وَالْمَلَاعِبَةِ . وَالْبِرَاعُ : الْجَبَانُ الَّذِي لَا قَلْبَ لَهُ . وَعَلَى النِّسَاءِ : مَنْ لَا رَأْيَ وَلَا عِزْلَ لَهُ .

( ٢ ) كَذَا ... وَالْبَيْتُ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي دِيْوَانِ الْأَحْنَفِ الْمَطْبُوعِ .

( ٣ ) الْفِعَامُ : أَنْ تَشْمَ رَاحَتَهُ جَسَدَهَا وَتَمْلَأَ بِهِ أَنْفَاكَ .

( ٤ ) الْفِعَامُ : أَنْ تَقْبَلَهَا حَتَّى تَرْتَوِي . وَالْقَصَمُ : اللَّحْيُ وَفِي الْحَدِيثِ ( مَنْ حَفِظَ

مَا بَيْنَ قَعْمِيهِ ) أَيْ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ .

أني أريدك للنكا حـ ولا أريدك للنظر  
لو كان هذا مقنعى لقنعتُ عنها بالقمر

وقال آخر :

دواء الحبّ تقبيلٌ وشَمٌّ ووضعٌ للبطون على البطون  
ورَهْزٌ تذرِفُ العينان منه وأخذُ بالمناكب والقرون<sup>(١)</sup>  
وقالت امرأةٌ وقد طُلبت منها المحادثة :

ليس بهذا أمرتنى أمي ولا بتقبيلٍ ولا بشَمِ  
لكن جاعاً قد يسألنى هـي يسقط منه خاتمى فى كُفِّى

وقد كشف الشاعر سبب ذلك حيث يقول :

لَوْضَمَّ صَبٌّ إِفْقَهُ أَلْفًا مَا أَجْدَى وزادت لوعةٌ وغرامُ  
أرواحهم من قبل ذاك تَأَلَّفَتْ فتَأَلَّفَتْ من بعدها الأجسام  
وقال المؤلف :

سألت فقيهَ الحبِّ عن علة الهوى وقالت له أشكو إلى الشيخ حالياً  
فقال دواء الحب أن تُلصِقَ الحُشَا بأحشاء مَنْ تهوى إذا كنت خالياً  
وتتحدّ من بعد ذاك تعانقاً وتلتصقه حتى يرى لك ناهياً  
فتقضى حاجات الفؤاد بأمرها على الأمن مادام الحبيب مؤاتياً  
إذا كان هذا فى حلالٍ فبُذّا وصالٌ به الرحمن تلقاه راضياً  
وإن كان هذا فى حرامٍ فإنه عذابٌ به تأتى العنا والمكاوى  
قال هؤلاء : ولا يستحكم الحب إلا بعد أن يشقَّ الرجلُ رداءه وتشقَّ  
المرأة المشوقة برقعها ، كما قال الشاعر :

(١) الرهز : شدة الحركة فى الجماع . والقرن : ذؤابة المرأة ، الخصلة من الشعر

إِذَا شَقَّ بُرْدُ شَقٍّ بِالْبُرْدِ بُرْقَعٌ دَوَّالِيكَ حَتَّى كَلَّمْنَا غَيْرُ لَانَسٍ  
فَكَمْ قَدْ شَقَّقْنَا مِنْ رِءَاءِ مُحَبَّرٍ وَمِنْ بَرْقَعٍ عَنْ طِفْلَةٍ غَيْرِ عَانَسٍ<sup>(١)</sup>  
وَلَمَّا بَلَغَ بَعْضَ الظُّرَفَاءِ<sup>(٢)</sup> قَوْلُ الْمُأْمُونِ : مَا الْحَبُّ إِلَّا قَبْلَةٌ . الْآيَاتِ<sup>(٣)</sup>  
قَالَ : كَذَبَ الْمُأْمُونُ ثُمَّ قَالَ :

وَبَاضَ الْحَبُّ فِي قَلْبِي فَوَا وَيْلَا إِذَا فَرَّخُ  
وَمَا يَنْفَعُنِي حَبِّي إِذَا لَمْ أَكُنْسِ الْبَرْبَخَ<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ لَمْ يَضَعِ الْأَصْدَ عُخْرُجِيهِ عَلَى الْمَطْبِخِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

أَعَانَقَهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشْوَقَةٌ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي  
وَأَلْتَمُّ فَاهَا كَيْ تَزُولَ صَبَابِي فَيَشْتَدَّ مَا أَلْتَمُّ مِنَ الْهَيَّانِ  
وَلَمْ يَكْ مَقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوْرِ لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفَتَانِ  
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَايِلَهُ سَوَى أَنْ أَرَى الرُّوحِينَ تَمْتَزِجَانِ<sup>(٥)</sup>

وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ : حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ يَوْسُفَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ طَاوُسٍ ، عَنْ  
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَنَا يَتِيمَةٌ قَدْ خُطِبَهَا

(١) محبر : مزين ومنمق . والعانس : البكر النصف والجمع عوانس وعنس .

(٢) هو أبو العبر كما جاء في الأغاني للأصفهاني .

(٣) ستأتي الآيات في صفحة ٨٥ . وفيها : ما الحب إلا نظرة .

(٤) البربخ : منفذ المياه وبجراه ، والبالوعة من الحزف وغيره وهو هنا

يُذْنِي الْفَرَجِ .

(٥) تقدمت هذه الآيات في صفحة ٣٢

رجلان : مُوسِرٌ ومُعَسِرٌ ، وهى تهوى المُعَسِرَ ، ونحن نهوى المُوسِرَ ، : فقال :  
 «لَمْ يَزَلْ لِمَتَحَابِّينَ مِثْلُ التَّزْوِيجِ» قال أبو القاسم الطبرانى : لم يَرَوْه عن طاوس  
 إلا إبراهيم ، ولا رواه عن إبراهيم إلا محمد بن مسلم ، وسفيان الثورى ، تفرَّد به  
 مؤمِّل بن إسماعيل عن الثورى انتهى . وقد رواه أبو الفرج بن الجوزى من  
 حديث حَسَّان بن بِشْر : حدَّثنا أحمد بن حَرْب : حدَّثنا ابن عُيَيْنَةَ : حدَّثنا  
 عمرو ، عن جابر فذكره . وقال المعافى بن عِمْران : حدَّثنا إبراهيم بن يزيد ،  
 عن سليمان بن موسى ، عن عمرو ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .  
 وحدَّثنا على بن حرب الطائى : حدَّثنا ابن عُيَيْنَةَ ، عن إبراهيم بن مَيْسَرَةَ ،  
 عن طاوس . وذكره الدارقطنى فى كتاب الغرائب وقال : تفرَّد به يزيد  
 ابن مروان ، عن عمرو بن هُروَن ، عن عثمان بن الأسود المكى ، عن إبراهيم بن  
 مَيْسَرَةَ ، عن طاوس .

وقالت هند بنت المُهَاجِر : ما رأيت لصالحى النساء وشِراهن خيراً من  
 إلحاقهن بمن يَسْكُنُ إليه من الرجال ، ولربَّ مسكونٍ إليه غير طائل والسَّكَن  
 عَلَى كلِّ حالٍ أَوْفَق .

وذكر الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى هريرة رضى الله عنه  
 يرفعه : أَرْبَعٌ لَا يَشْتَعِنُ مِنْ أَرْبَعٍ : أَرْضٌ مِنْ مَطَرٍ ، وَأُنْثَى مِنْ ذَكَرٍ ،  
 وَعَيْنٌ مِنْ نَظَرٍ ، وَعَالِمٌ مِنْ عِلْمٍ . وهذا باطل قطعاً عَلَى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وهو كثير عن أبى هريرة رضى الله عنه <sup>(١)</sup> . وذكر الطبرانى فى معجمه

---

(١) ذكر هذا الحديث فى طبقات الخنابلة لابن أبى يعلى من رواية الحاكم  
 أيضاً عن عائشة رضى الله عنها لآعن أبى هريرة ، وفى سنده عبد السلام بن عبد الله بن  
 وجاء فى تهذيب التهذيب قول أبى حاتم فى عبد السلام : يروى الموضوعات لايحل  
 الاحتجاج به منها حديث : أربيع لا يشبعن من أربيع الخ ثم قال : هذا منكر .

الأوسط من حديث ابن عمر يرفعه : فَضْلُ مَا بَيْنَ لَذَّةِ الْمَرْءَةِ وَلَذَّةِ الرَّجُلِ كَأَثَرِ الْمَخِيطِ فِي الظِّلِّ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ سَتَرَهُنَّ بِالْحَيَاءِ وقال : لم يَرَوْهُ عن ليث إلا أبو المسيب سلم بن سلام عن سويد عن عبد الله بن أسامة عن يعقوب ابن خالد عن عطاء عن ابن عمر رضى الله عنهما . قلت : وهذا أيضاً لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسناده مظلم لا يحتج بمثله .

## فصل

ورأت طائفة أن الجماع يُفسد العشق ويُبطله أو يُضعفه ، واحتجت بأمور منها : أن الجماع هو الغاية التي تُطلب بالعشق فما دام العاشق طالباً فعشقه ثابت ، فإذا وصل إلى الغاية قضى وطره ، وبردت حرارة طلبه ، وطفئت نارُ عشقه . قالوا : وهذا شأن كل طالبٍ لشيءٍ إذا ظفر به ، كالظلمان إذا روى ، والجماع إذا شيع ، فلا معنى للطلب بعد الظفر . ومنها : أن سبب العشق فكرى وكما قوى الفكر زاد العشق ، وبعد الوصول لا يبقى الفكر ، ومنها : أنه قبل الظفر ممنوع ، والنفس موكعة بحب ما منعت منه كما قال (١) :

وزادنى كلفاً فى الحب أن منعت أحبُّ شيء إلى الإنسان ما منعا  
وقال الآخر (٢) :

لولا طرادُ الصيد لم تك لذة فتطاردى لى بالوصال قليلا  
قالوا : وكانت الجاهلية الجهلاء فى كفرهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً ، وكانوا يصونون العشق عن الجماع ، كما ذكر أن أعرابياً علق امرأة فسكان

(١) هو الاحوص .

(٢) هو كشاجم كما جاء فى ديوان الصباية .

يأتيها سنين وما جرى بينهما ريبية ، قال : فرأيت أيلةً بياض كفها في ليلة ظلماء  
فوضعت يدي على يدها فقالت : مه لا تفسد ما صلح فإنه ما نكح حب إلا  
فسد . فأخذ ذلك المأمون فقال :

ما الحب إلا نظرةٌ وغمزُ كفٍّ وعَضْدُ  
أو كُتْبٌ فيها رُقٌّ أَجَلٌ من نفث العُقْدِ  
ما الحب إلا هكذا إن نكح الحب فسد  
من كان هذا حبه فإنما ينبغي الوالدُ

وهو ي آخرُ امرأةٍ فدام الحالُ بينهما في اجتماعٍ وحديثٍ ونظرٍ ، ثم إنه  
جامعها فقطعت الوصلَ بينهما فقال :

لو لم أواقع دام لي وصلها فليتني لا كنتُ واقعتها  
وقيل لآخرٍ شكاً فراقَ محبوبةٍ له <sup>(١)</sup> :

أكثرَ من وطنها وأوطأ مسأمةً فارفق بنفسك إن الرفق محمود

وذكر عمر بن شبة عن بعض علماء أهل المدينة قال : كان الرجل يحب  
الفتاة فإذا ظفر بها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ، واليوم يشير إليها وتشير  
إليه فيعدها وتعهده ، فإذا التقيا لم يشك حبلهم ولم ينشد شعراً وقام إليها كأنه  
أشهد على نكاحها أبا هريرة رضي الله عنه .

لم يخط من داخل الدهايز منصرفاً إلا وخلفها قد قارب الساقا

قال الأصمعي : قلت لأعرابية : ما تعدون العشق فيكم ؟ قالت : العناق  
والضمة والغمرة والحادثة .



ثم قالت : يا حضري فكيف هو عندكم ؟ قلت : يقعد بين شعبها الأربع  
ثم يجهدها . قالت : يا ابن أخي ما هذا عاشقٌ هذا طالب ولد .

وسئل أعرابيٌّ عن ذلك فقال : مصُّ الرِّيق ، ولثمُّ الشَّفة ، والأخذ من  
أطاييب الحديث ، فكيف هو فيكم أيها الحضري ؟ فقال : العَفْسُ<sup>(١)</sup> الشديد ،  
والجمع بين الركبة والوريد ، ورَهْزٌ يوقظ النائم ، ويشفي القلب الهائم . فقال :  
بالله ما يفعل هذا العدو الشديد فكيف الحبيب الودود ؟

وقال بعضهم : الحبُّ يطيب بالنظر وَيُفسد بالغمز . قال هولاء : والحب  
الصحيح يوجب إعظامَ المحبوب وإجلالَه والحياء منه ، فلا تطاوع نفسه أن  
يلقى جلباب الحياء عند محبوبه ، وأن يُلقِيَه عنه ، ففي ذلك غاية إذلاله وقهره  
كما قيل :

إذا كانَ حظُّ المرءِ مِنْ يُحِبُّهُ حراماً فخطى ما يحلُّ ويَحْمَلُ  
حديثٌ كماءِ المزنِ بين فُصُولِهِ عتابٌ به حسن الحديث يُفَصِّلُ  
ولسْتُمُ فَمِ عَذْبُ اللَّثَاتِ كأنما جناهن شهدُتْ فُتَّ فيه القَرَئِلُ  
وما العشقُ إلا عَفَّةٌ ونزاهةٌ وأنسُ قلوبِ أنسهن التَغَزُّلُ  
وإني لأستحي الحبيبَ من التي تَرِيبُ وأدعى للجميل فآحِلُ  
وزعم بعضهم أنه كان يُشَرِّطُ بين العشيقة والعاشق أنَّ له من نصفها الأعلى  
إلى مُرَّتَمَا ينال منه ما يشاء من ضمٍّ وتقبيل ورَشْفٍ ، والنصفُ الأسفلُ يَحْرُمُ  
عليه ، وفي ذلك قال شاعر القوم :

فللحبِّ شطرٌ مطلقٌ من عِقَالِهِ وللبعلِّ شطرٌ ما يُرامُ مَنِيعُ

(١) عَفْسُهُ عَفْساً : طرحه على الأرض وضغطه ضغطاً شديداً ، وضربه  
على عجزه .

وقال الآخر :

لها شطرٌ فمن حلَّ وبِلَّ ونصفٌ كالبَحيرة ما يهاج<sup>(١)</sup>

وهذا كان من دين الجاهلية فأبطلته الشريعة ، وجعلت الشَّطرين كليهما للبعل . والشعراء قاطبة لا يرون بالمحادثة والنظر للأجنبيات بأساً ، وهو مخالفٌ للشرع والعقل فإن فيه تعريضاً للطبع لما هو مجبولٌ على الليل إليه ، والطبع يسرق ويغلب ، وكَم من مفتونٍ بذلك في دينه ودنياه ، فإن قيل فقد أنشد الحاكم في مناقب الشافعي له :

يقولون لا تنظرُ وتلك بليَّةٌ ألا كلَّ ذى عينين لابدَّ ناظرُ

وليس اكتحالُ العين بالعين ربيَّةٌ إذا عَفَّ فيما بين ذاك الضمائر<sup>(٢)</sup>

فإن صحت عن الشافعي فإنما أراد النظر الذى لا يدخل تحت التكليف ، كنظرة الفجأة أو النظر المباح . وقد ذهب أبو بكر محمد بن داود الأصفهانيُّ إلى جواز النظر إلى من لا يحلُّ له كما سيأتى كلامه إن شاء الله تعالى . قال أبو الفرج بن الجوزى : وأخطأ في ذلك وجرَّ عليه خطؤه اشتهاره بين الناس وافتضاحه . وذهب أبو محمد بن حزم إلى جواز العشق للأجنبية من غير ربيَّة ، وأخطأ في ذلك خطأ ظاهراً فإن ذريعة العشق أعظمُ من ذريعة النظر ، وإذا

( ١ ) البِل بالكسر : المباح يقال : حل بل وهو إلتباع . والبحيرة : الناقة ، كانت في الجاهلية إذا ولدت خمسة أبطن ، شقوا أذننها وأعفوها أن ينفع بها ولم يمنعوها مرعى ولا ماء ، وقد أبطلها الإسلام . قال تعالى : ( ما جعل الله من بحيرة ) الآية ١٠٦ . سورة المائدة .

( ٢ ) في معجم البلدان لياقوت أن هذين البيتين للخضيل بن عبيد فلم تتأكد نسبتها إلى الشافعي .

كان الشرعُ قد حرّم النّظر لما يؤدى إليه من المفسد كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى، فكيف يجوز تعاطى عشق الرجل لمن لا يحل له ؟

والمقصود أن هذه الفرقة رأت أن الجماع يُفسد العشق فغارت عليه مما يفسده . وإن لم تتركه ديانة . وقيل لبعض الأعراب : ما ينال أحدكم من عشيقته إذا خلى بها ؟ قال : اللّمس والقُبْل وما يشاكلها . قال : فهل يتناولان إلى الجماع ؟ فقال : بآبى وأمى ليس هذا بعاشق ، هذا طالب ولد . ويُحكى أن رجلاً عشق امرأةً فقالت له يوماً : أنت صحيح الحبّ غير سقيم — وكانوا يُسمّون الحبّ على الخنا الحبّ السقيم — فقال : نعم ، فقالت : اذهب بنا إلى المنزل ، فما هو إلّا أن حصلت فى منزله فلم يكن له همةٌ غيرُ جماعها ، فقالت له وهو كذلك :

أسرفت فى وطئنا والوطء مقطّعةٌ فارفق بنفسك إن ازفقت محمود  
فقال لها وهو على حاله :

لولم أطأكِ لما دامت محبتنا لكن فعلى هذا فعلٌ مجهود  
فنفرت من تحته وقالت : يا خبيث أراك خلافَ ما قلت من صحة الحب ، ولم تجعل جماعى إلّا سبباً لذهاب حبك ، والله لا ضمنى وإياك سقّف أبداً . وسيأتى تمام الكلام فى هذا فى باب عفاف الحبين ، إن شاء الله تعالى .

## فصل

الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحبّ ، ولا بدّ أن تنتهى الحبة بينهما إلى المهادة والتباعد والقلّى كما هو مشاهدٌ بالعيان ، فكل محبةٍ لغير الله آخرها قلّى وبغض ، فكيف إذا قارنها ما هو من أكبر السكبات ؟

وهذه عداوة بين يدي العداوة الكبرى التي قال الله تعالى فيها : ( الْأَخِلَاءُ  
يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ )<sup>(١)</sup> وسند ذكر إن شاء الله تعالى من  
ظفر بمحبوبه وترك قضاء وطره منه رغبة في بقاء محبته وخشية أن تنقلب قلبه  
وبعضاً في الباب الموعود به فإن ذلك أليق به . وأما الجماع المباح فإنه يزيد الحب  
إذا صادف مراد المحب ، فإنه إذا ذاق لذته وطعمه أوجب له ذلك رغبة أخرى  
لم تكن حاصلة قبل الذوق . ولهذا لا يكاد البكران يصبر أحدهما عن الآخر ،  
هذا ما لم يعرض للحب ما يفسده ويوجب ثقله إلى غير المحبوب . وأما ما احتج  
به الآخرون فجوابه أن الشهوة والإرادة لم تطفأ نارها بالكلية ، بل فترت  
شهوة ذلك الوقت ثم تعود أمثالها ، وإنما يظهر هذا إذا غاب أحدها عن حبيبه ،  
وإلا فما دام بمرأى منه وهو قادر عليه متى أحب فإن النفس تسكن بذلك  
وتطمئن به ، وهذا حال كل من كان بحضرته ما يحتاج إليه من طعام وشراب  
ولباس وهو قادر عليه ، فإن نفسه تسكن عنده ، فإذا حيل بينه وبينه اشتد طلبه  
له ونزاع نفسه إليه ، على أن الحب للشيء متى أفرط في تناول محبوبه فقرت  
نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية . وسيأتي مزيد بيان لهذا في باب سلو  
الحسين إن شاء الله تعالى .

## فصل

ودواعي الحب من المحبوب جماله ، إما الظاهر أو الباطن أوهما معاً ، فمتى  
كان جميل الصورة جميل الأخلاق والشميم والأوصاف كان الداعي منه أقوى ،  
وداعي الحب من المحب أربعة أشياء : أولها : النظر إما بالعين أو بالقلب إذا

وَصَنَفَ لَهُ ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَحِبُّ غَيْرَهُ وَيَفْنَى فِيهِ مَحَبَّةً وَمَا رَأَاهُ لَكِنْ وَصَفَ لَهُ ، وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْأَةَ أَنْ تَتَعَتَّ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا (والحديث في الصحيح) <sup>(١)</sup> ، اثنائي : الاستحسان ، فإن لم يورث نظره استحساناً لم تقع المحبة ، الثالث : الفكر في المنظور وحديث النفس به ، فإن شغل عنه بغيره مما هو أهمُّ عنده منه لم يعلّق حبه بقلبه ، وإن كان لا يعدم خطراتٍ وسوايح ، ولهذا قيل : العشق حركة قلبٍ فارغ . ومتى صادف هذا النظرُ والاستحسانُ والفكرُ قلباً خالياً تمكّن منه كما قيل :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَمَتَكُنَّا

فإن قيل : فهل يتوقف على الطمع في الوصول إلى المحبوب أم لا ؟ قيل : الناس في هذا على أقسام : منهم من يعشق الجمال المطلق ، فقلبه مُعلّق به إن استقلت ركائبه ، وإن حلت مضاربُه ، وهذا لا يتوقف عشقه على الطمع . ومنهم من يعشق الجمال المقيّد سواء طمعت نفسه في وصاله أم لم تطمع ، ومنهم من لا يعشق إلا من طمعت نفسه في وصاله ، فإن يئس منه لم يعلّق حبه بقلبه ، والأقسام الثلاثة واقعة في الناس ، فإذا وُجد النظرُ والاستحسانُ والفكرُ والطمعُ هاجت بلائُه ، وأمکن من معشوقه مقاتله ، واستحكم داؤه ، وعجزَ عن الأطباء دواؤه .

تَاللَّهِ مَا أَسَرَ الْهَوَى مِنْ عَاشِقٍ إِلَّا وَعَزَّ عَلَى النَّفُوسِ فَكَلَاكُهُ  
وإذا كان النظرُ مبدأً للعشق ، فحقيقٌ بالمطلق أن لا يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينه ، وإذا قد أفضى بنا الكلام إلى النظر فلنذكر حكمه وغائلته .

---

( ١ ) رواية البخارى : « لا تباشر المرأة المرأة فتتمتها لزوجها كأنه ينظر إليها ، ورواه أبو داود والترمذى والإمام أحمد في مسنده . ونعت : وصف .

## الباب السادس

في أمّ لام النظر وعائلته وما يجنى على صاحبه

قال الله تعالى : ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) الآية <sup>(١)</sup> فلما كان غَضُّ البصر أصلاً لحفظ الفرج بدأ بذكره ، ولما كان تحريره تحریم الوسائل فيباح للمصلحة الراجعة ، ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة ، لم يأمر سبحانه بغضّه مطلقاً بل أمر بالغض منه ، وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال ، لا يباح إلا بحقه ، فذلك عمّ الأمر بحفظه .

وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب ، فإذا غَضَّ العبدُ بصره غَضَّ القلب شهوته وإرادته ، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته . وفي الصحيح أن الفضل بن عباس رضي الله عنهما كان رديف <sup>(٢)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر من مُزْدَلِفَةَ إِلَى مِنًى ، فَمَرَّتْ ظَنُنُّ <sup>(٣)</sup> يَجْرِينِ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ إِلَى الشَّقِّ الْآخَرِ <sup>(٤)</sup> ، وهذا منع وإنكار بالفعل . فلو كان النظر جائزاً لأقرّه عليه . وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنى

( ١ ) الآيتان ٣٠ و ٣١ . سورة النور .

( ٢ ) الرديف . الراكب خلف الراكب .

( ٣ ) جمع ظمينة : الراحلة يرتحل عليها ، الهودج ، الزوجة .

( ٤ ) في البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم .

أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا حِمْلَةَ ، فَالْعَيْنُ تَرِنِي وَزِنَاهَا النَّظَرُ ، وَاللِّسَانُ يَزِنِي وَزِنَاهُ  
التُّنْقُ ، وَالرَّجْلُ تَرِنِي وَزِنَاهَا الْخَطَى ، وَالْيَدُ تَرِنِي وَزِنَاهَا الْبَطْشُ ،  
وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ <sup>(١)</sup> فبدأ بزني  
العين لأنه أصل زني اليد والرجل والقلب والفرج ، ونبه بزني اللسان  
بالكلام على زني الفم بالقبيل ، وجعل الفرج مصدقاً لذلك إن حقق الفعل ،  
أو مكذباً له إن لم يُحَقِّقْهُ . وهذا الحديث من أبيين الأشياء على أن العين  
تعصى بالنظر وأن ذلك زناها ، ففيه ردٌّ على من أباح النظر مطلقاً . وثبت عنه  
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَا عَلِيُّ لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى  
وَلَيْسَتْ لَكَ الثَّانِيَةَ <sup>(٢)</sup> » .

ووقعت مسألة : ما تقول السادة العلماء في رجل نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ نَظْرَةً  
فَعَلَقَ حَبْثًا بِقَلْبِهِ وَاسْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، فَقَالَتْ لَهُ نَفْسُهُ : هَذَا كُلُّهُ مِنْ أَوَّلِ نَظْرَةٍ  
فَلَوْ أَعَدَّتِ النَّظْرَةَ إِلَيْهَا لَرَأَيْتَهَا دُونَ مَا فِي نَفْسِكَ فَسَلَوْتَ عَنْهَا ، فَبَلَّ يَحُوزُ لَهُ تَعَمُّدُ  
النَّظَرِ ثَانِيًا لِهَذَا الْمَعْنَى ؟ .

فكان الجواب : الحمد لله لا يجوز هذا لعشرة أوجه : أحدها : أن الله  
سبحانه أمر بفضِّ البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرَّمه على العبد . الثاني : أن  
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن نظر الفجأة ، وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر  
بمداوئه بصرف البصر لا بتكرار النظر . الثالث : أنه صرَّح بأن الأولى له  
وليس له الثانية ، ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه فيما ليس له . الرابع :  
أن الظاهر قوة الأمر بالنظرة الثانية لاتناقضه ، والتجربة شاهدة به ، والظاهر

(١) أوردته المنذرى بنحوه وقال : رواه مسلم والبخارى باختصار والنسائي  
وأبو داود .

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود . كما قال الحافظ المنذرى .

أن الأمر كما رآه أول مرة فلا تحسنُ المخاطرة بالإعادة . الخامس : أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابه . السادس : أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسنٍ لِعَتَمِ البلية . السابع : أنه لا يُعَانُ على بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوى بما حرّمه عليه ، بل هو جديرٌ أن تتخلف عنه المعونة . الثامن : أن النظرة الأولى سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس ، ومعلومٌ أن الثانية أشدَّ سُمًّا فكيف يتداوى من السمِّ بالسمِّ ؟ . التاسع : أن صاحب هذا المقام في مقام معاملة الحق عزَّ وجلَّ في ترك محبوبٍ كما زعم ، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظور إليه ، فإن لم يكن مرضيًّا تركه ، فإذاً يكون تركه لأنه لا يلائم غرضه لا لله تعالى ، فأين معاملةُ الله سبحانه بترك المحبوب لأجله ؟ . العاشر : يتبين بضرب مثلٍ مطابقٍ للحال وهو أنك إذا ركبت فرساً جديداً فالت بك إلى درجٍ ضيق لا ينفذ ولا يمكنها تستدير فيه للخروج ، فإذا همت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل ، فإذا دخلت خطوةً أو خطوتين فصَّحَّ بها وردها إلى وراء عاجلاً قبل أن يتمكن دخولها ، فإن ردّدتها إلى ورأها سهل الأمر ، وإن توانيت حتى ولجت<sup>(١)</sup> وسقطتها داخلاً ثم قت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها ، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوفها إلى داخل ؟ فكذلك النظرة إذا أثرت في القلب ، فإن عجل الحازم وحسم المادّة من أولها سهل علاجه ، وإن كرّر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقاها إلى قلبٍ فارغٍ فنقشها فيه تمكنت الحجة ، وكما تواصلت النظرات كانت كلمات يسقى الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمى حتى يفسد القلب ويُعرض عن الفكر فيما أمر به ، فيخرج



بضاحه إلى الحن ، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن ، ويلقى القلب في التلّف . والسبب في هذا أن الناظر التذّت عينه بأول نظرة فطلبت المعاودة ، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة ، ولو أنه غَضَّ أولاً لاستراح قلبه وسَلِمَ ، وتأمّل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « النظرُ منهم مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبليس <sup>(١)</sup> » فإن السَّهْمَ شَأْنُهُ أَنْ يَسْرَى في القلب فيعمل فيه عمل السم الذي يُسْقَاهُ المسموم ، فإن بادر واستفرّغه وإلا قتله ولا بدّ .

قال المروزي : قلت لأحمد : الرجل ينظر إلى المملوكة . قال : أخاف عليه الفتنة ، كم نظرة قد أَلَت في قلب صاحبها البلابل <sup>(٢)</sup> . وقال ابن عباس : الشيطان من الرجل في ثلاثة : في نظره وقابه وذكره ، وهو من المرأة في ثلاثة : في بصرها وقلبها وعجزها .

## فصل

ولما كان النظر من أقرب الوسائل إلى الحرّم اقتضت الشريعة تحريمه ، وأباحته في موضع الحاجة ، وهذا شأن كل ما حرّم تحريم الوسائل فإنه يباح للمصلحة الراجحة ، كما حرّمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلة إلى التشبه بالكفار في سجودهم للشمس ، أبيحت للمصلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنائز وفعل ذوات الأسباب على الصحيح . وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النظرُ سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس فمن غَضَّ بصره عن محاسن امرأة أَوْرَثَ الله قلبه حلاوةً يجدّها

( ١ ) رواه الإمام أحمد في مسنده .

( ٢ ) جمع بلبال وبلباله : شدة الهم والوساوس .

إلى يَوْمٍ يَلْقَاهُ» ، أو كما قال . وقال جريرُ بن عبد الله رضى الله عنهما : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فأمرنى أن أصرف بصرى<sup>(١)</sup> . ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصدٍ من الناظر ، فما لم يَعْتَمِدْهُ القلبُ لا يُعَاقَبُ عليه ، فإذا نظر الثانيةَ تعمداً أثِمَ ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم عند نظرة الفجأة أن يَصْرِفَ بصره ولا يستديمَ النظرَ فإن استدامته كتكثيره ، وأرشدَ من ابْتُلِيَ بنظرة الفجأة أن يداويه بإتيان امرأته ، وقال : إِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا<sup>(٢)</sup> ، فإن في ذلك التسلي عن المطلوب بجنسه . والثاني أن النظر يثير قوة الشهوة فأمره بتنقيصها بإتيان أهله ، ففتنة النظر أصلُ كل فتنة كما ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ<sup>(٣)</sup> » ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ » وفي مسند محمد بن إسحاق السراج من حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي النِّسَاءُ وَالْخُمُرُ » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لم يكفر من كفر من منى إلا من قَبِلَ النساءَ ، وكفر من بقى من قَبِلَ النساءَ .

( ١ ) رواه مسلم وأبو داود والترمذى . كما قال الحافظ المنذرى .

( ٢ ) ورد الأمر بإتيان الأهل في مثل هذه الحالة في أحاديث رواها أحمد ومسلم وأبو داود .

( ٣ ) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه . كما قال السيوطى .

## فصل

وفي غصّ البصر عدّة فوائد : أحدها تخليص القلب من ألم الحسرة ، فإن من أطلق نظره دامت حسرتُه ، فأضرّ شيء على القلب إرسال البصر ، فإنه يرى ما يشتدّ طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه ، وذلك غاية ألمه وعذابه ، قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مَهْأَةٌ ، فجعلتُ أنظر إليها وأملأُ عيني من محاسنها فقالت لي : يا هذا ما شانك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :

و كنت متى أرسلتَ طرفك رائداً      لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ  
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ      عليه ولا عن بعضه أنت صابرٌ

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرميّة ، فإن لم تقتله جرحته ، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمي في الحشيش اليابس ، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل :

كل الحوادث مبداها من النظر      ومُعظمُ النار من مُستَصغِرِ الشرر  
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها      فتكت السهام بلا قوسٍ ولا وتر  
والمرء ما دام ذا عينٍ يُقلِّبها      في أعين الغيد موقوفٌ على الخطر  
يسرّ مقلّته ما ضرّ مهجته      لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضرر

والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر ، فهو إنما يرمي قلبه ، ولي من أبيات :

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً      أنت القليل بما ترمى فلا تُصيب  
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له      توقّه إنه يأتيك بالعطب

وقال الفرزدق :

تزوّد منها نظرة لم تدع له      فؤاداً ولم يشعُر بما قد تزوّدا  
فلم أر مقتولاً ولم أر قاتلاً      بغير سلاحٍ مثأما حين أقصدا

وقال آخر :

ومن كان يُؤتى من عدوّ وحاسدٍ      فإنّي من عيني أتيّت ومن قلبي  
هما اغتوراني<sup>(١)</sup> نظرة ثم فكرة      فما أبقيا لي كل من رقادٍ ولا لبّ

وقال آخر :

رمانى بها طرفي فلم تُخطِ مقاتي      وما كل من يُرمى تصاب مقاتله  
إذا مُت فابكوني قتيلاً لطرفه      قتيل صديقٍ حاضرٍ مايزيله

وقال ابن المعتز :

متيمٌ يرى نجومَ الدّجى      يبكي عليه رحمةً عاذله  
عيني أشاطت<sup>(٢)</sup> بدمي في الهوى      فابكوا قتيلاً بعضه قاتله

ومثله للمتنبي :

وأنا الذي اجْتَلَبَ المنيّة طرفه      فمن المطالب والقتيلُ القاتلُ

وقال أيضاً :

يانظرةً نفتِ ارْقَادَ وغادرت      في حدّ قلبي ما بقيتُ فلولا  
كانت من الكحلّاء سُؤلى وإنما      أجلي تمثّل في فؤادي سُولا

وقال أيضاً :

(١) اغتوراني : تداولاني .

(٢) أشاط دمه وأشاطه غيره أهلكه : أو عرضه للقتل

وَقِيَ الْأَمِيرُ مِنَ الْعْيُونِ <sup>(١)</sup> فَإِنَّهُ      مَالَا يَزُولُ بِأَسْهٍ وَسَخَاهُ  
يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمَى <sup>(٢)</sup> بِنَظَرَةٍ      وَيَحُولُ بَيْنَ فَوَادِهِ وَعَزَاهُ  
وَقَالَ الصُّورِيُّ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَعْ الْبُرُوقَ الْلَوَّاحَا      وَنَمَتْ جَرَى مِنْ تَحْتِكَ الْمِيلُ سَائِحَا  
غَرَسْتَ الْهُوَى بِالْحِظِّ ثُمَّ احْتَقَرْتَهُ      وَأَهْمَلْتَهُ مُسْتَأْنَسًا مُتَسَاهَا  
وَلَمْ تَدْرِ حَتَّى أَتَيْتَ شَجَرَاتَهُ      وَهَبَّتْ رِيَّاحُ الْوَجْدِ فِيهِ لَوَّاحَا  
فَأَمْسَيْتَ تَسْتَدْعِي مِنَ الصَّبْرِ عَازِبَا      عَلَيْكَ وَتَسْتَدْنِي مِنَ النَّوْمِ نَازِحَا <sup>(٣)</sup>  
وَدَخَلَ أَصْبَهَانُ مُعَنَّ فَكَانَ يَتَغَنَّى بِهِذَيْنِ الْيَتَيْنِ :

سَمَاعًا يَا عِبَادَ اللَّهِ مِنِّي      وَكَفُّوا عَنِ مِلَاحِظَةِ الْمَلَّاحِ  
فَإِنَّ الْحُبَّ آخِرُهُ الْمَنَايَا      وَأَوَّلُهُ شَسْبِيهِ بِالْمَزَاحِ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَشَادَنٍ <sup>(٤)</sup> لَمَّا بَدَا      أَسْلَمَنِي إِلَى الرَّدَى  
بِظَرْفِهِ وَلَطْفِهِ      وَظَرْفِهِ لَمَّا بَدَا  
أَرَدْتُ أَنْ أَصِيدَهُ      فَصَادَ قَلْبِي وَعَدَا

وَقَالَ آخَرُ يِعَاتِبُ عَيْنَهُ :

وَاللَّهِ يَا بَصْرِي الْجَانِي عَلَى جَسَدِي      لِأُظْفِنَ بِدَمْعِي لَوْعَةَ الْحَزَنِ  
تَاللَّهِ تَطْمَعُ أَنْ أَبْكِي هَوَى وَضَى      وَأَنْتَ تَشْبَعُ مِنْ غُمْضٍ وَمِنْ وَسَنِ  
هِيَهَاتَ حَتَّى تُرَى طَرْفًا بِلَا نَظَرٍ      كَمَا أُرَى فِي الْهُوَى شَخْصًا بِلَا بَدَنِ

(١) فِي دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّئِي : وَقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعْيُونِ .

(٢) الْكَمَى : النُّجَاعُ ، الْجَرَى ، الْمَقْدَامُ كَانَ عَلَيْهِ السِّلَاحُ أَوْ لَمْ يَكُنْ .

(٣) عَازِبَا وَنَازِحَا : بِمَعْنَا .

(٤) الشَّادَنُ : وَلَدُ الظُّبَيْيَةِ وَجَمْعُهُ شَوَادِنُ .

وقال آخر :

يامن يرى سقى يزيدُ      وعَلَى أَعْيَتْ طيبي  
لا تعجبَنَّ فهكذا      تَجْنَى العيونُ عَلَى القلوب

وقال آخر :

لواحظنا تجنى ولا عِلْمَ عندنا      وأنفسنا مأخوذةٌ بالجرار<sup>(١)</sup>  
ولم أَرَى أغبى من نفوسٍ عفائفٍ      تُصَدِّقُ أخَارَ العيونِ الفواجر  
ومن كانت الأجنان حُجَابَ قلبه      أَذِنَ عَلَى أحشائه بالفواقِر<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

ومستفتح باب البلاء بنظرةٍ      تزود منها قلبه حَسْرَةَ الدهر  
فوالله ما تدرى أيدرى بما جث      على قلبه أم أهلكته وما يدرى

وقال آخر :

أنا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي  
ينظر الطرف ويهوى القلبُ والمقصودُ حَتْفِي

وقال الخفاجي<sup>(٣)</sup>

رَمَتْ عَيْنَهَا عَيْنِي وراحت سليمةً      قَمَنْ حَاكَمَ بَيْنَ الكَحِيلَةِ والعَبْرِي<sup>(٤)</sup>  
فيا طَرْفُ قد حَذَرْتُكَ النظرةَ التي      خَلَسْتَ فَمَا رَاقَبْتَ نَهْيًا وَلَا زَجْرًا

( ١ ) الجرار جمع جريرة : الذنوب والجنايات .

( ٢ ) الفواقِر جمع فاقرة : الدواهي .

( ٣ ) هو عبد الله بن سعيد المعروف بابن سنان الخفاجي وهو غير الشهاب أحمد الخفاجي فَإِنْ هَذَا متأخر .

( ٤ ) العبري : الباكية .

وياقلبُ قد أرداك طرفي مرّةً فويحك لم طاوَعته مرّةً أُخرى  
ولى من أبياتٍ لعل معناها مبتكر :

ألم أقل لك لا تسرق ملاحظةً فسارقُ اللحظ لا ينجو من الدرك<sup>(١)</sup>  
نصبتُ طرفي له لما بدا شرّاً فكان قلبي أولى منه بالشرّك

الفائدة الثانية أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظفر في العين وفي الوجه  
وفي الجوارح ، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه .  
ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى : ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ) عقيب قوله : ( قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ )<sup>(٢)</sup> وجاء  
الحديث مطابقاً لهذا حتى كأنه مشتق منه وهو قوله : « النظره سهمٌ مسمومٌ من  
سهم إبليس ، فمن غضّ بصره عن محاسن امرأةٍ أورث الله قلبه نوراً »<sup>(٣)</sup>  
الحديث .

الفائدة الثالثة أنه يورث محبة الفراسة فإنها من النور وممراته ، وإذا استدار  
القلب محبة الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرأة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي ،  
والنظر بمنزلة التنفّس فيها ، فإذا أطلق العبدُ نظره تنفّست نفسه الشعداء في  
مرّة قلبه فطمست نورها كما قيل :

مرّة قلبك لا تترك صلاحه والنفس فيها دائماً تنفّس

وقال شجاع الكرماني : من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام  
المراقبة ، وغضّ بصره عن المحارم ، وكفّ نفسه عن الشهوات ، وأكل من

( ١ ) الدرك : النبعة أو العقاب وهي ما يترتب على الفعل من الخير والشر إلا  
أن استعمله في الشر .

( ٢ ) الآيتان ٣٥ و ٣٠ . سورة النور .

( ٣ ) تقدم هذا الحديث في ص ( ٩٦ ) وفيه : أورث الله قلبه حلاوة .

الحلال لم تخطيء فراسته . وكان شجاع لا تخطيء له فرائسه . والله سبحانه وتعالى يحزى العبد على عمله بما هو من جنسه ، فمن غضَّ بصره عن المحارم عوَّضه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته ، فلما حبس بصره الله أطلق الله نور بصيرته ، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته .

الفائدة الرابعة أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ، ويسهل عليه أسبابه ، وذلك بسبب نور القلب ، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات ، وانكشفت له بسرعة، ووثق من بعضها إلى بعض . ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم ، وأنسد عليه باب العلم وطرقه .

الفائدة الخامسة أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته ، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة . وفي الأثر : إن الذي يخالف هواه يفرق<sup>(١)</sup> الشيطان من ظله ، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضا . قال الحسن : إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين<sup>(٢)</sup> إن ذل المعصية لفي قلوبهم . أباي الله إلا أن يذل من عصاه . وقال بعض الشيوخ : الناس يطالبون العز بأبواب الملوك ، ولا يحدونه إلا في طاعة الله . ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه ، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه ، وفيه قسطن نصيب من فعل من عاداه بمعاصيه ، وفي دعاء القنوت : إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت .

الفائدة السادسة أنه يورث القلب سروراً وفرحة ، وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر ، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه ،

(١) يفرق : يخشى ويخاف .

(٢) الهملجة : حسن سير الدابة . والبططقة : حكاية صوت حوافر الدواب .

وللبراذين : الدواب مفردهما برذون وبرذونة .



وأيضاً فإنه لما كفَّ لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرةٌ نفسه الأمارة بالسوء أعضاء الله سبحانه مسرةً ولذةً أكلَ منها ، كما قال بعضهم : والله لَلَّذَّةُ العفة أعظمُ من لَذَّةِ الذنب . ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبتها ذلك فرحاً وسروراً ولذةً أكلَ من لَذَّةِ موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما . وهاهنا يمتاز العقل من الهوى .

الفائدة السابعة أنه يُخَلِّص القلبَ من أسر الشهوة ، فإن الأسير هو أسيرُ شهوته وهواه ، فهو كما قيل :

\* طليق برأى العين وهو أسير \*

ومتى أسرت الشهوةُ والهوى القلبَ تمسَّك منه عدوُّه وسامه سوء العذاب وصار :

كعصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يسومها حياض الردى والطفلُ يلهو ويلعب الفائدة الثامنة أنه يسدُّ عنه باباً من أبواب جهنم ، فإن النظر بابُ الشهوة الحاملة على مُواقعة الفعل ، وتحريمُ الرب تعالى وشرعه حجابٌ مانعٌ من الوصول ، فمتى هتك الحجاب ضرى<sup>(١)</sup> على المحذور ، ولم تقف نفسه منه عند غاية ، فإن النفس في هذا الباب لا تقف بغاية تقف عندها ، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد ، فصاحب الطارف لا يقنعه التليد<sup>(٢)</sup> ، وإن كان أحسن منه منظراً وأطيب نخباً ، فغضُّ البصر يسدُّ عنه هذا الباب الذى عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه .

الفائدة التاسعة أنه يقوى عقله ويزيده ويثبتته ، فإن إطلاق البصر وإرساله

(١) ضرى به أو عليه : لزمه وأولع به ، اعتاده وتجراً عليه .

(٢) التليد . القديم وضده الطارف .

لَا يَحْصُلُ إِلَّا مِنْ خِيفَةِ الْعَقْلِ وَطَيْشِهِ وَعَدَمِ ملاحظته للعواقب ، فَإِنْ خَاصَّةً الْعَقْلُ ملاحظَةً الْعَوَاقِبِ . وَمُرْسِلُ النَّظَرِ لَوْ عَلِمَ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُ نَظَرِهِ عَلَيْهِ لَمَا أَطْلَقَ صَرَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

بِوَأَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ سَبَبًا حَتَّى يَفَكَّرَ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُهُ  
الفائدة العاشرة أنه يُخَلِّصُ الْقَلْبَ مِنْ سُكْرِ الشَّهْوَةِ وَرَقْدَةِ الْغَفْلَةِ ، فَإِنْ  
إِطْلَاقَ الْبَصَرِ يُوجِبُ اسْتِحْكَامَ الْغَفْلَةِ عَنْ اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ ، وَيُوقِعُ فِي سَكْرَةِ  
الْعَشْقِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِشَاقِ الصُّورِ : ( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ  
يَعْمَهُونَ )<sup>(١)</sup> . فَالنَّظَرَةُ كَأْسٌ مِنْ خَمْرٍ ، وَالْعَشْقُ هُوَ سُكْرُ ذَلِكَ الشَّرَابِ ،  
وَسُكْرُ الْعَشْقِ أَعْظَمُ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ ، فَإِنْ سَكِرَ الْخَمْرُ يُفَيِّقُ ، وَسَكِرَ الْعَشْقُ  
قَلَمَا يُفَيِّقُ إِلَّا وَهُوَ فِي عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ ، كَمَا قِيلَ :

سَكِرَ الْخَمْرُ هَوًى وَسُكْرُ مَدَامَةٍ وَمَتَى إِفَاقَتُهُ مَنْ بِهِ سُكْرَانُ ؟  
وفوائد غُضِّ الْبَصَرِ وَأَفَاتُ إِرساله أضعافُ أضعافٍ مَا ذَكَرْنَا ، وَإِنَّمَا  
نَبَّهْنَا عَلَيْهِ تَنْبِيْهًا وَلَا سِيَّما النَّظَرَ إِلَى مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ سَبِيلًا إِلَى قِضَاءِ الْوَطَرِ مِنْهُ  
شَرْعًا ، كَالْمُرْدَانِ الْحَسَنِ ، فَإِنْ إِطْلَاقَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ السَّمُّ النَّاقِعُ<sup>(٢)</sup> وَالْداءُ  
الْعُضَالُ<sup>(٣)</sup> . وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ مِنْ حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ مُرْسَلًا . قَالَ :  
قَدِمَ وَفَدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَمْرُدُ ظَاهِرُ  
الْوَضَاءِ<sup>(٤)</sup> ، فَأَجْلَسَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَقَالَ : كَانَتْ خَطِيئَتُهُ  
مِنْ مَضَى مِنَ النَّظَرِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَحْدُ النَّظَرَ إِلَى

( ١ ) الآية ٧٢ . سورة الحجر .

( ٢ ) السم الناقع : البالغ الأثر ، القاتل .

( ٣ ) الداء العضال : الشديد المعجز ، الذي لا طِبَّ لَهُ .

( ٤ ) الوضاء : الحسن والجمال والنظافة

الغلام الأمرد فاتهموه . وقد ذكر ابن عدي في كامله من حديث بقية عن  
الوازع عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد ، وكان إبراهيم  
النخعي وسفيان الثوري وغيرهما من السلف ينهون عن مجالة المردان . قال  
النخعي : مجالستهم فتنه وإنما هم بمنزلة النساء . وبالجملة فكم من مرسل لحظاته  
رجع بجيش صبره مغلولاً ، ولم يُقلع حتى تشحط<sup>(١)</sup> بينهم قتيلاً .

يا ناظرأ ما أقلعت لحظاته حتى تشحط بينهن قتيلاً

---

(١) تشحط : تخبط واضطرب وتمرغ .

## الباب السابع

في ذكر مناظرة بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما

لما كانت العين رائداً ، والقلب باعناً وطالبا ، وهذه لها لذة الرؤية ، وهذا له لذة الظفر ، كانا في الهوى شريكي عنان . ولما وقعا في العناء ، واشتركا في البلاء ، أقبل كل منهما يلوم صاحبه ويعاتبه .

فقال القلب للعين : أنت التي سقتني إلى موارد الهلكات ، وأوقعيني في الحسرات بمتابعتك اللحظات ، ونزعت طرفك في تلك الرياض ، وطلبت الشفاء من الخلق المراض ، وخالفت قول أحكم الحاكمين : ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ )<sup>(١)</sup> وقول رسوله صلى الله عليه وسلم : ( النَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ ، فَمَنْ رَكَهُ [ مِنْ ] خَوْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَثَابَهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » ، ( رواه الإمام أحمد ) حدثنا هشيم ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن محارب بن دثار ، عن صلة ، عن حذيفة .

وقال عمر بن شبة : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا عنبة بن عبد الرحمن القرشي ، حدثنا أبو الحسن المدني ، حدثنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَفَرُ الرَّجُلِ فِي مُحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ مَسْمُومٌ ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ السَّهْمِ أَغْقَبَهُ اللَّهُ عِبَادَةَ تَسْرَهُ »<sup>(٢)</sup> . فَمَنْ الْمَلُومُ سِوَى مَنْ رَمَى صَاحِبَهُ بِالسَّهْمِ الْمَسْمُومِ أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ ؟ فَمَا عَطِبَ .

( ١ ) الآية ٣٠ . سورة النور .

( ٢ ) تقدمت هذه الأحاديث في المعجمتين ٩٥ و ٩٦ .

أَكْثَرُ مِنْ عَطَبَ إِلَّا بَهِمَا ، وَمَا هَلَكَ أَكْثَرُ مِنْ هَلَكَ إِلَّا بِسَبَبِهِمَا ، فَاللهُ كَمَ مِنْ مَوْزِدِ هَلَكَةٍ أَوْ رَدَاهُ ، وَمَصْدَرِ رَدَّى عَنْهُ أَصْدَرَاهُ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا سَعِيداً أَوْ يَعْيشَ حَمِيداً فَلْيَقْضَ مِنْ عِنَانِ طَرَفِهِ وَلِسَانِهِ لِيَسْلَمَ مِنَ الضَّرَرِ ، فَإِنَّهُ كَأَمَّنْ فِي فَضُولِ الْكَلَامِ وَفَضُولِ النَّظَرِ . وَقَدْ صَرَّحَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِأَنَّ الْعَيْنَيْنِ تَزْنِيَانِ وَهِيَ أَصْلُ زَنِ الْفَرْجِ ، فَإِنَّهُمَا لَهُ رَأْدَانِ ، وَإِلَيْهِ دَاعِيَانِ ، وَقَدْ سَثَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرَةِ الْفَجَاءَةِ فَأَمَرَ السَّائِلَ أَنْ يَصْرِفَ بَصَرَهُ ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى مَا يَنْفَعُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ ضَرَرَهُ ، وَقَالَ لَابْنِ عَمَةٍ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ مُحَمَّدٌ رَأً لَهُ مِمَّا يَوْقَعُ فِي الْفِتْنَةِ وَيُورِثُ الْحَسْرَةَ : « لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ » (١) .  
أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعُقَلَاءِ : مَنْ سَرَّحَ نَازِرَهُ ، أَتَعَبَ خَاطِرَهُ ، وَمَنْ كَثُرَتْ لَحْظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسَرَاتُهُ ، وَضَاعَتْ عَلَيْهِ أَوْقَاتُهُ ، وَفَاضَتْ عِبْرَاتُهُ ، وَقَوْلُ النَّازِمِ (٢) :

نَظَرُ الْعَيُونِ إِلَى الْعَيُونِ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمَهْلَكَ إِلَى الْفَوَادِ سَبِيلًا  
مَا زَالَتْ اللَّحْظَاتُ تَغْزُو قَلْبَهُ حَتَّى تَشَحَّطَ يَنْهِنُ قَتِيلًا  
وَقَالَ آخِرُ (٣) :

تَمَتَّعْتُمَا يَا مَقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ وَأُورِدْتُمَا قَلْبِي أَمْرَ الْمَوَارِدِ  
أَعْنَيْ كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ سَعَى اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدٍ

## فصل

قَالَتِ الْعَيْنُ . ظَلَمْتَنِي أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَبُؤْتَ يَأْتِي بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَمَا أَنَا

(١) تقدمت هذه الأحاديث في الصفحات ٩٥ و ٩٦ .

(٢) البيتان لابن مرداس كما جاء في سحر العيون .

(٣) البيتان للأرجاني كما جاء في تزيين الاشواق وفيهما : أعيناي .

إِلَّا رَسُولُكَ الدَّاعِي إِلَيْكَ ، وَرَأَيْدُكَ الدَّالُّ عَلَيْكَ .

وَإِذَا بَعَثْتَ بَرَأئِدٍ نَحْوَ الَّذِي تَهْوَى وَتَعْتَبِيهِ ظَلَمْتَ الرَّائِدَا  
فَأَنْتَ الْمَلِكُ الْمَطَاعُ ، وَنَحْنُ الْجُنُودُ وَالْأَتْبَاعُ . أُرَكِبْتَنِي فِي حَاجَتِكَ خَيْلَ  
الْبَرِيدِ ، ثُمَّ أَقْبَلْتَ عَلَيَّ بِالْتَهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ . فَلَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَغْلِقَ عَلَى بَابِي ، وَأُرْخِيَ  
عَلَيَّ حِجَابِي ، لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ ، وَلَمَّا رَعَيْتَ فِي الْحِمَى <sup>(١)</sup> وَرَتَعْتَ ، أُرْسَلْتَنِي  
لِصَيْدٍ قَدْ نُصِبَتْ لَكَ حَبَائِلُهُ وَأَشْرَاكُهُ ، وَاسْتَدَارَتْ حَوْلَكَ فِخَاخُهُ وَشِبَاكُهُ .  
فَعَدَوْتَ أَسِيرًا ، بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أَمِيرًا ، وَأَصْبَحْتَ مَمْلُوكًا ، بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مَلِيكًا .  
هَذَا وَقَدْ حَكَمَ لِي عَلَيْكَ سَيِّدُ الْأَنْامِ وَأَعْدَلُ الْحُكَامِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، حَيْثُ  
يَقُولُ : « إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَإِذَا  
فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ <sup>(٢)</sup> » ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ : الْقَلْبُ مُلْكٌ وَالْأَعْضَاءُ جُنُودُهُ ، فَإِنْ طَابَ الْمَلِكُ طَابَتِ جُنُودُهُ ، وَإِذَا  
خَبُثَ الْمَلِكُ خَبُثَتِ جُنُودُهُ . وَلَوْ أَنْعَمْتَ النَّظَرَ لَعَلِمْتَ أَنَّ فُسَادَ رَعِيَّتِكَ بِفُسَادِكَ ،  
وَصَلَاحُهَا وَرَشْدُهَا بِرِشَادِكَ ، وَلَكِنَّكَ هَلَكَتْ وَأَهْلَكَتْ رَعِيَّتَكَ ، وَحَمَلْتَ  
عَلَى الْعَيْنِ الضَّعِيفَةِ خَطِيئَتَكَ ، وَأَصْلَ بَلِيَّتِكَ أَنَّهُ خَلَا مِنْكَ حُبُّ اللَّهِ وَحُبُّ  
ذِكْرِهِ وَكَلَامِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَأَقْبَلْتَ عَلَى غَيْرِهِ وَأَعْرَضْتَ عَنْهُ ، وَتَعَوَّضْتَ  
بِحُبِّ مَنْ سِوَاهُ وَالزَّغْبَةَ فِيهِ مِنْهُ . هَذَا وَقَدْ سَمِعْتَ مَا قَصَّ عَلَيْكَ مِنْ إِنْكَارِهِ  
سُبْحَانَهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَبْدَاهُمْ طَعَامًا بِطَعَامٍ أَذْنَى مِنْهُ ، فَذَمَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ  
وَنَعَاهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : « أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ <sup>(٣)</sup> »

( ١ ) الْحِمَى : الْمَوْضِعُ فِيهِ كَلَّا يَحْمَى مِنَ النَّاسِ أَنْ يَرْعَى فِيهِ . وَحَمَى اللَّهُ حِمَارَهُ  
وَرَتَعَتِ الْمَاشِيَةُ : رَعَتْ كَيْفَ شَاءَتْ فِي خَصْبٍ وَسَعَةٍ .

( ٢ ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

( ٣ ) الْآيَةُ ٦١ . سُورَةُ الْبَقَرَةِ .

فكيف بمن استبدل بمحبة خالقه وفاطره ، ووليّه ومالك أمره ، الذى لاصلاح له ولا فلاح ، ولا نعيم ولا سرور ، ولا فرحة ولا نجاة ، إلا بأن يوحّده فى الحب ، ويكون أحبّ إليه مما سواه ، فانظر بالله بمن استبدلت ؟ وبمحبة من تعوّضت ؟ رضيت لنفسك بالحبس فى الحبس <sup>(١)</sup> ، وقلوبٌ محبيه تجول حول العرش . فلو أقبلت عليه وأعرضت عن سواه لرأيت العجائب ، ولأمنت من المتالف والمعاطب ، أو ما علمت أنه خصّ بالفوز والنعيم ، من أتاه بقلب سليم ، أى سليمٍ مما سواه ، ليس فيه غيرُ حبه واتباع رضاه . قالت . وبين ذنبى وذنبك عتد الناس كما بين عمامى وعماك فى القياس . وقد قال من بيده أزمته الأمور : ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ <sup>(٢)</sup> ) .

## فصل

فلما سمعت الكبد تحاورها الكلام ، وتناوولهما الخصام ، قالت : أنما على هلاكى تساعدتما ، وعلى قتلى تعاونتما . ولقد أنصف من حكى مناظرتكما ، وعلى لسانى منظماً منكما :

يقول طرفى لقلبي هيجت لى سقماً      والعينُ تزعمُ أن القلبَ أنسكاها <sup>(٣)</sup>  
والجسمُ يشهد أن العينَ كاذبةٌ      وهى التى هيجت للقلبِ بلّواها  
نولا العيونُ وما ينجنين من سقمٍ      ما كنتُ مطرَحاً من بعضِ قتلاها  
فقال الكبدُ المظلومةُ اتّيدا      قطعتمانى وما راقبنا الله

(١) الحبس مثلثة : البستان . وهو أيضاً المخرج . وكانوا يعضون حوائجهم فى البساتين .

(٢) الآية ٤٦ . سورة الحج .

(٣) أنسكاها : أوقع بها ، ونسكى : غلب وقهر وانتهى .

وقال آخر (١) :

يقول قلبي لطرفي أن بكى جزءاً      تبكى وأنت الذى حَمَلْتَنى الوجعاً  
فقال طرفي له فيما يعاتبه      بل أنت حَمَلْتَنى الآمال والطَّمَعاً  
حتى إذا ما خلا كلُّ بصاحبه      كلاهما بطويل السَّقم قد قَنِعَا  
نادتهما كبدي لا تَبْعِدَا فلقد      قطعتماني بـ لاقيما قَطْعاً  
وقال آخر :

عابتُ قلبي لما      رأيتُ جسمي نحيلاً  
فألزم القلبُ طرفي      وقال كنتَ الرسولاً  
فقال طرفي لقلبي      بل كنتَ أنتَ الدليلُ  
فقلتُ كُفّاً جميعاً      تركتاني قتيلاً

ثم قالت : أنا أتولى الحكم بينكما . أنما في البالية شريكاً عِنان ، كما أنكما  
في اللذة والمسرة قسارهان . فالعينُ تلتذُّ ، والقلبُ يَتَمَنَّى ويشتهي ، ولهذا قال  
فيكما القائل :

ولما سلَّوتُ الحبَّ بَشَرٌ ناظري      لقلبي فقال القلبُ لى ولك الهنا  
تَخَاصَّتْ من إحياء ليلِكَ ساهراً      وخلصتني من لوعة الهجر والضنا  
كلانا مُهنّاً بالبقاء فإنَّ تعدُّ      فلا أنتَ يقيقكَ الغرامُ ولا أنا  
وإن لم تُدِرْكم عنايةً مُقَلِّبِ القلوب والأبصار ، وإلا فمالك من قرّة  
ولا للقلب من قرار ، قال الشاعر :

فوالله ما أدرى أنفسي ألومها      على الحبِّ أم عيني المشومة أم قلبي  
فإن لمْتُ قاي قال لي العينُ أبصرتُ      وإن لمْتُ عيني قالت الذنبُ للقلب



فعبني وقلبي قد تقاسمتا دمي فيارب كن عوناً على العين والقلب  
 قالت: ولما سقيت القلب ماء المحبة بكؤوسك ، أوقدت عليه نار الشوق  
 فارتفع إليك البخار ، فتقاطر منك فشرقت بشربه أولاً ، وشرقت بحر ناره  
 ثانياً ، قال :

خذي يدي ثم اكشفي الثوب فانظري ضني جسدي لكنني أنست  
 وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنهما روح تذب فتقطر  
 قالت : والحاكم بينكما الذي يحكم بين الروح والجسد إذا اختصما بين يديه  
 فإن في الأثر المشهور : لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم  
 الروح والجسد فيقول الجسد للروح : أنت الذي حركتني وأمرتني  
 وصرفتني ، وإلا فأنا لم أكن أتحرك ولا أفعل بدونك . فتقول الروح له :  
 وأنت الذي أكلت وشربت وبأشرت وتنعمت ، فأنت الذي تستحق العقوبة ،  
 فيُرسل الله سبحانه إليهما ملكاً يحكم بينهما فيقول : مثلكما مثل مقعد  
 بصير وأعمى يمشي ، دخلاً بستاناً فقال المقعد للأعمى : أنا أرى ما فيه من الثمار  
 ولكن لا أستطيع القيام ، وقال الأعمى : أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر  
 شيئاً ، فقال له المقعد : تعال فأحملني فأنت تمشي وأنا أتناول ، فعلى من تكون  
 العقوبة ؟ فيقول : عليهما ، قال فكذلك أنتم<sup>(١)</sup> . وبالله التوفيق .

## الباب الثامن

في ذكر السبب التي اصبحت بها من أباح النظر

إلى ما لا محل له من الاعتراف به وأباح عطفه

قالت هذه الطائفة : بيننا وبينكم الكتاب ، والسنة ، وأقوال أئمة الإسلام والمعتول الصحيح .

أما الكتاب فقولهُ تعالى : ( أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ )<sup>(١)</sup> وهذا يعمّ جميع ما خلق الله فما الذي  
أخرج من عمومهِ الوجه الملبح ؟ وهو من أحسن ما خلق . وموضع الاستدلال به  
والاعتبار أقوى ، ولذلك يسبّحُ الخالق سبحانه عند رؤيته ، كما قال بعض  
الناظرين إلى جميل الصورة :

ذى طلعةٍ سبحانَ فائقٍ صبحه ومماطفٍ<sup>(٢)</sup> جلّت يمينُ الفارس  
مرّت بأرجاء الخيال طيوفهُ فبكت على رسم السلوة الدارس<sup>(٣)</sup>

ورؤية الجمال البديع تُنطقُ السّنة الناظرين بقولهم : سبحان الله ربّ  
العالمين ، وتبارك الله أحسنُ الخالقين ، والله تعالى لم يخلق هذه المحاسن عبثاً ،  
وإنما أظهرها ليستدلّ الناظرُ إليها على قدرته ووحدانيته وبديع صنعه ، فلا  
تُعطلَ عما خلقت له .

وأما السّنة فالحديثُ المشهور : « النَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْمَلِيحِ عِبَادَةٌ<sup>(٤)</sup> » .

---

( ١ ) الآية ١٨٤ . سورة الأعراف .

( ٢ ) المواضع التي تتشبه من الجسد .

( ٣ ) درس درساً . عفا وذهب أثره وبلى وتقادم عهده .

( ٤ ) سيأتي الكلام على هذا الحديث وما بعده في الباب التاسع .

وفي الحديث الآخر : « أَطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ » . وفي هذا إرشادٌ إلى تصفُّح الوجوه وتأملها . وخطب رجلٌ امرأةً فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم في نكاحها ، فقال : هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا ؟ فقال : لا ، قال : اذهبْ فانظرْ إليها . ولو كان النظرُ حراماً لما أطلق له أن ينظر فإنه لا يأمن الفتنة .  
وأما أقوال الأئمة فحكى السمعاني أن الشافعي رضى الله عنه كتب إليه رجلٌ في رقعة :

سل المفتيَ المكيَّ هل في تراوُرٍ ونظرةٍ مشتاقٍ الفؤادِ جناحٌ <sup>(١)</sup>  
فأجابه الشافعي :

معاذُ إِلهِ الْعَرْشِ أَنْ يُذْهَبَ الْعَقْيُ تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ  
وذكر الخرائطي هذا السؤال والجواب عن عطاء بن أبي رباح ،  
وأوله : سألت عطاء المكيَّ . وذكر الحاكم في مناقب الشافعي رضى الله عنه  
من شعره :

يقولون لا تنظر وتلك بَلِيَّةٌ أَلَا كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بَدَّ نَاضِرٍ  
وليس أكتحالُ العينِ بالعينِ رِيَّةٌ إِذَا عَفَّ فِيمَا بَيْنَ الضَّمَامِ  
وذكر الاستربادي في كتاب مناقب الشافعي أن رجلاً كتب إلى سعيد  
ابن المسيَّب :

يَا سَيِّدَ التَّابِعِينَ وَالْبَرَرَةِ نَسِيتُ فِي الْعَشَقِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ  
فَكُنْ بِقَتَوَاكِ مُشْفِقًا رَقِيقًا بَاهِيَ بِكَ اللَّهُ أَكْرَمَ الْبَرَرَةِ  
هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ لَكُمْ خَدَّ فَتَى أَوْصَافُهُ بِالْجَمَالِ مُشْتَهَرَةِ

فأجابه سعيد :

ياسائلى عن خفىٍّ لَوَعَتَه      عليك بالصبر تحمَدَنَّ أثرَه  
ولا تكن طالباً لفاحشةٍ      أو كالذى ساق سبيله مطرَه  
وراقب الله واخشَ سَطَوَتَه      وخالف الفاسقين والفَجَرَه  
وقبل الخلد من حبيبك ذا      فى كل يومٍ وليلةٍ عَشَرَه  
وقال أبو العباس المبرِّد فى الكامل : قال أعرابى أنشدنيه أبو العالية :  
سألت الفتى المكيَّ ذا العلم ما الذى      يحلّ من التقبيل فى رمضان  
فقال لى المكيُّ أما لزوجةٍ      فسبعٌ وأما خُلَّةٌ<sup>(١)</sup> فثمان  
وذكر أبو بكر الخطيب فى كتابٍ رواه مالك عن بعضهم :

أقول لُفَّتَ بين مَكَّةَ والصفَا      لك الخيرُ هل فى وصلهنَّ حرام  
وهل فى صَمُوتِ الحِجْلِ مَهْضُومَةُ الحِشَا

عَذَابِ الثَّانِيَا إِن لَثَمْتُ أَثَامَ<sup>(٢)</sup>  
فقال لى الملقى وسالت دموعه      عَلَى الخلدٍ من عينيه فهى تُؤَامُ  
ألا ليتنى قَبَّلْتُ تلكَ عَشِيَّةً      يِطْنُ مِنِّى والمُحَرِّمونَ نِيَامُ

وقال الحاكم فى كتاب مناقب الشافعى : حدثنا أبو العلاء بن كوشيار  
الحارى ، أنبأنا على بن سليمان الأُخفش ، عن محمد بن الجهم قال : سمعت الربيع  
يقول . حضرت الشافعى بمكة وقد دفع إليه رجلٌ رقعة فيها :

- 
- ( ١ ) الخلة : المداينة والمحبة التى تخلّت القلب والصدىق يستوى فيه المذكر  
والمؤنث ، وخلّة الإنسان أهل مودته وخلّة الرجل : الزوجة .  
( ٢ ) الحجل : القيد وهو الخلخال أيضاً . وجارية صموت : لا يسمع لخلخالها  
صوت لامتلاء ساقها ، ومهضومة الحشا : ضامرة البطن .

أقول لمفتى خَيْفِ مَكَّةَ والصفَا      لك الخَيْرُ هل في وصلهنَّ حرام  
 وهل في صَمُوتِ الحَجَلِ مهْضومة الحشا  
 عَذَابِ الثَّنايا إِنْ كَثُمْتُ أَثَام  
 قال فوقَّع الشافعي فيها :

فقال لي المفتى وفاضت دموعه      عَلَى الخَدِّ من عَيْنٍ وهنَّ تُؤَام  
 أَلَا لَيْتَنِي قَبَّلْتُ تِلْكَ عَشِيَّةً      يَبْطِنُ مِنِّي والمُحَرِّمونَ قِيَام  
 وقال عمرو بن سفيان ابن ابنة جامع بن مُرْخِيَّة<sup>(١)</sup> :

إِنَّا سَأَلْنَا مَالِكاً وَقَرِينَهُ      لَيْثَ بْنَ سَعْدٍ عَنِ لِثَامِ الْوَاقِ<sup>(٢)</sup>  
 أَيْحُوزُ قَالَا وَالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى      مَا حَرَّمَ الرَّحْمَنُ قُبْلَةَ عَاشِق  
 ذكر ذلك صاحب كتاب رستاق الاتفاق وهو شاعر المصريين، وأنشد  
 فيه عمرو بن سفيان هذا وكتب بها إلى ابن عُيَيْنَةَ :

قلنا لسفيان الهلالي مرَّةً      حَرَّمْتَ ضَمَّ الْعَاشِقِ الْمُشْتَاقِ  
 لِحُبِّهِ مِنْ بَعْدِ نَأْيٍ نَالَهُ      فَأَجَابَ لَا وَالْوَاحِدِ الْخُلَاقِ  
 وأنشد فيه لجده جامع ، وكتب بها إلى علي بن زيد بن جدعان :  
 سألنا ابن جدعان بن عمرو أخا العلا      أَيْحَرُّمُ نَحْمُ الْحُبِّ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ  
 فقال لنا المسكِيُّ وناهيك علمه      أَلَا لَا وَمَنْ قَدْ جَاءَ بِالشَّعْفِ وَالْوَتْرِ  
 وأنشد لإبراهيم بن المدبر وكتب بها إلى أبي بكر بن عياش أحد  
 أئمة القراء :

---

(١) في تاج العروس : ومرخية كحسنة لقب جامع بن مالك بن شداد قال :  
 وفي النكحلة لقب جامع بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن قلاب .  
 (٢) الواق : الحب .

سألت ابن عيَّاشٍ وكان معلِّماً لك الخيرُ هل في ضِمة الحب من وِزر  
فقال أبو بكر ولا في لِشامه ألم يأتنا التذييل بالوَضْع للإضر  
وأنشد لآخر : وكتب بها إلى الإمام أحمد بن حنبل قال : وزعم بعضهم  
أنه إسحاق بن مُعَاذ بن زهير شاعر أهل مصر في وقته :

سألتُ إمام الناسَ تَجَلَّ ابنَ حَنْبَلٍ عن الضمِّ والتقبيل هل فيه من باس  
فقال إذا جُلَّ العِزَّاءُ فواجِبُ لأنك قد أحييت عبداً من الناس  
وأنشد لابن مُرْخِيَّة ، وكتب بها إلى أبي حنيفة :

كتبتُ إلى النعمان يوماً رسالةً نسأله عن لَثَمِ حَبٍّ مَمْنَعٍ  
فقال لنا لا إثم فيه وإنه شئٌ إذا كانت لعشرٍ وأربع  
وكتب رجل إلى أبي جعفر الطحاوي :

أبا جعفرٍ ماذا تقول فإنه إذا نابنا حَظُّ عليك المَعْوَلُ  
فلا تُنْكِرَنَّ قولي وأبشر برحمة الله عن الأمر الذي عنه نسأل  
أَبَ الحُبِّ عارٌ أم من الحب مَهْرَبٌ وهل من لَحَا<sup>(١)</sup> أهل الصباية يُجْهَلُ  
وهل بمباحٍ فيهِ قتلٌ مَتَمٌّ يهاجره أَجبابُهُ وهو يوصل  
فرأيتُكَ في ردِّ الجوابِ فإنني بما فيه تقضى أيها الشيخُ أَفْعَلُ  
فأجابه الطَّحاوي :

سَأَقْضِي قضاءً في الذي عنه تَسأل وأحْكُمُ بين العاشقين فأعدل  
فديتك ما بالحب عارٌ عَلِمْتُهُ ولَلْعَارُ تركُ الحب إن كنت تعقل  
ومهما لحا في الحب لَاحٍ فإنه لعمرُكَ عندي من ذوى الجهل أَجْهَلُ

وليس مباحاً عندنا قتلُ مسلمٍ      بلائرةً<sup>(١)</sup> بل قاتلُ النفسِ يُقتلُ  
ولكنه إن مات في الحبِّ لم يكن      له قودٌ فيه ولا عنه يُعقل<sup>(٢)</sup>  
وصالكٌ من تهوى وإن صدَّ واجبٌ      عليك كذا حكمُ المتيمِّ يفعل  
فهذا جوابٌ فيه عندى قناعةٌ      لما جئت عنه أيها الصبُّ تسألُ

ويكفى أن المعتزلة من أشدَّ الناس تعظيماً للذنوب ، وهم يخلدون أصحاب  
الكبائر ولا يرونَ تحريمَ ذلك ، كما ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر  
تاريخه المشهور لبعض المعتزلة :

سألنا أبا عثمانَ عمرأً وواصلأً      عن الضمِّ والتقبيل للحدِّ والجيد  
فقالا جميعاً والذي هو عادلٌ      يجوز بلا إثمٍ فدع قولَ تنقيد<sup>(٣)</sup>  
وقال إسحاق بن شبيب :

سألنا شيوخَ الواسطيين كلَّهم      عن الرَّشْفِ والتقبيل هل فيهما إثمٌ  
فقالوا جميعاً ليس إثمأً لزوجةٍ      ولا خلَّةٍ والضمُّ من هذه غُثمٌ  
وأُشدُّ أبو الحسنِ على بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير في  
شرح الكامل :

فلما أن أُبيحَ لنا التلاق      تعانقنا كما اعتنق الصديقُ  
وهل حرَجاً تراه أو حرامأً      مشوقٌ ضمَّه صبُّ مشوقُ

وقال الخطيب في تاريخ بغداد : حدثنا أبو الحسنِ على بن أيوب بن الحارث  
إملاء ، حدثنا أبو عبد الله المرزباني وابن حيوية وابن شاذان قالوا :

( ١ ) الترة : الذحل ، أى الثأر عامة أو الظلم فيه .

( ٢ ) التود : القصاص . والمقل : الدية . عقل القتيل : أعطى دية . وقد

عنه ، أى عزم عنه إذا لزمته دية فأداها عنه .

( ٣ ) تنفذ فلان : تدم لرأى أخطأ فيه .

أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نَقَطَوِيَهُ بِتَرْطُوبَةٍ قَالَ : دخلت على محمد بن داود الأصمعياني في مرضه الذي مات فيه فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : حبٌّ مَنْ تعلم أوريثي ماترى ، فقلت له : مامنعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ قال : الاستمتاع على وجهين : أَحَدُهُما النظرُ المباح ، والثاني اللَذَّةُ المحظورة . فأما النظر المباح فأوريثي ماترى ، وذكر القصة <sup>(١)</sup> . وستأتى في باب غفاف العشاق . والمقصود أنه لم يَرِ النظر إلى معشوقه ولا عِشْقَهُ حراماً . وجرى على هذا المذهب أبو محمد بن حَزْم في كتاب « طوق الحمامة » له . قالوا : ونحن نحاكمكم إلى واحدٍ يُعَدُّ بِآلافِ مؤلفَةٍ وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه سئل :

ما تقول السادة الفقهاء رضى الله عنهم في رجلٍ عاشقٍ في صورة وهى مُصَرَّةٌ على هجره منذ زمنٍ طويلٍ لا تريده إلا بعداً ، ولا يزداد لها إلا حباً ، وعشقه لهذه الصورة من غير فسقٍ ولا خنى ، ولا هو ممن يُدَنِّسُ عشقه بزنى ، وقد أفضى به الحالُ إلى الهلاكِ لاحتمالة ، إن بقى مع محبوبة على هذه الحالة ، فهل يحلّ لمن هذه حاله أن يُهْجَرَ ؟ وهل يجب وصّاله على المحبوب المذكور ؟ وهل يَأْتَمُّ ببقائه على هجره ؟ وما يجب من تفاصيل أمرها ؟ وما السكّل واحدٍ منهما على الآخر من الحقوق مما يوافق الشرع الشريف ؟

فأجاب بخطه بجوابٍ طويلٍ قال في أثنائه : فالعاشقُ له ثلاثُ مقامات : ابتداءً ، وتوسطٌ ، ونهاية . أما ابتداءه فواجبٌ عليه فيه كتمانُ ذلك وعدمُ إفشائه للخلق ، مراعيّاً في ذلك شرائطَ الفتوة من العفة مع القدرة ، فإن زاد به الحال إلى المقام الأوسط فلا بأس بإعلام محبوبة بمحبته إياه ، فيخفّ بإعلامه وشكواه إليه ما يجد منه ، ويحذر من اطلاع الناس على ذلك ، فإن زاد به الأمر حتى خرج عن الحدود والضوابط التحق بالجانين والموسوسين . فانقسم العشاق



قسمين : قسمٌ قَنِعُوا بالنظرة بعد النظرة ، فمنهم من يموت وهو كذلك ولا يُظهر سرُّه لأحدٍ ، حتى محبوبه لا يدري به ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » <sup>(١)</sup> ، والقسمُ الثاني أباحوا لمن وصل إلى حدٍّ يخاف على نفسه منه القُبلة في الحين ، قالوا : لأن تركها قد يؤدِّي إلى هلاك النفس ، والقُبلةُ صغيرةٌ وهلاكُ النفس كبيرة . وإذا وقع الإنسان في مرَصين دأوى الأخطر ولا خطرَ أعظمُ من قتل النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك إذا علم أن ترك ذلك يؤدِّي إلى هلاكه ، واحتجُّوا بقول الله تعالى : ( إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ) <sup>(٢)</sup> وبقوله تعالى : ( الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ) <sup>(٣)</sup> ومحدث الذي قال : يارسول الله ، إني لقيتُ امرأةً أجنبيةً فأصبت منها كلَّ شيءٍ إلاَّ النكاح ، قال : أصليتُ معنا ؟ قال : نعم ، قال : إن الله قد غفرَ لك <sup>(٤)</sup> فأنزل الله تعالى : ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) <sup>(٥)</sup> ، ثم قال : فإن كان هذا السائلُ كما زعم ممن لا يدنس عِشْقَه بزنى ، ولا يصحبه بخي فيُنظَرُ في حاله ، فإن كان من الطبقة الأولى

(١) أنكر المؤلف هذا الحديث وذكّر رأيه في تخريجه في أواخر الباب الرابع عشر

(٢) الآية ٣٠ . سورة النساء .

(٣) الآية ٣٢ . سورة النجم .

(٤) أخرجه الترمذى بنحوه وفي إسناده قيس بن الربيع وضعفه وكيع

وابن المديني وقال ابن معين : ضعيف الحديث لا يساوى شيئاً . وكما رواه الترمذى أيضاً من طريق آخر وقال : هذا الحديث ليس بمعمل لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ وكذا قال ابن المديني وابن خزيمة : لم يسمع من معاذ بن جبل رضى الله عنه . راجع تفسير الخازن وتهذيب التهذيب .

(٥) الآية : ١١٥ . سورة هود .

فالنظر كافٍ لهم إن صدقت دعواهم ، وإن كان من الطبقة الثانية فلا بأس بشكواه إلى محبوبه كي يَرِقَّ عليه ويرحمه ، وإن غلب عليه الحال فالتحق بالثالثة أبيع له ما ذكرنا بشرط أن لا يكون أُمُودَجًّا لفعل القبيح المحرَّم ، فيلتحق بالكبائر ويستحقَّ القتل عند ذلك ويزول عنه العذر ويحقَّ عليه كَلَةُ العذاب . انتهى ما ذكرناه من جوابه .

قالوا : وقد جوزت طائفة من فقهاء السلف والخلف والعلماء استمناء الإنسان بيده إذا خاف الزنى <sup>(١)</sup> ، وقد جوزت طائفة من الفقهاء لمن خاف على نفسه في الصوم الواجب من شدة الشَّيْق أن تتشقق أنثيَّاه أن يجامع امرأته ، وبنوا على ذلك فرعاً : وهو إذا كان له امرأتان حائضٌ وصائمة فهل يطأ هذه أو هذه على وجهين . ولا ريب أن النظر والقبلة والضمُّ إذا تضمنَّ شفاء من دأبه كان أسهلَّ من الاستمناء باليد والوطء في نهار رمضان .

وقد جوزَ بعض الفقهاء للمرأة إذا خافت الزنى أن تتخذ لها شيئاً تدخله في فرجها وتخرجه لثلاث تقع في محذور الزنى .

ولا ريب أن الشريعة جاءت بال التزام الدخول في أدنى المفسدتين دفعاً لأعلاها ، وتقويت أدنى المصلحتين تحصيلاً لأعلاها ، فأين مفسدة النظر والقبلة والضمُّ من مفسدة المرض والجنون أو الهلاك جملة ؟ فهذا ما احتجَّت به هذه الفرقة ونحن نذكر ما لها وما عليها في ذلك بحول الله وقوته وعونه .

---

(١) لكن أجاز العلماء ذلك لمن خشى من الزنا فإنهم لم يطأوا جوارزه إطلاقاً يبيح استمناؤها لمن أراد وكلما أراد ولم يبيحوها إلا بالقدر الذي يمنع من ارتكاب جريمة الزنا وبمد استنفاد الوسائل التي تساعد على إطفاء نار الشهوة مثل الصوم واجتناب كل ما يثيرها من نظر وقراءة .

## البَابُ النَّاسِعُ

فى الجواب عما امتنعت به هذه الطائفة وما لها وما عليها فى هذا الاستنباح

وشبههم التى ذكروها دائرة بين ثلاثة أقسام : أحدها : نقول صحبة  
لاحجة لهم فيها ، والثانى : نقول كاذبة عن نسبت إليه من وضع الفساق  
والفجار كما سنبينه ، الثالث : نقول مجملة محتملة لخلاف ما ذهبوا إليه .

فأما احتجاجهم بقوله تعالى : ( أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ )<sup>(١)</sup> فهو نظير احتجاجهم بعينه على إباحة  
السمع الشيطاني الفسقى بقوله تعالى : ( فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ  
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ )<sup>(٢)</sup> ، قالوا : والقول عام فحملوا لفظه ومعناه ما هو برى  
منه . وإنما القول هاهنا ما أمرهم الله باستماعه ، وهو وحى الذى أنزله على رسوله  
وهو الذى قال فيه : ( أَقَامَ يَدْبَرُوا الْقَوْلَ )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وَلَقَدْ وَصَّانَا  
لَهُمُ الْقَوْلَ )<sup>(٤)</sup> فهذا هو القول الذى أمروا باتباع أحسنه كما قال : ( وَاتَّبِعُوا  
أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ )<sup>(٥)</sup> والنظر الذى أمرنا سبحانه به المؤدى  
إلى معرفته والإيمان به ومحبتة والاستدلال على صدق رسله فيما أخبروا به عنه  
من أسمائه وصفاته وأفعاله وعقابه وثوابه ، لا النظر الذى يوجب تعلق الناظر

( ١ ) الآية ١٨٤ . سورة الاعراف .

( ٢ ) الآيتان ١٧ و ١٨ . سورة الزمر .

( ٣ ) الآية ٦٩ . سورة المؤمنون .

( ٤ ) الآية ٥١ . سورة النعص .

( ٥ ) الآية ٥٥ . سورة الزمر .

بالصورة التي يَحْرُمُ عليه الاستمتاع بها نظراً ومباشرة ، فهذا النظر الذي أمر الله سبحانه وتعالى صاحبه بغضِّ بصره ، هذا مع أن القوم لم يُبْتَلَوْا بِالرُّدَانِ ، وهم كلوا أَشْرَفَ نفوساً ، وأطهرَ قلوباً من ذلك ، فإذا أمرهم بغضِّ أبصارهم عن الصورة التي تباح لهم في بعض الأحوال خشيةً الافتتان ، فكيف النظر إلى صورة لا تباح بحال ؟ ثم يقال لهذه الطائفة : النظر الذي ندب الله إليه نظراً يثاب عليه الناظر ، وهو نظراً موافق لأمره ، يقصده به معرفة ربه ومحبتته ، لا النظرُ الشيطاني . ويشبه هذا الاستدلال استدلال بعض الزنادقة المنتسبين إلى الفقه على حِلِّ الفاحشة بملوك الرجل بقوله تعالى : ( إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) <sup>(١)</sup> ، وَمَعْتَقِدُ ذَلِكَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ بعد قيام الحجة عليه ، وإنما تسرَّت هذه الطائفة لخواها وشهواتها ، وأوهمت أنها تنظر عبرةً واستدلالاً ، حتى آل ببعضهم الأمر إلى أن ظنُّوا أن نظرهم عبادةً ، لأنهم ينظرون إلى مظاهر الجلال الإلهي ، ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى عن قول إخوان النصاري يظهر في تلك الصورة الجميلة ، ويعملون هذا طريقاً إلى الله ، كما وقع فيه طوائف كثيرة ممن يدعى المعرفة والسلوك .

قال شيخنا رحمه الله تعالى : <sup>(٢)</sup> وكفرٌ هو لاء شرٌّ من كفر قوم ليط ، وشرٌّ من كفر عبَاد الأصنام ، فإن أولئك لم يقولوا : إن الله سبحانه يتجلى في تلك الصورة ، وعِبَادُ الأصنام غاية ما قالوه : ( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَمُرَّ بُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) <sup>(٣)</sup> ، وهؤلاء قالوا : نعبدهم لأن الله ظهر في صُورهم . وحقى لى شيخنا : أن

( ١ ) الآية ٦ سورة المؤمنون . والآية ٣٠ . سورة المعارج .

( ٢ ) هو شيخه أبو العباس أحمد بن تيمية .

( ٣ ) الآية ٣ سورة الزمر .

رجلاً من هؤلاء مرَّ به شابٌّ جميلٌ فجعل يُتبعه بصره ، فأنكر عليه جليساً له وقال : لا يصلح هذا المثلک ، فقال : إني أرى فيه صفاتٍ معبودى وهو مظهرٌ من مظاهر جماله ، فقال : لقد فعلت به وصنعت ، فقال : وإن . قال شيخنا : قلن الله أمةً معبودها موطوؤها . قال : وسئل أفضلُ متأخريهم العفيفُ التلمسانى قفيل له : إذا كلف الوجود واحداً فما الفرق بين الأخت والابنت والأجنبية حتى تحلَّ هذه ؟ فقال : الجميعُ عندنا سواء ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرامٌ ، قفلنا : حرامٌ عليكم<sup>(١)</sup> . ومن هؤلاء الزنادقة من يخصّ ذلك ببعض الصوّر ، فهؤلاء من جنس النصارى بل هم إخوانهم ، فالنظر عند هؤلاء إلى الصوّر الحرمة عبادة ، ويشبه أن يكون هذا الحديث من وضع بعض هؤلاء الزنادقة ، أو مجّان الفساق ، وإلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم يرى منه . وسئل شيخنا عن يقول : النظر إلى الوجه الحسن عبادة ، ويروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهل ذلك صحيحٌ أم لا ؟ فأجاب بأن قال : هذا كذبٌ باطل ، ومن روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أو ما يشبهه فقد كذب عليه صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا لم يروّه أحدٌ من أهل الحديث لا بإسناد صحيحٍ ولا ضعيف بل هو من الموضوعات ، وهو مخالفٌ لإجماع المسلمين . فإنه لم يقل أحدٌ إن النظر إلى المرأة الأجنبية والصبيّ الأمرد عبادة . ومن زعم ذلك ، فإنه يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل ، فإن النظر منه ماهو حرامٌ ، ومنه ماهو مكروهٌ ، ومنه ماهو مباحٌ والله أعلم . وأما الحديث الآخر ، وهو : « أَطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ

---

( ١ ) ما نظن إلا أن هذه الكلمة مكذوبة على العفيف فلايس من المعقول أن يقولها مع ما قيل من أنه كان من الأولياء الصالحين .

حَسَنَ الْوُجُوهِ<sup>(١)</sup> » فهذا وإن كان قد رُوِيَ بإسناد إلا أنه باطلٌ لم يصحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو صحَّ لم يكن فيه حجةٌ لهذه الطائفة ، فإنه إنما أمر بطلب الخير منهم لا بطلب وصالهم ونيل الحَرَمِ منهم ، فإن الوجه الجميل مَظَنَّةُ الفعل الجميل ، فإن الأخلاق في الغالب مناسبةٌ لِخِلْقَةِ بينهما نسبٌ قريب ، وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم للخاطب بأن ينظر إلى المخطوبة فذلك نظرٌ للحاجة ، وهو مأمور به أَمْرٌ استحباب عند الجمهور ، وأمرٌ إيجاب عند بعض أهل الظاهر ، وهو من النظر المأذون فيه لمصلحة راجحة ، وهو دخول الزوج على بصيرة وأبعد من ندمه ونفرتة عن المرأة ، فالنظر المباح أنواعٌ هذا أحدها بخلاف النظر إلى الصورة المحرمة .

## فصل

وأما ما ذكره السمعاني عن الشافعي — رحمه الله تعالى — فن تحريف الناقل . والسائل لم يذكر لفظ الشافعي ، والبيتان هكذا هما :

سألت الفتى المكى في تزاورٍ ونظرةٍ مشتاق الفؤاد جُناح  
فقال معاذ الله أن يُذهبَ التقى تلاصقُ أكبادٍ بهنَّ جراح

فهذا السائل هو الذى ذكر السؤال والجواب ، وهو مجهول لا يُعرَف هل هو ثقة أم لا ؟ ثم إن الجواب لا يدلُّ على مقصود هذه الفرقة بوجه ما ، بل هو حجةٌ عليها فإنه نهى أن يُذهبَ التقى تلاصقُ هذه الأكباد ، فكأنه قال :

---

( ١ ) فى أدب الدنيا والدين للباوردي : سئل ابن عائشة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا الخواص من حسان الوجوه » فقال : معناه من أحسن الوجوه التى تحل . وقال شارحه . أى الطلقة المستبشرة وجوههم ، وقيل : من له بشر عند الطلب وإن لم يكن جميل الوجه .

لا تتلاصق هذه الأكباد لئلا يذهب تلاصقها التقى ، فالتلاصق المذكور فاعل ،  
والتقى مفعول ، فكأنه قال : لا يفعل لئلا يذهب التلاصق التقى . وجواب  
آخر وهو أن هذا التلاصق إنما يكون غير مذهبٍ للتقى إذا كان في عشق  
مباح بل مستحب كعشق الزوجة والأمة <sup>(١)</sup> .

وأما ما ذكره عن سعيد بن المسيب — رحمه الله تعالى — فقد أجاب عنه  
سعيد نفسه ، فإنه لما مرَّ به مَرْحِيَّةُ هذا السائل — وكان من بنى كلاب —  
قال سعيد : هذا من أكلب العرب ، قيل : كيف يا أبا محمد ؟ قال : أليس  
الذي يقول :

سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مَفْتًى الْمَدِينَةِ هَلْ فِي حَبِّ دَهْمَاءٍ <sup>(٢)</sup> مِنْ وَرَرٍ  
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّمَا تُتْلَمُ عَلَى مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأَمْرِ  
كَذَبَ وَاللَّهِ مَا سَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا قَطُّ وَلَا أَفْتِيهِ . وإذا كان هذا  
جواب سعيد في مثل هذا فما جوابه لمن سأله أن يقبل حبياً أجنبياً كل يوم  
وليلة عشرة ؟ فقبح الله الفسقة الكذابين على العلماء لاسيما على مثل سعيد ،  
فهو لاء كلهم فسقة كاذبون أرادوا تنفيق فسقهم بالكذب على علماء وقتهم ،  
كما نفق الفاسق أبو نواس كذبه على إسحاق بن يوسف الأزرق . قال عبد الله

---

( ١ ) وردت هذه النصبة في طبقات السبكي : عن الربيع بن سليمان وفيها قال  
الربيع : فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحديث بمثل هذا فقلت : يا أبا عبد الله تفق  
بمثل هذا لمثل هذا الشاب ؟ فقال لي : يا أبا محمد ، هذا رجل هاشمي قد عرس في  
هذا الشهر ، يعني شهر رمضان ، وهو حديث السن ، فسأل هل عليه جناح أن  
يقبل أو يضم من غير وطء فأفتيته بهذا ؟ قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن  
حالها فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي ، قال : فما رأيت فإسأله أحسن منها .  
( ٢ ) الدهماء : السوداء : والنسفة الدهماء : الخالصة الحمرة وعامة الناس  
وسوادهم .

ابن محمد بن عائشة : أتيت إسحاق بن يوسف الأزرق يوماً ، فلما رأيته بكى ، قلت : ما يبكيك ؟ قال : هذا أبونؤاس ، قلت : ماله ؟ قال : يا جارية ، اثنتى بالقرطاس فإذا فيه مكتوب :

ياساحر المقلتين والجيد  
توعدنى الوصل ثم تخلفنى  
حدثنى الأزرق المحدث عن  
لا يخلف الوعد غير كافرة  
وقاتلى منه بالمواعيد  
ويلاه من مخلف لموعودى  
شمر وعوف عن ابن مسعود  
أو كافر فى الجحيم مصفود

كذب والله على وعلى التابعين وعلى الصحابة . ولو صح عن سعيد لم يكن لكم فيه حجة فإن سعيداً أمره بالصبر أولاً ، ومراقبة الله وخوف سطوته ومخالفة الفسقة ، ثم أمره بتقبيل خد من يحبه كل يوم عشر مرات ، وهذا قطعاً إنما أراد به من يحل له تقبيله من زوجة أو سريّة ، فأمره أن يعتاض بتقبيلها من لا يحل له ، ولا يظن بعلماء الإسلام غير هذا إلا مفرط فى الجهل أو متهم على الدين .

وأما ذكره المبرد عن الأعرابى الذى سأل النقي المكي عن القبلة فى رمضان فقال : للزوجة سبع وللخلة ثمان فهذا المستفتى والمفتى لا يعرف واحد منهما حتى يقبل خبره ، ولو صح ذلك وعرف المستفتى والمفتى لكانت الخلة هى أمته الجميلة ، وهى التى يحل تقبيلها ثمانياً فأكثر .

وأما أن يفتى أحد من أهل الإسلام بأنه يحل تقبيل المرأة الأجنبية المحرمة عليه ثمانياً فى رمضان أو غيره فعاذ الله من ذلك ، وهكذا حكم الأثر الذى ذكره الخطيب فى كتاب رواه مالك ، ولا يظن بعالم أنه تمنى أن يقبل امرأة أجنبية وهو محرم بطن دنى ، فإن القبلة المذكورة تعرض الحجاج للفساد وتبطله عند طائفة ، فإن صح هذا فإنما أراد امرأته أو أمته .



وأما الأثر الذى ذكره الحاكم فى مناقب الشافعى — رحمه الله تعالى —  
فليس بين الحاكم وبين الربيع من يحتج به . ويدل على أن القصة كذب ظاهر  
أن المستفتى زعم أن الشافعى أجاب بقوله : فقال لى المفتى وفاضت دموعه .  
وهذا إنما هو حكاية المستفتى قول المفتى فن هو الحاكم عن الشافعى ؟ فدعوا  
هذه الأكاذيب والترهات .

وأما ما ذكرتم عن عمرو بن سفيان ابن بنت جامع فمن ذكر هذا عن عمرو  
ابن سفيان ؟ ومن هو عمرو بن سفيان ابن بنت جامع بن مَرْخِيَّة هذا ؟ وهذا  
موضع البيتين المشهورين :

سألنا عن ثَمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ      فقال القائلون وَمَنْ ثَمَالَةُ (١)

فقلتُ محمدُ بنُ يزيدَ منهم      فقالوا زدتنا بهمُ جَهَالَهُ

وهل يحل لأحد أن يصدق عن مالك والليث بن سعد أنهما أجازا تقبيل  
خد المرأة الأجنبية المعشوقة أو خد الأمرد الجميل الصورة ؟ هذا وقصة مالك مع  
الذى ضم صبيًّا إليه فألقى بضربه ستانة سوط فمات ، فقال له أبو القتي :  
قتلت ابني ، فقال : قتله الله . فن هذا تشديده وفتواه هل يفتى بجواز تقبيل  
خدود المرء الحسان ؟ نعم ما حرم الرحمن قبله عاشق يحل لمعشوقه مواصلة ،  
ولا قبله الرجل خد ولده كما قبل الصديق — رضى الله عنه — خد ابنته عائشة  
رضى الله عنها ، ورأى أعرابيُّ النبي صلى الله عليه وسلم يقبل أحد ابني ابنته  
فقال : وإنكم لتتبلون الصبيان ؟ إن لى عشرة من الولد ما قبلتهم ، فقال :

---

( ١ ) فى ترجمة المبرد لابن خلسكان : ثَمَالَةُ واسمه عوف بن أسلم بطن من  
الآزد . وذكر النالى فى الأمالى : إنها لعبد الصمد بن المعذل وأورد هذين البيتين  
وبعدهما ثالث قال : ويقال : إن هذه الأبيات للمبرد وكان يشتهى أن يشتهر به هذه  
التبيلة فصنع هذه الأبيات فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار .

« أَوْ أَمْلِكُ لَكَ إِنْ تَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَابِكَ » <sup>(١)</sup> ؟

وأما صاحبُ كتابِ رُسْتاقِ الاتِّقافِ وهو شاعرُ المصريين فاعمرُ اللهَ لقد أفسدتِ إذْ أَسْنَدْتَ ، فإنه الفاسقُ الماَجِنُ المسمَّى أبا الرِّقَعَمَقِ <sup>(٢)</sup> ، ولكن لا يُنْكَرُ هذا المتنُ بهذا الإسناد ، فإنه لا يليقُ إلا به .

وأما قصة إبراهيم بن المدبرِّ عن أبي بكر بن عيَّاش فقلُّ غيرُ مُصَدِّقٍ عن قائلٍ غيرِ معصوم .

وأما ما ذكرُوا عن الإمامِ أحمد — رحمه الله تعالى — فوالذي لا إلهَ غيرُهُ إنه لَمِنْ أَقْبَحِ الكَذِبِ عليه ، ولو أن هذا الكاذبَ الفاسقَ نَفَقَ هذه الكَذِبَةُ بغيره لراجَ أمرُها بعضَ الرّواجِ ، ولكن من شِدَّةِ جهله نَفَقَهَا بأحمد ابن حنبلٍ وهو كمن نسب إليه القولَ بأن القرآنَ مخلوقٌ أو تقدِيمَ عَلى أبي بكر ، أو تقدِيمَ الرأى على السُّنَّةِ ، وأمثالَ ذلك ، وكذلك ما ذكره عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، ولو صحَّ لم يكن فيه حجةٌ لهذه الطائفة ، فإنه قال : لا إثمَ فيه إذا كانت لعشرٍ وأربع ، ولم يقل إذا كانت أجنبية ، ونحن نقول بما قال أبو حنيفة — رحمه الله تعالى — إذا كان المعشوق حلالاً .

وأما ما ذكر عن الطَّحاوِيِّ فلا نعلم صحته ، وإن صحَّ فإنما أراد به التَّقبيلَ المباح ، فإن الرجلَ قد يُبْتَلَى بهجر زوجته أو أمته له فيسأل أطباءُ الدين وأطباءُ الجسم وأطباءُ الحبِّ عن دوائه ، فيجيبه كلُّ منهم بمقتضى علمه وما عنده ، وقد شكى مُغِيثُ زَوْجِ بَرِيرَةَ حَبَّهُ لها فشفعَ عندها النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّ

(١) من حديثين رواهما البخاري ومسلم .

(٢) هو أحمد بن محمد الأنطاكي له ترجمة في يتيمة الدهر للشَّمالِي ووفيات الأعيان لابن خلسكان .

تراجعه فلم تفعل<sup>(١)</sup>، وشكى إليه رجلٌ أن امرأته لا تردُّ يدَ لأمسٍ فقال :  
 طلقها ، فقال : إني أخاف أن تتبعها نفسى ، فقال : امتنع بها . ذكره الإمام أحمد  
 والنسائي . قال بعض أهل العلم : راعى النبي صلى الله عليه وسلم دفع أعلى المفسدتين  
 بأدناها ، فإنه لما شكى إليه أنها لا تردُّ يدَ لأمسٍ أمره بطلاقها ، فلما أخبره عن  
 حبها وأنه يخاف أن لا يصبرَ عنها ولعلَّ حبه لها يدعوهُ إلى معصية أمره أن يسكها  
 مداواةً لقلبه ودفعاً للمفسدة التي يخافها باحتمال المفسدة التي شكى منها . وأجاب  
 أبو عبيدة عنه بأنها كانت لا تردُّ يدَ لأمسٍ يطلب منها العطاء ، فكانت  
 لا تردُّ يدَ من سألها شيئاً من مال الزوج ، وردَّ عليه هذا التأويلُ بأنه لا يقال  
 لطالب العطاء لأمسٍ وإنما يقال له ملتصق . وأجابت طائفة أخرى عنه بأن طرأ  
 المعصية على النكاح لا توجب فسادهُ . وقال النسائي : هذا الحديث مُنكر .  
 وعندى أن له وجهاً غيرَ هذا كله ، فإن الرجل لم يشك من المرأة أنها تترى  
 بكل من أراد ذلك منها ، ولو سأل عن ذلك لما أقره رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم على أن يقيمَ مع بغيٍّ ويكونَ زوجَ بغيٍّ دُبُوناً<sup>(٢)</sup> ، وإنما شكى إليه أنها  
 لا تجذبُ نفسها ممن لاعبها ووضع يده عليها أو جذب ثوبها ونحو ذلك ، فإن  
 من النساء من تلين عند الحديث واللعب ونحوه . وهى حصان<sup>(٣)</sup> عفيفةٌ إذا  
 أريد منها الزنى ، وهذا كان عادةً كثيرٍ من نساء العرب ولا يعدُّون  
 ذلك عيباً ، بل كانوا فى الجاهلية يرون للزوج النصف الأسفل والعشيق  
 النصف الأعلى .

فَلَحِبٌّ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ نَقَابَهَا وَلِلْبَعْلِ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَازِرُ

( ١ ) رواه البخارى وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه .

( ٢ ) الديوث : الذى يقود على أهله .

( ٣ ) المرأة الحصان : المتزوجة والعفيفة .

والمقصود أن القوم كانوا مع العاشق على معشوقه إذا كان يُباح له وصائله ،  
وسنذكر ذلك في باب مساعدة العشاق بالمباح من التَّلاق إن شاء الله تعالى .

وأما ما ذكروا عن شيوخ المعتزلة وشيوخ الواسطيّين ، فأما أبو عثمان  
المذكور وهو عمرو بن عبّيد ، وواصل وهو واصل بن عطاء ، وهما شيخان القوم  
ولو أفتيا بذلك لكانت فتياً من مبتدعين مذمومين عند السلف والخلف ،  
فكيف والخبر بذلك رجلٌ مجهولٌ من المعتزلة كذب على من يعظمهما المعتزلة  
لينفق فستّه ؟

وأما قصة محمد بن داود الأصهباني فغايته أن تكون من سعيه المغفور ،  
لا من عمله المشكور ، وسلط الناس بذلك على عرضه ، والله يغفر لنا وله ، فإنه  
تعرّض بالنظر إلى السقم الذي صار به صاحب فراش ، وهذا لو كان ممن يُباح  
له لكان نقصاً وعبثاً ، فكيف من صبيٍّ أجنبيٍّ ؟ وأرضاه الشيطان بحبه والنظر  
إليه عن مواصلته ، إذا لم يطمع في ذلك منه ، فنال منه ما عرف أن كيده  
لا يتجاوزه وجعله قدوةً لمن يأتيهم به بعده كأبي محمد بن حزم الظاهري وغيره ،  
وكيد الشيطان أدق من هذا .

وأما أبو محمد فإنه على قدر يُبسّه وقسوته في التمسك بالظاهر وإغائه للمعاني  
والمناسبات والحكم والعِلل الشرعية انماح في باب العشق والنظر وسماع الملاحى  
الحُرمة ، فوسع هذا الباب جدّاً وضيق باب المناسبات والمعاني والحكم الشرعية  
جدّاً ، وهو من انحرافه في الطرفين حين ردّ الحديث الذي رواه البخاري في  
محيجه في تحريم آلات اللهو بأنه معاق غير مُسنَد ، وخفي عليه أن البخاري  
لقي من علته عنه وسمع منه ، وهو هشام بن عمار ، وخفي عليه أن الحديث قد  
أسنده غير واحد من أئمة الحديث غير هشام بن عمار ، فأبطل سنةً صحيحةً

ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مَطْعَنَ فيها بوجهه<sup>(١)</sup> .

وأما من حاكمتونا إليه وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فنحن راضون بحكمه ، فأين أباح لكم النظرَ الحَرَمَ وعشقَ المُردان والنساء الأجانب ؟ وهل هذه إلا كذبٌ ظاهر عليه ؟ وهذه تصانيفُه وفتاواه كلها ناطقةٌ بخلافِ ما حكيموه عنه ؟ وأما الفتوى التي حكيموها فكذب عليه لا تناسب كلامه بوجه ، ولولا الإطالة لذكرناها جميعها حتى يعلمَ الواقف عليها أنها لا تصدرُ عن دونه فضلا عنه ، وقلت لمن أوقفني عليها : هذه كذب عليه لا يشبه كلامه ، وكان بعض الأسماء قد أوقفني عليها قديماً وهي بخط رجلٍ متهم بالكذب ، وقال لي : ما كنت أظن الشيخَ بركةً هذه الحاشية ، ثم تأملتها فإذا هي كذبٌ عليه ، ولولا الإطالة لذكرنا من فتاويه ما يبين أن هذه كذب .

وأما ما ذكرتم من مسألة التزام أدنى المفسدين لدفع أعلاها ، فنحن لانكر هذه القاعدة بل هي من أصحِّ قواعد الشريعة ، ولكن الشأن في إدخال هذه الصورة فيها . بل نحاكمكم إلى هذه القاعدة نفسها فإن احتمال مفسدة ألم الحب مع غضِّ البصر وعدم تقبيل المحبوب وضمه ونحو ذلك أقلُّ من مفسدة النظر والتقبيل ، فإن هذه المفسدة تجرُّ إلى هلاك القلوب وفساد الدين ، وغاية ما يُقدَّر من مفسدة الإمساك عن ذلك سقمُ الجسد أو الموتُ تفادياً عن التعرُّض للحرام ، فأين إحدى المفسدين من الأخرى ؟ عَلَى أَنْ النظار والقُبلة

---

(١) الحديث الذي يشير إليه هو قوله صلى الله عليه وسلم : « ليسكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر (أي الفرج) والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتهم الحاجة فيقولوا إمرأنا غداً فيبيتهم الله تعالى ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة » .

والضمُّ لا يمنع السقم والموت الحاصل بسبب الحب ، فإنَّ العشق يزيد بذلك ولا يزول .

فما صابئةُ مشتاقٍ على أملٍ من الوصال كمشتاقٍ بلا أمل

ولا ريب في أن محبة من له طمعٌ أقوى من محبة من يئس من محبوبة ،  
ولهذا قال الشاعر :

وأبرحُ ما يكونُ الحبُّ يوماً إذا دنتِ الدَّيَّارُ من الدَّيَّارِ

فإن قيل : فقد أباح الله سبحانه للضطر الميتة والدم والحَمَ الخنزير ، وتناولها في هذه الحال واجبٌ عليه . قال مسروق والإمام أحمد - رحمهما الله تعالى - : من اضطرَّ إلى أكل الميتة فلم يأكل فمات دخل النار ، فغايَةُ النظرة والقُبلة والضمَّة أن تكون محرمةً ، فإذا اضطرَّ العاشق إليها فإن لم تكن واجبةً فلا أقل من أن تكون مباحة ، فهذا قياسٌ واعتبار صحيح ، وأين مفسدة موتِ العاشق إلى مفسدة ضمه ولحمه ؟

فالجواب أن هذا يتبين بذكر قاعدة ، وهي أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل في العبد اضطراراً إلى الجماع بحيث إن لم يفعله مات ، بخلاف اضطراره إلى الأكل والشرب واللباس ، فإنه من قوام البدن الذي إن لم يباشره هلك ، ولهذا لم يُبيح من الوطء الحرام ما أباح من تناول الغذاء والشراب المحرَّم ، فإن هذا من قبيل الشهوة واللذة التي هي تنمة وفضلة ، ولهذا يمكن الإنسان أن يعيش طول عمره بغير تزوج وغير تسرٍّ ، ولا يمكنه أن يعيش بغير طعام ولا شراب ، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب أن يداووا هذه الشهوة بالصوم ، وقال تعالى عن عَشَّاقِ الْمُرْدَانِ : ( إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ

النساء<sup>(١)</sup> فأخبر أن الحامل على ذلك مجرد الشهوة لا الحاجة فضلاً عن الضرورة ، والشهوة المجردة لا تلتحق بالضروريات ولا بالحاجات ، والحمية عنها خشية إفضائها إلى مرض أصعب منها جار مجرى الحمية عن تناول ما يضر من الأطعمة والأشربة ، وذلك لا تدعو الضرورة إلى تناوله وإن كانت النفس قد تشبهه ، فالمقبل والنظر والضم ونحوها جار مجرى تناول الفاكهة المضرة والزفرة المضرة للحموم ومن به مرض يضره معه تناول ذلك ، فإذا قال المريض : أنا إن لم أتناول ذلك وإلا خشيت الموت لم يكن صادقاً في قوله ، وإنما الحامل له على ذلك مجرد الشهوة ، وربما زاد تناول ذلك في مرضه ، فالطبيب الناصح لا يفسح له فيه ، فكيف يفسح الشارع الحكيم الذي شريعته غاية طب القلوب والأديان وبها تحفظ صحتها وتدفع موائدها الفاسدة في تناول ما يزيد الداء ويقويه ويمده ؟ هذا من الحال ، بل الشريعة تأمر بالحمية عن أسباب هذا الداء خوفاً من استحكامه وتولد داء آخر أضعب منه .

وأما مسألة من خاف تشقق أنثيين وأنه يباح له الوطء في رمضان ، فهذا ليس على إطلاقه ، بل إن أمكنه إخراج مائه بغير الوطء لم يجز له الوطء بلا نزاع ، وإن لم يمكنه ذلك إلا بالوطء المباح فإنه يجري مجرى الإفطار لعذر المرض ثم يقضى ذلك اليوم ، والإفطار بالمرض لا يتوقف على خوف الهلاك ، فكيف إذا خاف تلف عضو من أعضائه القاتلة ، بل هذا نظير من اشتد عطشه وخاف إن لم يشرب أن يحدث له داء من الأدوية ، أو يتلف عضو

---

(١) الآية ٨١ سورة الاعراف ، والآية ٥٥ سورة النمل وفيها (أنتمكم) .

من أعضائه ، فإنه يجوز له الشرب ثم يقضى يوماً مكانه . فإن قيل : فلو اتفق له ذلك ولم يكن عنده إلا أجنبية هل يباح له وطؤها لئلا تتلف أنثياه؟ قيل : لا يباح له ذلك ، ولكن له أن يخرج ماءه باستمناؤه ، فإن تعذر عليه فهل يجوز له أن يمكنها من استخراج مائه بيدها؟ هذا فيه نظر ، فإن أبيع جرى مجرى تطيب المرأة الأجنبية للرجل ومسها منه ماتدعو الحاجة إلى مسه . وكذلك تطيب الرجل للمرأة الأجنبية ومسها ماتدعو الحاجة إليه والله أعلم .

وقد سئل أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلؤذاني في رقعة :

قل لأبي الخطاب نجم الهدى	وقدوة العالم في عصره
لا زلت في فتواك مستأمناً	من خدع الشيطان أو مكره .
ماذا ترى في رشاً أعيد	حاز الأمل والدُّرَّ في ثغره <sup>(١)</sup>
لم يحك بدر التَّمَّ في حسنه	حتى حكى الزُّنْبُورَ <sup>(٢)</sup> في حُضْره
فهل يُجيز الشرعُ تقبيله	لمستهام خاف من وزره
أم هل على المشتاق في ضمه	من غير إدناء إلى صدره
إنَّم إذا ما لم يكن مضمرّاً	غير الذي قدَّم من ذكره

فأجاب :

يا أيها الشيخ الأديب الذي	قد فاق أهل العصر في شعره
تسأل عن تقبيل بدر الدجى	وعطف زنديك على نحره

- 
- (١) الرشا : ولد الظبية إذا قوى ومشى . والأغيد : المتثنى في لين ونعومة ، واللمى : سمره في الشفة تستحسن . وشفة لمياء : لطيفة رقيقة اللحم .
- (٢) الزنبور والزبار : حشرة أليمة اللسع ، وهو أيضاً : الخفيف الظريف . والحضر : عدو في وثب ، وارتفاع الفرس في وثبه .



هل ورد الشرعُ بتحليله      لمستهامٍ خاف من وزره  
من قارف الفتنة ثم ادعى الـ      حصمة قد نافق في أمره  
هل فتنه المرء سوى الضمِّ والتد      قبيل للحبِّ على نغره  
وهل دواعي ذلك المشتهى      إلا عناقُ البدر في خِدره  
وبذله ذاك لمشتاقه      يزرى على هاروت في سِجره  
ولا يُجيزُ الشرعُ أسبابَ ما      يُورط المسلم في خطره  
فانجُ ودع عنك صداع الهوى      عساك أن تسلم من شره  
هذا جوابُ الكلوزانيِّ قد      جاءك يرجو الله في أجره

فهذا جواب أهل العلم، وهو مطابق لما ذكرناه، والله تعالى أعلم.

وسئل الإمام أبو الفرج بن الجوزي - رحمه الله - بأبيات :

يأيها العالمُ ماذا ترى      في عاشقٍ ذاب من ألوجدٍ  
من حبِّ ظبيٍّ أغيدٍ أهيفٍ      مهلٍ المُخَيَّا حسنِ القَدِ  
فهل ترى تقبيله جائزاً      في القم - والعينين والحدِّ  
من غير مافحشٍ ولا ريبةٍ      بل بعناقٍ جائزِ الحدِّ  
إن كنت ماتفتي فإني إذاً      أصبح من وجدى وأستعدى

فكتب - رحمه الله تعالى - الجواب :

إذا الذي ذاب من ألوجدٍ      وظل في ضُرٍّ وفي جَدِ  
إسمع فدتك النفس من ناصحٍ      بنصحه يَهْدِي إلى الرُّشْدِ  
لوصح منك العشقُ ما جئتني      تسألني عنه وتستعدى  
فالعاشقُ الصادقُ في حبه      ما باله يسأل ما عندى

غَيْبِهِ الْعَشَقُ فَمَا إِنْ يُرَى      يُعِيدُ فِي الْعَشَقِ وَلَا يُبْدَى  
وَكُلُّ مَا تَذَكَّرَ مُسْتَفْتِيًا      حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ  
إِلَّا لَمَّا حَلَّ لَهُ رَبُّنَا      فِي الشَّرْعِ بِالْإِبْرَامِ وَالْعَقْدِ  
فَعَدَّ مِنْ طُرُقِ الْهَوَى مُعْرِضًا      وَقَفَ بِيَابِ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ  
وَسَلَّهُ يَشْفِيكَ وَلَا يَتَلَى      قَلْبَكَ بِالْتَعَذِيبِ وَالصَّدِّ  
وَعَفَّ فِي الْعَشَقِ وَلَا تُبْدِهِ      وَأَصْبِرْ وَكَاتَمْ غَايَةَ الْجُهْدِ  
فَإِنْ نَمَتْ مُحْتَسِبًا صَابِرًا      تَفَزَّ غَدًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

---

## الباب العاشر

في ذكر حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس فيه

فالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا ، يجلبه المرء إلى نفسه بتسايط فكره على استحسان بعض الصُّور والشَّائل ، وسببه النفسانيُّ الاستحسان والفكر ، وسببه البدنيُّ ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن مَنِيٍّ محتقن ، ولذلك أكثر ما يعترى العُزَّاب ، وكثرة الجماع تزيد به بسرعة .

وقال بعض الفلاسفة : العشق طمعٌ يتولد في القلب ويتحرك وينمى ، ثم يترى ويجتمع إليه مواد من الحرص ، وكلما قوى ازداد صاحبه في الاحتياج واللَّجاج والتمادى في الطمع والحرص على الطلب ، حتى يؤديه ذلك إلى الغمِّ والقلق ، ويكون احتراقُ الدم عند ذلك باستحالته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إليها . ومن غلبة السوداء يحصلُ له فسادُ الفكر ، ومع فساد الفكر يكون زوالُ العقل ورجاءُ مالا يكون وتميُّ مالا يتمُّ حتى يؤدي إلى الجنون ، فينثذِرُ بمِاقتل العاشق نفسه ، وربما مات غمًّا ، وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحًا ، وربما شهقَ شهقةً فتختنق رُوحه فيبقى أربعةً وعشرين ساعةً فيظنُّ أنه قد مات ، فيدفن وهو حيٌّ ، وربما تنفَّس الصُّعداء فتختنق نفسه في تأمور<sup>(١)</sup> قلبه ، وينضمُّ عليها القلبُ ولا ينفرج حتى يموت ، وتراه إذا ذُكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه . وقال أفلاطون : العشق حركةُ النفس الفارغة . وقال أرسطاطاليس : العشق عَمَى الحسِّ عن إدراك عيوب المحبوب . ومن هذا أخذ جرير قوله :

فلست براء عيب ذى الودّ كله ولا بعض مافيه إذا كنت راضيا  
فعين الرضى عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا  
وقال أرسطو : العشق جهلٌ عارضٌ صادف قلباً فارغاً لا شغل له من تجارة  
ولا صناعة . وقال غيره : هو سوء اختيار صادف نفساً فارغة .  
قال قيس بن الملوّح :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا  
وقال بعضهم : لم أرَ حقاً أشبهَ بباطلٍ ، ولا باطلاً أشبهَ بحقٍّ من العشق ،  
هزله جدّه ، وجدّه هزل ، وأوّله أعب ، وآخره عطّب . وقال الجاحظ : العشق  
اسمٌ لما فضل عن المحبة ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسمٌ  
لما جاوز الاقتصاد ، فكلّ عشقٍ يسمّى حبّاً ، وليس كل حبٍّ يسمّى عشقاً ،  
والمحبة جنسٌ والعشق نوعٌ منها . ألا ترى أن كل محبةٍ شوقٌ ، وليس كل  
شوق محبة ؟ وقالت فرقةٌ أخرى : العشق هو الاستهيام<sup>(٢)</sup> والتضرّع والودّان  
بالمعشوق ، والوجدُ هو الحبّ الساكن ، والهوى أن يهوى الشيء فيتبعه غياً  
كان أو رشداً ، والحب حرفٌ ينتظم هذه الثلاثة . وقال المأمون ليحيى بن  
أكرم : ما العشق ؟ فقال : سوانحٌ تسنح للمرء فيهم بها قلبه وتؤثرها نفسه .  
فقال له ميمامة بن أشرس : اسكت يا يحيى ، إنما عليك أن تجيب فى مسألة  
طلاق ، أو محرمٍ صاد ظلياً ، فأما هذه فمن مسائلنا نحن ، فقال له المأمون : قل  
يا ميمامة : قال : العشق جليسٌ مُمتنع ، وأليفٌ مُؤنسٌ : وصاحبٌ ملكٌ  
مسالكه لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جارية ، ملكٌ الأبدان وأرواحها ،

والقلوبَ وخواطرها ، والعقولَ وآراءها ، قد أعطى عِنان طاعتها ، وقوّة تصرّفها  
توارى عن الأبصار مدخله ، ونعمى فى القلوب مسلّكه . فقال له المأمون :  
أحسنت يا ثُمّامة . وأمر له بألف دينار .

وقال بعضهم : قلت لجنون قد أذهب عقله العشق : أجز هذا البيت :  
وما الحبُّ إلا شعله قد حَتَّ بها عيونُ المَهّا باللحظ بين الجواح  
فقال بديها :

ونارُ الهوى تخفى فى القلب فعلها كفعل الذى جاءت به كف قاذح  
وقال الأصمى : سألت أعرابياً عن العشق فقال : جلَّ والله عن أن يرى ،  
وخفى عن أبصار الورى ، فهو فى الصدور كامنٌ ككُمون النار فى الحجر ، إن  
قدح أورى ، وإن ترك توارى . وقال بعضهم : العشق نوعٌ من الجنون ،  
والجنون فنون ، فالعشق فنٌّ من فنونه . واحتج بقول قيس <sup>(١)</sup> :

قالوا جنت بمن تهوى قلت لهم العشق أعظمُ مما بالجنانين  
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما بصرع الجنون فى الحين <sup>(٢)</sup>

وقال آخر : إذا امتزجت جواهرُ النفوس بوصف المشاكلة أنتجت لمح نور  
ساطع تستضيء به النفس فى معرفة محاسن المعشوق فتسلك طريق الوصول إليه .  
وقال أعرابى : العشق أعظمُ مسلِكاً فى القلب من الروح فى الجسم ، وأملك  
بالنفس من ذاتها ، بطن وظهر فامتنع وصفه عن اللسان ، وخفى نعمته عن البيان  
فهو بين السحر والجنون ، لطيفُ المسلك والكُمون . وقيل : العشق ملكٌ  
غشومٌ <sup>(٣)</sup> ، مُسلطٌ ظلوم ، دانت له القلوب ، وانقادت له الأبواب ، وخضعت

( ١ ) هو قيس بن الملوح المعروف بجنون ليل .

( ٢ ) تقدم هذان البيتان فى صفحة ٤٤

( ٣ ) الغشوم : الذى يخبط الناس ويأخذ كل ما قدر عليه .

له النفوس . العقل أسيرُهُ ، والنظرُ رسوَاهُ ، واللحظُ لفظه ، دقيقُ المسالك ،  
عسيرُ المخرج . وقيل لآخر : ما تقول في العشق ؟ فقال : إن لم يكن طَرَفًا من  
الجنون ، فهو نوعٌ من السحر .

وأما الفلاسفةُ المشاؤون<sup>(١)</sup> فقالوا : هو اتفاق أخلاق ، وتشاكل محَبَّاتٍ  
وتجانُسها ، وشوقُ كُلِّ نفسٍ إلى مُشاكلِها ومُجانسِها في الحلقة القديعة قبل  
إِهباطِها إلى الأجساد ، قلت : هذا مبنَىٌّ على قولهم الفاسد بتقدُّم النفوس على  
الأبدان ، وعليه بنى ابنُ سينا قصيدته المشهورة :

\* هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْحُلِّ الْأَرْفَعِ \*

وسمعت شيخنا يحكى عن بعض فضلاء المغاربة وهو جمال الدين بن الشريريشي  
شارحُ المقامات أنه كان ينكر أن تكون هذه له قال : وهى مخالفة لما قرره  
في كتبه من أن حدوث النفس الناطقة مع البدن .

وقال آخرون في وصفه : دَقَّ عن الأفهام مَسَاكُنه ، وَخَفَى عن الأبصار  
مَوْضِعُهُ ، وحارت العقول في كيفية تَمَكُّنِهِ ، غير أن ابتداء حركته وعظم سلطانه  
من القلب ، ثم يتغشَّى سائرَ الأعضاء فيبدى الرُّعدة في الأطراف ، والصفرة في  
الألوان ، والضعف في الرأى ، واللَّجَلَجَّة في الكلام . والزَّلَل والعِثار ، حتى  
يُنْسَبَ صاحِبُهُ إلى الجنون . وقيل لأبى زهير المدينى : ما العشق ؟ قال : الجنون  
والذل وهو داء أهل الظَّرْف . ونظر عاشقٍ إلى معشوقه فارتعدت فرائصُهُ  
وُعْشِيَ عليه ، فقيل للحكيم : ما الذى أصابه ؟ فقال : نظر إلى من يحبه فانفرج  
له قلبُهُ فتحرك الجسم بانفراج القلب . فقيل له : نحن نحب أولادنا وأهلنا ولا

( ١ ) المشاؤون : أتباع أرسطو . وقيل : لقبوابه لأنه كان يعلهم وهم مشاة ،  
أو لأن محل التعليم كان يسمى بالمشى . وفى تاج المروس للزبيدي : المشائيون : فرقة  
من الحكماء كانوا يمشون فى ركاب أفلاطون .

يصيبنا ذلك ، فقال : تلك محبة العقل وهذه محبة الروح ، قال :

وما هو إلا أن يراها فُجَاءَةً فَتَصْطُكَ رِجْلَاهُ وَيَسْقُطَ لِلْجَنْبِ

وقال : العشقُ مَلِكٌ مُسَلِّطٌ عَلَى قَهْرِ النَفُوسِ وَأَسْرَ الْقُلُوبِ ، قال الشاعر :

مَلِكُ الْقُلُوبِ فَأَصْبَحَتْ فِي أَسْرِهِ وَبُودَهَا أَنْ لَا يُفَكَّ إِسَارُهَا

وقال أعرابي في وصفه : بِالْقَابِ وَثُبَّتُهُ ، وَبِالْفَوَادِ وَجَبَّتُهُ <sup>(١)</sup> ، وبالأحشاء

نارُهُ ، وَدَائِرُ الْأَعْضَاءِ خُدَّامُهُ ، فَالْقَلْبُ مِنْ الْعَاشِقِ ذَاهِلٌ ، وَالِدَمْعُ مِنْهُ

هَامِلٌ <sup>(٢)</sup> . والجسم منه ناحل . مرورُ الليالي تَجْدَدُهُ ، وَإِسَاءَةُ الْمَحْبُوبِ لَا تَفْسِدُهُ .

وقيل : ليس هو موقوفاً على الحسن والجمال ، وإنما هو تشاكُلُ النفوسِ

وتمارُجها في الطباع المخلوقة فيها كما قيل :

وَمَا الْحُبُّ مِنْ حُسْنٍ وَلَا مِنْ مَلَاخَةٍ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ بِهِ الرُّوحُ تَكْلُفُ

وقيل : أَوَّلُ الْعَشْقِ عَنَاءٌ ، وَأَوْسَطُهُ سَقَمٌ ، وَآخِرُهُ قَتْلٌ . كما قال

ابن الفارض رحمه الله :

هُوَ الْحُبُّ فَاسْتَمَّ بِالْحُشَامِ الْمَهْوَى سَهْلٌ فَمَا اخْتَارَهُ مُضَيَّيْ بِهِ وَلَهُ عَقْلُ

وَعَشْ خَالِيًا فَالْحُبُّ أَوَّلُهُ عَنَى <sup>(٣)</sup> وَأَوْسَطُهُ سَقَمٌ وَآخِرُهُ قَتْلُ

( ١ ) وجبته : خففته واضطرابه .

( ٢ ) هملت العين : فاضت وسالت .

( ٣ ) في الديوان : فالجب راحته عنا . وأوله سقم . . . الخ .

## الباب الحادى عشر

فى العشق هل هو اضطرارى خارج عن الاختيار أو أمر اختياري واختلف  
الناس فى ذلك وذكر الصواب فيه

فمنقول : اختلف الناس فى العشق هل هو اختيارى أو اضطرارى خارج عن  
مقدور البشر ؟ فقالت فرقة : هو اضطرارى وليس باختيارى ، قالوا : وهو بمنزلة  
حاجة الظمان للماء البارد ، والجائع للطعام ، وهذا مما لا يُمكنك .

قال بعضهم : والله لو كان لى من الأمر شىء ما عذبتُ عاشقاً ، لأن ذنوبَ  
العشاق اضطرارية ، فإذا كان هذا قوله فيما تولد عن العشق من فعل اختيارى فما  
الظن بالعشق نفسه ؟ وقال أبو محمد بن حزم : قال رجلٌ لعمر بن الخطاب رضى  
الله عنه : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت امرأةً فعشقتها ، فقال عمر : ذاك مما لا يُمكنك .  
وقال كامل فى سلمى :

يلومونى فى حُبِّ سلمى كأنما يرون الهوى شيئاً تيممته<sup>(١)</sup> عمداً  
ألا إنما الحب الذى صدعَ الحشا قضاءً من الرحمن يبلو به العبدَ

وقال التيمي فى كتاب امتزاج الأرواح : سئل بعض الأطباء عن العشق  
فقال : إن وقوعه بأهله ليس باختيارٍ منهم ، ولا بمرصهم عليه ، ولأنه لأكثرهم  
فيه ، ولكن وقوعه بهم كوقوع العلك المدنف . والأمراض المتنفقة ، لا فرق  
بينه وبين ذلك . وقال المدائنى : لام رجلٌ رجلاً من أهل الهوى فقال : لو  
صح لذى هوئى اختياراً لاختار أن لا يهوى . ويدل على ذلك من السنة ما رواه

---

(١) تيمم الشىء : تعمدته وارتجاه .



البخارى فى صحيحه من قصة بَريرة أن زوجها كان يمشى خلفها بعد فراقها له وقد صارت أجنبيةً منه، ودموعه تسيل على خديّه، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا ؟ ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ رَاجَعْتِيهِ ، فَقَالَتْ : أَتَأْمُرُنِي ؟ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ ، قَالَتْ : لَاحَاجَةٌ لِي فِيهِ . » ولم يَنْهَهُ عَنْ عَشْمَتِهَا فى هذه الحال ، إذ ذلك شئ لا يُمْلِكُ ولا يدخل تحت الاختيار . وقال جامع :

سَأَتْ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مَفْتًىَ الـ مَدِينَةِ هَلْ فى حُبِّ دَهْمَاءٍ مِنْ وَرَرْ  
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّمَا يَلَامُ عَلَى مَا يُسْتَطَاعُ مِنَ الْأَمْرِ (١)

قالوا : والعشقُ نوعٌ من العذاب ، والعاقِلُ لا يختار عذابَ نفسه ، وفى هذا قال المؤمِّل :

شَفَّ الْمُؤْمِّلَ يَوْمَ الْحِسْرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤْمِّلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ  
يَكْفَى الْحَبِيبَ فى الدُّنْيَا عَذَابُهُمْ وَاللَّهِ لَاعَذَّبَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ  
فيقال : إنه عَمِيَ بعد هذا . وقال آخر : ليس الهوى إلى أَرَأَى فَيَمْلِكْهُ ،  
ولا إلى العقلِ فَيُذَرِّكْهُ ، ثُمَّ أَنشُد :

لَيْسَ خَطْبُ الْهَوَى بِخَطْبِ يَسِيرٍ لَا يُنَبِّئُكَ عَنْهُ مِثْلُ خَبِيرٍ (٢)  
لَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى يُدَبَّرُ بِالرُّأْيِ وَلَا بِالْقِيَاسِ وَالتَّفْكِيرِ  
إِنَّمَا الْأَمْرُ فى الْهَوَى خَطَرَاتٌ مُحَدِّثَاتُ الْأُمُورِ بَعْدَ الْأُمُورِ  
وقال القاضى أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الثُّوْقَاتَى (٣) فى كتابه

( ١ ) تقدم هذان البيتان وفيهما : تلام .

( ٢ ) قيل أنها لعلى بنت المهدي ؛ حكاه الصولى كما فى تزيين الاشواق .

( ٣ ) نوقات : محلة بسجستان يقال لها : دنوها فمررت .

« محنة الظراف » : العشاقُ معذورون على الأحوال ، إذ العشق إنما دهاهم عن غير اختيار ، بل اعتراهم عن جبر واضطرار ، والمرء إنما يلام على ما يستطيع من الأمور ، لا على المتضي عليه والمقدور . فقد قيل : إن الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها ، فكيف ترى هذه وضعته ؟ أباختيارٍ كان ذلك أم باضطرارٍ ؟ قال غيره : وهؤلاء النسوة قَطَّعن أيديهن لما بدا لهن حسن يوسف عليه السلام وماتمكن حبه من قلوبهن ، فكيف لو شُغفن حباً ؟ وكان مُصعبُ بنُ الزُّبير إذا رآته المرأة حاضت لحسنه وجماله . قال فيه الشاعر :

إنما مُصعبٌ شهابٌ من الآلا تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظالماءُ

ومن هاهنا أخذ أحمد بن الحسين الكندي المتنبي قوله :

تَقَى اللَّهَ وَاسْتَرَا ذَا الْجَمَالَ بِيَرْقَعٍ فَإِنْ لَحَتْ حَاضَتْ فِي الْخَدُورِ الْعَوَاتِقُ <sup>(١)</sup>

فإذا كان هذا من مجرد الرؤية فكيف بالحببة التي لا تملك ؟ وقال هشام ابن عروة عن أبيه : مات بالمدينة عاشقٌ فصلى عليه زيد بن ثابت ، فقيل له في ذلك فقال : إني رَحَّمْتُهُ . وروى أبو السائب الخزومي - وكان من العلم والدين بمكان - متعلماً بأستار الكعبة وهو يقول : أَللَّهُمَّ أَرْحِمِ الْعَاشِقِينَ وَقَوِّ قُلُوبَهُمْ وَاغْطِ عَلَيْهِمْ قُلُوبَ الْمَعْشُوقِينَ ، فقيل له في ذلك فقال : وَاللَّهِ لَلدُّعَاءِ لَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ غُمْرَةٍ مِنَ الْجُمْرَانَةِ <sup>(٢)</sup> ثم أنشد :

يَاهَجِرْ كُفَّ عَنِ الْمَوَى وَدَعِ الْمَوَى      لِلْعَاشِقِينَ يَطِيبُ يَاهَجِرْ  
مَاذَا تَرِيدُ مِنَ الَّذِينَ جَفَوْهُمْ      قَرَحِي وَحَشِّو قُلُوبَهُمْ جَحْرُ

( ١ ) في ديوان المتنبي : خف الله . والعواتق : الثبايات من النساء .

( ٢ ) الجمرانة : موضع بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة .

مُتَبَلِّلِينَ<sup>(١)</sup> من الهوى ألوانهم مما يُجِنُّ قلوبهم صُفْرُ  
وسوابقُ العَبَرَاتِ فوق خدودهم دررٌ تَفِيضُ كأنها قَطْرُ  
وَيُذَكِّرُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بِجَارِيَةٍ تَغْنَى:

هَلْ عَلَى وَيَمَكَا إِنْ هَوَيْتُ مِنْ حَرَجٍ  
فَنَسَبَهم وقال: «لَا حَرَجَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>، قالوا: وفدفتهم كثيرٌ من السَّافِ  
قوله تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)<sup>(٣)</sup> بالعشق. وهذا لم يريدوا  
به التخصيص، وإنما أرادوا به التمثيلَ وأنَّ العشقَ من تحمیل مالا يُطَاقُ. والمراد  
بالتحمیل هاهنا التحمیلُ القَدَرِيُّ لا الشرعيُّ الأَمْرِيُّ. قالوا: وقد رأينا جماعةً  
من العشَّاق يطوفون على مَنْ يدعُرُ لهم أن يعافِيهم الله من العشق، ولو كان  
اختياراً لأزالوه عن نفوسهم. ومن هاهنا يتبينُ خطأ كثيرٍ من العاذلين،  
وعَذْلُهم في هذه الحال بمنزلة عَذْلِ المريض في مرضة، قال:

(١) المتبلد: المتردد المتحير الساقط إلى الأرض من الضعف.  
(٢) في الرسالة القشيرية جاء: وقدرى أن رجلاً نشد بين يدي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم:

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبع  
أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهج  
هل على ويحك إن عشقت من حرج  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا. قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري  
في شرح الرسالة: هذا حديث موضوع. ويدل قول المؤلف: ويذكر على أنه غير  
متأكد من صحة الحديث.

(٣) الآية ٢٨٦ آخر سورة البقرة.

يا عاذلى والأمرُ فى يده هَلَا عَذَلْتَ وفى يدى الأمرُ  
وإنما ينبغى العذلُ قبل تعلقُ هذا الداء بالقلب كما قيل فيه :  
يُذكرنى حمٌ وارمُحُ شاجرٌ فهلا تلاحمٌ قبل التقدُّم<sup>(١)</sup>

وقالت فرقةٌ أخرى : بل اختيارىُّ تابعٌ لهوى النفس وإرادتها ، بل هو  
استحكامُ الهوى الذى مدحَ اللهَ مَنْ نَهَى عَنْهُ نَفْسَهُ فقال تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ  
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ )<sup>(٢)</sup>  
فمحالٌ أن ينهى الإنسانُ نفسه عما لا يدخل تحت قدرته .

قالوا : والعشقُ حركةٌ اختياريةٌ للنفس إلى نحو محبوبها ، وليس بمنزلة  
الحركات الاضطرارية التى لا تدخل تحت قدرة العبد . قالوا : وقد ذمَّ اللهُ  
سبحانه وتعالى أصحابَ المحبة الفاسدة الذين يحبون من دونه أنداداً ، ولو كانت  
المحبة اضطراريةً لما ذُموا على ذلك . قالوا : ولأنَّ المحبةَ إرادةٌ قوِّيةٌ ، والعبدُ  
يُحمَدُ ويُذَمُّ على إرادته ، ولهذا يُحمَدُ مُريدُ الخير وإن لم يفعله ، ويُذَمُّ مُريدُ الشرِّ  
وإن لم يفعله . وقد ذمَّ اللهُ الذين يحبون أن تسمعَ الفاحشةُ فى الذين آمنوا ،  
وأخبر أن لهم عذاباً أليماً . ولو كانت المحبةُ لا تُمدَّك لم يتوعَّدُهم بالعذاب على

---

( ١ ) أى يذكرنى بتلاوة الآية (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وقد اختلف  
الرواة فى قائل هذا البيت فبعضهم ينسبه لشريح بن أبى أوفى ، وبعضهم للأشتر  
النخعى ، وبعضهم لغيرهما . وهو من أبيات قيلت فى محمد بن طلحة رضى الله عنه  
لما طعنه القاتل فذكره القرآن لأن حم على قول قتادة اسم من أسماء  
الرقاة .

(٢) الآيتان ٤٠ و ٤١ سورة النازعات

ما لا يدخل تحت قدرتهم . قالوا : والعلاء قاطبةً مُطَبَّقُونَ عَلَى لَوْمٍ مِنْ يَحِبُّ  
ما يضرُّ بِمَحَبَّتِهِ . وهذا فطرةٌ فطرَ اللهُ عليها الخلقَ ، فلو اعتذرَ بِأَنِّي لَا أَمْلِكُ  
قلبي لم يقبلوا له عذراً .

## فصل

وفصل النزاع بين الفريقين أن مبادئ العشق وأسبابه اختياريةٌ داخليةٌ  
تحت التكليف ، فإن النظر والتفكير والتعرض للمحبة أمرٌ اختياريٌّ ، فإذا  
أَنَّى بالأسباب كان ترثبُ المسبب عليها بغير اختياره كما قيل :

تَوَلَّعَ بِالْعَشْقِ حَتَّى عَشِقُ      فلما استقلَّ به لم يُطِيقُ  
رَأَى لُجَّةً ظَنَّمَا مَوْجَةً      فلما تمكنَ منها غَرِقُ  
تَمَنَّى الْإِقَالَةَ مِنْ ذَنْبِهِ      فلم يستطعها ولم يَسْتَطِيقُ

وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر ، فإن تناول المسكر اختياري وما يتولد  
عنه السكر اضطراريٌّ ، فمتى كان السبب واقعاً باختياره لم يكن معذوراً فيما تولد  
عنه بغير اختياره ، فمتى كان السبب محظوراً ، لم يكن السكران معذوراً . ولا ريب  
أن متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ،  
ولهذا إذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يُلَمَّ عليه صاحبه ، كمن كان يعشق  
امرأةً أو جاريته ثم فارقه وبقى عشقها غير مفارقٍ له ، فهذا لا يُلام على ذلك  
كما تقدم في قصة بريرة ومغيث<sup>(١)</sup> . وكذلك إذا نظر نظرة فجأة ثم صرف  
بصره وقد تمكن العشق من قلبه بغير اختياره ، على أن عليه مدافعتَه وصرفَه

عن قلبه بضده ، فإذا جاء أمره يَغْلِبُهُ فَمِنْهُ لَا يَلَامُ بَعْدَ بَذْلِ الْجُهِدِ فِي دَفْعِهِ . وَمِمَّا  
يَبِينُ مَا قُلْنَا أَن سَكْرَ الْعَشَقِ أَعْظَمُ مِنْ سَكْرِ الْخَمْرِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ  
عُشَّاقِ الصُّوَرِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ : ( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ فِي سَكْرَتِهِمْ يَقْمَهُونَ )<sup>(١)</sup>  
وإذا كان أدنى السكرين لا يُعْذَرُ صَاحِبُهُ إِذَا تَعَاطَى أَسْبَابَهُ ، فَكَيْفَ يُعْذَرُ  
صَاحِبُ السَّكْرِ الْأَقْوَى مَعَ تَعَاطِي أَسْبَابِهِ ؟ وَإِذْ قَدْ وَصَلْنَا إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ  
فَلْنَذْكُرْ بَابًا فِي مَكْرَةِ الْحُبِّ وَسَبَبِهَا .

## الباب الثاني عشر

### في سكرة المشاق

ولا بدّ قبل الخوض في ذلك من بيان حقيقة السكر وسببه وتوَلَّدَه فتقول:  
السكر لذّةٌ يغيب معها العقلُ الذي يُعَلِّمُ به القولُ ويحصلُ معه التمييزُ . قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ )<sup>(١)</sup> فجعل الغاية التي يزول بها حكمُ السكران أن يعلم ما يقول ، فمتى لم يعلم ما يقول فهو في السكر ، وإذا علم ما يقول خرج عن حكمه ، وهذا هو حدُّ السكران عند جمهور أهل العلم .

قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : بماذا يُعَلِّمُ أنه سكران ؟ فقال : إذا لم يعرف ثوبه من ثوب غيره ، ونعله من نعل غيره . ويذكر عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال : إذا اختلط كلامه المنظوم ، وأفشى سرّه المكتوم . وقال محمد بن داود الأصفهاني : إذا عزبت عنه الهموم ، وباح بسرّه المكتوم ، فالسكر يجمع معنيين : وجود لذّة ، وعدم تمييز ، والذي يقصد السكر قد يقصد أحدهما وقد يقصد كليهما ، فإن النفس لها هوى وشهوات تلذذ بإدراكها ، والعلم بما في تلك اللذات من المفسد العاجل والآجل يمنعها من تناولها ، والعقل يأمرها بأن لا تفعل ، فإذا زال العقل الأمر والعلم الكاشف انبسطت النفس في هواها ، وصادفت مجالا واسعا .

وحرم الله سبحانه وتعالى السكر لشين ذكرها في كتابه من قوله :

( إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ )<sup>(١)</sup> فأخبر الله سبحانه أنه يوجب المفسدة الناشئة من النفس بواسطة زوال العقل ، ويمنع المصلحة التي لا تتم إلا بالعقل .

وقد يكون سبب السكر ألماً كما يكون لذّة . قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَلٍ حَلْها وَتَرى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ )<sup>(٢)</sup> وقد يكون سببه قوة الفرح يادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه ، وتتغير أفعاله بحيث يزول عقله ، وربما قتله الفرح بسبب طبيعته وهو انبساط دم القلب انبساطاً خارجاً عن العادة ، والدم حامل الحارّ الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط دمه فيحدث الموت .

وقد جرى هذا لأحمد بن طولون أمير مصر فإنه مرّ بصياد في يوم بارد وعنده بُنى له ، فرق عليهما ، وأمر غلامه أن يدفع إليه ما معه من الذهب ، فصبه في حجره ومضى ، فاشتدّ فرحه به فلم يحمل ما ورد عليه من الفرح ففضى مكانه ، فعاد الأمير من شأنه فوجد الرجل ميتاً والصبي يبكي عند رأسه فقال : من قتله ؟ فقال : مرّ بنا رجلٌ — لاجزاه الله خيراً — فصب في حجر أبي شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى وهلة

(١) الآية ٩٤ سورة المائدة .

(٢) أول سورة الحج .



واحدة<sup>(١)</sup> فَعَجَزَ عن احتمالِه فقتله ، ولو أعطيناه ذلك بالتدريج لم يقتله  
فخرّض الصبيَّ على أن يأخذ الذهب فأبى وقال : والله لأُمسك شيئاً  
قتلى أبى .

والمقصودُ أن السكرَ يوجب اللذّة ويمنع العلم ، فنه السكرُ بالأطعمة  
والأشربة ، فإن صاحبها يحصلُ له لذّة وسرورٌ بها يحمله على تناولها لأنها  
تغيب عنه عقله فتغيب عنه الموم والغموم والأحزان تلك الساعة ، ولكن  
يُفْلَطُ في ذلك فإنها لا تزول ولكن تتوارى ، فإذا عادت أعظمَ ما كانت  
وأوفره ، فيدعوه عَوْدها إلى العود كما قال الشاعر :

وكأسٍ شربتُ على لذّةٍ وأخرى تداويت منها بها  
ومن الناس من يقصدُ بها منفعةَ البدن وهو غايط ، فإنه يترتب عليها من  
المضرة المتولدة عن السكر ما هو أعظمُ من تلك المنفعة بكثير ، واللذّة الحاصلةُ  
بذكر الله والصلاة عاجلاً وآجلاً أعظمُ وأبقى وأدفع للهموم والغموم  
والأحزان .

وتلك اللذّة أجلبُ شيءٍ للهموم والغموم عاجلاً وآجلاً ، ففي لذّة  
ذكر الله والإقبال عليه والصلاة بالقلب والبدن من المنفعة الشريفة العظيمة  
السالمة عن المفسد الدافعة للمضارّ غنى وعوضٌ ، للانسان الذى هو إنسانٌ  
عن تلك اللذّة الناقصة القاصرة المانعة لما هو أكملُ منها ، الجالبة <sup>إليه</sup> للألم  
أعظمَ منها .

## فصل

ومن أسباب السكر حبُّ الصَّوَرِ ، فإنه إذا استحكم الحبُّ وقوى أسكر الحبَّ ، وأشعارهم بذلك مشهورة كثيرةٌ ولا سيما إذا اتصل الجماعُ بذلك الحب ، فإن صاحبه ينقص تمييزه أو يعدم في تلك الحالة بحيث لا يميز ، فإن انضاف إلى ذلك السكر سكرُ الشراب بحيث يجمع عليه سكرُ الهوى وسكرُ الخمر وسكرُ لذة الجماع فذلك غايةُ السكر . ومنه ما يكون ضربه حبُّ المال والرئاسة وقوة الغضب ، فإن الغضب إذ قوى أوجب سكرًا يقرب من سكر الخمر .

ويدخل ذلك في الإغلاق الذي أبطل النبي صلى الله عليه وسلم وقوع الطلاق فيه بقوله : « لا طَلَّاقَ فِي إِغْلَاقٍ »<sup>(١)</sup> رواه أبو داود وقال : أظنه الغضب . وفسره الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أيضاً بالغضب .

ومما يدل على صحة ذلك قوله تعالى : ( وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِأَخْلَافٍ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ )<sup>(٢)</sup> قال السلف في تفسيرها : هو الرجل يدعو على نفسه وأهله في وقت الغضب من غير إرادة منه لذلك ، فلو استجاب الله دعاءه لأهلكه وأهلك من دعا عليه ، ولكن لرحمته لما علم أن الحامل له على ذلك سكرُ الغضب لا يحيب دعاءه .

ومن هذا قولُ الواجد لراحلته بعد يأسه منها وإيقانه بالهلاك : اللهم أنت

---

(١) في الجامع الصغير : لا طلاق ولا عتاق في إغلاق ، قال : رواه أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه والحاكم ، وكذلك أورده المؤلف في رسالته : وإغاثة اللهيان في حكم طلاق الغضبان ، .  
(٢) الآية ١١ . سورة يونس .

عبدى وأنا ربك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » <sup>(١)</sup> ولم يكن بذلك كافراً لعدم قصد . وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تحقيقاً لشدة الفرح الذى أفضى به إلى ذلك . وإنما كانت هذه الأشياء قد توجب السكر لأن السكر سببه ما يوجب اللذة القاهرة التى تغمر العقل ، وسبب اللذة إدراك المحبوب ، فإذا كانت المحبة قوية وإدراك المحبوب قوياً والعقل ضعيفاً حدث السكر ، لكن ضعف العقل يكون تارة من ضعف المحبة وتارة من قوة السبب الوارد ، ولهذا يحصل من السكر للمبتدئين فى إدراك الرئاسة والمال والعشق والخمر مالا يحصل لمن اعتاد ذلك وتمكن فيه .

## فصل

ومن أقوى أسباب السكر الموجبة له سماع الأصوات المطربة من جهتين : من جهة أنها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر معها العقل ، ومن جهة أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها كأنها ما كان ، فيحصل بتلك الحركة الشوق والطلب مع التخيل للمحبوب وإدناء صورته إلى القلب واستيلائها على الفكرة لذة عظيمة تقهر العقل ، فتجتمع لذة الألحان ولذة الأشجان ، ولهذا يقرن المعنيون بهذه اللذات سماع الألحان بالشراب كثيراً ليسكمل لهم السكر بالشراب والعشق والصوت المطرب ، فيجدون من لذة الوصال وسكره فى هذه الحال مالا يجدونه بدونها .

فالخمر شراب النفوس ، والألحان شراب الأرواح ، ولا سيما إذا اقترن بها من الأقوال ما فيه ذكر المحبوب ووصف حال المحب على مقتضى الحال التى

(١) من حديث رواه مسلم .

هو فيها ، فيجتمع سماعُ الأصوات الطيبة وإدراكُ المعاني المناسبة ، وذلك أقوى بكثيرٍ من اللذة الحاصلة بكل واحدٍ منها على انفراده ، فتستولى اللذة على النفس والروح والبدن أتمَّ استيلاء فيحدث غايةُ السكر . فكيف يدعى العذرَ مَنْ تعاطى هذه الأسباب ويقول : إن ماتولّد عنها اضطراريٌّ غيرُ اختياريٍّ وبالله التوفيق .

---

## البَابُ الثَّالِثُ عَشَرُ

فِي أَنَّهُ اللَّذَّةُ ثَابِتَةٌ لِلْمَحَبَّةِ فِي الْكَمَالِ وَالْإِقْصَاءِ

فكَلِمَا قَوِيَّتِ الْمَحَبَّةُ قَوِيَّتِ اللَّذَّةُ بِإِدْرَاكِ الْمَحْبُوبِ ، وَهَذَا الْبَابُ مِنْ أَجْلِ  
أَبْوَابِ الْكِتَابِ وَأَنْفَعُهَا . وَنَذَكْرُ فِيهِ بَيَانُ مَعْرِفَةِ اللَّذَّةِ وَأَقْسَامُهَا وَمَرَاتِبُهَا فَنَقُولُ :  
أَمَّا اللَّذَّةُ فَفُسِّرَتْ بِأَنَّهَا إِدْرَاكُ الْمُلَاطَمَةِ كَمَا أَنَّ الْأَلْمَ إِدْرَاكُ الْمُنَافَى . قَالَ شَيْخُنَا :  
وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ إِدْرَاكُ الْمُلَاطَمَةِ سَبَبُ اللَّذَّةِ ، وَإِدْرَاكُ الْمُنَافَى سَبَبُ الْأَلْمِ ،  
فَاللَّذَّةُ وَالْأَلْمُ يَنْشَأَنَّ عَنْ إِدْرَاكِ الْمُلَاطَمَةِ وَالْمُنَافَى ، وَإِلِدْرَاكِ سَبَبٍ لَهَا ، وَاللَّذَّةُ أَظْهَرَ  
مِنْ كُلِّ مَا تُعْرَفُ بِهِ فَإِنَّهَا أَمْرٌ وَجْدَانِيٌّ ، وَإِنَّمَا تُعْرَفُ بِأَسْبَابِهَا وَأَحْكَامِهَا .  
وَاللَّذَّةُ وَالبَهْجَةُ وَالسَّرُورُ وَقَرَّةُ الْعَيْنِ وَطِيبُ النَّفْسِ وَالنَّعِيمُ أَفْظَاظٌ مُتْقَابِرَةٌ  
الْمَعْنَى ، وَهِيَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي الْجُمْلَةِ ، بَلْ ذَلِكَ مَقْصُودٌ كُلِّ حَيٍّ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ  
ضَرُورِيٌّ مِنْ وَجُودِهِ ، وَذَلِكَ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْغَايَاتِ بِمَنْزِلَةِ الْحِسِّ وَالْعُلُومِ الْبَدِيعِيَّةِ  
فِي الْمُبَادِيءِ وَالْمُقَدِّمَاتِ ، فَإِنْ كُلِّ حَيٍّ لَهُ عِلْمٌ وَإِحْسَاسٌ ، وَلَهُ عَمَلٌ وَإِرَادَةٌ ،  
وَعِلْمُ الْإِنْسَانِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَالَّذِي نَظَرِيًّا اسْتَدْلَالِيًّا لِاسْتِحَالَةِ الدَّوَرِ وَالتَّسْلُسِ ،  
بَلْ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ عِلْمٍ أَوَّلُهُ بِدِيعِيٍّ يَبْدُوهُ النَّفْسَ وَيَبْتَدِئُ فِيهَا ، فَذَلِكَ يُسَمَّى  
بِدِيعِيًّا وَأَوَّلِيًّا ، وَهُوَ مِنْ نَوْعٍ مَا تُضْطَرُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَيُسَمَّى ضَرُورِيًّا . فَإِنْ  
النَّفْسُ تُضْطَرُّ إِلَى الْعِلْمِ تَارَةً وَإِلَى الْعَمَلِ أُخْرَى ، وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ الْإِخْتِيَارِيُّ  
الْمُرَادِيُّ لَهُ مُرَادٌ ، فَذَلِكَ الْمُرَادُ إِمَّا أَنْ يُرَادَ لِنَفْسِهِ أَوْ لَشَيْءٍ آخَرَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ كُلُّ مُرَادٍ مُرَادًا لغيرِهِ حَذَرًا مِنَ الدَّوَرِ وَالتَّسْلُسِ ، فَلَا بَدَّ مِنْ مُرَادٍ  
مَطْلُوبٍ مَحْبُوبٍ لِنَفْسِهِ ، فَإِذَا حَصَلَ الْمَطْلُوبُ الْمُرَادُ الْمَحْبُوبُ فَاقْتَرَانُ اللَّذَّةِ

والنعمة والفرح والسرور وقوة العين به على قدر قوة محبته وإرادته والرغبة فيه ،  
وذلك أمرٌ ذوقٌ وجدى ، ولهذا يغلب على أهل الإرادة والعمل من السالكين  
اسمُ الذوق والوجد لما فى وجود المراد المطلوب من الذوق والوجد الموجب  
للفرح والسرور والنعيم . فهاهنا ثلاثة أنواع من الأسماء متقاربة المعانى ، أحدها :  
الشهوة والإرادة والميل والطلب والمحبة والرغبة ونحوها ، الثانى : الذوق  
والوجد والوصول والظفر والإدراك والحصول والنيل ونحوها ، الثالث : اللذة  
والفرح والنعيم والسرور وطيب النفس وقوة العين ونحوها ، وهذه الأمور  
الثلاثة متلازمة .

## فصل

وإذا كانت اللذة مطروبةً لنفسها فهى إنما تَذمُّ إذا أعقت ألباً أعظم منها  
أو منعت لذةً خيراً منها ، وتُحمدُ إذا أعانت على اللذة الدائمة المستقرة وهى لذة  
الدار الآخرة ونعيمها الذى هو أفضلُ نعيمٍ وأجله كما قال الله تعالى : ( وَلَا نُضِيعُ  
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ )<sup>(١)</sup> ،  
وقال تعالى : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ  
وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ )<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .  
وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ  
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ )<sup>(٤)</sup> ، وقال العارفون بتفاوت ما بين الأمرين لفرعون ،

( ١ ) الآيتان ٥٦ و ٥٧ . سورة يوسف .

( ٢ ) الآية ٣٠ . سورة التحل .

( ٣ ) الآيتان ١٦ و ١٧ . سورة الاعلى .

( ٤ ) الآية ٦٤ . سورة المنكبوت .

(فَأَفْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) <sup>(١)</sup> ،  
والله سبحانه وتعالى إنما خالق الخلق لدار القرار وجعل اللذة كلها بأمرها فيها  
كما قال الله تعالى : ( وَفِيهَا مَا شَتَّيْتُمُ الْآنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ) <sup>(٢)</sup> ، وقال  
تعالى : ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) <sup>(٣)</sup> ، وقال النبي صلى  
الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ  
وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ بَلْهُ مَا أَطْلَعْتُمْ » <sup>(٤)</sup> « أى غير  
ما اطلعتم عليه ، وهذا هو الذى قصده الناصح لقومه الشفيق عليهم حيث قال :  
( يَا قَوْمِ أَتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ) <sup>(٥)</sup> فأخبرهم أن الدنيا متاعٌ يُتَمَتَّعُ بها  
إلى غيرها . والآخرة هى المستقر والغاية .

## فصل

وإذا عُرِفَ أَنَّ أَذَاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمَهَا مَتَاعٌ وَوَسِيلَةٌ إِلَى لَذَاتِ الدَّارِ الْآخِرَةِ  
وَلِذَلِكَ خُلِيتْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعٍ

( ١ ) الآيتان ٧٢ و ٧٣ سورة طه .

( ٢ ) الآية ٧١ سورة الزخرف .

( ٣ ) الآية ١٧ سورة السجدة .

( ٤ ) رواة البخارى ومسلم والترمذى ببعض اختلاف فى الزيادة الاخيرة  
وهى لم ترد فى رواية البخارى .

( ٥ ) الآيتان ٣٨ و ٣٩ سورة المؤمن .

الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (١) فكلُّ لَذَّةٍ أَعَانَتْ عَلَى لَذَاتِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ مَرْضِيَّةٌ لِلرَّبِّ تَعَالَى ، فَصَاحِبُهَا يَلْتَذُّ بِهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : مِنْ جِهَةٍ تَنْعَمُهُ وَقَرَّةٌ عَيْنُهُ بِهَا ، وَمِنْ جِهَةٍ يُصَالِحُهَا إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ وَإِفْضَائِهَا إِلَى لَذَّةٍ أَكْمَلَ مِنْهَا ، فَهَذِهِ هِيَ اللَّذَّةُ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْمِيَ فِي تَحْصِيلِهَا ، لَا اللَّذَّةُ الَّتِي تُتَعَبُّهُ غَايَةُ الْأَلَمِ وَتَفُوتُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ اللَّذَاتِ ، وَلِهَذَا يَثَابُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنَ الْمُبَاحَاتِ إِذَا قَصَدَ بِهِ الْإِعَانَةَ وَالتَّوَصُّلَ إِلَى لَذَّةِ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا ، فَلَا نِسْبَةَ بَيْنَ لَذَّةِ صَاحِبِ الزَّوْجَةِ أَوْ الْأَمَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَعَيْنُهُ قَدْ قَرَّتْ بِهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا بَاسَرَهَا وَالتَّذَّ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ وَنَفْسُهُ بِوَصَالِهَا أَثِيبَ عَلَى تِلْكَ اللَّذَّةِ فِي مَقَابَلَةِ عَقُوبَةِ صَاحِبِ اللَّذَّةِ الْحَرَمَةِ عَلَى لَذَّتِهِ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « وَفِي بَضْعٍ أَحَدِكُمْ أَجْرٌ قَالُوا يَارَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ يَكُونُ لَهُ أَجْرٌ » (٢) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ اللَّذَّةَ تَتَضَاعَفُ وَتَتَزَايِدُ بِحَسَبِ مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ وَالرَّغْبَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ الشَّهْوَةَ وَالْإِرَادَةَ الْمُنْقَسِمَةَ فِي الصُّورِ اجْتَمَعَتْ لَهُ فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَالْخَوْفَ وَالْهَمَّ وَالنَّعْمَ الَّذِي فِي اللَّذَّةِ الْحَرَمَةِ مَعْدُومٌ فِي لَذَّتِهِ ، فَإِذَا اتَّفَقَ لَهُ مَعَ هَذَا صُورَةٌ جَمِيلَةٌ وَرَزَقَ حُبَّهَا وَرَزَقَتْ حُبَّهَ وَانْصَرَفَتْ دَوَاعِي شَهْوَتِهِ إِلَيْهَا ، وَقَصُرَتْ بَصَرُهُ عَنْ

( ١ ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ السَّيُوطِيُّ : وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَالنَّسَائِيُّ .

( ٢ ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَسَيَأْتِي بَعْضُهُ مَعَزُومًا وَتَخْرِيجُهُ لِلنَّسَائِيِّ وَالْبُزْجِيِّ : الْجَمَاعُ أَوْ الْفَرَجُ

نَفْسُهُ وَعَقْدُ الزَّوْجِ وَهُوَ أَيْضًا بَيْنِي الطَّلَاقِ كَمَا هُوَ .



النظر إلى شواها ونفسه عن التطلّع إلى غيرها فلا مناسبة بين لذّته ولذّة صاحب الصورة المحرّمة . وهذا أطيب نعيم يُنال من الدُّنيا ، وجعله النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة بها يُنال خير الدُّنيا والآخرة وهي : قلبٌ شاكر ، ولسانٌ ذاكر ، وزوجةٌ حسنة إن نظر إليها سرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله ، قاله المستعان .

وقال القاسم بن عبد الرحمن : كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقرأ القرآن فإذا فرغ قال : أين العُزّاب ؟ فيقول : ادنوا منى ثم قولوا : اللهم ارزقني امرأة إذا نظرتُ إليها سرتني ، وإذا أمرتها أطاعتني ، وإذا غبت عنها حفظت غيبتى في نفسيها ومالى .

والألم والحزنُ والهَمُّ والغَمُّ ينشأ من عَدَم العلم بالمحبوب النافع ، أو من عدم إرادته وإيثاره مع العلم به ، أو من عدم إدراكه والظفر به مع محبته وإرادته ، وهذا من أعظم الألم . ولهذا يكون أَلَمُ الإنسان في البرزخ<sup>(١)</sup> وفي دار الحيوان<sup>(٢)</sup> بنوات محبوبه أعظم من أَلَمه بفواته في الدُّنيا من ثلاثة أوجه ، أحدها : معرفته هناك بكَمال مافاته ومقداره ، الثانى : شدّة حاجته إليه وشوق نفسه إليه مع أنه قد حِيلَ بينه وبينه كمال قال الله تعالى : ( وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ )<sup>(٣)</sup> ، الثالث : حصول ضده المؤلم له . فليتأمل العاقلُ هذا الموضع وليُنزِل نفسه منزلة مَنْ قد فاته أعظم محبوبٍ وأنفعه وهو أفقرُ شيءٍ وأحوجُه إليه فواتاً لا يرجى تدارُكُه وحصل على ضده ، فيالها من مصيبةٍ ما أوجعها ، وحالةٍ ما أقطعها ،

---

(١) البرزخ : الحاجز بين شيتين ، وما بين الموت والبعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ . قال تعالى : ( ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون ) .  
 (٢) دار الحيوان : هى الدار الآخرة .  
 (٣) آخر آية من سورة سبأ .

فأين هذه الحال من حالة مَنْ يلتذُّ في الدنيا بكل ما يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى من الأكل والشرب واللباس والنكاح وشفاء الغيظ بقهر العدو وجهاد في سبيله، فضلاً عما يلتذُّ به من معرفة ربه وحب له وتوحيده والإثابة إليه والتوكل عليه والإقبال عليه وإخلاص العمل له والرضا به وعنه ، والتفويض إليه وفرح القلب وسروره بقربه والأنس به والشوق إلى لقائه كما في الحديث الذي صححه ابن حبان والحاكم : « وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ <sup>(١)</sup> » وهذه اللذة لا تزال في الدنيا في زيادة مع تنقيصها بالعدو الباطن من الشيطان والهوى والنفس والدنيا والعدو الظاهر ، فكيف إذا تجرّدت الروح وفارقت دار الأحران والآفات واتّصلت بالرفيق الأعلى ( مع الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيًّا ) <sup>(٢)</sup> . فإذا أفضى إلى دار النعيم فهنا لك من أنواع اللذة والبهجة والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فبؤساً وتَعَسّاً للنفوس الوضيعة الدنيئة التي لا يَهْزُها الشوق إلى ذلك طرباً ، ولا تَتَقَدُّ نارُ إرادتها لذلك رَغَباً ، ولا تَعْبُدُ عما يَصُدُّ عن ذلك رَهَباً ، فبصائرُها كما قيل :

خَفَافِشُ أَعْشَاهَا نَهَارُ بَضُوئِهِ      وَلَاءُ مَهَا قِطْعُهُ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمُهُ <sup>(٣)</sup>  
تَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ ، إِذَا جَالَتِ النَّفُوسُ الْعُلُوبَةُ حَوْلَ الْعَرْشِ ، وَتَنْدَسُ  
فِي الْأَحْجَارِ ، إِذَا طَارَتِ النَّفُوسُ الزَّكِيَّةُ إِلَى أَعْلَى الْأَوْكَارِ .

( ١ ) تقدم مطولاً ومعزواً إلى مسند أحمد في الصفحة ٣٠ .

( ٢ ) الآيتان ٦٨ و ٦٩ . سورة النساء .

( ٣ ) الخفافيش : الطوارق يبصر في الليل ويعمي في النهار والجمع خفافيش .  
ولاءها : وافقها . والقطع بالكسر : ظلمة آخر الليل أو القطعة منه .

فلم تَرِ أمثال الرجال تفاوتوا إلى الفضل حتى عد ألف بواحد

## فصل

وكلّ لذةٍ أعقبت أَلماً أو منعت لذةً أكلَ منها فليست بلذةً في الحقيقة وإن غالطت النفس في الالتذاذ بها، فأى لذةٍ لآكل طعامٍ شهى مسموم يُقَطَّعُ أمعاه عن قريب؟ وهذه هى لذاتُ الكُفَّارِ والفُسَّاقِ بعلوهم في الأرض وفسادهم وفرحهم فيها بغير الحق ومرحهم . وذلك مثل لذة الذين اتخذوا من دون الله أولياء يحبونهم كحبِّ الله، فنالوا بهم مودةً بينهم في الحياة الدنيا، ثم استحالت تلك اللذة أعظمَ أَلَمٍ وأمره . ومن ذلك لذةُ العقائد الفاسدة والفرحُ بها، ولذةُ غلبة أهل الجور والظلم والعدوان والزنى والسرقة وشرب المسكرات، . وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يُمكنهم من ذلك لخيرٍ يريد بهم، إنما هو استدراجٌ منه لينيلهم به أعظمَ الأَلَمِ قال الله تعالى: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) <sup>(١)</sup> وقال تعالى: (فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) <sup>(٢)</sup> .

## فصل

وأما اللذة التى لا تُعقب أَلماً فى دار القرار ولا توصل إلى لذةٍ هناك فهى لذةٌ باطلة، إذ لا منفعة فيها ولا مضرة، وزمنها يسيرٌ ليس لتمتع النفس بها قدر وهى لا بد أن تشغلَ عما هو خيرٌ وأنفعُ منها فى العاجلة والآجلة وإن لم تشغلْ

(١) الآيتان ٥٦ و ٥٥ . سورة المؤمنون .

(٢) الآية ٥٦ . سورة التوبة .

غن أصل اللذة في الآخرة وهذا القسم هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «كُلُّ لَهْوٍ يَلْهَوُ بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ إِلَّا رَمِيَهُ تَوَسَّاهُ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسُهُ وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلُهُ فَإِنَّ مِنْ هُنَّ الْحَقُّ» <sup>(١)</sup> (رواه مسلم) ولهذا كانت لذة اللعب بالدَفِّ في العرس جائزة فإنها تعين على النكاح ، كما تعين لذة الرمي بالقوس وتأديب الفرس على الجهاد ، وكلاهما محبوب لله . فما أعان على حصول محبوه فهو من الحق ، ولهذا عدَّ ملاعبة الرجل امرأته من الحق لإعانتها على مقاصد النكاح الذي يحبه الله سبحانه وتعالى ، ومالم يُعِنَّ على محبوب الرب تعالى فهو باطل لافائدة فيه، ولكن إذا لم يكن فيه مضرة راجعة لم يُحَرِّم ولم يُنَه عنه، ولكن إذا صدَّ عن ذكر الله وعن الصلاة صار مكروهاً بغيضاً للرب عز وجل مَقِيَّتاً عنده إما بأصله وإما بالتجاوز فيه . وكلُّ ماصدٍّ عن اللذة المطلوبة فهو وبالٌ على صاحبه ، فإنه لو اشتغل حين مباشرته له بما ينفعه ويَجْلِبُ له اللذة المطلوبة الباقية لكان خيراً له وأُنْفَع .

ولما كانت النفوس الضعيفة كنفوس النساء والصبيان لا تنقاد إلى أسباب اللذة العظمى إلا بإعطائها شيئاً من لذة اللهو واللعب بحيث لو قطعت عنه كل القطام طلبت ما هو شرٌّ لها منه رخص لها من ذلك فيما لم يرخص فيه لغيرها . وهذا كما دخل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جوار يضرب بالدَفِّ فأسكتهم لدخوله وقال « هذا رَجُلٌ لَا يَحِبُّ الْبَاطِلَ » <sup>(٢)</sup> فأخبر أن ذلك باطلٌ ولم يمنعهم منه لما يترتب له

---

( ١ ) غير موجود في صحيح مسلم ، وقال المراقى في تخريج أحاديث الإحياء :  
رواه أصحاب السنن الأربعة .

( ٢ ) رواه الإمام أحمد في قصة أخرى نيس فيها ذكر الدف والجوارى بل  
قاله صلى الله عليه وسلم للأسود بن سريع وكان ينشده شعراً .

عليه من المصلحة الراجحة ، وَيَتَرُكُنْ به مفسدة أرجح من مفسدته ، وأيضاً فيحصل لهم من التألم بتركه مفسدة هي أعظم من مفسدته ، فتمكينهم من ذلك من باب الرحمة والشفقة والإحسان ، كما مكن النبي صلى الله عليه وسلم أبا عمير من اللعب بالعصفور بمحضرة<sup>(١)</sup> ، ومكن الجاريتين من الغناء بمحضرة<sup>(٢)</sup> ومكن عائشة رضي الله عنها من النظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد<sup>(٣)</sup> ، ومكن تلك المرأة أن تضرب على رأسه بالدُّف<sup>(٤)</sup> ونظائر ذلك . فأين هذا من اتخاذ الشيوخ المشار إليهم المقتدى بهم ذلك ديناً وطريقاً مع التوسُّع فيه غاية التوسُّع بما لا ريب في تحريمه ؟ ونظيرُ هذا إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من الزكاة والغنيمة لضعف قلوبهم عن قلوب الراسخين في الإيمان من أصحابه ، ولهذا أعطى هؤلاء ومنع هؤلاء وقال : أَلِكُلُّهُمْ إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَنَاءِ وَالْخَيْرِ ، ونظير هذا مزاحه صلى الله عليه وسلم مع مَنْ كان يمزح معه من الأعراب والصبيان والنساء تطييباً لقلوبهم ، واستجلاباً لإيمانهم ، وتفريجاً لهم . وفي مراسيل الشعبي أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ على أصحاب الدَّرَكَةِ فقال : « خذُوا يَا بَنِي أَرْفَدَةَ<sup>(٥)</sup> حَتَّى تَعْلَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فَسْحَةً » ( ذكره أبو عبيد وقال : الدَّرَكَةُ : لعبة العجم ) فالنبي صلى الله عليه وسلم يبدل للنفس من الأموال والمنافع ما يتألفها به على الحق المأمور به ويكون المبدول مما يلتذُّ به الآخذ ويحبُّه ، لأن ذلك وسيلةٌ إلى غيره ، ولا يفعل

( ١ ) البخارى ومسلم والترمذى .

( ٢ ) هو فى الصحيحين .

( ٣ ) ربما يشير بذلك إلى إنشاء النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله قال الحافظ المراقى : رواه البيهقى فى دلائل النبوة وإيس فيه ذكر للدُّف والألحان .

( ٤ ) أرفدة : أبو الحبش . والحديث رواه الخرائطى فى اعتدال القلوب وفى الصحاح بلفظ جدوا .

ذلك مع من لا يحتاج إليه كالمهاجرين والأنصار ، بل يبذل لهم أنواعاً أخرَ من الإحسان إليهم ، والمنافع في دينهم ودنياهم . ولما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن لا يجب هذا الباطل ولا سماعه ، ولا يحتاج أن يُتَأَلَّفَ بما يُتَأَلَّفُ به غيره ، وليس مأموراً بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من التأليف على الإيمان به ، وطاعته بكل طريق - كان إعراضه عنه كلاً بالنسبة إليه ، وحال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل .

## فصل

إذا عُرف هذا فاقسامُ الذاتِ ثلاثةٌ : لذَّةٌ جُمانية ، ولذَّةٌ خيالية وَهْمِيَّة ، ولذَّةٌ عقلية رُوحانية .

فاللذة الجُمائية لذَّةُ الأكل والشرب والجماع ، وهذه اللذة يشترك فيها مع الإنسان الحيوانُ البهيمُ ، فليس كمالُ الإنسان بهذه اللذة لمشاركة أبْقَصِ الحيوانات له فيها ، ولأنها لو كانت كلاً لكان أفضلُ الإنسان وأشرفهم وأكملهم أكثرهم أكلاً وشرباً وجماعاً ، وأيضاً لو كانت كلاً لكان نصيبُ رسل الله وأنبيائه وأوليائه منها في هذه الدار أكَلَ من نصيب أعدائه . فلما كان الأمرُ بالصدِّ تبين أنها ليست في نفسها كلاً ، وإنما تكون كلاً إذا تضمَّنت إعانةً على اللذة الدائمة العظمى كما تقدَّم .

## فصل

وأما اللذة الوهْمِيَّةُ الخيالية فلذَّةُ الرئاسة والتعاضُّم على الخلق والفخر والاستطالة عليهم .

وهذه اللذة وإن كان طَلِبُهَا أشرفَ نفوساً من طلاب اللذة الأولى فإن آلامَهَا وما توجبه من المفسد والمضار أعظمُ من التذاذ النفس بها ، فإن صاحبها منتصبٌ لمعاداة كل من تعاظم وترأس عليه . ولهذا شروطٌ وحقوقٌ تفوت على صاحبها كثيراً من لذاته الحسيّة ، ولا يتم إلا بتحمّل مشاقّ وآلامٍ أعظم منها . فليست هذه في الحقيقة بلذةٍ وإن فرحت بها النفسُ وسُرّت بحصولها . وقد قيل : إنه لاحتمية اللذة في الدنيا وإنما غايتها دفعُ آلامٍ كما يُدفع ألمُ الجوع والعطش وألمُ الشهوة بالأكل والشرب والجماع . ولذلك يُدفع ألمُ الخمول وسقوطُ القدر عند الناس بالرئاسة والجاه . والتحقيقُ أن اللذة أمرٌ وجوديٌّ يستلزم دفعَ الألم بما بينهما من التضادّ .

## فصل

وأما اللذةُ العقليةُ الروحانية فهي كلذة المعرفة والعلم والاتصاف بصفات السكّال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحلم والبرورة وغيرها ، فإن الالتذاذ بذلك من أعظم اللذات ، وهو لذّة النفس الفاضلة العُلوية الشريفة ، فإذا انضمت اللذة بذلك إلى لذّة معرفة الله تعالى ومحبته وعبادته وحده لا شريك له والرضا به عوضاً عن كل شيء ولا يتعوّض بغيره عنه فصاحب هذه اللذة في جنةٍ عاجلةٍ نسبتهما إلى لذات الدنيا ، كنسبة لذّة الجنة إلى لذّة الدنيا ، فإنه ليس للقلب والروح أَلَذُّ ولا أَطيبُ ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرّة العين به والأنسِ بقربه والشوقِ إلى لقائه ورؤيته ، وإن مثقال ذرّةٍ من هذه اللذة لا يُعَدَّلُ بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقالُ ذرّةٍ من إيمانٍ بالله ورسوله يُمَخِّصُ من الخلود في دار الآلام

فكيف بالإيمان الذى يمنع دخولها؟ قال بعض العارفين: مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ ، وَيَكْفَى فِي فَضْلِ هَذِهِ اللَّذَّةِ وَشَرَفِهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ مِنَ الْقَلْبِ أَلَمَ الْحَسْرَةِ عَلَى مَا يَفُوتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَأَلَّمُ بِأَعْظَمِ مَا يَلْتَذُّ بِهِ أَهْلُهَا ، وَيَفِرُّ مِنْهُ فِرَارَهُمْ مِنَ الْمُؤَلَّمِ . وَهَذَا مَوْضِعُ الْحَاكِمِ فِيهِ الذَّوْقُ لَا مَجْرَدُ لِسَانِ الْعِلْمِ . وَكَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَقُولُ : مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَذُوقُوا طِيبَ نَعِيمِهَا ، فَيَقَالُ لَهُ : وَمَا هُوَ ؟ فَيَقُولُ : حُبُّ اللَّهِ وَالْأَنْسُ بِهِ وَالشُّوقُ إِلَى لِقَائِهِ وَمَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

وقال آخر : أَطِيبُ مَا فِي الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ ، وَأَلْذُّ مَا فِي الْآخِرَةِ رُؤْيَاهُ وَسَمَاعُ كَلَامِهِ بِلَا وَاسِطَةٍ .

وقال آخر : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَعْمُرُ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتَ أَقْوَالٍ فِيهَا : إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ لَإِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ . وَأَنْتَ تَرَى حُبَّ مَنْ فِي مَحَبَّتِهِ عَذَابُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ كَيْفَ تَوْجِبُ لِصَاحِبِهَا لَذَّةً يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَا يَفَارِقُهُ حُبُّهُ كَمَا قَالَ شَاعِرُ الْحَمَاسَةِ :

تَشَكَّى الْحَبُونُ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي تَحْمِلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي<sup>(١)</sup>  
فَكَانَتْ لِقَابِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلُّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مَحَبٌّ وَلَا بَعْدِي

قَالَتْ رَابِعَةٌ : شَغَلُوا قُلُوبَهُمْ بِحُبِّ الدُّنْيَا عَنْ اللَّهِ ، وَلَوْ تَرَكُوها لَجَالَتْ فِي الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ بِطَرَائِفِ الْفَوَائِدِ . وَقَالَ سَلَمُ الْخَوَاصِّ : تَرَكْتُمُوهُ وَأَقْبَلْتُمْ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَوْ أَقْبَلْتُمْ عَلَيْهِ لَرَأَيْتُمُ الْعَجَائِبَ . وَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ



العابدات: لو طالعت قلوب المؤمنين بفكرها ما دُخِلَها في حُجُبِ الغيوب من خير الآخرة لم يَصِفْ لها في الدنيا عيش ، ولم تَقَرَّ لها في الدنيا عين . وقال بعض الحيين : إن حبه عز وجل شغل قلوب مُحِبِّيه عن التلذُّذِ بمحبة غيره ، فليس لهم في الدنيا مع حبه عز وجل لَذَّةٌ تُدَانِي محبته ، ولا يؤمِّلُون في الآخرة من كرامة الثواب أكبرَ عندهم من النظر إلى وَجْهِ محبوبهم . وقال بعض السَّكَلَفِ : ما من عبدٍ إلا وله عَيْنَانِ في وجهه يبصر بهما أَمْرَ الدنيا ، وعَيْنَانِ في قلبه يبصر بهما أَمْرَ الآخرة ، فإذا أَرَادَ اللهُ بعبدٍ خيراً فَتَحَ عَيْنِيهِ اللَّائِيْنِ في قلبه فَأَبْصَرَ بهما مِنَ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ مَا لَا خَطَرَ لَهُ مِمَّا وَعَدَ بِهِ مَنْ لَا أَصْدَقُ مِنْهُ حَدِيثًا ، وإذا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ تَرَكَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ : ( أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ) <sup>(١)</sup> ولو لم يكن للقلب المشتغل بمحبة غير الله المَعْرِضِ عن ذكره العقوبة إلا صَدْوُهُ وَقَسْوَتُهُ وتعطيله عما خُلِقَ لَهُ لَكُنْفَى بِذَلِكَ عَقُوبَةٌ .

وقد روى عبد العزيز بن أبي رَوَّاد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا جَلَاؤُهَا ؟ قَالَ : « تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ » <sup>(٢)</sup> وقال بعض العارفين : إن الحديد إذا لم يُسْتَعْمَلْ غَشِيَهُ الصَّدَأُ حتى يفسده ، كذلك القلب إذا عَطَّلَ من حب الله والشوق إليه وذِكْرِهِ غَابَهُ الْجَهْلُ حتى يَمِيتَهُ وَيُهْلِكَهُ . وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي ، قال : أَذِبهْ بِالذِّكْرِ . وأبعدُ القلوب من الله القلب القاسي ، ولا يُذهِبُ قساوته إلا حُبُّ مُتَرَقٍّ ، أو خوفٌ مُزْعِجٌ ، فَإِنْ قِيلَ : ما السبب الذي لأجله ياتدُّ الحُبُّ بِمَحَبَّةٍ وَإِنْ لَمْ

(١) الآية ٢٤ سورة محمد .

(٢) في شرح الإحياء للحافظ العراقي قال : رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف .

يظفر بحبيبه ؟ قيل : الحبّ يوجب حركة النفس وشدة طلبها ، والنفس خلقت متحركة بالطبع كحركة النار ، فالحب حركتها الطبيعية ، فكلّ من أحبّ شيئاً من الأشياء وجد في حبه لذةً وروحاً ، فإذا خلا عن الحب مطلقاً تعطلت النفس عن حركتها وثقلت ركبت وفارقتها خفة النشاط. ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همّاً وغمّاً وحزناً ، ليس لهم فرح ولا سرور ، بخلاف أرباب النشاط والجِدِّ في العمل أى عمل كان ، فإن كان النشاط في عملٍ هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته ، كان التذاذهم بحبه ونشاطهم فيه أقوى . وبالله التوفيق .

---

## الباب الرابع عشر

فيمن مدح العشق ونمناه ، وغبط صامبه علي ما أوتيه من مناه

هذا موضع انقسم الناس فيه قسمين ، وربما كان الشخص الواحد فيه مجموع الحالتين . فقسم مدحوا العشق وتمنّوه ورجبوا فيه ، وزعموا أن من لم يذق طعمه لم يذق طعم العيش . قالوا : وقد تبين أن كمال اللذة تابع لكمال الحب فأعظم الناس لذة بالشىء أكثرهم محبة له ، وقد تقدّم تقريره . قالوا : وقد حبّب الله سبحانه وتعالى إلى رُسُلِهِ وأنبيائه نساءهم وسرايرهم ، فكان آدم أبو البشر شديد المحبة لحواء ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق زوجته منه ليسكن إليها . قالوا : وحبّه لها هو الذى حمله على موافقتها فى الأكل من الشجرة . قالوا : وأول حب كان فى هذا العالم حبُّ آدمَ لحواء وصار ذلك سنّةً فى ولده فى المحبة بين الزوجين . قالوا : وهذا داود من محبته للنساء جمع بين مائة امرأة . وكذلك ابنة سليمان . قالوا : وقد عاب اليهود — عليهم لعائن الله — رسولَ الله صلى الله عليه وسلم محبة النساء وكثرة تزوّجه، فأَنزلَ اللهُ سبحانه وتعالى ذباً عن رسوله صلى الله عليه وسلم وإخباراً بأن ذلك من فضله وإنعامه عليه : ( أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا )<sup>(١)</sup> . قالوا : وقد كان عند إبراهيم خليل الرحمن أجمل النساء سارة ، ثم تسرى بهاجر وكانت المحبة لها . قال سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه : كان إبراهيم الخليل يحب سرّيته هاجر محبة

شديدة ، وكلن يزورها في كل يوم على البُراق من الشام من شغفه بها .  
 قال الخراطى : حدثنا نصر بن داود ، حدثنا الواقدي ، عن محمد بن صالح ،  
 عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه فذكره ، وقد ثبت في  
 الصحيح من حديث الشعبي عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : بعثني  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش وفيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ،  
 فلما رجعت قلت : يا رسول الله ، من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : وما تريد ؟  
 قلت : أحبُّ أن أعلم . قال : عائشة ، قلت : إنما أعنى من الرجال ، قال :  
 أبوها<sup>(١)</sup> وذكر مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن عمته عن عائشة ، أن فاطمة  
 رضى الله عنهم ذكرتها عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : يا بُنية إنها حبيبة  
 إليك . وأصل الحديث في الصحيح من حديث الليث عن ابن شهاب عن محمد  
 ابن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل أزواج النبي صلى الله  
 عليه وسلم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم إليه ، فدخلت وهو مضطجع معي  
 في مرطى<sup>(٢)</sup> ، فقالت : يا رسول الله ، إن أزواجك يسألنك العدل في ابنة  
 أختي فحافه ، وأنا ساكتة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَسْتُ  
 تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ ؟ » قالت : بلى ، قال : فَأَجِبِي هَذِهِ<sup>(٣)</sup> وثبت في الصحيح من  
 حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة  
 رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَسِّمُ بين نسائه فيعدل

( ١ ) رواه البخارى ومسلم بنحوه .

( ٢ ) المرط : كساء من خز أو صوف أو كان يؤتز به ويتلفع به المرأة

وجمع مروط .

( ٣ ) رواه مسلم والنسائي .

ويقول: «اللهم هذا فعلى فيما أملكُ فلا تلغني فيما تملكُ ولا أملكُ»<sup>(١)</sup>  
يريد صلى الله عليه وسلم أنه يطبق العدل بينهن في النفقة عليهن والقسمة بينهن ،  
وأما التسوية بينهن في المحبة فليست إليه ولا يملكها .

وقال ابن سيرين : سألت عبيدة<sup>(٢)</sup> عن قوله تعالى : ( وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ  
تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ )<sup>(٣)</sup> فقال : يعنى الحب والجماع .

وقال ابن عباس : لا يستطيع أن يعدل بينهن في الشهوة ولو حرص .

وقال أبو قيس مولى عمرو بن العاص : بعثنى عمرو إلى أم سلمة فقال :  
سلها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلُ أهلَه وهو صائم ؟ فإن قالت لا  
فقل لها إن عائشة رضى الله عنها حدثتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
يقبلها وهو صائم ، فسألها فقالت : لا ، فأخبرها بما قال عبد الله<sup>(٤)</sup> ، فقالت  
أم سلمة رضى الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى عائشة  
رضى الله عنها لم يتالك عنها ، أما أنا فلا . وقال بيان الشعبي : أتانى رجلٌ  
فقال : كلُّ أمهات المؤمنين أحبَّ إلا عائشة ، فقلت : أما أنت فقد خالفت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت عائشة رضى الله عنها أحبهن إلى قلبه .

وقال مُصعبُ بن سعد : فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأمهات  
المؤمنين رضى الله عنهن عشرة آلاف عشرة آلاف ، وزاد عائشة ألفين وقال :

( ١ ) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وجاء فى  
تفسير القرطبى ج ٥ « اللهم هذه قسمتى »

( ٢ ) هو عبيدة السلماني كما جاء فى تفسير القرطبى

( ٣ ) الآية ١٢٩ . سورة النساء .

( ٤ ) كذا . ولعل الصواب أبو عبد الله أو عمرو والثابت فى صحيح مسلم أنه صلى  
الله عليه وسلم كان يقبل أم سلمة وهو صائم .

إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان مسروق إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها يقول : حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول رب العالمين المبرأة من فوق سبع سموات . قال أبو محمد بن حزم : وقد أحب من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كثير .

قال الخراطبي : واشترى عبد الله بن عمر جارية رومية فكان يحبها حباً شديداً ، فوَقعت ذات يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها . وكانت تقول له : أنت قالون ، تعني جيد ، ثم إنها هربت منه فوجد عليها وجداً شديداً وقال :

قد كنتُ أحسبني قالونَ فانصرفت      فاليوم أعلمُ أني غيرُ قالون  
وقصة مُغيثٍ وعشقه بَريرةَ حتى إنه كان يطوف وراءها ودموعه تسيل  
على خديه<sup>(١)</sup> في الصحيح . وكان عروة بن أذينة شيخ مالِك من العلماء  
الثقات الصالحاء وقت عليه امرأةٌ فقالت : أنت الذي يقال له الرجلُ الصالح  
وأنت تقول :

إذا وجدتُ لهيبَ الحبِّ في كيدي      عمدتُ نحو سقاءِ القومِ أبتَرِدُ  
هذا برَدْتُ ببرِّ الماءِ ظاهره      فمن لُنا على الأحشاءِ تَتَقَدُّ؟<sup>(٢)</sup>  
وكان محمد بن سيرين ينشد :

إذا خدرتَ رجلي تذكرتُ من لها      فناديتُ لبني باسمها ودعوتُ  
دعوتُ التي لو أن نفسي تُطعني      لألقيتُ نفسي نحوها وقضيتُ<sup>(٣)</sup>

( ١ ) تقدمت هذه القصة في الصفحة ١٤٣ .

( ٢ ) تقدم هذان البيتان بتغيير في اللفظ في الصفحة ٤٦ ولم ينسب إلي قائلهما .

( ٣ ) البيتان لقيس بن ذريح .

وقال صالح عن ابن شهاب : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريب من ثمانين رجلاً ليس فيهم إلا قرشي ، والله ما رأيت صفحةً وجوه قط أحسن من وجوههم يومئذ ، قال : فذكروا النساء فتحدثوا فيهن وتحدثت معهم حتى أحببت أن نسكت ، قالوا : ولولا لطافة الحب ولذته ما تمناه المتمنون . وقال شاعر الحامسة :

تَشَكَّى الحَبَّوْنَ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدَى  
فَكَانَتْ لِقَلْبِي لَذَّةُ الْحَبِّ كُلُّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَلْبِي حُبًّا وَلَا بَعْدَى<sup>(١)</sup>  
قالوا : والعشقُ المباحُ مما يؤجر عليه العاشقُ كما قال شريك بن عبد الله — وقد سئل عن العشاق — فقال : أشدُّهم حبًّا أعظمُّهم أجرًا . وصدق والله إذا كان المشوق ممن يحب الله للعاشق قربَه ووصله . وقالت امرأة :

لَنْ يَقْبَلَ اللَّهَ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلًا يَوْمًا وَعَاشِقُهَا كَهَفَانٍ مُهْجُورٍ  
لَيْسَتْ بِمَأْجُورَةٍ فِي قَتْلِ عَاشِقِهَا لَكِنْ عَاشِقَهَا فِي ذَاكَ مَأْجُورٍ

ونحن نقول : متى باتت مهاجرة لفراس عاشقها الذى هو بعلها لعنتها الملائكة حتى تصبح . قالوا : والعشقُ يصفى العقل ويذهب الهم ويبيث على حسن اللباس وطيب المطعم ومكارم الأخلاق ويعلى الهمة ويحمل على طيب انراثة وكرم العشرة وحفظ الأدب والروءة ، وهو بلاء الصالحين ومحنة العابدين ، وهو ميزان العقول وجللاء الأذهان ، وهو خالق الكرام كما قيل :

وَمَا أَحَبُّهَا فُحْشًا وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْحَبَّ أَخْلَاقَ الْكَرَامِ  
قالوا : وأرواحُ العشاق عطرة لطيفة ، وأبدانهم رقيقة ضعيفة ، وأزواجهم

بطيئته الانقياد لمن قاذها ، حاشا سكنها الذى سكنت إليه ، وعمدت حبها عليه .  
وكلامهم ومناديتهم تزيد في العقول ، وتحرك النفوس ، وتطرب الأرواح ،  
وتلهو بأخبارهم أولو الألباب .

فأحاديثُ العشاق زينة مجالسهم ، ورُوحُ محادثتهم ، ويكفى أن يكون  
الأعرابي للذى لا يُذكر مع الملوك ولا مع الشجعان الأبطال يعشق ويشتهر  
بالعشق فيذكر في مجالس الملوك والخلفاء ومن دونهم ، وتدون أخباره  
وتروى أشعاره ، ويبقى له العشق ذكراً مخلداً . ولولا العشق لم يذكر له اسم  
ولم يرفع له رأس .

وقال بعض العقلاء : العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان ، إن تركته  
ضرك ، وإن أكلته منه قتلك .

وقال ابن عبد البر في كتابه « مہجۃ المجالس » : وجد في صحيفة لبعض  
أهل الهند : العشق ارتياحٌ جعل في الروح ، وهو معنى تنجيه النجوم في  
مطارح شعاعها ، ويقول في الطباع بوصلة أشكالها ، وتقبله الروح بلطف  
جوهرها ، وهو يعدّ حياء القلوب ، وصيقل الأذهان ما لم يفرط ، فإذا أفرط  
صار سقماً قاتلاً ، ومرضاً منهكاً<sup>(١)</sup> لا تنفذ فيه الآراء ، ولا تنجع فيه الحيل ،  
والعلاج منه زيادة فيه .

وقال أعرابي : هو أنيس النفس ، ومحادث العقل ، تُجنيه الضمائر ، وتخدمه  
الجوارح . وقال عبد الله بن طاهر أمير خراسان لولده : اعشقوا تطرّفوا ، وعشّوا  
تشرّفوا . وقال قدامة : وصفه بعض البلغاء فقال : يشجع الجبان ، ويسخى  
اليخيل ، ويصفي ذهن البليد ، ويفصح لسان العبي ، ويبعث حزم العاجز ،

---

(١) كذا .. والصواب فاهكاً لأن فعله ثلاثي: أى مضنياً .



وَيَذُلُّ لَهُ عِزُّ الْمُلُوكِ ، وَتُصَدِّعُ لَهُ صَوْلَةٌ<sup>(١)</sup> الشُّجَاعِ ، وَهُوَ دَاعِيَةُ الْأَدَبِ ، وَأَوَّلُ  
بَابٍ تَفْتَقُّ بِهِ الْأُذْهَانُ وَالنِّظَنُ ، وَتُسْتَخْرَجُ بِهِ دَقَائِقُ الْمَكَايِدِ وَالْحِيلِ ، وَإِلَيْهِ  
تُسْتَرْوَحُ الْمَهْمُ ، وَتَسْكُنُ نَوَافِرُ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ ، يُجْتَمَعُ جَلِيسَتُهُ ، وَيُؤْنَسُ أَلْفَتُهُ .  
وَلَهُ سِرُورٌ يَجُولُ فِي النُّفُوسِ ، وَفَرَحٌ يَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الرُّسَاءِ :  
ابْنُكَ قَدْ عَشَقَ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْآنَ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ ، وَلَطُفَتْ مَعَانِيهِ ، وَمَلَحَتْ  
إِشَارَاتُهُ ، وَظَرَفَتْ حَرَكَاتُهُ ، وَحَسُنَتْ عِبَارَاتُهُ ، وَجَادَتْ رِسَائِلُهُ ، وَجَلَّتْ شِمَائِلُهُ ،  
فَوَاطِبَ عَلَى الْمَلِيحِ ، وَاجْتَنِبَ الْقَبِيحَ .

وقيل لآخر ذلك فقال : إِذَا عَشَقَ لَطْفَ وَظَرْفَ وَدَقَّ وَرَقَّ . وقيل  
لبعضهم : متى يكون الفتى بليغاً ؟ قال : إِذَا صَنَّفَ كِتَابًا ، أَوْ وَصَفَ هَوًى أَوْ  
حَبِيبًا . وقيل لسعيد بن أسلم : إِنْ ابْنُكَ شَرَعَ فِي الرَّقِيقِ مِنَ الشَّعْرِ ، فَقَالَ :  
دَعُوهُ يَظْرُفُ وَيَنْطَافُ وَيَلْطُفُ . وقال العباس بن الأحنف :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْعَاشِقُونَ ذَوُو الْهَوَى      وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ

وقال الحسين بن مطير :

إِنْ الْغَوَايِي جَنَّةٌ رِيحَانُهَا      نَضْرُ الْحَيَاةَ فَأَيْنَ عَنْهَا نَعْرِفُ<sup>(٢)</sup>

لَوْلَا مَلَا حَتْنُ مَا كَانَتْ لَنَا      دُنْيَا نَلْدُّ بِهَا وَلَا نَتَصَرَفُ

وقال غيره :

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي أَعْيَمِهَا      وَأَنْتَ وَحِيدٌ مَفْرَدٌ غَيْرُ عَاشِقٍ

وقال آخر :

هَلْ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرَوْحَ وَتَتَعَدَّى      وَأَنْتَ بِكَأْسِ الْعَشَقِ فِي النَّاسِ نَشْوَانُ

( ١ ) الصَّوْلَةُ : السُّطُورَةُ فِي الْحَرْبِ وَنَحْوِهَا وَيُقَالُ : هُوَ ذَوُ صَوْلَةٍ : مُقَدِّمٌ

( ٢ ) عَزَفَتْ نَفْسُهُ عَنِ الشَّيْءِ : انْصَرَفَتْ عَنْهُ وَزَهَدَتْ فِيهِ .

وقال العطوى :

مادنتُ بالحب إلاَّ والحب دينُ الكرام

وقال آخر :

نظرتُ إليها نظرةً قهَويَتُها ومن ذالَه عقلٌ سليمٌ ولا يَهوى

وقال آخر :

وما سرَّني أنى خَلَّيْتُ من الهوى ولو أن لى ما بين شرقٍ ومغرب

وقال آخر :

وما تَلِفْتُ إلا من العشقِ مُهَجَّتى وهل طاب عيشٌ لا مرىء غيرِ عاشق

وقال آخر :

ولا خيرَ فى الدنيا بغيرِ صبايةٍ ولا فى نعيمٍ ليس فيه حبيبٌ

وقال الكميت :

ماذاق بُؤْسَ معيشَةٍ ونعيمِها فيما مضى أحدٌ إذا لم يَعْشَقِ

أَلْعَشَقُ فيه حلاوةٌ ومِرازةٌ فاسأل بذلك من تطعمُ أوذوقِ

وقال آخر :

وما طابت الدنيا بغيرِ محبةٍ وأىُّ نعيمٍ لا مرىء غيرِ عاشق

وقال آخر :

أُسْكُنْ إلى سَكْنٍ تَلَدَّ بحبِّه ذهب الزمانُ وأنت خالٍ مفرد

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدْرِ ما الهوى فأنت وعيرٌ فى الفلاةِ سواء

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدْرِ ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخرِ جَلَدَا

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدّر ما الهوى فقم فاعتلف تبناً فانت حمار

وقال آخر :

إذا لم تذق في هذه الدار صبوّة<sup>(١)</sup> فموتك فيها والحياة سواء

وقال الأقرع بن معاذ :

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم ترّر حبيباً ولا وافي إليك حبيب

وقال آخر :

وما ذاق طعم العيش من لم يكن له حبيب إليه يطمئن ويسكن  
وقال علي بن أبي كثير لابن أبي الزرقاء : هل عشقت قط حتى تكتاب  
وتراسل وتواعد ؟ قال : لا ، فقال : لا يحىء منك شيء . وكان لبعض الملوك ولده  
واحداً ساقطاً الهمة دنىء النفس فآثر ، فأراد أن يرشحه له لك فسلط عليه الجوارى  
والقيان<sup>(٢)</sup> فعشق منهن واحدة ، فأعلم بذلك الملك فسرّ وأرسل إلى المعشوقة  
أن تجئني عليه وقولي : إني لأصلح إلاّ الملك أو عالم ، فلما قالت له ذلك أخذ في  
التعلم وما عليه الملوك من أدوات الملك حتى برع في ذلك . وقال المرزباني : سئل  
أبو نوفل هل يسلم أحد من العشق ؟ فقال : نعم الجلف<sup>(٣)</sup> الجاني الذي ليس له  
فضل ولا عنده فهم ، فأما من في طبعه أدنى ظرف أو معه دمانة أهل الحجاز  
وظرف أهل العراق فهيهات . وقال علي بن عبدة : لا يخلو أحد من صبوّة إلا  
أن يكون جاني الخلق ناقصاً أو منقوص الهمة أو على خلاف تركيب الاعتدال .

( ١ ) الصبوّة : الشوق والحنين والميل إلى الحبيب .

( ٢ ) جمع قينة : الامة المغنية ، وقيل الامة مغنية كانت أو غير مغنية .

( ٣ ) الجلف : الغليظ الجاني والاحق .

قالوا : ولا يكمل أحد قط إلا من عشقه لأهل الكمال وتشبه بهم . فالعالم يبلغ في العلم بحسب عشقه له ، وكذلك صاحب كل صناعة وحرقة . ويكفي أن العاشق يرتاح الكريم الأخلاق والأفعال والشم لتحمد شمالك عند معشوقه كما قال :

ويرتاح المعروف في طلب العلى لتحمد يوماً عند ليلى شمائله<sup>(١)</sup>  
وقال أبو المنجاب : رأيت في الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول :

وَدِدْتُ بَأَنِ الْحَبِّ يُجْمَعُ كَأَنَّ  
فَلَا يَنْقُضِي مَا فِي فَوَادِي مِنَ الْهَوَى  
فِيْقْدُفُ فِي قَلْبِي وَيَنْغَالِقُ الصَّدْرُ  
وَمِنْ فَرْحِي بِالْحَبِّ أَوْ يَنْقُضِي الْعُمُرُ  
فقلت : يافى ، أما لهذه البدئية<sup>(٢)</sup> حُرْمَةٌ تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال :  
بلى والله ولكن الحب ملاق قلبى بفرح التذكر ، ففاضت الفكرة في سرعة  
الأوبة<sup>(٣)</sup> إلى من لا يشذ عنه معرفة ما بى ، فتمنيت المنى . والله ما يسرني  
ما بقا بى منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك ، وإنى أدعو الله أن يُثبتَه في قلبى  
عمرى ، ويعمله ضجيجى في قبرى ، دَرَيْتُ بِهِ أَوْلَمْ أَذَر . هذا دعائى أو أنصرف  
من حَبَّتِي ، ثم بكى ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : خوف أن لا يستجاب دعائى ،  
وله قصدت وفيه رغبة مما يعطى الله سائر خلقه . ثم مضى . قالت هذه الفرقة ،  
وغاية ما يقدر في أمر العشق أنه يقتل صاحبه كما هو معروف عند جماعة من  
العشاق . وقد قال سويد بن سعيد الخدثاني حدثنا على بن مسهر ، عن أبي يحيى  
القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه

(١) الشمائل جمع شمال : الأخلاق والطباع .

(٢) البنية : السكينة المشرفة .

(٣) الأوبة : الرجعة .

وسلم أنه قال : « مَنْ عَشِقَ فَكُتِمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ فَكَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ <sup>(١)</sup> » رواه  
 عن سُوَيْدٍ جَمَاعَةٌ . وقال الخطيب : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ إِمْلَاءَ مِنْهُ  
 حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ وَابْنُ حَيَّوِيَّةَ وَابْنُ شَازَانَ قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ  
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُرْفَةَ نَفْطَوِيَّةَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِيِّ فِي  
 مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَاتَ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ فَقَالَ : حَبٌّ مِنْ تَعْلَمُ أَوْ رُثْنِي  
 مَا تَرَى . فَقُلْتُ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْاسْتِمَاعِ بِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : الْاسْتِمَاعُ  
 عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا النَّظَرُ الْمُبَاحُ ، وَالثَّانِي اللَّذَّةُ الْمَحْظُورَةُ . فَأَمَّا النَّظَرُ الْمُبَاحُ  
 فَأُورِثُنِي مَا تَرَى ، وَأَمَّا اللَّذَّةُ الْمَحْظُورَةُ فَإِنَّهُ مَنَعَنِي مِنْهَا مَا حَدَّثَنِي أَبِي ، حَدَّثَنَا  
 سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْبَقْتَاتِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ،  
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ  
 عَشِقَ وَكُتِمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » . قَالَ الْحَاكِمُ  
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : إِنَّمَا أُتِيَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْدِثْ بِهِ غَيْرُ سُوَيْدٍ ، وَهُوَ  
 وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ ثَقَاتٌ . ثُمَّ رَوَاهُ الْخَطِيبُ : حَدَّثَنَا الْأَزْهَرِيُّ ،  
 حَدَّثَنَا الْمُعَاوِيَةُ بْنُ زَكَرِيَّا ، حَدَّثَنَا قُطَيْبَةُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنَا  
 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْرُوقٍ ، حَدَّثَنَا سُوَيْدٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ  
 عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعًا . وَرَوَاهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ  
 عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَاجِشُونِ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ  
 ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ . وَلَفْظُهُ : « مَنْ عَشِقَ فَكُتِمَ فَكَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ  
 بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ سَهْلٍ الْخِرَاطِيُّ فِي كِتَابِ اعْتِلَالِ الْقُلُوبِ . حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ  
 يَعْقُوبُ بْنُ عِيسَى مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، عَنْ الزُّبَيْرِ فَذَكَرَهُ ، فَخَرَجَ سُوَيْدٌ

عن عهد التفرّد به، على أنه لو تفرّد به فهو ثقة، احتجّ به مسلم في صحيحه . وقال عبد الله بن أحمد : قال لي أبي : أكتب عنه حديث ضمام . وقال البغوي : كان حافظاً وكان أحمد ينتقى لولديه عليه صالح وعبد الله ، فكانا يختلفان إليه . وقال مسلم : ثقة ثقة . وقال أبو حاتم الرازي ويعقوب بن شيبه : هو صدوق . وأكثر ما عيب به التّدليس<sup>(١)</sup> وقد صرح هاهنا بالحديث ، وعيب بأنه ذهب بصره في آخر عمره ، وربما أدخل عليه هذا الحديث في كتبه ، ولكن رواية الأكبر عنه هذا الحديث كان قبل ذهاب بصره ، لأنه إنما عمى في آخر عمره ، وليس هذا بقادح في حديثه .

قلت : وهذا حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعاً لا يشبهه كلامه ، وقد صحّ عنه أنه عدّ الشهداء ستاً<sup>(٢)</sup> فلم يذكر فيهم قتيل العشق شهيداً ولا يمكن أن يكون كل قتيل بالعشق شهيداً فإنه قد يعشق عشقاً يستحقّ عليه العقوبة . وقد أنكر حفاظ الإسلام هذا الحديث على سويد وقد تكلم الناس فيه ، فقال ابن المديني : ليس بشيء والضرير إذا كان عنده كتب فهو عيب شديد . وقال يعقوب بن شيبه : صدوق مضطرب الحفظ ولا سيما بعد ما عمى . وقال البخاري : كان قد عمى فيلقن ما ليس . من حديثه . وقال أبو أحمد الجرجاني : هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد ، وأنكره البيهقي وأبو الفضل ابن طاهر وأبو الفرج بن الجوزي وأدخله في كتابه الموضوعات .

ولما رواه أبو بكر الأزرق عن سويد عاتبه عليه ابن المَرْزُبَان فأسقط ذكر

---

(١) التّدليس في البيع : كتمان عيب السلعة عن المشتري . وجاء في القاموس المحيط أن التّدليس في الإسناد هو أن يحدث عن الشيخ الأكبر ولعله ما رآه وإنما سمعه من هو دونه أو من سمعه منه ونحو ذلك .

(٢) كذا . ولعله : ستة

النبي صلى الله عليه وسلم منه . وكان سُويِد إذا سئل عنه لا يرفعه ، وهذا أحسنُ  
أحواله أن يكون موقوفاً . ولذلك رواه أبو محمد الحسين القارى من حديث  
أبي سعد البقال ، عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله . وأما سياق  
الخطيب له من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها فلا  
يُشْكُ من شَمِّ رائحة الحديث أن هذا باطل على هشام عن أبيه عن عائشة ، ولا  
يحتمل هذا المتنُ هذا الإسناد بوجه ، والتحاكم في ذلك إلى أهل الحديث لا إلى  
العارين الغرباء منه . والظاهر أن ابن مسروق سرقه وغيرَ إسناده . وأما حديث  
الزُّبَيْرُ بن بكار فمن روايه يعقوب بن عيسى وهو ضعيف لا تقوم به حجة قد  
ضعفه أهل الحديث ونسبوه إلى الكذب .

---

## الباب الخامس عشر

فبمَنْ ذمَّ العشق، وتبرم به، وما اُنتج به كل فريق، على صحة مذهبه.

قال الله تعالى إخباراً عن المؤمنين : ( رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا )<sup>(١)</sup> وقد أثنى الله عليهم سبحانه بهذا الدعاء الذي سأله فيه أن لا يحمّلهم ما لا طاقة لهم به ، وقد فُسر ذلك بالعشق ، وليس المراد اختصاصه به بل المراد أن العشق مما لا طاقة للعبد به . وقال مكحول : هو شدة الغلّة<sup>(٢)</sup> . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ »<sup>(٣)</sup> . قال الإمام أحمد : تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق ، وهذا مطابق لحال العاشق ، فإنه أذلُّ الناس لمعشوقه ولما يحصل به رضاه ، والحبُّ مبناه على الذل والخضوع للمحبيب كما قيل :

إِخْضَعْ وَذِلْ لِمَنْ تَحِبُّ فَلَيْسَ فِي شَرِّهِ هَوًى أَنْفٌ يُشَالُ وَيُعْقَدُ<sup>(٤)</sup>  
وقال آخر :

مساكينُ أهلُ العشق حتى قبورهم عليهم ترابُ الذلِّ بين المقابر

( ١ ) آخر سورة البقرة . والإصر : التكاليف الشاقة ، سميت لإصرأ لأنها تمنع المكاف وتعوقة عن القيام بما كلفه .

( ٢ ) الذلّة : غلبة الشهوة وشدها .

( ٣ ) في مسند الامام أحمد ( ج ٥ ص ٤٠٥ ) من حديث حذيفة بن اليمان بلفظ :

« لَا يَنْبَغِي السُّلْمُ .. الخ » .

( ٤ ) شال : لارتفع . وشال ميزان فلان : غلب في المفاخرة ونحوها .



وقال آخر :

قالوا عهدناك ذاعزّ فقلت لهم لا يعجب الناس من ذلّ المحبينا  
لا تنكروا ذلة العشاق إنهم مستعدون برق الحب راضونا  
قالوا : وإذا اقتحم العبدُ بحرَ العشق ولعبت به أمواجه فهو إلى الهلاك  
أدنى منه إلى السلامة ، كما ذكر الخرائطي أنه كان بالمدينة جاريةً ظريفةً فهِوِيَتْ  
رجلاً من قريشٍ ، وكان لا يفارقها ولا تفارقه فلما ، وزاد حبّها له فسقيمت ،  
وجعل مولاهم لا يعقبُ بشكواها ولا يرق لها ، حتى هامت على وجهها ومزقت  
ثيابها وأفضت<sup>(١)</sup> إلى أمرٍ عظيمٍ . فلما رأى ما صارت إليه عالجها فلم ينفع فيها  
العلاج ، وكانت تدور في السكك بالليل وتقول :

أَلْحَبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ<sup>(٢)</sup> تَأْتِي بِهِ وَتَسْقُوهُ الْأَقْدَارُ  
حتى إذا اقتحم الفتى لُجْجَ<sup>(٣)</sup> الهوى جاءت أمورٌ لا تُطَاقُ كِبَارُ  
من ذا يطيق كما يطيق من الهوى غَلَبَ العزاء وباحت الأسرارُ  
قال الخرائطي : وأنشدني بعض أصحابنا :

الحبُّ أَوَّلُهُ شَيْءٌ يَهْنِي بِهِ قَلْبُ الْمَحَبِّ فَيَلْقَى الْمَوْتَ كَاللَّعِيبِ  
يَكُونُ مَبْدُوهٌ مِنْ نَظَرَةٍ عَرَضَتْ وَمَرْحَةٌ أَشْعَلَتْ فِي الْقَلْبِ كَاللَّاهِبِ  
كالنار مبدؤها من قدحة<sup>(٤)</sup> فإذا تضرّمت أحرقت مستجمع الخطبِ

( ١ ) أفضى به إلى كذا : بلغ وانتهى به إليه .

( ٢ ) اللجاجة : التمداد في العناد .

( ٣ ) اللجج جمع لجة : معظم الماء ويقال : لجة الماء ولجة الظلام .

( ٤ ) القدحة بالكسر : اسم لاقتداح النار . وضررم النار وأضرمها : أشعلها  
وأوقدها وألهبها .

قالوا : وكيف يُمدَّح أمرٌ يمنع القرار ، ويسلب المنام ، ويولِّه العقل ،  
ويُحدث الجنون ، بل هو نفسه جنون ، كما قال بعض الحكماء : الجنون فنون ،  
والعشق فنٌّ من فنونه ، كما قال بعض العشاق :

قالوا جُنِنْتُ بَمَن تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُم      أَلْعَشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْجَانِينِ  
أَلْعَشْقُ لَا يَسْتَفِيْقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ      وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْجَنُونُ فِي الْحَيْنِ<sup>(١)</sup>

قالوا : وكم من عاشق أتلِف في معشوقه ماله وعِرْضَه ونفسه ، وضَيِّع أهله  
ومصالح دينه وديناه . قال الزُّبَيْرُ بن بكار : جاءت بدويةٌ إلى أُخْتٍ لها  
فقلت : كيف بك من حبِّ فلان ؟ قالت : حرَّك والله حُبُّه الساكن ، وسكَّنَ  
المتحرِّك ، ثم أنشأت تقول :

فَلَوْ أَنَّ مَآبِيَ بِالْخَصِيْ فَلَقَ الْخَصِيْ      وَبَارِئِجٍ لَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ هُبُوبُ  
وَلَوْ أَنَّيْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّمَا      ذَكَرْتُكَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيَّ ذُنُوبُ

فقلت : والله لأسأَلَنَّهُ كيف هو من حبِّك ، فجاءته فسألته فقال : إنما الهوى  
هو أنْ ولكنه خولِفَ باسمه ، وإنما يَعْرِفُ ذلك من اسْتَبَكَّتْهُ الْمَعَالِمُ وَالطُّلُوبُ<sup>(٢)</sup>  
وأنشد أبو الفضل الربيعي :

قَدْ أَمْطَرَتْ عَيْنِي دَمًا فَمَا وَهَى      بَعْدَ الدَّمُوعِ مِنَ الْجَفُونِ هَوَا مِلُ  
كَيْفَ الْعِزَاءِ وَلَا يَزَالُ مِنَ الضَّنَى      فِي الْجِسْمِ مِنِّي وَالْجَوَانِحُ نَازِلُ  
لَهْفِي عَلَى زَمَنِ مَضَى تَجْتَازُنِي      فِيهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ وَهِيَ عَوَاقِلُ  
قالوا : والعشق هو الداء الدوي<sup>(٣)</sup> الذي تذبذب معه الأرواح ، ولا يقع معه

( ١ ) تقدما في الصفحتين ١٣٩ و ١٤٤ .

( ٢ ) جمع طلل : هو ما بقي شاخصا من آثار الديار ونحوها

( ٣ ) الدوى : الشديد المهلك .

الارتياح ، بل هو بحرٌ مَنْ رَكِبَهُ غَرِقَ ، فَإِنَّهُ لَا سَاحِلَ لَهُ وَلَا نَجَاةَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي  
قَالَ فِيهِ الْقَائِلُ :

وَمَا أَحَدٌ فِي النَّاسِ يُحَمَّدُ أَمْرُهُ      فَيُوجَدُ إِلَّا وَهُوَ فِي الْحُبِّ أَحَقُّ  
وَمَا أَحَدٌ مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ      فَيَعْشُقُ إِلَّا ذَاقَهَا حِينَ يَعْشُقُ  
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

وَيَحِ الْحَبِيبِينَ مَا أَشَقَى نَفْسَهُمْ      إِنْ كَانَ مِثْلُ الَّذِي بِي بِالْحَبِيبَيْنَا  
يَشْقَوْنَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعَشْقِهِمْ      لَا يُرْزَقُونَ بِهِ دُنْيَا وَلَا دِينَا  
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَشْقُ مَشْغَلَةٌ عَنْ كُلِّ صَالِحَةٍ      وَسَكْرَةُ الْعَشْقِ تَنْفِي لَذَّةَ الْوَسَنِ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ :

كَيْفَ يَطِيقُ النَّاسُ وَصْفَ الْهَوَى      وَهُوَ جَلِيلٌ مَا لَهُ قَدْرُ  
بَلْ كَيْفَ يَصْنَوُ حَلِيفَ الْهَوَى      عِيشٌ وَفِيهِ الْبَيْنُ وَالْهَجْرُ  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ :

قَرِينُ الْحُبِّ يَأْتِسُ بِالْهَمُومِ      وَيُكْثِرُ فِكْرَةَ الْقَلْبِ السَّقِيمِ  
وَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ بِهِ اغْتِبَاطًا      عَلَى خَطَرٍ وَمُطْلَعٍ عَظِيمِ  
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

أَمَّا الْهَوَى فَهُوَ الْعَذَابُ فَإِنْ جَرَتْ      فِيهِ النَّوَى فَأَلِيمٌ كُلُّ عَذَابٍ  
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حُصَيْنَةَ .

وَالْعَشْقُ يُجْتَذِبُ النَّفْسَ إِلَى الرَّدَى      بِالطَّبَعِ وَاحْسَدِي لِمَنْ لَمْ يَعْشُقْ

وقال ابن المعتز :

الحب داءٌ عُضالٌ لا دواء له      يحار فيه الأطباء النحارير<sup>(١)</sup>  
قد كنت أحسب أن العاشقين غلّوا      في وصفه فإذا بالقوم تقصيرُ  
وقال أعرابي :

ألا ما الهوى والحب بالشئ هكذا      يذلّ به طوع اللسان فيوصفُ  
ولكنّهُ شئٌ قضى الله أنه      هو الموت أوشى من الموت أعنفُ  
فأوله سقمٌ وآخره ضنى      وأوسطه شوقٌ يشفُ<sup>(٢)</sup> ويتلفُ  
وروعٌ وتسميدٌ وهم وحسرة      ووجدٌ على وجدٍ يزيد ويضعفُ  
وقال عبد الحسن الصوري :

ما الحب إلا مسلكٌ خطيرُ      عسيرُ النجاة وموطينٌ زلقُ  
وقال آخر :

وكان ابتداء الذى بي مجونا      فلما تمكن أسمى جنونا  
وكنْتُ أظنُّ الهوى هيئاً      فلاقيتُ منه عذاباً مهيناً  
وقالت امرأة :

رأيت الهوى حُلوا إذا اجتمع السملُ      ومُرّاً على المجران لابل هو القتلُ  
فمن لم يذُقْ للهجر طعماً فإنه      إذا ذاق طعم الحب لم يدْرِ ما الوصلُ  
وقد ذقتُ طعميه على القرب والنوى      فأبعده قتلٌ وأقربه خبيلُ<sup>(٣)</sup>

(١) عضال : شديد أعياء الأطباء . والنحارير جمع نحير : العالم المتقن .

(٢) يشف : يسقم ويسقى .

(٣) الخبل : فساد العقل .

قالوا : والعشق يترك الملك مملوكا ، والسلطان عبداً ، كما قال الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وكان ملك الأندلس :

ظلّ من فرط حُبِّه مملوكا      ولقد كان قبل ذاك مليكا  
تركتُهُ جاذِرُ<sup>(١)</sup> القصر صباً      مستهماً على الصعيد تريكا  
يجعل الخلدَ واضعاً فوق رُبٍ      للذي يجعل الحريرَ أريكا  
هكذا يحسنُ التذللُ بالحرِّ      رِ إذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوارٍ من جواريه - ويقال : إنه للمأمون - :

ملكَ الثلاثُ الأنساتُ عِنايَ      وحلَّانَ من قلبي بكلِّ مكانٍ  
مالى تطاوعنى البريةُ كلَّها      وأطيعُهنَّ وهنَّ في عصياني  
ماذاكَ إلا أن سلطانَ الهوى      وبه قوينَ أعزُّ من سلطاني  
وقال بعض الملوك<sup>(٢)</sup> في جارية له عشقها وكانت كثيرة التَّجَنِّي عليه :

أما يكفيكِ أُنكُ تَمْلِكِينِي      وأنَّ الناسَ كلَّهم عبيدى  
وأُنكُ لو جَهِدْتِ على تلافِي      لقلتُ من الرِّضا أحسنتِ زيدى  
وقال ابنُ طاهر ملك خراسان :

فإني وإن حنَّ إليك ضمائرى      فما قدَرُ حُبِّي أن يذلَّ له قدرى  
وقال ابن الأحرر ملك الأندلس :

أياربَه الخلدُ التي أذهبتْ نُسكِي<sup>(٣)</sup>      على كلِّ حالٍ أنتِ لا بُدَّ لى منكِ  
فإما بذلٌّ وهو أَلْيَقُ بالهوى      وإمّا بعزٌّ وهو أَلْيَقُ بالملكِ

(١) جمع جوذر : البقرة الوحشية .

(٢) هو هارون الرشيد كما سيأتى فى الباب الثامن والعشرين .

(٣) النسك : العبادة .

قالوا : وكم من هرب من الحب إلى مظان التلّف ليتخلّص من التلّف بالتلّف . قال دِعْبِلُ الشاعر : كنت بالثغر فنودي بالنفير ، فخرجت مع الناس فإذا بفتى يجرّ رحمة بين يديّ فالتفت فنظر إلى فقال : أنت دِعْبِلُ ؟ قلت : نعم ، قال : اسمع مني ، ثم أنشدني فقال :

أنا في أمرى رشاد بين غزوي وجهاد  
بدني يغزو عدوي واليهوي يغزو قوادي

ثم قال : كيف ترى ؟ قلت : جيد والله ، قال : فرأيت ما خرجت إلا هارباً من الحب ، ثم قاتل حتى قتل . وقال أصرم بن حميد :

نحن قومٌ تُلِينَا الحَدَقُ النُّجْلُ على أننا نُلِينُ الحَمِيدَا  
طوع أيدي الطّبَاءِ تَقْتَادُنَا العَيْنُ وَتَقْتَادُ بِالطَّعَانِ الْأَسْوَدَا  
تَتَقَى سَخَطَنَا اللَّيْثُ وَنَخْشَى صَوْلَةَ الْخِشْفِ حِينَ يَبْدَى الصَّدُودَا<sup>(١)</sup>  
وترانا عند الكريهة أحراراً رأوا في السلم للغواني عبيدا  
قالوا : ورأينا الداخل فيه يتمنى منه الخلاص ، ولات حين مناص ، قال  
الخراثمي : أنشدني أبو جعفر العبدى :

إن الله نجّاني من الحب لم أعد إليه ولم أقبل مقالة عاذلي  
ومن لي بمنجاة من الحب بعد ما رمتني دواعي الحب بين الحبال  
وقال أبو عبيدة : الحبال الموت ، قال : وأنشدني أبو عبيد الله بن الدولابي :  
دعوتُ ربّي دعاءً فاستجاب له كما دعا ربّه نوحٌ وأيوبُ  
أن يَنْزِعَ الداءَ من صدري ويجعله في صدر سَلَمَى وحملُ الداء تعطيْبُ

(١) الصولة : السطوة والقدرة والتمهر . الخشف : ولد الظبية أول ما يولد يصعق فيه الذكر والأنثى .

أَوْ يَشْفِ<sup>(١)</sup> قَلْبِي سَرِيعاً مِنْ عَمَبَاتِهِ فَلَا أَحْنَ إِذَا حَنَّ الْمَطَارِيبُ

قالوا: وكم أكتب فتنة العشق رؤوساً على مناخرها في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وجرعتهم بين أطباق النار كئوس الحميم، وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين، وكخرج الشعرة من العجين، وكم أزال من نعمة، وأحلت من نقمة، وكم أنزلت من معقل عزه عزيزاً فإذا هو من الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب فإذا هو في أسفل السافلين، وكم كشفت من عورة، وأحدثت من روعة، وأعقبت من ألم، وأحلت من ندم، وكم أضرمت من نار حشرات أحرقت فيها الأكباد، وأذهبت قدراً كان للعبد عند الله وفي قلوب العباد، وكم جلبت من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، فقل أن يفارقها زوال نعمة، أو فجاءة نقمة، أو تحويل عافية، أو طروق بليّة، أو حدوث رزية، فلو سألت النعم ما الذي أزالك؟ والنعمة ما الذي أدالك<sup>(٢)</sup>؟ والهموم والأحزان ما الذي جلبك؟ والعافية ما الذي أبعدك وجنبك؟ والسّتر ما الذي كشفك؟ والوجه ما الذي أذهب نورك وكشفك؟ والحياة ما الذي كدرك؟ وشمس الإيمان ما الذي كورك<sup>(٣)</sup>؟ وعزة النفس ما الذي أذلّك؟ وبالهوان بعد الإكرام بذلك؟ لأجابتك بلسان الحال اعتباراً، إن لم تُجِبْ بالمقال حواراً.

هذه والله بعض جنائيات العشق على أصحابه لو كانوا يعقلون، (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَنَّمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)<sup>(٤)</sup> ويكفي اللبيب

(١) كذا . ولا وجه لحذف الياء إلا للضرورة .

(٢) أدالك : جعل لك القلب .

(٣) الشمس كورت : أفلت واضمحلت . قال تعالى في سورة التكوين (إذا

الشمس كورت).

(٤) الآية ٥٢ . سورة النمل .

موعظة وإستبصاراً ، ماقصّه الله سبحانه وتعالى عليه في سورة الأعراف في شأن أصحاب الهوى المذموم تحذيراً واعتباراً ، فبدأ سبحانه وتعالى بهوى إبليس الحامل له على التكبر عن طاعة الله عزّ وجلّ في أمره بالسجود لآدم ، فحمله هوى النفس ، وإعجابه بها على أن عصى أمره ، وتكبر على طاعته ، فكان من أمره ما كان ، ثم ذكر سبحانه هوى آدم حين رغب في الخلود في الجنة وحمله هواه على أن أكل من الشجرة التي نهى عنها ، وكان الحامل له على ذلك هوى النفس ومحبتها للخلود ، فكان عاقبة ذلك الهوى والشهوة إخراجها منها إلى دار التعب والنصب . وقيل : إنه إنما أكل منها طاعةً لحواء ، فحمله حبها لها أن أطاعها ودخل في هواها ، وإنما توصل إليه عدوه من طريقها ؟ ودخل عليه من بابها . فأول فتنة كانت في هذا العالم بسبب النساء .

ثم ذكر سبحانه فتنة الكفار الذين أشركوا به مالم ينزل به سلطاناً ، وابتدعوا في دينه مالم يشرعه ، وحرّموا زينته التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وتعبدوا له بالقواحش وزعموا أنه أمرهم بها ، واتخذوا الشياطين أولياء من دونه ، والحامل لهم على ذلك كله الهوى والحب الفاسد ، وعليه حاربوا رسله ، وكذبوا كتبه ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم وأهلهم دونه حتى خسروا الدنيا والآخرة . ثم ذكر سبحانه وتعالى قصة قوم نوح وما أصارهم إليه الهوى من الغرق في الدنيا ودخول النار في الآخرة . ثم ذكر قصة عاد وما أفضى إليهم بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة . ثم قصة قوم صالح كذلك ، ثم قصة العنّاق ، أئمة الفساق ، وناكحى الذكران وتاركي النسوان ، وكيف أخذهم وهم في خوضهم يلعبون <sup>(١)</sup> وقطع دابرهم

---

( ١ ) خاضوا في الحديث : تفاوضوا فيه ، ومن الحجاز فلان يفرض في الكلام إذا تكلم فيه على غير هدى . وفي سورة الأنعام ( ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ) أى في باطلهم يتشاغلون .



وهم في سكر عشقهم يعمهون ، وكيف جمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمة من الأمم أجمعين ، وجعلهم سلفاً لإخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتأخرين ، ولما تجرأوا على هذه المعصية ومردوا<sup>(١)</sup> ، ونهجوا لإخوانهم طريقاً وقاموا بأمرها وقعدوا ، ضجت الملائكة إلى الله من ذلك ضجيجاً ، وعجت الأرض إلى ربها من هذا الأمر عجيباً ، وهربت الملائكة إلى أقطار السموات ، وشكروهم إلى الله جميع الخلوقات ، وهو سبحانه وتعالى قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين إلا بعد إقامة الحجة عليهم ، والتقدم بالوعد والوعيد إليهم ، فأرسل إليهم رسوله الكريم يحذرهم من سوء صنيعهم ، وينذرهم عذابه الأليم ، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة على رؤوس الملأ منهم والأشهاد ، وصاح بها بين أظهرهم في كل حاضرٍ وباد . وقال فكان في قوله لهم من أعظم الناصحين : ( أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ )<sup>(٢)</sup> ثم أعاد لهم القول نصحاً وتحذيراً ، وهم في سكرة عشقهم لا يعقلون ، ( إِنَّكُمْ كَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ )<sup>(٣)</sup> فأجاب العشاق جواب من أركس في هواه وغيبه فقا به بعشقه مفتون . و ( قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ )<sup>(٤)</sup> إناهم أناس يتطهرون<sup>(٥)</sup> فلما أن حان الوقت للمعلوم وجاء ميقات نفوذ القدر المحتوم ، أرسل الرحمن تبارك وتعالى تمام الإنعام والامتحان إلى بيت لوط ملائكة في صورة البشر ، وأجل ما يكون من الصور ، وجاءوه في صورة الأضياف النزول بذى الصدر الرحيب ،<sup>(٦)</sup> ( سَيِّئَ بِهِمُ

( ١ ) مرد على النوى يرد : مرن عليه وتدرّب ومهر فيه ، وأكثر ما يستعمل في الشر .

ومرد الإنسان والشیطان فهو مارد : عتاواز داد في الشر وتجراً في الآثام . وفي سورة التوبة ( ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ) .

( ٢ ، ٣ ) الآيتان ٨٠ و ٨١ سورة الاعراف .

( ٤ ) الآية ٥٦ . سورة النمل

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ <sup>(١)</sup> وجاء الصريح إلى اللوطية أن لوطاً قد نزل به شبابٌ لم ينظر إلى مثل حُسنهم وجمالهم الناظرون ، ولا رأى مثاهم الراؤون ، فنادى اللوطية بعضهم بعضاً أن هلمُّوا إلى منزل لوط فقيه قضاء الشهوات ، ونيلُ أكبر اللذات ( وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ) <sup>(٢)</sup> . فلما دخلوا إليه وهجموا عليه قال لهم وهو كظيم من الهمِّ والغمِّ وقلبه بالحزن عميد : ( يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ) <sup>(٣)</sup> فلما سمع اللوطية مقالَه أجابوه جوابَ الفاجر المجاهر العنيد : ( لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ) <sup>(٤)</sup> فقال لهم لوطٌ مقالةً المضطهدِّ الوحيد : ( لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) <sup>(٥)</sup> فلما رأت رسلُ الله ما يقياسُ نبيه من اللوطية كشفوا له عن حقيقة الحال وقالوا : هون عليك ، ( يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ) <sup>(٦)</sup> فسرَّ نبيُّ الله سرورَ الحبِّ وافاه الفرج بغتةً على يد الحبيب ، وقيل له : ( فَأَمْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ) <sup>(٧)</sup> ولما أبوا إلا مراودته عن أضيافه ولم يبرعوا حقَّ الجار ضربَ جبريلُ بِجناحه على وجوههم فَطَمَسَ منهم الأعين وأعمى الأبصار ، فخرجوا من عنده عُميَّاناً يتحسسون ويقولون : ستعلم غداً ما يحلُّ بك أيها

الجنون . فلما انشقَّ عمودُ الصبح جاء النداء من عند ربِّ الأرباب ، أن اخسِفْ  
بالأمة اللوطيَّة وأذِقْهم أليم العذاب ، فاقطلع القوىُّ الأمين جبريلُ مدائنهم على  
ريشةٍ من جناحه ورفعها في الجوِّ حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ، وصياح  
دِيكَيْتِهِمْ ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعوا الحجارة من سَجِّيلٍ وهو الطين  
الاستحجر الشديد ، وخوف سبحانه إخوانهم على لسان رسوله من  
هذا الوعيد ، قال تعالى : ( فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا  
عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ  
بَبَعِيدٍ )<sup>(١)</sup> فهذه عاقبة اللوطيَّة عشاقِ الصُّور وهم السلف وإخوانهم بعدهم  
على الأثر .

وإن لم يكونوا قومَ لوطٍ بعينهم	فما قومُ لوطٍ منهم ببعيد
وإنهم في الخسْفِ ينتظرونهم	على موردٍ من مهلةٍ وصيد
يقولون لا أهلاً ولا مرجباً بكم	ألم يتقدَّم ربُّكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم	صراطاً لنا في العشق غير حميد
أتينا به الذِّكرَ أن من عشقنا لهم	فأوردنا ذا العشقُ شرّاً ورود
فأنتم بتضيف العذاب أحقُّ من	متابعيكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رُسُلُكم أنذرتكم	بما قد لقيناه بصدقٍ وعيد
فما لكم فضلٌ علينا فكلنا	نذوق عذاب الهونِ <sup>(٢)</sup> جدَّ شديد
كما كلُّنا قد ذاق لذةً وصاهم	ومجمعوناً في النار غيرُ بعيد
وكذلك قومُ شعيبٍ إنما حملهم على	بخسِ المكيال والميزان فرط محبتهم
للمال ، وغلبهم الهوى على طاعة نبيهم حتى	أصابهم العذاب .

( ١ ) الآيتان ٨٢ ، ٨٣ . سورة هود . ومسومة : معاملة بعلامة .

( ١ ) الهون : الحزى . قال تعالى : ( فأخذتهم صاعقة العذاب الهون )

أي ذى الحزى . ( ١٣ م — روضة المحبين )

وكذلك قوم فرعون حملهم الهوى والشهوة وعشق الرئاسة على تكذيب موسى حتى آل بهم الأمر إلى ما آل . وكذلك أهل السبت الذين مسخوا قردةً إنما أتوا من جبة محبة الحيتان وشهوة أكلها والحرص عليها . وكذلك الذى آتاه الرب تبارك وتعالى آياته ( فأنسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ )<sup>(٢)</sup> وتأمل قوله تعالى : ( آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ) فأخبر أن ذلك إنما حصل له بإيتاء الرب له لا بتحصيله هو . ثم قال : ( فأنسلخ منها ) ولم يقل فسلخناه بل أضاف الأنسلاخ إليه وعبر عن برأته منها بلفظة الانسلاخ الدالة على تخليه عنها بالكلية ، وهذا شأن الكافر . وأما المؤمن ولو عصى الله تبارك وتعالى ما عصاه فإنه لا ينسلخ من الإيمان بالكلية ، ثم قال : ( فأتبعه الشيطان ) ولم يقل فتنعه . فإن فى أتبعه إعلماً بأنه أدركه وحقيقته ، كما قال الله تعالى : ( فَاتَّبِعُوهُمْ مَشْرِيقِينَ )<sup>(٣)</sup> أى لحقوهم ووصلوا إليهم ثم قال : ( وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ) فى ذلك دليل على أن مجرد العلم لا يرفع صاحبه ، فهذا قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها ، فالرفعة بالعلم قدر زائد على مجرد تعلمه ، ثم أخبر الله عز وجل عن السبب الذى منعه أن يرفع بها ، فقال : ( وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ) . وقوله : ( أخلد إلى الأرض ) أى سكن إليها ونزل بطبعه إليها ، فكانت نفسه أرضية سفلية لاسماوية علوية ، وبحسب ما يُخلد العبد إلى الأرض يهبط من السماء ، قال سهل : قسم الله الأعضاء من الهوى ، لكل عضو منه حظاً . فإذا مال عضو

منها إلى الهوى رجع ضرره إلى القلب . وللنفس سبع حُجُب سَمَويّة وُضِع<sup>(١)</sup> حجب أرضيّة ، فكلما دفن العبدُ نفسه أرضاً أرضاً سما قلبه سماء سماء ، فإذا دفن النفس تحت الثرى ، وصل القلبُ إلى العرش . ثم ذكر سبحانه مَثَلَ الْمُتَّبِعِ لهواه كمثل الكلب الذي لا يفارقه اللَّهتُ في حَالَتِي تركه والحملِ عليه ، فمكذا هذا لا يفارقه اللَّهتُ على الدُّنْيَا رَاغباً وراهباً .

والمقصودُ أن هذه السورة من أولها إلى آخرها في ذكر حال أهل الهوى والشهوات وما آل إليه أمرهم ، فالحسبُ والهوى أصلُ كل بلية . قال عَدِيُّ ابن ثابت : كان في زمن بنى إسرائيل راهبٌ يعبد الله حتى كان يؤتى بالمجانين يُعوّذهم<sup>(٢)</sup> فيأرون على يديه ، وإنه أتى بامرأة ذاتِ شرفٍ من قومها قد جُنّت ، وكان لها إخوةٌ فَأَتَوْهَ بها فلم يزل الشيطانُ يزين له حتى وقع عليها فحملت ، فلما استبان حملها لم يزل يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها ، فذهب الشيطانُ في صورة رجل حتى أتى بعض إختوتها فأخبره بالذى فعل الراهب ، ثم أتى بقية إختوتها رجلاً رجلاً ، فجعل الرجلُ يلقي أخاه فيقول : والله لقد أتاني آتٍ فذكر لي شيئاً كبيراً على ذكره فذكر ذلك بعضهم لبعض حتى رفعوا ذلك إلى ملكهم ، فسار الناس إليه حتى استنزلوه من صَوْمَعَتِهِ فَأَقْرَتْ لَهُم بالذى فعل ، فَأَمَرَ به فصلب ، فلما رُفِعَ على الخشبة تمثل له الشيطان فقال : أنا الذى زينْتُ لك هذا وأَلْقَيْتُكَ فيه ، فهل أَنْتَ مُطِيعِي فيما أقول لك وأُخْلَصْكَ ؟ قال :

( ١ ) كذا .. بتذكير العدد والاشهر تأنيثه .

( ٢ ) يعوّذهم : يرقمهم ، وعوذه تعويذاً وأعادة لإعادة : دعا له بالحفظ ورقاه .  
والعوذة : الرقية يرقى بها الإنسان من فرع أو جنون لانه يعاذ بها ، وهى التى تسكتب وتعلق على الإنسان من العين والفرع والجنون .

نعم ، قال : تسجد لي سجدة واحدة ، فسجد له وقتل الرجل ، فهو قول الله تعالى :  
( كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ  
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ )<sup>(١)</sup> .

وقال واصل مولى أبي عيينة : دخلت على محمد بن سيرين فقال لي : هل  
تزوجت ؟ فقلت : لا ، قال : وما يمنعك ؟ قلت : قلة الشيء ، قال : تزوج  
عبد الله بن محمد بن سيرين ولا شيء له فرزقه الله .

ثم حدث أن امرأة من بنى إسرائيل يقال لها ميسونة خاضت إلى حبرين<sup>(٢)</sup>  
من بنى إسرائيل فعلقها قال : وكان كل واحدٍ منهما يكتم صاحبه ما يجد منها ،  
فأخبرا أنها في حائط<sup>(٣)</sup> تغتسل ، قال : فجاء فتسورا عليها الحائط . فلما رأتهما  
دخلت غمرأ<sup>(٤)</sup> من الماء فوارت نفسها ، فقالا لها : إنك إن لم تفعلی غدونا فشهدنا  
عليك بالزور ، فأبت فشهدا عليها . فلما قرّبت ليقام عليها الحد نزل الوحي على  
دانيال بتكذيبهما ، فهذا بعض فتنة العشق .

وقد روى شعبة عن عبد الملك بن عمير قال : سمعت مصعب بن سعد  
يقول : كان سعد يعلمنا هذا الدعاء ويذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم :

( ١ ) الآية ١٦ . سورة الحشر .

( ٢ ) الخبر بالفتح والكسر : واحد أخبار اليهود . وهو أيضاً المالم ، وقيل  
المالغ من العلماء .

( ٣ ) الحائط : البستان .

( ٤ ) الغمر : الماء الكثير .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّسَاءِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » (١) .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا أبو معاوية الضَّرِير عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنه لم يكن كفرٌ مَن مضى إلا من قبل النساء وهو كفر من بقي أيضاً .

وقد روى شفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا تَرَكَتُ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ » (٢) .

وروى أبو إسحاق ، عن هبيرة بن يريم ، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَنْ تُخْمَرُ وَالنَّسَاءُ » (٣) . وقال علي بن حرب : حدثنا شفيان ابن عُيَيْنَةَ ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : « مَا أَيْسَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ إِلَّا أَنَاهُ مِنْ قَبْلِ النَّسَاءِ » .

وروى شفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قِيلَ لِأَدَمَ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ ؟ قَالَ : يَارَبَّ زَيَّنْتَ لِي حَوَاءً ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ عَاقَبْتُهَا لِأَتَحْمَلَ إِلَّا كَرَهَا ، وَلَا تَضَعُ إِلَّا كَرَهَا ، وَأَدْمَيْتُهَا فِي الشَّهْرِ مَرَّتَيْنِ » .

( ١ ) رواه الخرائطي في اعتلال القلوب . كما قال السيوطي .

( ٢ ) تقدم تخريجه في الصفحة ٩٦ .

( ٣ ) تقدم تخريجه في الصفحة ٩٦ .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما — أو غيره — : « أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء » .

قالوا : ويكفى من مضرة العشق ما اشتهر من مصارع العشاق ، وذلك موجود في كل زمان .

فهذا بعض ما احتجّت به هذه الفرقة لقولها . ونحن نعقد للحكم بين الطائفتين باباً مستقلاً بعون الله تعالى .



## الباب السادس عشر

فى الحكم بين الفريقين . وفصل النزاع بين الطائفتين

فنقول : العشق لا يُحمد مطلقاً ولا يُذمّ مطلقاً، وإنما يُحمد ويُذمّ باعتبار متعلّقه ، فإن الإرادة تابعة لمرادها ، والحبّ تابعٌ للمحبوب ، فمتى كان المحبوب مما يُحبّ لذاته أو وسيلةً توصّله إلى ما يُحبّ لذاته، لم تُذمّ البالغة فى محبته بل تُحمد . وصلاحيّ حال الحبّ كذلك بحسب قوّة محبته .

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلّها لله تعالى وحده بحيث يحبّ الله بكلّ قلبه ورُوحه وجوارحه ، فيوحّد محبوه ويوحّد حبه ، وسيتأتى إن شاء الله تعالى فى باب توحيد المحبوب أن المحبة لا تنصح إلا بذلك ، فتوحيد المحبوب أن لا يتعدّد محبّوه<sup>(١)</sup> ، وتوحيد الحبّ أن لا يبقى فى قلبه بقية حبّ حتى يبذلها له ، فهذا الحبّ وإن سُمى عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرّة عينه ، وليس لقلبه صلاحٌ ولا نعيمٌ إلا بأن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله ، فلا يجب إلا لله ، كما فى الحديث الصحيح : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُبْلَى فِي النَّارِ »<sup>(٢)</sup> فأخبر أن

(١) الضمير هنا عائد على محذوف وهو المحب .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . كما جاء فى تيسير الوصول .

العبد لا يجد حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه ، ومحبة رسوله هي من محبته ، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبة الله ، وإن كانت لغير الله فهي مُنْقَصَةٌ لمحبة الله مُضَعَفَةٌ لها ، وتَصَدُقُ هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد . ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة ، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئاً ، فإذا قدّم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خيّر بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان الله أحب إليه من نفسه ، وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والحبين من محبة محبوبهم ، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد ، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والالتقياد ظاهراً وباطناً ، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان .

ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركاً شركاً لا يَغْفِرُهُ الله كما قال الله تعالى : ( وَمِنَ الْإِنسَانِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ )<sup>(١)</sup> والصحيح أن معنى الآية والذين آمنوا أشد حبا لله من أهل الأنداد لأناداهم كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلاً ، كما لا يماثل محبوبهم غيره . وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته ، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته .

ومن ضرب لمحبة الأمثال التي هي في محبة المخلوق للمخلوق كالوصل والمهجر والتجنى بلا سبب من الحب وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه علواً كبيراً فهو مخطئ ، أقبح الخطأ وأخفشه ، وهو حقيق بالإبعاد والمقت . والآفة إنما هي من

نفسه وقلة أدبه مع محبوبه ، والله تعالى نهى أن يضرب عباده له الأمثال فهو لا يقاس بمخلقه . وما ابتدع من ابتدع إلا من ضرب الأمثال له سبحانه . فأصحاب الكلام المحدث المبتدع ضربوا له الأمثال الباطلة في الخبر عنه وما يوصف به ، وأصحاب الإرادة المنحرفة ضربوا له الأمثال في الإرادة والطلب . وكلاهما على بدعة وخطأ .

والعشق إذا تعاقى بما يحبه الله ورسوله كان عشقاً ممدوحاً مثاباً عليه . وذلك أنواع : أحدها محبة القرآن بحيث يغنى بسماعه عن سماع غيره ، ويهيم قلبه في معانيه ومراد المتكلم سبحانه منه ، وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه ، فمن أحب محبوباً أحب حديثه والحديث عنه كما قيل :

إن كنت تزعمُ حبي فلم هجرت كتابي  
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

وكذلك محبة ذكره سبحانه وتعالى من علامة محبته ، فإن الحب لا يشبع من ذكر محبوبه ، بل لا ينسأه فيحتاج إلى من يذكره به . وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه ، فمشق هذا كله من أنفع العشق ، وهو غاية سعادة العاشق ، وكذلك عشق العلم النافع ، وعشق أوصاف الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر ومكارم الأخلاق ، فإن هذه الصفات لو صوّرت صوراً لكانت من أجمل الصور وأبهأها ، ولو صوّر العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر ، واسكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية ، كما أن محبة الله ورسوله وكلامه ودينه إنما تناسب الأرواح العلوية ، السامية الزكية ، لا الأرواح الأرضية الدنية ، فإذا أردت أن تعرف قيمة العبد وقدره فانظر إلى محبوبه ومراده . واعلم أن العشق الحمود لا يعرض فيه شيء من الآفات المذكورة .

بقى هاهنا قسم آخر، وهو عشق محمود يترتب عليه مفارقة المعشوق، كمن  
 يعشق امرأته أو أمته فيفارقها بموت أو غيره فيذهب المعشوق ويبقى العشق كما  
 هو، فهذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين،  
 وإن سخط وجزع فاته معشوقه وثوابه، وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم  
 فدرجته فوق درجة الصبر. وأعلى من ذلك أن يقابلها بالشكر نظراً إلى حسن  
 اختيار الله له، فإنه ما يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، فإذا علم أن  
 هذا القضاء خير له اقتضى ذلك شكره لله على ذلك الخير الذي قضاه له، وإن لم  
 يعلم كونه خيراً له فليسلم للصادق المصدوق في خبره المؤكد باليمين حيث يقول:  
 « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ قَضَاءٍ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ  
 إِنْ أَصَابَتْهُ مَرَأَةٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ  
 خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ » (١). وإيمان العبد يأمره بأن يعتقد بأن  
 ذلك القضاء خير له، وذلك يقتضى شكر من قضاه وقدره وبالله التوفيق :

## الباب السابع عشر

في استجاب تخير الصور المحبذة للوصال الذي يحبه الله ورسوله

قال الله تعالى تعالى عقيب ذكره ما أحلَّ لعباده من الزوجات والإماء وما حرَّم عليهم : ( يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَةَ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا ، وَيَكُونَ لَكُمْ رِيسَةٌ . وَهُدًى مِّنَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخِزْيَ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا )<sup>(١)</sup> أي لا يصبر عن النساء ، كما ذكر الثوري عن ابن طاووس عن أبيه (وخلق الإنسان ضعيفاً) . قال : إذا نظر إلى النساء لم يصبر ، وكذلك قال غير واحد من السلف . ولما كانت الشهوة في هذا الباب غالبية لا بدَّ أن توجب ما يوجب التوبة ، كرَّر سبحانه وتعالى ذكر التوبة مرَّتين ، فأخبر أنَّ مُتَّبِعِي الشَّهَوَاتِ يريدون من عباده أن يميلوا ميلًا عظيمًا ، وأخبر سبحانه وتعالى أنه يريد التخفيف عنَّا لضعفنا ، فأباح لنا أن ننكح ما طاب لنا من أطايب النساء أربعا ، وأن نتسرَّى من الإماء بما شئنا .

ولما كان العبد له في هذا الباب ثلاثة أحوال : حالة جهلٍ بما يحلُّ له ويحرَّم عليه ، وحالة تقصير وتفريط ، وحالة ضعف وقلة صبر ، قابل سبحانه جهل عبده بالبيان والهدى ، وتقصيره وتفريطه بالتوبة ، وضعفه وقلة صبره بالتخفيف .

وقال عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه : حدثنا أبو معمر ، حدثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ وَحُبِّ إِلَى النَّسَاءِ وَالطَّيِّبُ . الْجَائِعُ يَشْبَعُ وَالظَّمْآنُ يَرْوَى وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنْ حُبِّ الصَّلَاةِ وَالنَّسَاءِ . وأصله في صحيح مسلم بدون هذه الزيادة <sup>(١)</sup> .

وفي صحيح مسلم من حديث عُرْوَةَ عن عائشة رضى الله عنها قالت <sup>(٢)</sup> : « لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جُويرية بنت الحارث بن أبي ضَرَارٍ في السهم لثابت بن قيس بن الشَّامِ أُولَ ابْنِ عَمِّ لَه ، فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَمِيلَةً حُلُوءَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهَا ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ عَلَى كِتَابَتِهَا <sup>(٣)</sup> . قالت : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ الْحَجَرَةِ فَكَرِهْتُهَا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضَرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ . وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّامِ أُولَ ابْنِ عَمِّ لَه ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَعِينُهُ . قَالَ : « فَهَلْ لَكَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ ؟ » قالت : وما هو ؟

---

(١) في المسند والنسائي والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن مع تغيير في الفقرات كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي .

(٢) الحديث بهذا السياق غير موجود في صحيح مسلم ولكنه جاء في كتاب مناقب أمهات المؤمنين للحب الطبري . وفي المواهب اللدنية أن الذي خرجه هو أبو داود وزاد شارح المواهب أحمد . وكلاهما من حديث لابن اسحاق .

(٣) كاتب العبد : كتب على نفسه بشمته فإذا سعى وأداه عتق .

قال : « أَقْضِي كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ » قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت .  
 وخرج الخبرُ إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرة بنت  
 الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم .  
 قالت : فلقد أُعْتِقَ بَتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، فَمَا أَعْلَمُ  
 امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : خرج سهمي يوم جلواء جارية كأنَّ  
 عنقها إبريق فضة ، فما ملكت نفسى أن قت إليها فقبَّلتها .

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : « قدم رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم خَيْبَرَ فلما فتح الله عليه الحِصْنَ ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حِجِّيٍّ  
 وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا ، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ ،  
 فخرج بها حتى بلغا سِدَّ الرُّوحَاءِ <sup>(١)</sup> فَبَنَى بِهَا <sup>(٢)</sup> ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا <sup>(٣)</sup> فِي نِطْعٍ <sup>(٤)</sup> صَغِيرٍ ،  
 ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ » فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمةَ  
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَفِيَّةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَوِّسِي <sup>(٥)</sup> لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةٌ ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رِكْبَتَهُ

---

( ١ ) في صحيح البخارى وغيره : سد الصهباء وهو الاصبوب . والروحاء  
 بالمهملة : مكان قريب من المدينة وايسر قرب خيبر ، فالصواب أنها الصهباء ، وهى  
 على بريد من خيبر ، قاله ابن سعد وغيره .

( ٢ ) بنى بها وعالها : دخل بها .

( ٣ ) الحيس : تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتسمى كالثرید وقد يجعل  
 عوض الالط الدقيق والفتيت .

( ٤ ) الطع وفيه أربع لغات : بساط من آدم .

( ٥ ) يحوى لها : أى يجعل لها حوية وهى كساء محشو ، يدار حوال سنام  
 البعير تركبه المرأة .

فتضع صفيّة رجليها على ركبته حتى تركب . وعند أبي داود في هذه القصة قال :  
وقع في سهم دَرَحِيّة جارية جميلة . فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة  
أرؤس ، ثم دفعها إلى أمّ سليم تُصنّعها وتهيئها وتعتدّ في بيتها ، وهى صفيّة  
بنتُ حَيّ .

وقال أبو عبيدة : حجج عبد الملك بن مروان ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ،  
وكان خالد هذا من رجالات قريش المدودين ، وكان عظيم القدر عند عبد الملك  
فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصّر رَمَلَة بنت الزُّبير بن العوّام فعشقتها عشقاً  
شديداً ، ووقعت بقلبه وقوعاً متمكناً ، فلما أراد عبد الملك القول همّ خالدٌ  
بالتخلف عنه ، فوقع بقلب عبد الملك تهمةٌ ، فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ، رَمَلَة بنت الزُّبير ، رأيته تطوف بالبيت فأذهلت عقلي ، والله  
ما أبديتُ إليك ما بى حتى عيلَ صبرى . ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله ،  
والسَّكْوُ على قلبى فامتنع منه . فأطال عبد الملك التَّعَجُّبَ من ذلك وقال : ما كنت  
أقول إن الهوى يستأسر مثلك ، قال : فإنى لأشدُّ تعجباً من تعجبك منى .  
واقدر كنت أقول : إن الهوى لا يتمكّن إلاّ من صنفين من الناس : الشعراء  
والأعراب . أما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكرَ فى النساء ووصفنَّ والتغزّل  
فقال طبعهم إلى النساء فضغفت قلوبهم عن دفع الهوى فاستسلموا إليه منقادين . وأما  
الأعراب ، فإن أحدهم يخلو بأسرّاته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها ، ولا يشغله  
عنه شيء ، فضغفوا عن دفع الهوى فتمكّن منهم . فما رأيت نظرةً حالت بينى  
وبين الحزم ، وحمشت عندى ركوب الإثم ، مثل نظرتى هذه . فتبسّم عبد الملك  
فقال : أفكل هذا قد بلغ بك ؟ فقال : والله ما عرنتى <sup>(١)</sup> هذه البلية قبل وقتى



هذا . فوجه عبد الملك إلى الزبير يخطب رَمَلَةً على خالد ، فذكروا لها ذلك  
فقات : لا والله أو يطلّق نساءه ، فطلق امرأتين كانتا عنده ،  
وظعن<sup>(١)</sup> بها إلى الشام وكان يقول :

أليس يزيد الشوق في كل ليلة وفي كل يوم من حبيبتنا قرباً  
خليلي مامن ساعة تذكّرانيها من الدهر إلا فوّجت عنى الكربا  
أحبّ بنى العوام طراً لحيها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا  
تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يحول ولا قلباً<sup>(٢)</sup>

وذكر الخرائطي : أن بشر بن مروان كان إذا ضرب البعث<sup>(٣)</sup> على أحد  
من جنده ثم وجده قد أخلّ بمركزه أقامه على كرسي ثم سمر يديه في الحائط ، ثم  
انتزع الكرسي من تحت رجله ، فلا يزال يتشحّط حتى يموت . وأنه ضرب  
البعث على رجل عاشق حديث عهد بعرس ابنة عمه ، فلما صار في مركزه كتب  
إلى ابنة عمه كتاباً ، ثم كتب في أسفله :

لولا مخافة بشر أو عقوبته وأن يرى بعدذا في الكف مسجراً  
إذا لعطلت نغري ثم زرتكم إن الحب إذا ما اشتاق زوّار  
فلما ورد عليها الكتاب أجابته عنه ، ثم كتبت في أسفله :

( ١ ) ظعن : سار وارتحل . والظمنية الهودج كانت فيه امرأة أولم تكن  
والظمنية أيضاً المرأة مادامت في الهودج .

( ٢ ) يحول : يتحرك ويضطرب لسعته . والقلب بالضم : سوار المرأة ، يكون  
نظماً واحداً .

( ٣ ) ضرب عليه البعث : أوفده وأمره بالسفر إلى أحد الثغور أو  
مركز من المراكز .

ليس المحبُّ الذى يخشى العقابَ ولو كانت عقوبته فى فَجْوَةِ النارِ  
بل المحبُّ الذى لا شيء يُفْرِعه أو يَسْتَقِرُّ ومن يهواه فى الدارِ  
فلما قرأ الكتابَ قال : لاخير فى الحياة بعد هذا . وأقبل حتى دخل المدينة  
فأتى بشرَ بنَ مروان فى وقت غَدائِهِ ، فلما فرغ من غَدائِهِ أُدخل عليه فقال :  
ما الذى دعاك إلى تعطيل ثغرك ؟ أما سمعت النداء ؟ فقال : اسمع عذرى فإما  
عفوت وإما عاقبت . فقال : ويلك وهل لك من عذري ؟ فقصَّ عليه قصته وقصة  
ابنة عمه فقال : أولى لكما . يا غلام ، خط على اسمه من البعث وأعطه عشرة  
آلاف درهم والحق بأبنة عمك .

سهرتُ ومن أهدى لى الشوقَ نائمٌ وعذَّب قايى بالهوى وهو سالمٌ  
فواحسرتا حتى متى أنا قائلٌ لمن لامننى فى حبِّكم أنت ظالمٌ  
وحتى متى أخفى الهوى وأسرهُ وأدفنُ شوقى فى الحشا وأكاتمُ  
أريد الذى قد سرَّكم بمسأتي ليتفكَّلَ واشٍ أو ليعذرَ لائمٌ  
وقال آخر :

بى لابهما ما أقامى من تَجَنُّيا ومن جوى<sup>(١)</sup> الحبِّ فى الأحشاء أفديها  
واللهُ يعلمُ أنى لا أسرُّ بأن تلقى من الوجد مالا قيتُهُ فيها  
خوفَ البكاء كما أبكى فتركنى أبكى على كبدى طورا وأبكىها

وقال العباس بن هشام الكلبي : ضرب عبد الملك بن مروان بعثا إلى  
اليمن فأقاموا سنين ، حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق قال : والله لأعسنَ  
الليلة مدينة دمشق ولأسمعن الناسَ ماذا يقولون فى البعث الذى أغزيت فيه

رجالهم، وأغرمتهم أموالهم، فبينما هو في بعض أزقتها إذ هو بصوت امرأة قائمة تصلى فتسمع إليها، فلما انصرفت إلى مضجعها قالت : اللهم مسير النجب<sup>(١)</sup>، ومُنزل الكتب، ومعطى الرغب<sup>(٢)</sup>، أسألك أن ترد لي غائبى فتكشف به هوى، وتقر به عيني، وأسألك أن تحكم بينى وبين عبد الملك بن مروان الذى فصل بنا هذا، ثم أنشأت تقول :

تطاول هذا الليل فاعين تدمعُ	وأرقني حزن قلبي موجعُ
فبت أقاسى الليل أروع نجومه	وبات فؤادى بالجوى يتقطعُ
إذا غاب منها كوكب في مغيبه	لمحت بعيني كوكباً حين يطلعُ
إذا ما تذكرت الذى كان بيننا	وجدت فؤادى حسرة يتصدعُ
وكل حبيب ذاكره لحبيبه	يرجى لقاءه كل يوم ويطمعُ
فذا العرش فرج ما ترى من صباي	فأنت الذى يدعو العباد فيسمعُ
دعوتك فى السراء والضرة دعوةً	على حاجة بين الشراسيف <sup>(٣)</sup> تلزعُ

فقال عبد الملك لحاجبه : تعرف هذا المنزل ؟ قال : نعم هذا منزل يزيد بن سنان . قال : فما المرأة منه ؟ قال : زوجته ، فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ قالوا : ستة أشهر .

(١) النجب جمع نجبية : خيار الإبل .

(٢) الرغب : المطلوب والمرغوب فيه .

(٣) الشراسيف : جمع شرسوف : وهو الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن .

وقال جرير بن حازم عن، يَمْلَى بن حكيم، عن سعيد بن جبير قال : كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إذا أمسى أخذ دِرَّتَه ثم طاف بالمدينة ، فإذا رأى شيئاً يذكره أذكره ، فبينما هو ذات ليلة يَمْسُ إِذْ مَرَّ بِامْرَأَةٍ عَلَى سَطْحٍ وهى تقول :

تطاول هذا الليل وأخضل<sup>(١)</sup> جانبه وأرقى أن لا خيل إلا ألاعبه  
فوالله لولا الله لأرب غيرة لحرك من هذا المرير جوانبه  
مخافة ربي والمحيا يصدنى وأكرم بلى أن تُنال مراكبه

ثم تنفست الصعداء وقالت : لَمَّا نَ عَلَى عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة ، فضرب باب الدار فقالت : من هذا الذى يأتى إلى امرأةٍ مُفْصِيَةٍ<sup>(٢)</sup> هذه الساعة ؟ فقال : افتحى ، فأبت ، فلما أكر عليها قالت : أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك ، فلما رأى عفافها قال : افتحى فأنا أمير المؤمنين ، قالت : كذبت ما أنت أمير المؤمنين ، فرفع بها صوته وجهر لها فعرفت أنه هو ، ففتحت له فقال : هيه كيف قلت ؟ فأعادت عليه ما قالت ، فقال : أين زوجك ؟ قالت : فى بَمَثٍ كذا وكذا ، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرح فلان بن فلان ، فلما قدم عليه قال : اذهب إلى أهلك . ثم دخل على حفصة ابنته فقال : أى بُدَيَّةٍ كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ قالت : شهرًا واثنين وثلاثة ، وفى الرابع ينفد الصبر ، فجعل ذلك أجلاً للبعث . وهذا مطابق لجعل الله سبحانه وتعالى

( ١ ) اخضل الليل : أظلم .

( ٢ ) امرأة مفصية : التى غاب زوجها .

مُدَّةَ الإيلاء<sup>(١)</sup> أربعة أشهر ، فإنه سبحانه وتعالى علم أن صبر المرأة يضعف بعد الأربعة، ولا تحمل قوَّة صبرها أكثرَ من هذه المدَّة ، فجعلها أجلاً للعُولى ، وخيرها بعد الأربعة إن شاءت أقامت معه ، وإن شاءت فسخت نكاحه . فإذا مضت الأربعة أشهر عيّل صبرُها . قال الشاعر :

ولما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا      أجاب البكا طوعاً ولم يُجبِ الصبرُ

---

( ١ ) الإيلاء في اصطلاح الشرع أن يحلف الزوج على ألا يقرب زوجته أربعة أشهر فأكثر ويقال : آلى من زوجته إيلاء . قال تعالى : ( للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ) أى يقسمون ألا يقربوا نساءهم .

## الباب الثامن عشر

في أنه دواء الحبيين ، في كمال الوصال الذي أباناه رب العالمين

قد جعل الله سبحانه وتعالى لكل داء دواء ، ويسر الوصال إلى ذلك الدواء شرعاً وقدرًا ، فمن أراد التداوى بما شرعه الله له ، واستعان عليه بالقدر وأتى الآخر من باب صادف الشفاء ، ومن طلب الدواء بما منعه منه شرعاً وإن امتنع به قدرًا فقد أخطأ طريق المداواة ، وكان كالتداوى من داء بداء أعظم منه ، وقد تقدم حديث طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَمْ يَرِ لِمُتَحَابِّينِ مِثْلُ النَّكَاحِ » <sup>(١)</sup> . وقد اتفق رأى العقلاء من الأطباء وغيرهم في مواضع الأدوية أن شفاء هذا الداء في التقاء الرُّوحَيْنِ والتصاق البدَنَيْنِ . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأةً فأتى زينبَ فقضى حاجته منها <sup>(٢)</sup> وقال : « إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَاثِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ » . وذكر إسماعيل بن عيَّاش ، عن شُرْحِيلِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : يَامَعْشَرَ خَوْلَانِ زَوْجُوا شَبَابِكُمْ وَإِمَاءَكُمْ فَإِنَّ الْمُأَمَّةَ أَمْرٌ عَارِمٌ <sup>(٣)</sup> فَأَعِدُّو عُدَّتَهَا ، واعلموا أنه ليس لِمُنْعِظٍ إِذْنٌ . يريد أنه إذا

(١) تقدم ذكره في صفحة ٨٤ بلفظ التزويج .

(٢) لم يكن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بمراقة زينب لانه وجد في نفسه شيئاً حين رأى المرأة ولكنه فعله لتفتدى به الامة في القول .

(٣) عارم: شديد، قاس، لا يطاق

أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ فَلَا إِذْنَ لَهُ . وَذَكَرَ الْعَتَبِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ عُثْمَانَ وَرَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ خَرَجَا يَرِيدَانِ مَوْضِعًا لَهَا ، فَتَزَلَا تَحْتَ مَرْحَةٍ <sup>(١)</sup> فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا فَكَتَبَ عَلَيْهَا :

خَبَّرِينَا خُصِصْتَ بِالْفَيْثِ يَأْسُرُ حُ بَصْدُقِ وَالصَّدَقُ قِيَهُ شَفَاءُ  
وَكَتَبَ الْآخَرُ :

هَلْ يَمُوتُ الْمَحَبَّةُ مِنْ أَلَمِ الْحُبِّ بِرٍ وَيَشْفَى مِنَ الْحَبِيبِ الْقَاءُ  
ثُمَّ مَضِيَا ، فَلَمَّا رَجَعَا وَجَدَا مَكْتُوبًا تَحْتَ ذَلِكَ :  
إِنْ جِهَلًا سَوَالُكَ السَّرْحَ عَمَّا لَيْسَ يَوْمًا عَلَيْكَ فِيهِ خَفَاءُ  
لَيْسَ لِلْعَاشِقِ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْحُبِّ سِوَى لَذَّةِ الْقَاءِ شَفَاءُ  
وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَذْرَى :

لَسَكْرُ الْهَوَى أَرْوَى لِعَظْمَى وَمَقْصِلِي إِذَا سَكَرَ النَّدْمَانُ مِنْ لَذَّةِ الْحَمْرِ  
وَأَحْسَنُ مِنْ قَرَعِ الْمَثَانِي وَتَقَرَّرِهَا تَرَاجِيعُ صَوْتِ النَّغْرِ يُقَرِّعُ بِالنَّغْرِ  
وَلَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبَكَاءُ أَجَابَ الْبَكَاءُ طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ : كَانَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ إِذَا أَرَادَ الْجَمَاعَ خِلَافِي مِمَّنْ  
فِي دَارِهِ وَدَعَا بِثَوْبٍ يُقَالُ لَهُ : الْمُرْكَانُ ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ إِذَا ذَاكَ ، وَكَانَ إِذَا خَلَا  
ذَلِكَ الْمَنْزِلَ عِلْمٌ أَنَّهُ يَرِيدُ أَمْرًا ، وَكَانَ إِذَا غَشِيَ أَهْلَهُ <sup>(٢)</sup> قَالَ : اللَّهُمَّ شُدِّلِي أَصَابِي

( ١ ) السَّرْحَةُ : شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَجَمْعُهَا سَرَاحٌ .

( ٢ ) الْمَثَانِي مِنَ الْأَوْتَارِ : الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ . التَّرْجِيعُ : تَرْدُدُ الصَّوْتِ قِرَاءَةً أَوْ أَذَانًا أَوْ غَنَاءً أَوْ رَمَزًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، مَا يَتَرَنَّمُ بِهِ .

( ٣ ) تَقْدِمُ هَذَا الْبَيْتَ وَحْدَهُ فِي صَفْحَةِ ٢١١ .

( ٤ ) غَشَى أَهْلَهُ : أَتَاهُمْ ، وَغَشَى الْمَرْأَةَ وَتَغَشَّاهَا : دَخَلَ بِهَا وَجَامَعَهَا .

وارفع لي صدره ، وسهل عليّ مدخله ومخرجه ، وارزقني لذّته ، وهب لي ذريّةً  
صالحةً تقاتل في سبيلك . قال : وكان جهنّوريّاً فكان يُسمع ذلك منه (رضي  
الله عنه) .

وقال الخرائطي : حدّثنا عمارة بن وثيمة قال : حدّثني أبي قال : كان  
عبد الله بن ربيعة من خيار قریش صلاحاً وعفةً ، وكان ذكراً لا يرقد فلم يكن  
يشهد لقریش خيراً ولا شراً ، وكان يتزوَّج المرأة فلا تمكث معه إلا أياماً  
حتى تهرب إلى أهلها ، فقالت زينب بنت عمر بن أبي سلمة : ما لهنّ يهربن من  
ابن عمهنّ ؟ قيل لها : إيهنّ لا يطيقنه ، قالت : فما يمنعه مني ؟ فأنا والله العظيمةُ  
الخلق ، الكبيرة العجز ، الفخمة الفرج ، قال : فتزوَّجها ، فصبرت عليه ، وولدت  
له ستة من الولد .

وقال رشيد بن سعد ، عن زهرة بن معبد ، عن محمد بن المنكدر أنه كان  
يدعو في صلاته : اللهم قوّ لي ذكراً فإن فيه صلاحاً لأهلي . وقال حماد بن  
زيد ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : كان لأنس بن مالك غلامٌ  
وكان شيخاً كبيراً ، فرافقه امرأته إلى أنسٍ وقالت : لا أطيقه ، ففرض له عليها  
ستة في اليوم واللييلة .

وقال علي بن عاصم : حدّثنا خالد الحذاء قال : لما خلق الله آدم وخلق  
حواء قال له : يا آدم اسكن إلى زوجك ، فقالت له حواء : يا آدم ما أطيب  
هذا ! زدنا منه . وفي الصحيح أن سليمان بن داود عليهما السلام طاف في ليلةٍ  
واحدة على تسعين امرأة . وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
يطوف على نسائه في اللييلة الواحدة وهنّ تسع نسوة ، وربما كان يطوف عليهنّ  
بفضل واحد ، وربما كان يفتسل عند كل واحدةٍ منهنّ .

وقال المروذي : قال أبو عبد الله — يعني أحمد بن حنبل — ليس العزوبة



من أمر الإسلام في شيء . النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أربع عشرة ومات عن تسع ، ولو تزوج بشر بن الحارث كتم أمره ، ولو ترك الناس النكاح لم يكن غزو ولا حج ولا كذا ولا كذا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح وما عندهم شيء ، ومات عن تسع ، وكان يختار النكاح ويحث عليه ، ونهى عن التبذل<sup>(١)</sup> ، فمن رغب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو على غير الحق ، ويعقوب في حزنه قد تزوج وولد له ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : « حُبَّ إِلَى النِّسَاءِ » . قلت له : فإن إبراهيم بن أدهم يحكى عنه أنه قال : أروعة صاحب العيال لما قدرت أن أتم الحديث<sup>(٢)</sup> حتى صاح بي وقال : وقعت في بُذَيَّات<sup>(٣)</sup> الطريق ، أنظر ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قال : بكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه الخبز أفضل من كذا وكذا . أين يلحق المتعبد العزب ؟ انتهى كلامه .

وقد اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته ؟ فقالت طائفة : لا يجب عليه ذلك ، فإنه حق له فإن شاء استوفاه ، وإن شاء تركه : بمنزلة من استأجر داراً إن شاء سكنها ، وإن شاء تركها .

وهذا من أضعف الأقوال ، والقرآن والسنة والعرف والقياس يرؤده . أما القرآن فإن الله سبحانه وتعالى قال : ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ، بِالْمَعْرُوفِ<sup>(٤)</sup> ) فأخبر أن المرأة من الحق مثل الذي عليها ، فإذا كان الجماع حقاً للزوج عليها ، فهو حق على الزوج بنص القرآن ، وأيضاً فإنه سبحانه وتعالى أمر الأزواج أن

( ١ ) التبذل : الانقطاع عن الدنيا إلى الله ، والتفرغ للعبادة ، وترك النكاح . ومنه قوله تعالى : وتبذل إليه تبتيلاً .

( ٢ ) تتمته كما في الإحياء : أفضل من جميع ما أضافه .

( ٣ ) بذية الطريق طريق صغير يتشعب من الجادة .

( ٤ ) الآية ٢٢٨ . سورة البقرة .

يعاشروا الزوجات بالمعروف ، ومن ضدّ المعروف أن يكون عنده شابه شهوتها تعدل شهوة الرجل أو تزيد عليها بأضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذّة الوطء مرّة واحدة . ومن زعم أن هذا من المعروف كفاه طبعه ردّا عليه . والله سبحانه وتعالى إنما أباح للأزواج إمساك نسائهم على هذا الوجه لا على غيره، فقال تعالى : ( فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ )<sup>(١)</sup> .

وقالت طائفة<sup>(٢)</sup> : يجب عليه وطؤها في العمر مرّة واحدة ليستقر لها بذلك الصّدق . وهذا من جنس القول الأوّل، وهذا باطل من وجه آخر ، فإن المقصود إنما هو المعاشرة بالمعروف ، والصّدق دخل في العقد تعظيماً لحُرْمَتِهِ ورفقاً بينه وبين السفاح<sup>(٣)</sup> . فوجوب المقصود بالنكاح أقوى من وجوب الصّدق .

وقالت طائفة<sup>(٤)</sup> ثالثة : يجب عليه أن يطأها في كلّ أربعة أشهر مرّة، واحتجوا على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى أباح للمولى ربّص أربعة أشهر وخير المرأة بعد ذلك ، إن شاءت أن تقيم عنده ، وإن شاءت أن تفارقه . فلو كان لها حق في الوطء أكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه في تلك المدة ، وهذا القول وإن كان أقرب من القوانين اللذين قبله فليس أيضاً بصحيح ، فإنه غير المعروف الذي لها وعليها . وأما جعل مدة الإيلاء أربعة أشهر فنظرأمنه سبحانه للأزواج فإن الرجل قد يحتاج إلى ترك وطء امرأته مدة لعارض من سفر أو تأديب أو راحة نفس أو اشتغال بهم ، فجعل الله سبحانه وتعالى له أجلاً أربعة أشهر . ولا يلزم من ذلك أن يكون الوطء مؤقّتا في كلّ أربعة أشهر مرّة .

وقالت طائفة أخرى : بل يجب عليه أن يطأها بالمعروف ، كما ينفق عليها

(١) الآية ٢٢٩ . سورة البقرة .

(٢) السفاح : الفجور . وقيل (تزوج المرأة سفاحاً) أي بغير سنة ولا

كتاب .

ويكسوها ويعاشرها بالمعروف ، بل هذا عمدة المعاشرة ومقصودها ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يعاشرها بالمعروف . فالوطء داخل في هذه المعاشرة ولا بد ، قالوا : وعليه أن يشبعها وطئاً إذا أمكنه ذلك كما عليه أن يشبعها قوتاً . وكان شيخنا رحمه الله تعالى يرجح هذا القول ويختاره .

وقد حَضَّ النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا الدواء ورغَّب فيه وعاقَّ عليه الأجر وجعله صدقةً لفاعله فقال : « وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » (١) . ومن تراجم النساء على هذا : الترغيب في المباشرة ، ثم ذكر هذا الحديث ، ففي هذا كمال اللذة ، وكمال الإحسان إلى الحبيبة ، وحصول الأجر ، وثواب الصدقة ، وفرح النفس ، وذهابُ أفكارها الرديئة عنها ، وخفة الروح ، وذهابُ كنفاتها وغَلظها ، وخفة الجسم ، واعتدالُ المزاج ، وجلبُ الصحة ودفع المواد الرديئة ، فإن صادف ذلك وجهاً حسناً ، وحُلُقاً دَمِماً (٢) ، وعشاقاً وافرأ ، ورغبةً تامةً ، واحتساباً للثواب ، فذلك اللذة التي لا يعادلها شيء ، ولا سيما إذا وافقت كلها فإنها لا تسكُل حتى يأخذ كلُّ جزء من البدن بقسطه من اللذة ، فتلتذُّ العين بالنظر إلى المحبوب ، والأذن بسماع كلامه ، والأنفُ بشم رائحته ، والفمُ بتقبيله ، واليدُ بلمسه . وتعكف كلُّ جارحة على ما تطلبه من لذتها ، وتقابله من المحبوب ؛ فإن فقد من ذلك شيء لم تنزل النفس متطلعةً إليه ، متقاضيةً له ، فلا تسكن كل السكون ، ولذلك تسمى المرأة سَكَنًا لسكون النفس إليها ، قال الله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) (٣) ولذلك فضلُ

(١) تقدم مطولاً في الصفحة ١٥٨ وجاء في القاموس المحيط أن البضع بالضم الجماع أو الفرج نفسه، والمهر، والطلاق، وعقد النكاح ضد، والمباشرة: الجماع.  
(٢) دَمَتْ دَمًا: لان وسهل، ودَمَّت المرأة دَمًا: سهل خلقتها .  
(٣) الآية ٢١ . سورة الروم .

جماعُ النهار على جماع الليل ، ولسبب آخر طبيعي ، وهو أن الليلَ وقتٌ تبرّد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون ، والنهار محلّ انتشار الحركات كما قال الله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا )<sup>(١)</sup> وقال الله تعالى : ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ )<sup>(٢)</sup> وتأمُّ النعمة في ذلك فرحةُ المحب برضاء ربه تعالى بذلك ، واحتسابُ هذه اللذة عنده ، ورجاءُ تثقيل ميزانه ، ولذلك كان أحبَّ شيء إلى الشيطان أن يفرّق بين الرجل وبين حبيبهِ ، ليتوصل إلى تعويض كلِّ منهما عن صاحبه بالحرام كما في السنن عنه صلى الله عليه وسلم : « أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ »<sup>(٣)</sup> . وفي صحيح مسلم من حديث جابرٍ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَنْصِبُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْثُ سَرَايَاهُ<sup>(٤)</sup> فِي النَّاسِ فَأَقْرُبُهُمْ مِنْهُ مَتَزِلَّةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ مَا زِلْتُ بِهِ حَتَّى زَنَيْتُ فَيَقُولُ يَتُوبُ وَيَقُولُ الْآخَرُ مَا زِلْتُ بِهِ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ فَيَذْنِبُهُ وَيَلْتَزِمُهُ وَيَقُولُ : نَعَمْ أَنْتَ . نَعَمْ أَنْتَ » فهذا الوصال لما كان أحبَّ شيء إلى الله ورسوله كان أبغض شيء إلى عدوّ الله ، فهو يسعى في التفريق بين المتحابين في الله المحبة التي يحبها الله ، ويؤلف بين الائتئين في المحبة التي يبغضها الله ويسخطها . وأكثرُ العشاق من جنده وعسكره ، ويرتقى بهم الحال حتى

( ١ ) الآية ٥٧ سورة الفرقان . والنوم سباتاً : أى راحته وسكونه ، أو جعلناه كالموت . وجعل النهار نشوراً : أى زمن اليقظة التي تشبه الانبعاث بعد الموت .

( ٢ ) الآية ٦٧ سورة يونس .

( ٣ ) زواه أبو داود وابن ماجه والحاكم . كما قال السيوطي

( ٤ ) سراياه : جنوده وجيوشه والسرية قطعة من الجيش .

يصير هو من جندهم وعسكرهم، يقود لهم، ويزين لهم الفواش، ويؤلف بينهم عليها كما قيل :

عجبت من إبليس في نخوته وقبح ما أظهر من شيرته  
تاه على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته<sup>(١)</sup>

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الشباب الذين هم مَظِنَّةُ العشق إلى أنفع أدويتهم . ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج » .

وفى لفظ آخر ذكره أبو عبيد : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ » . وذكر الحديث، وبين اللغزين فرق فإن الأول يقتضى أمر العزب بالتزويج ، والثانى يقتضى أمر المتزوج بالباءة ، والباءة : اسم من أسماء الوطاء . وقوله : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » فسرت الباءة بالوطاء وفسرت بؤن النكاح ، ولا ينافى التفسير الأول إذ المعنى على هذا مؤن الباءة ثم قال : « وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ » فأرشدهم إلى الدواء الشافى الذى وضع لهذا الأمر ، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل وهو الصوم فإنه يكسر شهوة النفس ويضيق عليها مجارى الشهوة ، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته ، فكيفية الغذاء وكيفيته يزيدان فى توليدها ، والصوم يضيق عليها ذلك فيصير بمنزلة وجاء الفحل<sup>(٢)</sup> ، وقل من أدام الصوم لإلومات شهوته أو ضعفت

( ١ ) البيتان لأبى نواس .

( ٢ ) وجاء الفحل : دق عروق خصيتيه بين حجرين ولم يخرجهما ، أورشهما حتى تنفضخا فيسكون شبيها بالخصاء .

جداً ، والصوم المشروع يُعدُّ لها . واعتدالها حسنةٌ بين سيئتين ، ووسطٌ بين طرفين مذمومين ، وهما العتة والغلمة الشديدة المفرطة <sup>(١)</sup> ، وكلاهما خارجٌ عن الاعتدال وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، وخير الأمور أوساطها ، والأخلاقُ الفاضلة كلها وسط بين طرفي إفراطٍ وتفریط ، وكذلك الدين المستقيم ووسطٌ بين انحرافين ، وكذلك السنة ووسطٌ بين بدعتين ، وكذلك الصواب في مسائل النزاع إذا شئت أن تحظى به فهو القول الوسط بين الطرفين المتباعدَيْن ، وليس هذا موضع تفصيل هذه الجملة ، فإننا لم نقصد له وبالله التوفيق .

---

---

( ١ ) العنة : عدم القدرة على إتيان النساء . والغلبة غلبة الشهوة .

## الباب التاسع عشر

في ذكر فضيلة الجمال ، وميل النفوس إليه على كل حال

إعلم أن الجمال ينقسم قسمين : ظاهر وباطن ، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة ، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته ، كما في الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »<sup>(١)</sup> . وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال ، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست رُوحه من تلك الصفات ، فإن المؤمنَ يُعْطَى مهابةً وحلاوةً بحسب إيمانه ، فمن رآه هابه ، ومن خالطه أحبه . وهذا أمر مشهود بالعيان ، فإنك ترى الرجلَ الصالحَ المحسنَ ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورةً وإن كان أسوداً أو غيرَ جميل ، ولا سيما إذا رُزِقَ حظاً من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسّنه .

وقد كان بعضُ النساءُ تكثرُ صلاةَ الليل ، فقبل لها في ذلك ، فقالت : إنها تحسّن الوجه وأنا أحبُّ أن يحسّن وجهي . وما يدلُّ على أن الجمال الباطنَ أحسنُ من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه .

### فصل

وأما الجمال الظاهر فزينةٌ خصَّ الله بها بعضَ الصُّوَر عن بعض ، وهي من

زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها : ( يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ) <sup>(١)</sup> قالوا : هو الصوت الحسن والصورة الحسنة . والقلوب كالمطبوعة على محبته كما هي مبطورة على استحسانه .

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قالوا : يا رسول الله ، الرجل يحب أن تكون نعله حسنة وثوبه حسناً أفذلك من الكبر ؟ فقال : « لا . إن الله جميلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ . الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » <sup>(٢)</sup> فبَطَرُ الْحَقِّ جَعْدُهُ ودَفَعُهُ بعد معرفته ، وَغَمْطُ النَّاسِ النظرُ إليهم بين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم . ولا بأس بهذا إذا كان لله . وعلامته أن يكون لنفسه أشدَّ ازدراءً واستصغاراً منه لهم . فأما إن احتقرهم لعظمة نفسه عنده فهو الذي لا يدخل صاحبه الجنة .

## فصل

وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضاً على عبده يوجب شكراً ، فإن شكره بتقواه وصيانه ازداد جلالاً على جماله ، وإن استعمل جماله في معاصيه سبجانه قلبه له شيئاً ظاهراً في الدنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك الحاسن وحشةً وقبحاً وشيناً ، وَيَنْفُرُ عَنْهُ مَنْ رَأَاهُ ، فكل من لم يَتَّقِ اللَّهَ عزَّ وجلَّ في حسنه وجماله انقلب قبحاً وشيناً يشينه به بين الناس ، فحسنُ الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره ، وقبحُ الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره . ياحسنَ الوجه تَوَقَّ الْخُفَا <sup>(٣)</sup> لَا تُبْدِلَنَّ الرَّيْنَ بِالشَّيْنِ

( ١ ) أول سورة فاطر .

( ٢ ) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي . كما قال الثيباني في تيسير الوصول .

( ٣ ) الخفا : الفحش .



ويا قبيحَ الوجهِ كنَ محسناً لا تجمعنَ بينَ قبيحينِ

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعُر الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جريرُ بنُ عبدِ الله — وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يُسمِّي يوسف هذه الأمة — قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت امرؤٌ قدَّ حَسَنَ اللهُ خَلْقَكَ فَأَحْسِنْ خُلُقَكَ » <sup>(١)</sup> . وقال بعض الحكماء : ينبغي للعبد أن ينظر كلَّ يومٍ في المرآة ، فإن رأى صورته حسنةً لم يَتَّسِمْها بقبيح فعله ، وإن رآها قبيحةً لم يجمع بين قبح الصورة وقبح الفعل .

ولما كان الجمال من حيث هو محبوباً للنفوس ، معظماً في القلوب ، لم يبعث الله نبياً إلا جميلَ الصورة ، حسنَ الوجه ، كريمَ الحسب ، حسنَ الصوت ، كذا قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجمل خلق الله ، وأحسنهم وجهاً كما قال البراء بن عازب رضى الله عنه وقد سئل : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل القمر <sup>(٢)</sup> .

وفي صفته صلى الله عليه وسلم : كأنَّ الشمسَ تجري في وجهه ، يقول واصفه : لم أرَ قبله ولا بعده مثله .

وقال ربيعة الجُرَشِي : قُسِّمَ الْحُسْنُ نِصْفَيْنِ : فَبَيْنَ سَارَّةَ وَيُوسُفَ نِصْفُ الْحُسْنِ ، وَنِصْفُ الْحُسْنِ بَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ . وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى يوسف ليلة الإسراء وقد أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ <sup>(٣)</sup> وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسنَ الوجه حسنَ

( ١ ) رواه الديلمي كما جاء في منتخب كنز العمال .

( ٢ ) ذكره البخارى في صحيحه ، ورواه مسلم عن جابر بن سمرة .

( ٣ ) رواه مسلم وأحمد في مسنده . كما جاء في منتخب كنز العمال .

الاسم ، وكان يقول : « إِذَا أُبْرِدْتُمْ إِلَى بَرِيدٍ فَلْيَكُنْ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ  
الاسم »<sup>(١)</sup> .

وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن ابن  
عباس رضى الله عنهما يرفعه : « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ وَجْهًا حَسَنًا وَاسْمًا حَسَنًا وَخُلُقًا  
حَسَنًا وَجَعَلَهُ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ شَأْنٍ لَهُ فَهُوَ مِنْ صَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ » ،  
وقال وهب : قال داود : يارب أىّ عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمنٌ حسن  
الصورة ، قال : فأىّ عبادك أبغض إليك ؟ قال كافرٌ قبيح الصورة .

ويذكر عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
ينتظره نفرٌ من أصحابه على الباب ، فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته ، ثم  
خرج إليهم ، فقالت : يا رسول الله ، وأنت تفعل هذا ؟ قال : « نَعَمْ إِذَا خَرَجَ  
الرَّجُلُ إِلَى إِخْوَانِهِ فَلْيَهَيِّئْ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ »<sup>(٢)</sup> وقال  
يحيى بن أبى كثير : دخل رجلٌ على معاوية غصصاً ، يعنى رمص<sup>(٣)</sup> العينين ، فخطَّ  
من عطائه فقال : ما يمنع أحدكم إذا خرج من منزله أن يتعاهد أديم وجهه ؟  
وكانت عائشة بنتُ طلحة من أجمل أهل زمانها ، أو أجملهم ، فقال أنس بن  
مالك : والله ما رأيت أحسن منك إلا معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، فقالت : والله لأننا أحسنُ من النار فى عين المقرور فى الليلة القارّة .

(١) رواه البزار . كما جاء فى الجامع الصغير للسيوطى

(٢) تقدمت النقرة الأخيرة من هذا الحديث فى الصفحة ٢٢٢ أما النصه فإن  
قول المؤلف فى أولها ويذكر ، يدل على التضعف .

(٣) الغمص : ما يسيل من العين من الرمص . والرمص : وسخ أبيض جامد يجتمع  
فى موق العين

ودخل عليها أنسٌ يومًا في حاجة فقال: إن القوم يريدون أن يدخلوا عليك

فَإِنْظَرُوا إِلَى جَمَالِكَ ، قَالَتْ : أَفَلَا قُلْتَ لِي قَالِبَسْ ثِيَابِي ؟ . مَا أَظْهَرَ هَذِهِ الْقَصَّةَ صَحِيحَةً

وكان مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ من أَجَلِ الناسِ وكان يحسدُ الناسَ كُلَّي الجَمالِ ، فبينما هو يخطبُ يوماً إذ دخل ابن جودان من ناحية الأزد ، وكان جميلاً ، فأعرض بوجهه عن تلك الناحية إلى ناحيةٍ أُخرى ، فدخل ابن حُمران من تلك الناحية ، لبوا عَمَّ حَمِيلٍ وكان جميلاً ، فرمى ببصره إلى مُؤَخَّرِ المسجد ، فدخل الحسن البصري ، وكان من أَجَلِ الناسِ ، فنزل مُصْعَبُ عن المنبر .

وخرج نِسوةٌ يوم العيد ينظرون إلى الناس فقيل لهنّ : من أحسن من مرّة  
بكنّ ؟ قلن : شيخ عليه عمامة سوداء ، يَعْنِين الحسن البصرى . وأخذ مصعبُ  
ابن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه ، فقال الرجل : أيها الأمير ،  
ما أقبح من أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الذى  
يُسْتَضَاءُ به فأتعلق بأطرافك وأقول : ياربِّ سَلْ مُصْعَباً فِيمَ قَتَلْتَنِي ؟ فقال  
مُصْعَبُ : أطلقوه . فقال الرجل : أيها الأمير ، اجعل ما وهبت لى من حياتى  
فى خَفَضٍ<sup>(١)</sup> فقال مُصْعَبُ : أعطوه مائة ألف درهم ، فقال : إني أشهد الله أن  
لعبد الرحمن بن قيس الرُّقِيَّاتِ<sup>(٢)</sup> بصفها ، قال مُصْعَبُ : ولم ذلك ؟ قال لتوبه :  
إنما مصعبُ شهابٌ من الله .

فَضَحَكَ مُصْعَبٌ وَقَالَ : إِنْ فِيكَ لِمَوْضِعًا لِلصَّنِيعَةِ ، وَأَمْرَهُ بِلِزُومِهِ .

وقال الزُّيَيْرُ بْنُ بُكَارٍ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ الزُّيَيْرِي ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَيْ الْحَسَنِ قَالَ : خَرَجَ أَبُو حَازِمٍ يَرْمِي الْجُمَارَ وَمَعَهُ قَوْمٌ مُتَعَبِدُونَ وَهُوَ يَكْلِمُهُمْ

(١) الخفض : الدعة وسعة الممش .

(۲) کذا.. والذی جاء فی الاغانی وغیره أن اسمه عبید الله .

صحيفة  
في حال  
بالت  
الان  
والفهم  
في الحروب  
ولد  
ولدت كانت  
مروءة  
نابها  
العودة  
نزدنا  
والنظر  
الحج  
للشعر

ويحدثهم ويقصّ عليهم<sup>(١)</sup> ، فينبا هو يمشى وهم معه إذ نظر إلى فتاة مستترجة<sup>(٢)</sup> بخارها ، ترمى الناس بطرفها يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، وقد شغلت الناس وهم ينظرون إليها مبهورين ، وقد خبط بعضهم بعضاً في الطريق ، فرآها أبو حازم فقال : يا هذه اتقى الله فإنك في مشغور<sup>(٣)</sup> من مشاعر الله عظيم ، وقد فتنت الناس ، فاضربى بخمارك على جبينك فإن الله عز وجل يقول : ( وَلَيَضْرِبَنَّ يَصْحُورُهُنَّ عَلَى جُوبِهِنَّ )<sup>(٤)</sup> فأقبلت تضحك من كلامه وقالت : إني والله .

من اللاء لم يحجب عن يمين حسبة<sup>(٥)</sup> ولكن ليقطن البريء المفضلاً<sup>(٦)</sup>

فأقبل أبو حازم على أصحابه وقال : تعالوا ندعو الله أن لا يعذب هذه الصورة الحسناء بالنار ، فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون<sup>(٧)</sup> .

وقال صخر بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب : دخلت امرأة جميلة على الحسن البصري فقالت : يا أبا سعيد ، ينبغي<sup>(٨)</sup> للرجال أن يتزوجوا على النساء ؟ قال : نعم ، قالت : وعلى مثلي ؟ ثم أسفرت عن وجه لم ير مثله حسناً وقالت : يا أبا سعيد ، لا تفتوا الرجال بهذا . ثم ولت ، فقال الحسن : ما على رجل كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا !

( ١ ) المشر : موضع مناسك الحج والمشر الحرام : جبل بآخر المزدلفة واسمه قرح .

( ٢ ) الآية ٣١ . سورة النور .

( ٣ ) البيت للمرجى .

( ٤ ) في الأغاني للأصفهاني قال : بلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق ( يريد بهم المترمتين المتخالين في الورع ) لقال لها : اغربي قبحك الله ! ولكنه ظرف عباد الحجاز .

( ٥ ) لعل الأنسب هو : أيحل . كما جاء في تحفة العروس .

وقال عبد الملك بن قُرَيْب<sup>(١)</sup> : كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون : قد جاءت قد جاءت . فتحوّل الناس فقامت معهم ، فإذا جارية قد وردت الماء مارأيت مثلها قط في حسن وجهها وتمام خلقها ، فلما رأيت تشوّفي<sup>(٢)</sup> الناس إليها أرسلت برقعها فكد أنه غمامة غطت شمساً ، فقلت : لم تمنعينا النظر إلى وجهك هذا الحسن ؟ فأنشأت تقول :

و كنت متى أرسلت طرّفك رائداً      قلبك يوماً أتعبتك المناظرُ  
رأيت الذي لا كلة أنت قادرٌ      عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

ونظر إليها أعرابي فقال : أنا والله من قلّ صبره ، ثم قال :  
أَوْحْشِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ أَيْنَ لَكَ الْأَهْلُ      أَالْحَزَنُ حَلَوُ أُمِّ مَحَلِّمِ السَّهْلِ  
وَأَيَّةَ أَرْضٍ أَخْرَجْتِكِ فَإِنِّي      أَرَاكَ مِنَ الْفَرْدَوْسِ إِنْ فَتَشَّ الْأَصْلُ  
قَفِي خَبْرِنَا مَا طَعِمْتَ وما الذي

شربت ومن أين استقل بك الرّحل<sup>(٣)</sup>  
لأن علامات الجنان مُبِينَةٌ      عليك وإن الشّكل يشبهه الشّكلُ  
تناهيت حسناً في النساء فإن يكن      لبدن الدّجى نسلٌ فأنت له نسلُ  
وقال آخر<sup>(٤)</sup> :

يَا مُنْسَى الْمَحْزُونِ أَحْزَانَهُ      لِمَا أَتَتْهُ فِي الْمَعْرِينَا  
إِسْتَقْبَلْتَنَ بِمِثَالِهَا      فَعُمُنَ يَضْحَكُنْ وَيَبْكِينَا

(١) هو الأصمعي (أبو سميد عبد الملك بن قريب)

(٢) تشوف : نظر وأطلع .

(٣) استقل بك الرّحل : جاء وقدم .

(٤) هو أبو نواس الحسن بن هاني ، ورواية الأغانى :

يَا مُنْسَى الْمَاتِمِ أَحْزَانَهُ      لِمَا أَتَاهُمْ فِي الْمَعْرِينَا

حَقٌّ لِهَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَزْدَهَى <sup>(١)</sup> عَنْ حُزْنِهِ مِنْ كَانَ مُحْزُونًا

وقال آخر :

أُنِيرِي مَكَانَ الْبَدْرِ إِنْ أَفَلَ <sup>(٢)</sup> الْبَدْرُ وَقَوْمِي مَقَامَ الشَّمْسِ مَا اسْتَأَخَّرَ الْفَجْرُ  
فَقِيكَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ضَوْؤُهَا وَأَيْسَ لَهَا مِنْكَ التَّبَسُّمُ وَالْفَخْرُ

وقال آخر :

رَقَادِي يَاطُرُفِي عَلَيْكَ حَرَامٌ نَخْلٌ دُمُوعًا فَيَنْضُهُنَّ سِجَامٌ <sup>(٣)</sup>  
فِي الدَّمْعِ إِطْفَاءٌ لِنَارِ صَبَابَةٍ لَهَا بَيْنَ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ ضِرَامٌ <sup>(٤)</sup>  
وَيَا كَبْدِي الْحَرَّى <sup>(٥)</sup> الَّتِي قَدْ تَصَدَّءُ ت مِنْ الْوَجْدِ ذَوْبِي مَا عَلَيْكَ مَلَامُ  
وَيَا وَجْهَ مَنْ ذَلَّتْ وَجْوهُ أَعْزَّةُ لَهُ وَزَهَى عَزَا فُلَيْسَ يُرَامُ  
أَجِرْ مُسْتَجِيرًا فِي الْهَوَى بِاسْطَا إِلَيْكَ يَدِيهِ وَالْعَيُونُ نِيَامُ  
وَذَكَرَ الْخُرَائِطِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَوِيِّينَ قَالَ : بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ  
وَهُوَ يَنْشُدُ :

وَيْلَى كَلَى سَوْدِ الْعَيُونِ      النَّهْدُ الضُّمْرُ الْبَطُونُ  
الْمَاطِقَاتِ عَنِ الضَّمِيمِ      رَ لَنَا بِالْسِّنَةِ الْجُفُونُ

فَوَقَفَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ بُنْدِيُّهُ فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا ابْنَ  
أُخِي ، وَيْلَكَ أَنْتَ وَحَدِّكَ مِنْ هَذَا ؟ وَيْلَى أَنَا وَأَنْتَ ، وَيْلَى ابْنِي هَذَا ، وَيْلَى  
هَذِهِ الْجَمَاعَةُ ، وَيْلَى جِيرَانِنَا كُلِّهِمْ .

( ١ ) يزدهى : يتيه بحسنه ، ويحمل من رآه وكان محزوناً على نسيان حزنه .

( ٢ ) أفل : غاب .

( ٣ ) سجام : سائل بكثرة .

( ٤ ) الضرام : لهب النار .

( ٥ ) الحرى : التي يبيت من مرض أو حزن .

وقال الخرائطي : حدثنا يموت بن المزروع ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا محمد بن سلمة قال : حدثني أبي قال : أتيت عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجن للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد الأحزاب ما كان بدوها ، فوجده مستلقياً يتغنى :

فما روضةً بالحزن طيبةً الثرى      يُمجُّ الندى جَنجاًئُها وَعَرارُها<sup>(١)</sup>  
بأطيبَ من أردانٍ عَزَّةَ مَوْهَنًا      وقد أوقِدَتِ بالَمَنْدَلِ الرُّطْبِ نارُها<sup>(٢)</sup>  
من الخَفِرَاتِ البيضِ لم تَلَقْ شِقْوَةً      وبالحَسَبِ المَكْنُونِ صافٍ نِجارُها<sup>(٣)</sup>  
فإن برزت كانت لعينيك قُرَّةً      وإن غبتَ عنها لم يَعْمَكِ عارُها

فقلت له : أتعنى أصلحك الله وأنت في جلالك وشرفك ؟ فقال : أما والله لأحلتها ركباً نَجِدَ ، قال : فوالله ما أكثرت بي وعاد يتغنى :

فما طيبةُ أدماء خَفَّاقَةُ الحَشَا      تجوب بِظَلْفَيْهَا متونَ الحِمالِ<sup>(٤)</sup>  
بأحسنَ منها إذ تقول تدلّلاً      وأدْمُعُهَا تُذَرِّين حشوً للكلِ  
تَمَتَّعَ بذا اليومِ القصيرِ فإنه      رهينٌ بأيامِ الصدودِ الأطاولِ

قال : فقدمت على قولي وقلت له : أصلحك الله أتعنى في هذا بشيء ؟ قال : نعم حدثني أبي قال : دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وأشعب يغنيه :

- 
- ( ١ ) الحزن من الأرض : ما غلظ. ويمج الندى يلقيه عنه. والجذجات : نبات سهلى له زهرة صفراء طيبة الريح. والعرار جمع عرارة : بهار طيب الرائحة.  
( ٢ ) المندل : العود الطيب الرائحة .  
( ٣ ) الخفريات جمع خفرة . وهى الشديدة الحياء. والنجار : الأصل والحسب  
( ٤ ) أدماء : شديدة السمرة. والظلف : الظفر المشقوق للظبية والبقرة ونحوهما والمتون جمع متن : الظهر .

مَغِيرِيَّةٌ كَالْبَدْرِ سُنَّةٌ وَجْهَهَا      مُطَهَّرَةٌ الْأَثْوَابُ وَالْعِرْضُ وَأَفْرُ  
لَهَا حَسْبُ زَاكٍ وَعِرْضٌ مَهْدَبٌ      وَعَنْ كُلِّ مَكْرُوهِ مِنَ الْأَمْرِ زَاكِرٌ  
مَنْ اخْتَفَرَاتِ الْبَيْضُ لَمْ تَلْقَ رِيَّةً      وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهَا عَنْ تُقَى اللَّهِ شَاعِرٌ  
فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : زِدْنِي ، فَعَنَاهُ :

أَلَمْتُ بِنَا وَاللَّيْلَ دَاخِ كَأَنَّهُ      جَنَاحُ غُرَابٍ عَنْهُ قَدْ نَفَضَ الْقَهْرَا  
فَقُلْتُ أَعْطَارُ نَوَى فِي رِحَالِنَا      وَمَا احْتَمَلْتُ لَيْلَى سِوَى طَيْبِهَا عَطْرَا  
فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ تَتَدَاوَلَهُ الرُّوَاةُ لَأَجْزَلْتَ جَائِزَتَكَ فَإِنَّكَ مِنْ  
هَذَا الْأَمْرِ بِمَكَانٍ .

قَالَ الْخُرَائِطِيُّ : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ : حَجَجْتُ  
سَنَةَ مِنَ السَّنِينَ فَإِنِّي لِبَالِ بَدَّةٍ <sup>(١)</sup> إِذْ وَقَفْتُ عَلَيْنَا جَارِيَةً عَلَى وَجْهَيْهَا بُرْقَعٌ فَقَالَتْ .  
يَا مَعْشَرَ الْحَجِيجِ ، نَفَرٌ مِنْ هُذَيْلٍ ، ذَهَبَ بِنَعْمِهِم السَّيْلُ ، وَقَعَدَتْ بِهِمِ الْأَيَّامُ ،  
مَا بِهِمْ نُبْجَةٌ <sup>(٢)</sup> ، فَنَ يَرِاقِبُ فِيهِمِ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَيَعْرِفُ لَهُمْ حَقَّ الْأَخَوَةِ ؟ جَزَاهُ اللَّهُ  
خَيْرًا . قَالَ : فَرَضْنَا لَهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

كَفُّ الزَّمَانِ تَوَسَّدَتْنَا عَنُودَةً      شَلَّتْ أَنْامِلُهَا عَنِ الْأَعْرَابِ  
قَوْمٌ إِذَا حُلَّ الْعُقَاةُ <sup>(٣)</sup> بِيَابِهِمْ      أَلْفَوْا نَوَافِلَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابِ  
فَقُلْنَا لَهَا : لَوْ أَمْتَعَيْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، فَكَشَفْتَ الْبُرْقَعَ عَنْ وَجْهِ  
لَا وَاللَّهِ لَا تَهْتَدَى الْعُقُولُ لَوْصَفِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْنَا قَدْ بَهَتْنَا لِحُسْنِهَا أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

---

( ١ ) فِي مَعْجَمٍ يَأْقُوتُ : الرِّبْدَةُ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْمَدِينَةِ .  
( ٢ ) النُّبْجَةُ : طَلَبُ الْكَلَامِ ، وَمَسَاقِطُ الْغَيْثِ ، وَقَصْدُ ذِي الْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ  
( ٣ ) الْعُقَاةُ : الَّذِينَ افْتَقَرُوا لِأَيْسَالِ الْوَلَدِ .



الدهر أبدي صفحة قد صانها أبواي قبل تمرس الأيام<sup>(١)</sup>  
 فتمتعوا بعيونكم في حسنها وانتهوا جوارحكم عن الآثام  
 ثم انصرفت . وكان محمد بن حميد الطوسي يهوى جارية فأرسل إليها مرة  
 أَرْجَاة<sup>(٢)</sup> فبكت بكاء شديداً ، فقيل لها : يوجه إليك من تحبينه بهدية  
 فبكين هذا البكاء ؟ فغنت :

أهدى له أحبابه أَرْجَاةً فبكي وأشفق من عياقة زاجر<sup>(٣)</sup>  
 خاف التلون والفراق لأنها لوان باطنها خلاف الظاهر  
 فلما جاءه الرسول أخبره عنها بما أفاضه ، فكتب إليها :<sup>(٤)</sup>

ضيعت عهد فتى لعينك حافظ في حفظه عجب وفي تضييعك  
 وصددت عنه وماله من حيلة إلا الوقوف إلى أوان رجوعك  
 إن تقتليه وتذهبي ببياته فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك  
 فلما وافتها الرقعة بكت حتى راحها من حولها ثم اندفعت تقول :

هل لعيني إلى الرقاد شفيع إن قلبي من السقام مرّوع  
 لا تراني بخلت عنك بدمع لا وحق الحبيب مالي دموع  
 إن قلبي إليك صبّ حزين فاستراحت إلى الأئين الضلوع  
 ليس في العطف يا حبيبي بدع إنما هجر من يحبّ بدمع

(١) تمرس الأيام : ممارسة نوائبها وفواجصها .

(٢) الأترجة : نوع من الليمون يجلو اللون ويزيل الكلف .

(٣) عياقة الخير : زجرها . وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها فتستألف

أو تتشامم .

(٤) الشعر لابن أبي عيثة .

ثم كتبت إليه : أنا مملوكة لا أملك من أمرى شيئاً ، فإذا كان لك في حاجة فاشترني لأكون طوعاً يدريك ، فاشترها فمكثت عنده وكانت من أحظى إمانه ، حتى قتل في وقعة بآبك الخُرَّمي ، فكانت تتمثل في رثائه بقول أبي تمام :

محمد بن حميد أخلقت ريمه      أريق ماء الماعلى مذ أريق دمه  
رأيتُه بنجاد السيف مُحْتَبِياً<sup>(١)</sup>      في النوم بدرأ جلت عن وجهه ظأه  
فقلت والدمع من حزن ومن كمد      يجرى انسكاباً على الخدين مُنْسَجِمُهُ  
ألم تمت يا شقيق النفس مذ زمن      فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

## فصل

وهذا فصل في ذكر حقيقة الحسن والجمال ما هي ؟ وهذا أمر لا يدرك إلا بالوصف ، وقد قيل : إنه تناسبُ الخلقة واعتدالها واستواؤها . ورب صورة متناسبة الخلقة ، وليست في الحسن هناك . وقد قيل : الحسن في الوجه والملاحظة في العينين . وقيل : الحسن أمرٌ مركَّبٌ من أشياء : وضاعة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة . وقيل : الحسن معنى لاتناله العبارة ، ولا يحيط به الوصف ، وإنما للناس منه أوصافٌ أمكن التعبير عنها . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذروة العليا منه ، ونظرت إليه عائشة رضي الله عنها يوماً ثم تبسمت ، فسألها مِمَّ ذاك ؟ فقالت : كأن أبا كبيرٍ الهدلتي إنما عناك بقوله :

(١) بنجاد السيف : حائله . واحتجى : جلس على أليته وضم نخذه وساقبه إلى بطنه بذراعيه ليستند . ويقال احتجى الثوب : اشتمل به وأداره على ظهره وساقبه .

وَمَبْرَأٍ مِنْ كُلِّ غَيْرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مَرْضَعَةٍ وَدَاءِ مُغْفِيلٍ<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ<sup>(٢)</sup>

ولقي بعض الصحابة راهباً فقال : صف لي محمداً كأنى أنظر إليه فإنى رأيت صفته فى التوراة والإنجيل ، فقال : لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير ، فوق الربعة ، أبيض اللون مُشْرِباً بالحمرة جَعِداً ليس بالقَطَطِ ، جُمَتَهُ إلى شحمة أُذنه ، صَانتَ الجبين ، واضحَ الخَدَّ ، أدعج العينين ، أفتى الأنف ، مفالج الفنايا ، كأن عنقه إبريق فضة ، ووجهه كدارة القمر . فأسلم الراهب<sup>(٣)</sup> . وفى صفة هند بن أبى هالة له صلى الله عليه وسلم : لم يكن بالطويل المُعْطَطِ ، ولا بالقصير المتردد . كان رُبْعَةً من الرجال ، ولم يكن بالجعد القَطَطِ ولا بالسَّبَطِ ، ولم يكن بالمُطَهَّمِ ولا بالمُكَلَّمِ ، وكان فى الوجه تدوير ، أبيض مُشْرَبٌ أدعج العينين ، أهدبُ الأشعار ، جليل المُشَاشِ والكَتَدِ ، شَنَّ الكفَّين والقدمين ، دقيق المَسْرُبةِ ، إذا مشى تَقَلَّعَ كأنما ينحطُّ من صَبَبٍ ، وإذا التفت التفت جميعاً . كأن الشمس تجري

( ١ ) غير الحيض : بقايا دمه . وأضاف الفساد إلى المَرْضَعَةِ لأنه أراد الفساد الذى يكون من قبلها . والمغفل من التيل : وهو اللبن الذى ترضعه المرأة ولدها وهى حامل ويروى : وداء معضل ، قاله التبريزى فى شرح الحماسة . والحديث فى الحلية لأبى نعيم .

( ٢ ) الأسرة جمع سرار : وهى خطوط الجبهة . والعارض : السحاب يعترض فى الأفق . والمتהלل : المتلألئ .

( ٣ ) البائن : المفرط فى الطول . والقَطَطُ : القصير الجمعد وكان شعره عليه الصلاة والسلام بين الجمودة والسبوطه كما سيأتى بعد هذا . والجمعة : الشعر المجموع على الرأس ، وقيل الثعر مطلقاً . والصلت : الواسع . والأدعج : الشديد سواد العين فى شدة بياضها . والقنا : طول الأنف ودقة أرنبته وحب فى وسطه . الفلج : تباعد ما بين الشايات والرباعيات خلقة . ودارة القمر : حالته والحديث مذكور بنحوه فى منتخب كنز العمال وقال : رواه ابن عساكر .

فى وجهه . وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد أُلقيت عليه المحبة والمهابة ، فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه <sup>(١)</sup> وكل الله سبحانه له مراتبَ الجمال ظاهراً وباطناً . وكان أحسنَ خلق الله خلقاً وخلُقاً ، وأجلهم صورةً ومعنى . وهكذا كان يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم . ولهذا قالت امرأة العزيز للنسوة لما أرتهنَّ إياه ليعذُرْنَها فى محبته : ( فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتُنْنِي فِيهِ ) <sup>(٢)</sup> أى هذا هو الذى فتننت به وشغفت بحبه ، فمن يلومنى على محبته وهذا حسن منظره ؟ ثم قالت : ( وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ) <sup>(٣)</sup> أى فنع هذا الجمال ، فباطنه أحسنُ من ظاهره ، فإنه فى غاية العفة والنزاهة والبعد عن الخنا ، والمحبُّ وإن عَيبَ محبوبه فلا يجرى لسانه إلا بحاسنه ومدحه . ويتعلق بهذا قوله تعالى فى صفة أهل الجنة : ( وَلَقَدْ أَهْلُ النَّفَرَةِ وَسُرُوراً ) <sup>(٤)</sup> فجعل ظواهرهم بالنضرة وبواطهم بالسرور ، ومثله قوله : ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) <sup>(٥)</sup> فإنه لا شئ أشهى إليهم وأقر أعيونهم ، وأنعم لبواطهم من النظر إليه ، فنصر وجوههم بالحسن ، ونعم قلوبهم بالنظر إليه . وقريب منه قوله تعالى : ( وَحُلُوا

---

( ١ ) الحديث رواه الترمذى فى الشمائل على غير هذا الوجه . المنط : المفرط الطول . والمتردد : الداخل بعضه فى بعض ، وأما المظم ( أى الضخم ) : الكثير اللحم ، والمكثم : المدور الوجه ، والمشرب : الذى فى بياضه حمرة ، والأهدب : الطويل الأشفار ، المشاش : يريد رموس المناكب ، والكند : مجتمع الكتفين وهو الكاهل ، والثن : الغليظ الأصابع ، والمسربة : هو الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب من الصدر إلى السرة ، والتلع : أن يمشى بقوة ، والصعب : الحدود .

( ٢ ) الآية ٣٢ . سورة يوسف

( ٣ ) الآية ٣٢ . سورة يوسف .

( ٤ ) الآية ١١ . سورة الـهر .

( ٥ ) الآيتان ٢٢ و ٢٣ . سورة القيامة .

أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ<sup>(١)</sup> فهذا زينة الظاهر ثم قال : ( وَسَعَاءُ لَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَّابًا طَهُورًا )<sup>(١)</sup> أى مُطَهَّرًا لبواطنهم من كلِّ أذى . فهذا زينة الباطن . ويشبهه قوله تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا )<sup>(٢)</sup> فهذا زينة الظاهر ثم قال : ( وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ )<sup>(٣)</sup> فهذا زينة الباطن . وينظر إليه من طرف خفى قوله تعالى : ( وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا )<sup>(٤)</sup> فزين ظاهرها بالمصابيح ، وباطنها بحفظها من الشياطين . وقريب منه قوله تعالى : ( وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى )<sup>(٥)</sup> فذكر الزاد الظاهر والزاد الباطن . وهذا من زينة القرآن الباطنة المضافة إلى زينة ألفاظه وفصاحته وبلاغته الظاهرة . ومنه قوله تعالى لآدم : ( إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى )<sup>(٥)</sup> فقابل بين الجوع والعرى دون الجوع والظمأ ، وبين الظمأ والضحى دون الظمأ والجوع ، فإن الجوع عرى الباطن وذله ، والعرى جوع الظاهر وذله . فقابل بين نفى ذلِّ باطنه وظاهره ، وجوع باطنه وظاهره ، والظمأ حرُّ الباطن ، والضحى حرُّ الظاهر ، فقابل بينهما . وسئل المتنبى عن قول امرئ القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّمَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَأَعْبَاءِ ذَاتِ خَاخَالٍ

(١) الآية ٢١ . سورة الدهر .

(٢) الآية ٢٥ . سورة الأعراف .

(٣) الآية ١٢ . سورة فصلت .

(٤) الآية ١٩٧ . سورة البقرة .

(٥) الآيتان ١١٨ و ١١٩ . سورة طه .

ولم أسبِ الزُّقَّ الرُّوِّيَّ ولم أقل خَلِيْلِي كُرِّي كَرَّةً بعد إجمال<sup>(١)</sup>  
 فقيل له: إنه عيب عليه مقابلةُ سَبِي الزُّقَّ الرُّوِّيَّ بالكُرَّة، وكان الأحسن  
 مقابلته ببتُّن الكعاب جمعاً بين اللذتين، وكذلك مقابلةُ ركوب الجواد للسكر  
 أحسن من مقابلته لتبتُّن الكعاب فقال: بل الذي أتى به أحسن فإنه قابل  
 مَرَكُوبَ الشجاعة بمَرَكُوبِ اللذة واللَّهو، فهذا مركب الطرب وهذا مركب  
 الحرب والطلب، وكذلك قابل بين السَّباءين، سِباء الزُّقَّ وسِباء الرق.

قلت. وأيضاً فإن الشارب يفتخر بالشجاعة كما قال حسان:  
 ونشربها فتركنا ملوكاً وأسدّاً ما يُنْهِنُهُنَّا اللقاء<sup>(٢)</sup>  
 وهذه جملة اعتراضية من أطفاف الاعتراض<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الحسنُ ما استنطق أفواه الناظرين بالتسبيح والتهليل كما قيل:  
 ذى طلعةٍ سبجان فالقٍ صبحه ومعاطفٍ جأت بين الفارس  
 وقال على بن الجهم:

طلعتُ فقال الناظرون إلى تصـويرها ما أعظم الله  
 ودنت فلما سلّمتُ خجلت والتفّ بالتفاح خداهـا  
 وكان دِعْصَ الرمل<sup>(٤)</sup> أنفـلها وكان غصنَ البان أعلاها

---

(١) سبأ الخروا سبأها: شراها ليشربها والسياء: الخمر، والسياء بتشديد الباء:  
 يباعها. والروى: الكثير المروى والزق: وعاء من جلد يحز شعره ولا ينتف  
 للشراب وغيره.

(٢) نهه فلاناً عن الشيء: كفه عنه وزجره. وهذا البيت قاله حسان  
 قبل أن يسلم. ولم يشرب الخمر بعد إسلامه.

(٣) لعله يشير إلى أن ما ذكره من أمثلة النقابل ليست من مقصود الكتاب  
 لكنها لا تخفى من فائدة يحلو بها الخطاب

(٤) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة.

حتى إذا ثملت بنشوتها قرأت كتاب الباه عيناها  
وقال آخر :

ذو صورةٍ بَشَرِيَّةٍ قَعَرِيَّةٍ تستنطق الأفواه بالتسبيح  
وقال آخر :

وإذا بدت في بعض حاجتها تننطق الأفواه بالتسبيح  
وقال بشار :

تُلقي بتسبيحةٍ من حسن ما خلقت وتستغز حشا الرأى بإرعاد  
ولى من أبيات :

يا صورةَ البدر ولا الذى صورَ ليس البدرُ يحكيك  
مُنَى عَلَى العين ولا تبخلى بنظرةٍ فالعين تفديك  
وإن تحرّجت لهذا فكم قد سبّح الرحمن رأيك  
هذا بهذا فارتجى أجرَ من إن غبت عنه ظلّ يبيحك

قال ابن شبرمة : كفالك من الحسن أنه مشتق من الحسنة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا تم بياض المرأة فى حسن شعرها فقد تمّ حسنُها . وقالت عائشة رضى الله عنها : البياضُ شَطْرُ الحسن . وقال بعض السلف : جعل الله البهاء والكهوج مع الطول ، والدّهَاء والدّمامة مع القصر ، والخير فيما بين ذلك .

ومما يُذمّ فى النساء المرأةُ القصيرة الفليضة وهى التى عنها الشاعر بقوله :

وأنت التى حبت كلَّ قصيرةٍ إلىّ ولم تشمرْ بِذاك القصائرُ  
عنيتُ قصيراتِ الحجال<sup>(١)</sup> ولم أَرِدْ قصارَ النّساءِ شرُّ النساءِ البَحّاتِ

(١) الحجال جمع حجل : ساتر كالقبة يزين بالشباب والستور للعروس .

والبخائر : هن النساء القصار الغلاظ . وبعضهم يبالغ في هذا حتى يفضل  
للمهازيل على السَّمان .

أنشد الزمخشري :

لأعشق الأبيض المنفوخَ من سَمينٍ      لكنني أعشق الشَّمرَ المهازِيلًا  
إني امرؤٌ أركبُ المَهْرَ المضمَرَّ في      يومِ الرِّهانِ فدعني واركب الفِيلَا  
وطائفة تفضل السَّمان وتقول : السَّمنُ نصفُ الحسن ، وهو يستر كلَّ عيب  
في المرأة ويبدى محاسنها . وخيار الأمور أوساطها .

ومما يُستحسن في المرأة طولُ أربعةٍ وهنَّ : أطرافها<sup>(١)</sup> ، وقامتها ، وشعرها ،  
وعنقها . وقَصْرُ أربعةٍ : يدها ، ورجلها ، ولسانها ، وعينها<sup>(٢)</sup> ، فلا تبدل مافي  
بيت زوجها ، ولا تخرج من بيتها ، ولا تستطيل بلسانها . ولا تَطْمَح بعينها .  
وبياضُ أربعةٍ : لونها ، وفرقها ، وثغرها ، وبياض عينها . وسوادُ أربعةٍ :  
أهدابها ، وحاجبها ، وعينها ، وشعرها . وحررةُ أربعةٍ : لسانها ، وخذها ، وشفتها  
مع لَعْس<sup>(٣)</sup> ، وإشرابُ بياضها بحمرة . ودِقَّةُ أربعةٍ : أنفها ، وبنانها ، وخصرها ،  
وحاجبها . وغِلَظُ أربعةٍ : ساقها ، ومِعَصْمُها ، وعَجِيزَتُها ، وذاك منها . وسَعَة  
أربعةٍ : جبينها ، ووجهها ، وعينها ، وصدرها . وضيقُ أربعةٍ : فيها ،  
ومنخرها ، وخَرْقُ أذنها ، وذاك منها . فهذه أحقُّ النساء بقول كثيرٍ :  
لو أن عَزَّةَ خاضعت لشمس الضُّحَى      في الحسن عند مَوْقِفٍ لقضى لها

( ١ ) الأطراف هنا : اليدين والرجلان .

( ٢ ) لعله أراءت بها المعاني لا الأعيان فلماذا أعقبها بتفسير وبيان .

( ٣ ) اللعس : سواد مستحسن في باطن الثنية .



وقال آخر :

لو أبصرَ الوجهَ منها وهو منهزمٌ ليلاً وأعداؤه من خلفه وقفا

وقال آخر :

يا طيبَ مرعَى مُقلّةٍ لم تخفْ بوجنتيها زَجَرَ خُرّاس

حلت بوجهٍ لم يفيضْ ماؤه ولم تخضه أعينُ الناس<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

فلم يزل خدّها رُكناً ألود به والخالُ في خدّها يغنى عن الحجر

وقول الآخر وأنشده المبرّد :

وأحسنُ من ربعٍ ومن وصفِ دِمْنَةٍ ومن جَبَلٍ طَيٍّ ومن وصفكم سلماً<sup>(٢)</sup>

تَلاحِظُ عينيَ عاشقين كلالها له مُقلّةٌ في خد معشوقه ترعى

وأنشد ثعلب :

خُرّاعية الأطراف مُريّة الخشا فزارية العينين طائية القمـ

ومكّيّة في الطيب والعطر دائماً تبدت لنا بين الحطيم وزمزمـ

ثم قال : وصفها بما يستحسن من كل قبيلة .

وقال صالح بن حسان يوماً لأصحابه : هل تعرفون بيتاً من الغزل في امرأة

خَفِرة ؟ قلنا : نعم بيتٌ لحاتم في زوجته ماوية :

يضيء لها البيتُ الظليل خصاصه<sup>(٣)</sup> إذا هي يوماً حاولت أن تبسماً

( ١ ) لم يفيض ماؤه : لم ينضب . وغاض الماء : غار وقل ونقص . ولم تخضه

الاعين : لم تفتحهمه .

( ٢ ) الدمنة ؛ آثار الدار أو الناس . وطلع : جبل في المدينة .

( ٣ ) الخصاص جمع خصاصة : وهي الخرق أو الفرجة والخلل في الباب وغيره

قال : ماصنعتُم شيئًا ، قلنا : فميتُ الأعشى :

كأن مِشيتها من بيت جارتها مرُّ السحابة لارِثٌ ولا عَجَل  
قال : جعلها تدخل وتخرج ، قلنا : يا أبا محمد ، فأى بيت هو ؟ قال : قول  
أبى قيس بن الأسَدَت :

ويكرمها جارُها فيزُرُها وتعتل عن إتيانها فتُعذر  
قلت : وأحسن من هذا كله ما قاله إبراهيم بن محمد الملقَّب بنفطَوِيَّة  
رحمه الله :

وخبِرها الواشون أن خيالها إذا نمت يُغشى مضجعى ووسادى  
خفِفرها فرطُ الحياء فأرسلت تعيرنى غَضْبى بطول رقادى  
ومما يستحسن فى المرأة رقة أديمها<sup>(١)</sup> ، ونعومة مَلَمَسه كما قال قيس بن ذريح :  
تعلق رُوحى رُوحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافاً<sup>(٢)</sup> وفى المهد  
فزاد كما زدنا فأصبح ناميساً فليس وإن متنا بمُفَصِّم العهد  
والكنه بانٍ على كل حادثٍ ومؤنسنا فى ظلمة القبر واللحد  
يكاد مسيلُ الماء يَحْدِش جلدَها إذا اغتسات بالماء من رقة الجلد  
قلت : ومن المبالغة فى معنى البيت الأخير قولُ أبى نُواس :

تَوَهَّمهُ قَلْبى فَأَصْبَحَ خَدُّهُ وفيه مكانُ الوَهْمِ من نظرى أثرُ  
ومرَّ بِتَلْبى خاطرُ فخرِحتُهُ ولم أرَ جِسماً قط يجرحه الفكر  
وصالِحه كفى فالَمَ كَفَّه فَمِنْ غَمَز كفى فى أنا مله عقر<sup>(٣)</sup>

(١) أديمها : جلدها .

(٢) جمع نطفة : ماء الرجل والمرأة . وهى أيضاً الماء الصافى قل أو كثر .

(٣) عقر : جرح .

ولى من أبيات :

يُدْمى الحَرِيرُ أَدِيمَهَا مِنْ مَسَمَةٍ فَأَدِيمَهَا مِنْهُ أَرْقٌ وَأَنْفَعُ

## فصل

فيا أيها العاشق سمعه قبل طرفة فإن الأذن تعشق قبل العين أحياناً ، وحيش  
الحبة قد يدخل المدينة من باب السمع كما يدخلها من باب البصر . والمؤمنون  
بشتاقون إلى الجنة وما رأوها ، ولو رأوها لكانوا أشدَّ لها شوقاً ، والصَّوْرَةُ<sup>(١)</sup>  
يكاد قلبه يذوب شوقاً إلى رؤية البيت الحرام . فإن شأقتك هذه الصفات وأخذت  
بقلبك هذه المحاسن :

فاسْمُ بَعِينِكَ إِلَى نِسْوَةٍ مُهُورُهُنَّ الْعِلَّ الصَّالِحِ  
وَحَدَّثَ النَّفْسَ بِعَشْقِ الْإِلَى فِي عَشْقِهِنَّ الْمَتَجَرُّ الرَّابِحِ  
وَأَعْمَلَ عَلَى الْوَصْلِ فَقَدْ أَمَكْتُ أَسْبَابُهُ وَوَقْتُهِ رَائِحِ

## فصل

وقد وصف الله سبحانه حُورَ الجنة بأحسن الصفات ، وحلَّاهن بأحسن  
الحلَى ، وشوق الخُطَّابَ إِلَيْهِنَّ حتى كأنهم يرونها رؤية العين . قال الطبراني :  
حدثنا بكر بن سهل الدمياطي . حدثنا عمرو بن هشام البيروني ، حدثنا سليمان  
ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة رضي  
الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل : ( هُورٌ  
عَيْنٌ )<sup>(٢)</sup> قال : « هُورٌ بِيضٌ ، عَيْنٌ ضِحَامُ الْعُيُونِ . شعر الحوراء بِمَنْزِلَةِ

( ١ ) الصَّوْرَةُ : الذي لم يحج .

( ٢ ) الآية ٢٢ . سورة الواقعة .

جَنَاحِ النَّسْرِ » قلت : أخبرني عن قوله عز وجل : ( كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ )<sup>(١)</sup> . قال : « صفاؤهنَّ صفاء الدرّ الذي في الأصداف الذي لم تَمَسَّهُ الأيدي » قلت : يارسول الله أخبرني عن قوله : ( فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ )<sup>(٢)</sup> . قال : « خَيْرَاتُ الأخلاقِ حِسَانُ الوجوه » قلت : أخبرني عن قوله : ( كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ )<sup>(٣)</sup> . قال : « رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الجِلْدِ الذي رَأَيْتَ في داخل البيضةِ ممّا يلي القِشْرَ وهو الغِرْقِيُّ » . قلت : يارسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : ( عُرْبًا أُنْزَابًا )<sup>(٤)</sup> . قال : « هُنَّ اللواتي قُبِضْنَ في دار الدنيا بمَجَازِ رُمَصًا مُنْمَطًا خلقهنَّ الله بعد السَّكْبِ فجعلهنَّ عَذَارَى عُرْبًا متعشّقاتٍ متحبّياتٍ أُنْزَابًا على ميلاد واحد » . قلت : يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العِين ؟ قال : « بل نساء الدنيا أفضلُ من الحُور العِين كفضل الظَّهارة عَلَى البطانة » . قلت : يارسول الله وبِمِ ذلِكَ ؟ قال : « بِصَلَاتِهِنَّ وَصِيَامِهِنَّ وَعِبَادَتِهِنَّ اللَّهُ أَلْبَسَ الله وجوههنَّ النور ، وأجسادهنَّ الحرير ، بِيضُ الأُلوان ، خُضْرُ الثِّيَاب . صُفْرُ الحلى ، يَجْلَمِرُهُنَّ الدرّ ، وَأَمْشَاطُهُنَّ الذهبَ يَقْلُن : نحن الخالدات فلا نموت ، نحن الناعمات فلا نَبْأُسُ أَبَدًا . نحن المقيّات فلا نَنْظَعُنُ أَبَدًا ، أَلَا ونحن الراضيات فلا نَسْخَطُ أَبَدًا ، طُوبَى لِمَن كُنّا لَهُ وَكَانَ لَنَا » قلت : يارسول الله المرأةُ مِمَّا تَتَزَوَّجُ الزَّوْجِينَ والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، مَنْ يَكُونُ زَوْجَهَا ؟ قال : « يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهَا تُخَيَّرُ فَتُخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا فَنَقُولُ : أَيْ رَبِّ إِنْ هَذَا كَانَ أَحْسَنَهُمْ مَعِيَ خُلُقًا فِي دَارِ الدُّنْيَا فَزَوِّجْنِيهِ ، يَا أُمَّ سَلَمَةَ ذَهَبَ

( ١ ) الآية ٢٣ . سورة الواقعة .

( ٢ ) الآية ٧٠ . سورة الرحمن .

( ٣ ) الآية ٤٩ سورة الصافات .

( ٤ ) الآية ٢٧ سورة الواقعة .

حَسَنُ الْخُلُقِ يَجْزِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ (١) .

## فصل

وقد وصفهن الله عز وجل بأنهن كواعب ، وهو جمع كاعب ، وهى المرأة التى قد تسكَّب ثديها واستدار ولم يتدَلَّ إلى أسفل ، وهذا من أحسن خلق النساء ، وهو ملازمٌ لِسِنِّ الشباب . ووصفهن بالخُور وهو حسن ألوانهن وبياضه ، قالت عائشة رضى الله عنها : البياضُ نصفُ الحسن . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا تمَّ بياضُ المرأة فى حسن شعرها فقد تمَّ حسنُها ، والعرب تمجد المرأة بالبياض . قال الشاعر :

بَيْضٌ أَوْ أُنْسٌ مَا هُمَنْ بَرِيئَةً كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ  
يُحْسَبْنَ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَلْفَاءِ الْإِسْلَامُ

والعينُ جمعُ عَيْنَاءٍ ، وهى المرأةُ الواسعة العينُ مع شدة سوادها وصفاء بياضها وطول أهدابها وسوادها . ووصفهن بأنهن خَيْرَاتٌ حسان وهو جمع خَيْرَةٍ ، وأصلها خَيْرَةٌ بالتشديد كطَيْبَةٍ ثم خُفِّفَ الحرف ، وهى التى قد جَمَعَتِ المحاسن ظاهراً وباطناً فكمُلَ خلقها وخلَقها فهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، ووصفهن بالطَّهارة فقال : (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) (٢) طَهْرُنَّ مِنَ الْحَيْضِ وَالْبَوْلِ وَالنَّجْوِ (٣)

(١) ذكره المؤلف فى كتابه حادى الأرواح وعقب عليه بقوله : تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى : عامة أحاديثه مناكير ولم أر للبتقدمين فيه كلاماً ، ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال : لا يعرف إلا بهذا السند .

(٢) الآية ٢٥ سورة البقرة . والآية ٥٦ بغير واو . سورة النساء .

(٣) النجوى : ما يخرج من البطن من ريح وغائط .

وكلٌّ أذى يكون في نساء الدنيا ، وطهرت بواطنهن من الغيرة وأذى الأزواج وتجنبن عليهم وإرادة غيرهم ، ووصفن بأنهن مقصورات في الخيام ، أي ممنوعات من التبرج والتبذل لغير أزواجهن ، بل قد قصرن على أزواجهن لا يخرجن من منازلهم ، وقصرن عليهم فلا يردن سواهم ، ووصفن سبحانه بأنهن قاصرات الطرف ، وهذه الصفة أكمل من الأولى ، ولهذا كن لأهل الجنتين الأوليين ، فالمرأة منهن قد قصرت طرفها على زوجها من محبتها له ورضاها به ، فلا يتجاوز طرفها عنه إلى غيره كما قيل :

أذودسوامَ الطرف<sup>(١)</sup> عنك وماله على أحدٍ إلا عليك طريق

وكذلك حال المقصورات أيضاً لكن أولئك مقصورات ، وهؤلاء قاصرات ووصفن سبحانه بقوله : ( أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا )<sup>(٢)</sup> وذلك لفضل وطء السكر وحلاوته ولذا ذته على وطء الثيب<sup>(٣)</sup> . قالت عائشة رضی الله عنها : يارسول الله لو مررت بشجرة قد رعى منها وشجرة لم يرع منها ففى أيهما كنت تروع بعيرك ؟ فقال : « فى التى لم يرع منها<sup>(٤)</sup> » تعنى أنه لم يتزوج بكرة غيرها . وصح عنه أنه قال لجابر لما تزوج امرأة ثيباً : « هلاً بكرة تلاعيتها وتلاعيتك »<sup>(٥)</sup> ؟ فإن قيل : فهذه الصفة تزول بأول وطء فتعود ثيباً ، قيل :

( ١ ) سوام الطرف : النظر يحوم حولها .

( ٢ ) الآيتان ٣٧ ، ٣٨ . سورة الواقعة .

( ٣ ) الثيب : تذكر وتوث . والرجل الثيب هو الذى دخل بامرأة ، والمرأة الثيب هى التى دخل بها .

( ٤ ) خرجه مسلم وأبو حاتم كما جاء فى مناقب أمهات المؤمنين الحب الطبرى . ورتعت البعير : أكلت ماشاءت .

( ٥ ) رواه الشيخان وأبو دوداد والترمذى والنسائى . كما جاء فى تفسير الوصول .

الجواب من وجوبين : أحدهما أن المقصود من وطء البكر أنها لم تذق أحداً قبل واطئها فتزرع محبته في قلبها ، وذلك أكمل لدوام العشرة فهذه بالنسبة إليها ، وأما بالنسبة إلى الواطئ فإنه يرعى روضة أنفًا لم يرعها أحد قبله ، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله : ( لَمْ يَطْمِئُنْهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ )<sup>(١)</sup> ثم بعد هذا تستمر له لذة الوطء حال زوال البكارة . والثاني أنه قد روى « أن أهل الجنة كلما وطئ أحدُهم امرأة عادت بكراً كما كانت ، فكلمًا أتاها وجدها بكراً »<sup>(٢)</sup> . وأما العُربُ فجمع عروب ، وهي التي جمعت إلى حلاوة الصورة حسنَ الثأني والتبعل والتجيب إلى الزوج بدلتها وحديثها وحلاوة منطقها وحسن حركاتها ، قال البخاري في صحيحه : وأما الأتراب فجمع تربٍ يقال : فلانُ تربٍ ، إذا كننا في سن واحدٍ ، فهنَّ مستوياتٌ في سنِّ الشباب لم يقصر بهنَّ الصغر ، ولم يزربهنَّ الكبر ، بل سنُّهنَّ سنُّ الشباب . وشبههنَّ تعالى بالؤلؤ المكنون ، وبالبيض المكنون وبالياقوت والمرجان . فخذ من اللؤلؤ صفاء لونه وحسن بياضه ونعومة ملمسه ، وخذ من البيض المكنون وهو المصون الذي لم تنله الأيدي اعتدال بياضه وشوْبه بما يُحسِّنه من قليل صُفرةٍ ، بخلاف الأبيض الأملق<sup>(٣)</sup> المتجاوز في البياض ، وخذ من الياقوت والمرجان حسنَ لونه في صفائه وإشرابه بيسيرٍ من الحمرة .

( ١ ) الآيتان ٥٦ و ٧٤ . سورة الرحمن .

( ٢ ) رواه الطبري في معجمه وسيأتي قريباً .

( ٣ ) الأملق : الأبيض الناصع البياض بفسير حمرة ، وهو مميب

في لون الإنسان .

## فصل

فاسمع الآن وصفهنّ عن الصادق المصدوق ، فإن مالت النفسُ وحدتكَ بالخطبة وإلاّ فالإيمان مدخول<sup>(١)</sup> . فروى مسلم في صحيحه من حديث أيوب ، عن محمد بن سيرين قال : إما تفاخروا وإما تذاكروا ، الرجالُ في الجنة أكثر أم النساء ؟ فقال أبوهريرة رضى الله عنه : أو لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ امْتَدَّتَانِ يُرَى مَخْتُ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْزَبَ » .

وقال الطبراني في معجمه : حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني والحسن بن علي القسوي قالا : حدثنا سعيد بن سليمان : حدثنا فضل بن مرزوق ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ صُورَةُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالزُّمَرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَوْجَتَانِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مَخْتُ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ لُحُومِهِمَا وَحُلَاهُمَا كَمَا يُرَى الشَّرَابُ الْأَخْضَرُ فِي الزُّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ ) . قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : هذا عندى على شرط الصحيح .



وفي الصحيحين من حديث همام بن منبّه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ رُفْرَةٍ تَدْلِجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَذْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا وَلَا يَنْغَوِطُونَ فِيهَا ، آتَيْتَهُمْ وَأَمْسَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ <sup>(١)</sup> وَرَشَحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مِثْقَالُ سَاعِقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا الخرزج بن عثمان السعدي ، حدثنا أبو أيوب مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِيدُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلُهَا مَعَهَا ، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلُهَا مَعَهَا . وَلَنْصِيفُ امْرَأَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلُهَا مَعَهَا » قال : قلت : يا أبا هريرة وما النّصيف ؟ قال : الخمار فإذا كان هذا قدر الخمار فما قدر لابه ؟

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو أن دراجاً أبا السّمح حدّثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَتَأْتِيهِ امْرَأَةٌ تَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبِهِ فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّهَا أَضْفَى مِنَ الْمِرْآةِ وَإِنْ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ [ عَلَيْهَا ] لَتُنْضِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيُرَدُّ [ عَلَيْهَا ] السَّلَامُ وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتِ فَتَقُولُ أَنَا

(١) الألوة : المود الهندى الذى يتبحر به . قال الأصمى : أراها فارسية

الزَّيْدُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا أَذْنَاهَا مِثْلُ النِّعَمَانِ فَيَنْقُذُهَا  
بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ وَإِنَّ عَلَيْهِمُ التَّيْجَانَ وَإِنَّ أَذُنِي  
لَوْ لَوْدَةٍ عَلَيْهَا لَتَضَى مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . وبعض هذا الحديث في  
جامع الترمذى وهو على شرطه .

وفي صحيح البخارى من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال « لَغَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
وَلِقَابٌ <sup>(١)</sup> قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِهِ — يَعْنِي سَوْطُهُ — خَيْرٌ مِنَ  
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَوْ أَطْلَعْتَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا  
رِيحًا وَأَصْأَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وفي المسند من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي  
صلى الله عليه وسلم : « لِلرَّجُلِ مِنْ [ أَهْلِ ] الْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ  
عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءَ الثَّيَابِ » .

وقال ابن وهب : حدثنا عمرو أَنَّ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْحِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ ،  
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ  
أَذْنِي أَهْلِ الْجَنَّةِ مَزَلَةٌ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ وَاثْنَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً  
وَيُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَأْقُوتٍ كَمَا بَيْنَ الْجَابِيَةِ وَصَنْعَاءَ »  
(رواه الترمذى) .

وفي مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
« خُلِقَ الْخُورُ الْعَيْنُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ <sup>(٢)</sup> » .

( ١ ) قَابِ الْقَوْسِ : مَا بَيْنَ مَقْبَضِهِ وَطَرَفِهِ .

( ٢ ) ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي كِتَابِهِ حَادِي الْأَرْوَاحِ بِسَنَدِ الطَّبْرَانِيِّ وَقَالَ : قَالَ =

## فصل

إِنْ أُرِدْتَ سَمَاعَ غَنَائِهِمْ فَاسْمَعْ خَبْرَهُ الْآنَ . فَنَفِي مَعْبُومِ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ  
ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ أَزْوَاجُ  
أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغْنَيْنَّ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ مَا سَمِعَ أَحَدٌ قَطُّ . إِنْ هُمَا  
يُغْنِيَنَّ بِهِ : نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ ، يَنْظُرُونَ بِقُرَّةِ  
أَعْيَانٍ . وَإِنْ هُمَا يُغْنِيَنَّ بِهِ : نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتُّهُ ، نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا  
نَخَفُّنَهُ ، نَحْنُ الْمُقِمَّاتُ فَلَا نَطَاعُنَهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى . ( فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ  
يُخْبَرُونَ ) <sup>(١)</sup> إِنَّهُ السَّمَاعُ الطَّيِّبُ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنَ الْخَبَرَةِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ ، أَنَبَانَا زَهِيرٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ،  
عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ( وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى  
الْجَنَّةِ زُمَرًا ) <sup>(٢)</sup> حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا وَجَدُوا عِنْدَهُ شَجَرَةً يُخْرِجُ  
مِنْ تَحْتِهَا سَاقِيَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ، فَعَمَدُوا إِلَى إِحْدَاهُمَا فَكَأَنَّمَا أَمْرُوا بِهِ فَشَرَبُوا  
مِنْهَا فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ قَذَى أَوْ أَذَى أَوْ بَأْسٍ ، ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى  
الْأُخْرَى فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النِّعَمِ ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ أَشْعَارُهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا  
وَلَمْ تَشْهَثْ <sup>(٣)</sup> رُؤُوسُهُمْ كَأَنَّمَا أَذْهَنُوا بِالْذَّهَانِ ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى [ خَزَنَةٍ ] <sup>(٤)</sup>

= الطَّبْرَانِيُّ : لَا يَرَوِي إِلَّا هَذَا الْإِسْنَادَ ، تَفَرَّدَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ ثُمَّ ذَكَرَهُ  
مِنْ طَرُقٍ أُخْرَى مَوْقُوفَةً وَقَالَ : وَلَا يَصِحُّ رَفْعُ الْحَدِيثِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى  
ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) الْآيَةُ ١٥ . سُورَةُ الرُّومِ .

(٢) الْآيَةُ ٧٣ . سُورَةُ الزُّمَرِ .

(٣) تَشْهَثُ : تَغَيَّرُ أَوْ تَنْتَشِرُ

(٤) (٤) زِيَادَةُ مِنَ الزَّوْجِ لَابْنِ حَجَرٍ الْبَيْهَقِيِّ .

الجنة فقالوا : ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ )<sup>(١)</sup> ثم تلقاهم الولدان يُطِيفُونَ بِهِمْ كَمَا يُطِيفُ وَلَدَانِ أَهْلَ الدُّنْيَا بِالْحَلِيمِ ، يَقْدَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْبَتِهِ يَقُولُونَ لَهُ : أَبْشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ غَلَامٌ مِنْ أَوْلَئِكَ الْوِلْدَانِ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يَقُولُ : جَاءَ فُلَانٌ بِاسْمِهِ الَّذِي كَانَ يُدْعَى بِهِ فِي الدُّنْيَا قَالَتْ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَ : أَنَا رَأَيْتُهُ وَهُوَ بَاطِرٌ فَيَسْتَخَفُّ إِحْدَاهُنَّ الْفَرْحُ حَتَّى تَقُومَ عَلَى أُسْكُفَّةٍ<sup>(٢)</sup> بِابِهَا ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِهِ نَظَرَ إِلَى أُسَاسِ بِنْيَانِهِ فَإِذَا جَنْدَلٌ<sup>(٣)</sup> اللَّوْلُؤُ فَوْقَهُ صَرَخَ أَخْضَرَ وَأَحْمَرُ وَأَصْفَرُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى سَقْفِهِ فَإِذَا مِثْلُ الْبَرْقِ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَهُ لَأَلَمَ<sup>(٤)</sup> أَنْ يَذْهَبَ بِصَرِهِ ، ثُمَّ طَاطَأَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَزْوَاجُهُ وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ ، وَنِمَارِقُ<sup>(٥)</sup> مَصْفُوفَةٌ ، وَزُرَابِيُّ<sup>(٦)</sup> مَبْثُوثَةٌ ، ثُمَّ اتَّكَأُوا فَقَالُوا : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ )<sup>(٧)</sup> ثُمَّ يَنَادِي مَنَادٌ : تَحْيَوْنَ فَلَا تَمُوتُونَ أَبَدًا ، وَتَقِيمُونَ فَلَا تَطْعَنُونَ أَبَدًا ، وَتَصِحُّونَ فَلَا تَمْرُضُونَ أَبَدًا<sup>(٨)</sup> .

وفى سنن ابن ماجه عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا هَلْ مُشَمَّرٌ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأَلُ وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مُشِيدٌ وَنَهْرٌ مُطَرَّدٌ وَكَمَرَةٌ

( ١ ) الآية ٧٣ . سورة الزمر .

( ٢ ) الأسكفة : عتبة الباب .

( ٣ ) الجندل : الصخر العظيم .

( ٤ ) ألم : أوشك أن يذهب بصره .

( ٥ ) النمارق : جمع نمرقة : الوسائد الصغيرة .

( ٦ ) والزرابى : جمع زريبة : الطنافس المخملية والبسط .

( ٧ ) الآية ٤٣ . سورة الأعراف .

( ٨ ) جاء فى الزواجر لابن حجر معزواً إلى ابن أبى الدنيا

نَضِيجَةٌ وَرَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلٌّ كَثِيرَةٌ وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارِ سَلِيمَةٍ  
وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ وَحَبْرَةٌ وَنِعْمَةٌ فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ». قالوا : نعم يا رسول الله ،  
نَحْنُ الْمُسْرُونَ لَهَا ، قال : « قولوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . فقال القوم : إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
تعالى .

## فصل

فهذا وصفهنّ وحسنهنّ فاسمع الآن لذةِ وصالهنّ وشأنه، ففي مسند أبي يعلى  
الموصلى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فذكر حديثاً طويلاً وفيه : « فأقولُ ياربِّ وعدتني الشفاعةَ فشَفَعْتَنِي فِي  
أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فيقول الله تعالى قد شَفَعْتُكَ وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِ  
الْجَنَّةِ » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ  
مَا أْتَمُّ فِي الدُّنْيَا بِأَعْرَفَ بَارِئٍ أَجْكُمُ وَمَسَاكِينُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَرْوَاجِهِمْ  
وَمَسَاكِينِهِمْ فَيَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِمَّا يُنْشِيهِ اللَّهُ  
وَيُنْتِنِينَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَهْمَا فَضْلُ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ اللَّهُ بِعِبَادَتِهِمَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا  
يَدْخُلُ عَلَى الْأُولَى مِنْهُمَا فِي غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ  
بِاللُّؤْلُؤِ عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَإِنَّهُ لَيَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا  
ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهِ مِنْ صَدْرِهَا وَمِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْيِهَا وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ  
أَحَدُكُمْ إِلَى السَّلَكِ فِي فَصْبَةِ الْيَاقُوتِ كَبِدُهُ لَهَا مِرْآةٌ — يعنى وكبدها له مرآة —  
فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمْلِكُهَا وَلَا تَمْلَهُ وَلَا يَأْتِيهَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءً مَا يَفْتُرُ  
ذَكَرُهُ وَلَا يَشْتَكِي قَبْلُهَا. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نُودِيَ إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ  
وَلَا تَمَلُّ إِلَّا أَنَّهُ لَا مَنَى وَلَا مَنِيَّةَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ أَزْوَاجٌ غَيْرُهَا فَيَخْرُجُ  
فَيَأْتِيَهُنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةً قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ

أَحْسَنُ مِنْكَ وَمَا فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ». وَهَذَا قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ الَّذِي رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ <sup>(١)</sup> .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طَوَّلُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَالَ : ثَلَاثُونَ مِيلًا .

وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةٌ كَذَا وَكَذَا مِنَ النَّسَاءِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيُطِيقُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « يُعْطَى قُوَّةُ مِائَةِ » قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

وَفِي مَعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ » وَفِي لَفْظٍ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفُضَى إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ : « إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَفُضَى فِي الْغَدَاةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى

---

(١) ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِهِ حَادِي الْأَرْوَاحِ وَقَالَ : تَفَرَّدَ بِهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ وَقَدْ رَوَى لَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَضَعْفُهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى وَجَاعَةٌ . وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ : مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ ، وَقَالَ ابْنُ عَدَى : عَامَّةُ أَحَادِيثِهِ فِيهَا نَظَرٌ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : ضَعْفُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا - يَعْنِي الْبُخَارِيَّ - يَقُولُ : هُوَ ثِقَّةٌ مُقَارِبُ الْحَدِيثِ . وَقَالَ لِي شَيْخُنَا أَبُو الْحَجَّاجِ الْحَافِظُ : هَذَا الْحَدِيثُ بِمَجْمُوعٍ مِنْ عِدَّةِ أَحَادِيثٍ سَاقَهُ إِسْمَاعِيلُ أَوْ غَيْرُهُ هَذِهِ السِّيَاقَةُ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مَعْرُوفٌ فِي الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَذَكَرَ قِطْعَةً مِنْهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْكِتَابِ وَعَقِبَ عَلَيْهَا بِهَذَا وَزَادَ قَوْلَهُ : قُلْتُ : وَلَكِنْ إِذَا رَوَى مِثْلَ هَذَا مَا يَخَالِفُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى رَوَايَتِهِ . وَأَيْضًا قَالَ رَجُلٌ الَّذِي رَوَى عَنْهُ الْقُرْطُبِيُّ لَا يَدْرِي مَنْ هُوَ .

مِائَةَ عَذْرَاءَ . قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح .

وفي حديث لَقِيطُ الْعَقِيلِي الطويل الذي رواه الطبراني وعبد الله بن أحمد في السنة وغيرهما أنه قال : قلت يا رسول الله : أَوَلَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ مُصْلِحَاتٌ ؟ قال : « الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ تَلْدُو سَنَنَ مِثْلَ لَدَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلْدُو نَكَمَ غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدُ » .

وذكر ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن دَرَّاج ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْرَة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : أَنْطَأُ فِي الْجَنَّةِ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا <sup>(١)</sup> ) ، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا ) . قال الحافظ أبو عبد الله : دَرَّاجُ اسْمُهُ عبد الرحمن بن سَعْمَانَ الْمَصْرِي ، وَثِقَةٌ يُحْيِي بَن مَعِين ، وَأَخْرَجَ عَنْهُ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَّانٍ فِي مَجْمُوعِهِ وَكَانَ بَعْضُ الْأُئِمَّةِ يَنْكُرُ بَعْضَ حَدِيثِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي معجم الطبراني من حديث أبي التوكل ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُدْنَ أَبْكَارًا ) .

وفيه أيضاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ : هَلْ يَتَنَاقَحُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ فقال : ( بَلَدٌ كَرٍ لَا يَمَلُّ وَشَهْوَةٌ لَا تَنْقُطُ دَحْمًا دَحْمًا ) .

وفيه أيضاً عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ : أَيُّجَامِعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ قال : ( دَحْمًا دَحْمًا وَلَكِنْ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةً ) .

---

( ١ ) جاء في القاموس المحيط : دَحْمَةٌ دَحْمًا : دَفَعُهُ شَدِيدًا . وَالْمَرْأَةُ : نَكْمُهَا وَالِدَحْمٍ : الْأَصْلُ .

(١) من قصيدة المؤلف في وصف الحور

ياخاطبَ الحور الحسن وطالبا لوصالهن بجنة الحيوان  
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوى من الأمان  
أو كنت تعرف أين مسكنها جعلت السعى منك لها على الأجفان  
أصرع وحث السير جهدك إنما مسراك هذا ساعة لزمان  
فاعشق وحدث بالوصال النفس وابذل مهرها مادمت ذا إمكان  
واجعل صدامك دون لقاءها ويوم الوصل يوم الفطر من رمضان  
واجعل نفوت جالها الحادى وسر نحو الحبيب ولست بالمتوانى  
واسمع إذن أوصافها ووصالها واجعل حديثك ربة الإحسان  
يا من يطوف بكعبة الحسن التي حفت بذاك الحجر والأركان  
ويظل يسعى دائما حول الصفا ومحسر مسعاه كل أواف  
ويروم قربان الوصال على منى والخيف يحجبه عن القربان  
فلذا تراه مجرما أبدا ومو ضع حلة منه فليس بدان  
ينفى التمتع مفردا عن حبه متجردا ينفى شفيع قران  
ويظل بالجمرات يرمى قلبه هذى مناسكه بكل زمان  
والناس قد قضوا مناسكهم وقد حثوا ركبائهم إلى الأوطان  
وحدث بهم همهم لهم وعزائمهم نحو المنازل ربة الإحسان  
رفعت لهم في السير أعلام الوصال فشمروا ياخية الكسلان  
ورأوا على بُعد خياما مشرفا تشرق النور والبرهان  
فتيمموا تلك الخيام فأنسوا فيهن أقمارا بلا نقصان

(١) هي قطعة من قصيدة المؤلف في السنة سماها : الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية . .



من قاصرات الطرف لا تبغى سوى  
محبوبها من سائر الشبان  
قَصَرَتْ عليه طَرْفُهَا من حسنه  
والطرف منه مُطْلَقٌ بأمان  
ويحار منه الطرف في الحسن الذي  
قد أعطيت فالطرف كالخيران  
ويقول لما أن يشاهدَ حسنَها  
سبحان معطى الحسن والإحسان  
والطرف يشرب من كؤوس جمالها  
فتراه مثل الشارب النشوان  
كملت خلائقها وأكمل حسنُها  
كالبدْر ليلَ الست بعد ثمان

\* \* \*

والشمس تجري في محاسن وجهها  
والليل تحت ذوائب الأغصان  
فيظل يعجب وهو موضع ذلك من  
ليل وشمس كيف يجتمعان  
ويقول سبحان الذي ذا صنعة  
سبحان متقن صنعة الإنسان  
لا الليل يدرك شمسها فتغيب عنه  
د مجيئه حتى الصباح الثاني  
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل  
يتصاحبان كلاهما أخوان  
وكلاهما مرآة صاحبه إذا  
ما شاء يُبصر وجهه يريان  
فيري محاسن وجهه في وجهها  
وترى محاسنها به بعيان  
حمر الخلدود تغورهن لآلي  
سود العيون فواتر الأجفان  
والبرق يبدو حين يبسم نغرها  
فيضيء سقف القصر بالجدران  
ريانة الأعطاف من ماء الشبا  
ب فغصنها بالماء ذو جريان  
لما جرى ماء النعيم بغصنها  
حمل الثمار كثيرة الألوان  
فالورد والثقاح والزمان في  
غصن تعالي غارس البستان  
والقد منها كالتضيب اللذن في  
حسن القوام كأوسط القضبان  
في مغرس كالعاج تحسب أنه  
على النقا<sup>(١)</sup> أو واحد الكُثبان  
لا الظهر يلحقه وليس ثديها  
بلواحي البطن أو بدوان

اكهن كواعبر ونواهد فتدئهن كأحسن الرثمان  
 والجيد ذو طول وحسن في بيا ض واعتدال ليس ذا نكران  
 يشكو الحلي بعادته فله مدى الأيام ونسواس من الهجران  
 والمعصمان فإن تشأ شهنهما بسيكنتين غايهما كفنان  
 كالزبد ليناً في نعومة مامس أصداف در دورت بوزان  
 والصدر متسع على بطن لها وانحصر منها مغرم بثمان  
 وعليه أحسن سرقة هي زينة للبطن قد غارت من الأعكان<sup>(١)</sup>  
 حق من العاج استدار وحشوه حبات مسك جل ذو الإتيان  
 وإذا نزلت رأيت أمراً هائلاً ما للصفات عليه من سلطان  
 لا الحيض يغشاه ولا بول ولا شيء من الآفات في التسوان  
 فخذان قد حقا به حرساً له فجنابه في عزّة وصبيان  
 قاما بخدمته هو السلطان بينهما وحق طاعة السلطان  
 وهو المطاع إذا هو استدعى الحبيب أناه طوعاً وهو غير جبان  
 وجاعها فهو الشفاء لصبها فالصب منه ليس بالضجران  
 وإذا أتاها عادت الحسناء بكرةً مثل ما كانت مدى الأزمان  
 وهو الشيء الذي شيء هكذا قال الرسول لمن له أذنان  
 يارب غفراً قد طفت أقلامنا يارب معذرة من الطغيان  
 أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتقان  
 والساق مثل العاج ملموم به منح العظام تناله العينان  
 والريح مسك والجسوم نواعم واللون كالباقوت والمرجان  
 وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيّدان  
 وهي العروب بشكلها وبدلها وتحبب للزوج كل أوان

أَتَرَابُ مِنْ وَاحِدٍ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ  
بِكْرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بِكَارَتِهَا سِوَى اللَّهِ  
يُعْطَى الْمُجَامِعُ قُوَّةَ الْمَاءِ الَّتِي إِجْ  
وَلَقَدْ أَتَانَا أَنَّهُ يَفْشَى يَبْ  
وَرَجَالَهُ شَرَطَ الصَّحِيحَ رَوَوْا لَهُمْ  
وَبِذَلِكَ فُسِّرَ شُغْلُهُمْ فِي سُورَةِ  
سَنُ الشَّبَابِ لِأَجْلِ الشَّبَابِ  
مُحِبُّونَ مِنَ الْإِنْسِ وَلَا مِنَ الْجَانِ  
تَمَعْتَ لِأَقْوَى وَاحِدٍ الْإِنْسَانِ  
مِ وَاحِدٍ مَائَةٍ مِنَ النِّسْوَانِ  
فِيهِ وَذَا فِي مَعْجَمِ الطَّبْرَانِ  
مِنْ بَعْدِ فَاطِمَةَ (١) يَا أَخَا الْعِرْفَانِ  
\* \* \*

هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ  
وَبِهِ يَزُولُ تَوْحُّدُ الْإِسْكَالِ عَنْ  
فِي بَعْضِهَا مَائَةٌ أَتَى وَأَتَى بِهَا  
فَتَفَاوَتْ الزُّوْجَاتُ مِثْلُ تَفَاوَتْ  
وَبِقُوَّةِ الْمَاءِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ  
وَأَعْفَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ  
فَاجْعَ قَوَائِكَ لَمَّا هُنَا وَغُضَّ مَتْنُ  
مَا هَاهُنَا وَاللَّهُ مَا يَسُورُ قَلَا  
وَنَصِيفُهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا  
لَا تُؤْثِرُ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَإِنْ  
وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لِبْسِهَا  
تَهْتَزُّ كَالْفَصْنِ الرُّطِيبِ وَحَمْلُهُ  
وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيَحِقُّ ذَا  
مُتَفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الْإِيمَانِ  
تِلْكَ النُّصُوصُ بِمَنَةِ الرَّحْمَنِ  
سَبْعُونَ أَيْضًا ثُمَّ جَائِزَتَانِ  
دَرَجَاتٍ فَالْأَمْرَانِ مُخْتَلِفَانِ  
أَفْضَى إِلَى مَائَةٍ بِلَا خَوَرَانِ  
أَقْوَى هُنَاكَ لِهَذِهِ فِي الْفَانِ  
لَكَ الطَّرْفُ وَاصْبِرْ مَاعَةً لَزْمَانِ  
مَةِ ظَفَرٍ (٢) وَاحِدَةٍ مِنَ النِّسْوَانِ  
فِيهَا إِذَا كَانَتْ مِنَ الْأَثْمَانِ  
تَفْعَلُ رَجَعَتْ بِذَلِكَ وَهَوَانِ  
وَتَمَائِلُ كَتَمَائِلِ النِّسْوَانِ  
وَرَدَّتْ وَتُفَاحٌ عَلَى رُفْمَانِ  
لَكَ لَمْلُهَا فِي جَنَّةِ الرِّضْوَانِ

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة يس: (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل  
فأكهون) فقد فسر كثير من السلف الشغل في هذه الآية باقتضاض الأبكار.  
(٢) قلامة الظفر: ما سقط منه.

ووصائفٌ من خلفها وأمامها  
كلبدر ليلةً تمَّه قد حُفَّ في  
فلسانه وفؤاده والطرفُ في  
تستطلق الأفواه بالتسبيح إذ  
والقلب قبل زفافها في عرسه  
حتى إذا واجهته تقابلا  
فعل المتيم هل يحل الصبرُ عن  
وسل المتيم أين خلف صبره  
وسل المتيم كيف حالته وقد  
من منطق رقت حواشيه ووجَّ  
وسل المتيم كيف عيشته إذا  
يتماقطان لآلئاً منشورة  
وسل المتيم كيف مجلسه مع آ  
وتدور كاساتُ الرحيق عليهما  
يتنازعان الكأسَ هذا مرةً  
فيضمها وتضمه أرايت ممَّ  
غاب الرقيبُ وغاب كلُّ منكدرٍ  
أتراها ضجَّرين من ذا العيش لا  
لأعاشقًا هانت عليه نفسه \*  
أترى يليق بما قلَّ بيعُ الذي \*  
وعلى شمائلها وعن أيما  
غسق الدُّجى بكواكب اليزان<sup>(١)</sup>  
دهش وإعجاب وفي سبحات  
تبدو فسبحات العظيم الشأن  
والعرس إثرَ العرس متصلان  
أرايت إذ يتقابلُ القمران  
ضمَّ وتقبيل وعن قلائف  
في أيِّ وادٍ أم بأيِّ مكان  
ملئت له الأذنان والعينان  
كم به للشمس من جرَّبان  
وها على فرشيهما خلوان  
من بين منظوم كنظم جُحان<sup>(٢)</sup>  
محبوب في رَوْح وفي ريحان<sup>(٣)</sup>  
بأ كف أقبارٍ من الولدان  
والخود أخرى ثم يتكئان  
شوقين بعد البعد يلتقيان  
وها بثوب الوصل مشتملان  
وحياة ربك ماها ضجَّران  
إذ باعها غبنًا بكل هوَّان \*  
يبقى - وهذا وصفه - بالقانى

(١) النسق : أول ظلمة الليل. والدجى : الظلمة .

(٢) جمع جملة نحة تعمل من النصة كالندرة .

(٣) روح وريحان : في راحة وترحم (رحمة) .

## الباب العشرون

### في عهومات المحبة وشواهدا

وقبل الخوض في ذلك لابد من ذكر أقسام النفوس ومحابها فنقول :  
النفوس ثلاثة : نفس سماوية علوية ، فحبتها منصرفة إلى المعارف  
واكتساب الفضائل والكمالات الممكنة للإنسان واجتناب الرذائل ، وهي  
مشغوفة بما يقر بها من الرفيق الأعلى ، وذلك قوتها وغداؤها ودواؤها ، فاشتغالها  
بغيره هو دأؤها .

ونفس سبعة غضبية ، فحبتها منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض  
والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل ، فلذتها في ذلك وشغفها به .

ونفس حيوانية شهوانية ، فحبتها منصرفة إلى المأكول والمشرب والمنكح ،  
وربما جمعت الأمرين فانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض والفساد كما قال الله  
تعالى : ( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً  
مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ )<sup>(١)</sup> .

وقال في آخر المورة : ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ  
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ )<sup>(٢)</sup> ، والحب في هذا العالم  
دائر بين هذه النفوس الثلاثة ، فأى نفس منها صادفت ما يلائم طبقها  
استحسنته ومالت إليه ولم تصغ فيه لعاذل ولم تأخذها فيه لومة لائم . وكل قسم

من هذه الأقسام يرون أن ما هم فيه أولى بالإيثار ، وأن الاشتغال بغيره والإقبال على سواه غيْبٌ وفوات حظٌّ . فالنفسُ السماوية بينها وبين الملائكة والرفيق الأعلى مناسبةٌ طَبِيعِيَّةٌ بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم .

فالملائكة أولياء هذا النوع في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نَزَّلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ) (١) .

فالملك يتولى من يناسبه بالنصح له والإرشاد والتثييت والتعليم وإلقاء الصواب على لسانه ، ودفع عدوه عنه ، والاستغفار له إذا زلَّ ، وتذكيره إذا نسى ، وتسليته إذا حزن ، وإلقاء السكينة في قلبه إذا خاف ، وإيقاظه للصلاة إذا نام عنها ، وإبعاد صاحبه بالخير ، وحضه على التصديق بالوعد ، وتحذيره من الركون إلى الدنيا ، وتقصير أمله وترغيبه فيما عند الله . فهو أُنيسُه في الوحدة ، ووليُّه ومعلمه ومثبتُه ومسكنُ جأشه ، ومرغبه في الخير ، ومحذره من الشر ، يستغفر له إن أَسَاء ، ويدعوه بالثبات إن أحسن ، وإن بات طاهراً يذكر الله بات معه في شعاره (٢) ، فإن قصده عدوُّه بسوء وهو نائمٌ دفعه عنه .

(١) الآيات ٣٠ و ٣١ و ٣٢ سورة فصلت .

(٢) الشعار : ماتحت الدثار من اللباس وهو مايلي الجسد . وشعائر الحج مناسك وعلاماته .

## فصل

والشياطين أولياء النوع الثاني يخرجونهم من النور إلى الظلمات . قال الله تعالى : ( تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ ) <sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ) <sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا . يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا . أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ) <sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ) <sup>(٤)</sup> .

فهذا النوع بين نفوسهم وبين الشياطين مناسبة طَبِيعِيَّةٌ ، بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم ، فالشياطين تتولاهم بضد ما تتولى الملائكة لمن ناسبهم ، فتؤزِّمهم إلى المعاصي أَرَأَى ، وترعجهم إليها ازعاجاً لا يستقرون معه ويزينون لهم القبايح ويخففونها على قلوبهم ويحولونها في نفوسهم ، ويثقلون عليها الطاعات ويثبِّطونهم <sup>(٥)</sup> عنها ويحبِّحونها في أعينهم ، ويلقون على ألسنتهم أنواع القبيح من الكلام وما لا يفيد ، ويزينونه في أسماع من يسمعه منهم ،

( ١ ) الآية ٦٣ . سورة التحل .

( ٢ ) الآية ٤ . سورة الحج .

( ٣ ) الآيات ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ . سورة النساء .

( ٤ ) الآية ٥٠ . سورة السكف .

( ٥ ) ثبطه عن الأمر ثبطاً وتثبيطاً : عوقه وبطأ به عنه ؛ وفسره الجوهري

بشطله عنه . ومنه قوله تعالى : ( ولكن كره الله انبعاثهم فشبطنهم ) .

يَلْبِثُونَ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَيَقِيلُونَ<sup>(١)</sup> مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَيُشارُ كُونَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ، يَأْكُلُونَ مَعَهُمْ ، وَيَشْرَبُونَ مَعَهُمْ ، وَيَجَامَعُونَ مَعَهُمْ ، وَيَنَامُونَ مَعَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ( وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا )<sup>(٢)</sup> وَقَالَ تَعَالَى : ( وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ )<sup>(٣)</sup> .

## فصل

وَأَمَّا النُّوعُ الثَّالِثُ فَهُمْ أَشْبَاهُ الْحَيَوانِ ، وَنَفْسُهُمْ أَرْضِيَّةٌ سَفَلِيَّةٌ لَا تَبَالِي بِغَيْرِ شَهَوَاتِهَا وَلَا تَرِيدُ سِوَاهَا . إِذَا عَرَفَتْ هَذِهِ الْمَقْدِّمَةَ فَعَلَامَاتُ الْحُبِّ قَائِمَةٌ فِي كُلِّ نَوْعٍ بِحَسَبِ مَحَبُّوبِهِ وَمُرَادِهِ ، فَمِنْ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ تَعْرِفُ مِنْ أَىِّ هَذِهِ الْأَقْسَامِ هُوَ ، فَذَكَرَ فصولاً مِنْ عِلَامَاتِ الْحُبِّ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهَا :

فَمِنْهَا : إِدْمَانُ النَّظَرِ إِلَى الشَّيْءِ وَإِقْبَالُ الْعَيْنِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَيْنَ بَابُ الْقَلْبِ وَهِيَ الْمَعْبَرَةُ عَنْ ضَمَائِرِهِ وَالْكَاشِفَةُ لِأَسْرَارِهِ . وَهِيَ أَبْلَغُ فِي ذَلِكَ مِنَ اللِّسَانِ ، لِأَنَّ دَلَالَتَهَا حَالِيَةً بِغَيْرِ اخْتِيَارِ صَاحِبِهَا ، وَدَلَالَةُ اللِّسَانِ أَفْظِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِقَصْدِهِ ، فَتَرَى نَاضِرَ الْحُبِّ يَدُورُ مَعَ مَحَبُّوبِهِ كَيْفَ مَادَارَ ، وَيَجُولُ مَعَهُ فِي النُّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ كَمَا قَالَ :

أَذُودُ سِوَاكَ الطَّرْفُ عَنْكَ وَمَا لَهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ

( ١ ) قَالَ يَقِيلُ قِيلاً وَقِيلُولَةً : نَامَ وَاسْتَرَحَ وَقَتَ الْقِيلُولَةِ وَهِيَ نِصْفُ النَّهَارِ .

( ٢ ) الْآيَةُ ٣٧ . سُورَةُ النَّسَاءِ .

( ٣ ) الْآيَاتُ ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ . سُورَةُ الزَّخْرَفِ .



بل الحب في عين المحبوب تمثاله ، كما في قلبه شخصه ومثاله كما قيل :  
ومن عجب أنى أحسن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي  
وتطالبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي  
فالمحب نظره وقف على محبوبه كما قال :  
إن يحجبوها عن العيون فقد حجبت عيني لها عن البشر

## فصل

ومنها : إغضاؤه عند نظر محبوبه إليه ورميه بطرفه نحو الأرض ، وذلك من  
مهابته له ، وحيائه منه وعظمته في صدره ، ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو  
يُحَدِّثُ<sup>(١)</sup> النظر إليهم ، بل يكون خافض الطرف إلى الأرض . قال الله تعالى مخبراً  
عن كمال أدب رسوله في ليلة الإسراء : ( مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى )<sup>(٢)</sup> وهذا  
غاية الأدب ، فإن البصر لم يزغ يميناً ولا شمالاً ، ولا طمَحَ متجاوزاً إلى ما هو  
رائيه ومقبل عليه كالمُتَشَارِفِ<sup>(٣)</sup> إلى ما وراء ذلك ، ولهذا اشتدَّ نهى النبي صلى  
الله عليه وسلم للمصلي أن يزغ بصره إلى السماء ، وتوعدهم على ذلك بحطف  
أبصارهم ، إذ هذا من كمال الأدب مع من المصلي واقف بين يديه ، بل ينبغي له  
أن يقف ناكس الرأس مطرقاً إلى الأرض ، ولولا أن عظمة رب العالمين  
سبحانه فوق سماواته على عرشه ، لم يكن فرق بين النظر إلى فوق أو  
إلى أسفل .

---

( ١ ) أحد النظر إليه : نظر متأملاً .

( ٢ ) الآية ١٧ . سورة النجم .

( ٣ ) المتشارف : المتطلع .

## فصل

ومنها : كثرة ذكر المحبوب واللَّهَجُ <sup>(١)</sup> بذكره وحديثه ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره بقلبه ولسانه . ولهذا أمر الله سبحانه عباده بذكره على جميع الأحوال ، وأمرهم بذكره أخوف ما يكونون فقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) <sup>(٢)</sup> والمحبون يفتخرون بذكرهم أحبابهم وقت المخاوف ومُلافاة الأعداء كما قال قائلهم :

ذَكَرْتُكَ وَالْخَطِيئَةُ يَخْطُرُ بَيْنَنَا      وَقَدْ نَهَيْتُمُنَا الْمُتَّقَةَ <sup>(٣)</sup> السُّمُرُ  
وقال آخر :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحَ كُلَّهَا      أَشْطَانُ بَثْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدَمِ <sup>(٤)</sup>  
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا      بَرَقَتْ كِبَارِقُ تَفْرِكِ الْمَتَبَسِّمِ  
وفي بعض الآثار الإلهية : إن عبدي كلَّ عبدي الذي يذكرني وهو مُلاقي قرَّنه ، فعلامة المحبة الصادقة ذكرُ المحبوب عند الرَّغَبِ والرَّهَبِ . وقال بعض المحبين في محبته :

يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي      أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

( ١ ) اللهج بالشئ : الولوج به . ولهج به : أغرى به فتأثر عليه .

( ٢ ) الآية ٤٦ . سورة الأنفال .

( ٣ ) الخطي : الرماح ، والثقف : ماتسوى به الرماح .

( ٤ ) في رواية أخرى .

... والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دى  
والشطن : الحبل الطويل يستقى به من البئر أو تشد به الدابة . واللبان : ماجرى عليه اللب من الصدر . وموضع القلادة .

ومن الذكر الدّالّ على صدق المحبة سبق ذكر المحبوب إلى قلب الحبّ  
ولسانه عند أول يقظة من منامه ، وأن يكون ذكره آخر ما ينام عليه كما  
قال قائلهم :

آخر شيء أنت في كل هَجَعَةٍ وأول شيء أنت وقت هُبُوبِي<sup>(١)</sup>

وذكر المحبوب لا يكون عن نسيان مستحکم فإن ذكره بالقوّة في نفس  
الحبّ ، ولكن لضيق المحل به يرد عليه ما يُغيب ذكره ، فإذا زال الوارد عاد  
الذكر كما كان ، وأعلى أنواع ذكر الحبيب أن يحبس الحبّ لسانه على ذكره ،  
ثم يحبس قلبه على لسانه ، ثم يحبس قلبه ولسانه على شهود مذكوره . وكما أن  
الذكر من نتائج الحبّ فالحبّ أيضاً من نتائج الذكر ، فكلٌّ منهما يشعر الآخر ،  
وزرع المحبة إنما يُسقى بماء الذكر ، وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة .

## فصل

ومن علاماتها الاقتماد لأمر المحبوب وإيثاره على مراد المحب ، بل يتحد  
مراد الحبّ والمحبوب . وهذا هو الاتحاد الصحيح لا الاتحاد الذي يقوله إخوان  
النصارى من الملاحدة ، فلا اتحاد إلا في المراد ، وهذا الاتحاد علامة المحبة الصادقة  
بحيث يكون مراد الحبيب والمحبّ واحداً ، فليس بمحبّ صادق من له إرادة  
تخالف مراد محبوبه منه ، بل هذا مریدٌ من محبوبه لا مریدٌ له ، وإن  
كان مریداً له فليس مریداً لمراده . فالحبّون ثلاثة أقسام : منهم من يريد من  
المحبوب ، ومنهم من يريد المحبوب ، ومنهم من يريد مراد المحبوب مع إرادته  
للمحبوب . وهذا أعلى أقسام الحبّين . وزهد هذا أعلى أنواع الزهد ، فإنه قد

(١) الهجعة : نومة خفيفة من أول الليل . وهجع : نام ليلاً . والمحبوب :  
الاستيقاظ والانتباه ، وهب الرجل من نومه : أُنْتَبَه واستيقظ .

زهد في كل إرادة تخالف مراد محبوبه ، وبين هذا وبين الزهد في الدنيا أعظم مما بين السماء والأرض . فالزهد خمسة أقسام : زهد في الدنيا ، وزهد في النفس ، وزهد في الجاه والرئاسة ، وزهد فيما سوى المحبوب ، وزهد في كل إرادة تخالف مراد المحبوب . وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة لرسول الحبيب .

قال الله تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )<sup>(١)</sup> فجعل سبحانه متابعة رسوله سبباً لمحبتهم له ، وكون العبد محبوباً لله أعلى من كونه محباً لله ، فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله . فالطاعة للمحبوب عنوان محبته كما قيل :

تَعَصَى الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ      هَذَا مَحَالٌّ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ      إِنْ الْحُبُّ لِمَنْ يَحِبُّ مَطِيعُ

## فصل

ومن علاماتها قلة صبر الحب عن المحبوب ، بل ينصرف صبره إلى الصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، والصبر على أحكامه، فهذا صبر الحب ، وأما الصبر عنه فصبر الفارغ عن محبته، المشغول بغيره قال :

والصبرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا      وَعَنِ الْحَبِيبِ فَإِنَّهُ لَا يُحْمَدُ

فن صبر عن محبوبه أدنى به صبره إلى فوات مطلوبه . وقال بعض الحبيين :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَأَمَّا عَلَى      أَنْ لَا أَرَى وَجْهَكَ يَوْمًا فَلَا  
لَوْ أَنَّ يَوْمًا مِنْكَ أَوْ سَاعَةً      تَبَاعَ بِالدُّنْيَا إِذَا مَا غَلَا

## فصل

ومنها : الإقبال عَلَى حديثه وإلقاء سمعه كُلِّهِ إِلَيْهِ ، بحيث يفرغ لحديثه سمعه وقلبه ، وإن ظهر منه إقبالٌ عَلَى غيره فهو إقبالٌ مستعارٌ يستبين فيه التكافؤ لمن يَرْمُقُهُ كما قال :

وَأَدِيمَ لَحَظَ مُحَمَّدٍ لِيَرَى أَنْ قَدْ فَهَمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي  
فَإِنْ أَعْوَزَهُ حَدِيثُهُ بِنَفْسِهِ فَأَحْبَبُ شَيْءٍ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ عَنْهُ ، وَلَا سِوَا إِذَا  
حَدَّثَ عَنْهُ بِكَلَامِهِ فَإِنَّهُ يَقِيْمُهُ مَقَامَ خُطَابِهِ كَمَا قَالَ الْقَاتِلُ : الْحُبُّونَ لِأَشْيَاءِ اللَّهِ لَمْ  
وَلَقُلُوبِهِمْ مِنْ سَمَاعِ كَلَامِ مَحْبُوبِهِمْ وَفِيهِ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ إِلَّا  
لَأَهْلِ الْحُبِّ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَقْرَأُ عَلَىَّ » ، قُلْتُ : أَقْرَأُ عَلَيْكَ  
وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ؟ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ غَيْرِي ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ  
سُورَةِ النَّسَاءِ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ( فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ  
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ) <sup>(١)</sup> قَالَ : حَسْبُكَ الْآنَ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا  
عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ <sup>(٢)</sup> . وَكَانَ أَحْبَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اجْتَمَعُوا  
أَمْرًا وَافَارْتَأَ أَنْ يَقْرَأَ وَهُمْ يَسْتَمْعُونَ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ  
أَبُو مُوسَى يَقُولُ : يَا أَبَا مُوسَى ذَكَرْنَا رَبَّنَا ، فَيَقْرَأُ أَبُو مُوسَى وَرَبْمَا بَكَى عُمَرُ .

وَمِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَصْلِي  
مِنَ اللَّيْلِ فَأَعْجَبَتْهُ قِرَاءَتُهُ فَوَقَفَ وَاسْتَمَعَ لَهَا ، فَلَمَّا غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ قَالَ : « لَقَدْ مَرَرْتُ بِكَ الْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ فَوَقَفْتُ وَاسْتَمَعْتُ

(١) الآية ٤٠ . سورة النساء .

(٢) رواه البخاري ومسلم في الصحيحين

لِقِرَاءَتِكَ ، فقال لو أعلم أنك كنت تسمع لحبته لك تحبيراً»<sup>(١)</sup> والله سبحانه وهو الذى تكلم بالقرآن يأذن ويستمع للقارئ الحسن الصوت من محبته لسماع كلامه منه كما قال صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُ أَشَدُّ أَذْنًا إِلَى التَّأْرِيءِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ »<sup>(٢)</sup> — والأذنُ بفتح الهمزة والدال مصدر أذنَ يَأْذُنُ : إذا استمع . قال الشاعر :

أيها القلبُ تَعَلَّلْ بَدَدَنْ<sup>(٣)</sup> إنَّ قلبي في سماعٍ وأذنٍ

وقال صلى الله عليه وسلم : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ »<sup>(٤)</sup> وغلط من قال : إنَّ هذا من المقلوب وإن المراد زينوا أصواتكم بالقرآن . فهذا وإن كان حقاً فالمراد تحسينُ الصوت بالقرآن . وصح عنه أنه قال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَنْفَعَنَّ بِالْقُرْآنِ »<sup>(٥)</sup> ووه من فسرهُ بالغنى الذى هو ضدُّ الفقر من وجوه : أحدها : أن ذلك المعنى إنما يقال فيه استغنى لا تغنى . الثانى : أن تفسيره قد جاء فى نفس الحديث يجهر به هذا لفظه قال أحمد : نحن أعلم بهذا من سفيان وإنما هو تحسين الصوت به يحسنه ما استطاع . الثالث : أن هذا المعنى لا يتبادر إلى الفهم من إطلاق هذا اللفظ ولو احتمله ، فكيف وبنية اللفظ لا تحتمله كما تقدّم . وبعد هذا فإذا كان من التغنى بالصوت فقيه معنيان : أحدهما : يجعله له مكان الغناء

---

( ١ ) أخرجه مسلم وأخرجه أبو يعلى بزيادة كما قال ابن حجر العسقلانى .  
وحبته : زينه ونمته .

( ٢ ) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى فى الشعب . كما قال السيوطى .  
( ٣ ) الددن : اللهو واللعب .

( ٤ ) أخرجه البخارى تعليماً فى الصحيح وأخرجه فى خلق أفعال العباد وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والدارمى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما والدارقطنى والبراز كما قال ابن حجر .

( ٥ ) رواه البخارى وأحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم . كما قال السيوطى .

لأصحابه من محبته له ولَمَحِجِه به كما يُحِبُّ صاحب الغناء لغنائه ، والثاني : أنه يزينه بصوته ويمجِّسه ما استطاع كما يزين المتغنى غناؤه بصوته ، وكثيرٌ من الحيين ماتوا عند سماع القرآن بالصوت الشجيِّ ، فهو لاء قتل القرآن ، لا قتل عِشاق المُرْدان<sup>(١)</sup> والنَّسوان .

## فصل

ومنها: محبة دار الحبوب وبيته حتى محبة الموضع الذي حلَّ به ، وهذا هو السرُّ الذي لأجله علقت القلوب على محبة الكعبة البيت الحرام، حتى استعطاب المحبون في الوصول إليها هَجَرَ الأوطان والأحباب . ولذَّ لهم فيها السفر الذي هو قطعةٌ من العذاب . فركبوا الأخطار ، وجابوا المفَاوِزَ والقِفَارَ ، واحتملوا في الوصول غاية المشاق ، ولو أمكنهم لسَعَوْا إليها على الجفون والأحداق .  
نعم أَسْعَى إليك على جفوني وإن بَعُدَتْ لسراك الطريق  
وسرُّ هذه المحبة هي إضافة الربِّ سبحانه له إلى نفسه بقوله : ( وَظَهَرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ )<sup>(٢)</sup> .

قال الشاعر :

لما انتسبتُ إليك صرْتُ معظماً وعلوتُ قدراً دون من لم يُنسب  
وكلُّ ما نسب إلى المحبوب فهو محبوب (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)<sup>(٣)</sup>  
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)<sup>(٤)</sup> (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ)<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) جمع أمرد: الغلام الذي طر شاربه وبلغ خروج لحيته ولم تبد .

( ٢ ) الآية ٢٦ . سورة الحج .

( ٣ ) الآية ١٩ سورة الجن .

( ٤ ) أول سورة الإسراء .

( ٥ ) أول سورة الفرقان .

(وإن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) <sup>(١)</sup> ومن فهم هذا فهم معنى قوله تعالى : (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) <sup>(٢)</sup> وقول عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : « لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَأَخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ » <sup>(٣)</sup> وإذا كان من يجب مخلوقاً مثله يحب داره كما قال :

أُمِرُّ عَلَى الدَّيَّارِ دِيَارِ لِيلى أَقْبِلْ ذَا الْجَدَارِ وَذَا الْجُدَارِ  
وما حُبُّ الدَّيَّارِ شَغْفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارِ  
فكيف بمن ليس كمثله شيء ومن ليس كمثله محبته محبة ؟

## فصل

ومنها : الإسراع إليه في السير ، وحثُّ أركاب نحوه ، وطئُ المنازل في الوصول إليه ، والاجتهاد في القرب والدنو منه ، وقطع كل قاطعٍ يقطع عنه ، واطِّراحُ الأشغال الشاغلة عنه ، والزَّهْدُ فيها ، والرغبة عنها ، والاستهانة بكل ما يكون سبباً لغضبه ومقته وإن جلَّ ، والرغبة في كل ما يدنى إليه وإن شقَّ ، قال الشاعر :

ولو قلتِ طَأً في النار أعلم أنه رضا لك أو مُدْنٍ لنا من وصالكِ  
لقدّمتِ رجلى نحوها فوطئتها هدّى منك لى أوضةً من ضلالكِ

## فصل

ومنها : محبة أحباب المحبوب وجيرانه وخدمته وما يتعلّق به ، حتى حرّفته وصناعته وآنيته وطعامه ولباسه قال :

(١) الآية ٢٢ . سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٦ . سورة آل عمران .

(٣) رواه مسلم وغيره وليس فيه والشّر ليس إليك .



أحبّ بنى العوّام طراً لـحبها      ومن أجـلها أحييت أخواها كـلّياً<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

يشـتاق واديها ولولا حبّكم      ما شـاقت وادٍ زهت أزهاره  
وقال الآخر :

فيا ساكني أكناف<sup>(٢)</sup> طيّبة كلّكم      إلى القلب من أجل الحبيب حبيب  
وفى أخبار العشاق أن عاشقاً عشق السراويلات من أجل سراويل معشوقه  
فوجد في تركته اثنا عشر حملاً وفردة من السراويلات ( ذكره البصري ) ،  
وعشق آخر الهاوونات من أجل صوت هاوون محبوبته ، فوجد في تركته عدة  
آلاف منها ، وعند الناس من هذا عجائب كثيرة . وكان أنس بن مالك رضى  
الله عنه يحبّ الدباء<sup>(٣)</sup> كثيراً لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتبعها من  
جوانب القصعة .

## فصل

ومنها : قصر الطريق حين يزوره ، ويوافي إليه كأنها تطوى له ، وطولها  
إذا انصرف عنه وإن كانت قصيرة قال :

وكنـت إذا ماجئت ليلى أزورها      أرى الأرض تطوى لى ويدنوبعيدها  
من الخفـرات البيض ودّ جليـسها      إذا ما انقضت أـحدوثه<sup>(٤)</sup> لوتعيدها

( ١ ) تقدم ذكر هذا البيت في صفحة ٢٠٧

( ٢ ) جمع كنف . الناحية ، والجانب ، والظل .

( ٣ ) الدباء : القرع .

( ٤ ) الاحدوثه : ما يتحدث به ، والجمع أحاديث .

وقال آخر :

والله ما جئكم زائراً إلا وجدت الأرض تطوى لى  
ولا انثنى عزمى عن بابكم إلا تعثرت بأذيالى  
وقال آخر :

وإذا قت عنك لم أُمس إلا مشى عان<sup>(١)</sup> يقاد نحو الفناء  
وإذا جئت كنت أسرع فى السيرة من الطير نازلاً فى الهواء  
وقال الآخر :

وتدنو الطريق إذا زرتكم وتبعد إذا أنثنى راجعا

### فصل

ومنها : انجلاء همومه وغمومه إذا زار محبوبه أو زاره، وعودها إذا فارقه  
كما قال :

يزور فتنبلى عني همومى لأن جلاء حزنى فى يديه  
ويمضى بانسرة حين يمضى لأن حوائتى فيها عليه  
ومن المعلوم أنه ليس للمحب فرحة ولا سرور ولا نعيم إلا بمحبوبه ،  
وبفارقة محبوبه عذابه الآجل والعاجل .

### فصل

ومنها : البهت<sup>(٢)</sup> والروعة التى تحصل عند مواجهة الحبيب أو عند سماع  
ذكره، ولا سيما إذا رآه فجأة أو طلع عليه بفتة كما قال الشاعر :

( ١ ) عان : أسير أو ذليل أو خاضع . وعنا له يعنوا : خضع وذل .

( ٢ ) البهت : الدهشة والحيرة .

فما هو إلا أن أراها فجأةً فأنهت حتى ما أكاد أجب  
فأرجع عن رأي الذي كان أولاً وأذكر ما أعددت حين تغيب  
وقال آخر :

فما هو إلا أن يراها فجأةً فتصطك رجلاه ويسقط للجنب  
وربما اضطرب عند سماع اسمه فجأةً كما قال :

وداعٍ دعا إذ نحن بالحنيف من مقي فهبج أشجان الفؤاد وما يدرى  
دعا باسم ليلي غيرِها فكأنما أطار بليلي طائراً كان في صدري

وقد اختلف في سبب هذه الرّوعة والفرع والاضطراب فقليل : سببه أن  
المحبوب سلطاناً على قلب محبه أعظم من سلطان الرعية ، فإذا رآه فجأةً راعه  
ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأةً ، فإن القلب معظمٌ لمحبوبه خاضعٌ له ،  
والشخص إذا فتحه المعظم عنده راعه ذلك . وقيل : سببه انفراج القلب له ،  
ومبادرته إلى تلقّيه فيهربُ الدّم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاصفرار  
والرعدة ، وربما مات . وبالجملة فهذا أمرٌ ذوقى وجدانى ، وإن لم  
يُعرف سببه .

## فصل

ومنها : غيرته لمحبوبه وعلى محبوبه ، فالغيرة له أن يكره ما يكره ، ويفار إذا  
عصى محبوبه وانتهك حثمه وضيع أمره . فهذه غيرة الحب حقاً ، والدين كلمة  
تحت هذه الغيرة .

فأقوى الناس ديناً أعظمهم غيرةً ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في  
الحديث الصحيح : « أَعْجَبُونِ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغَيْرُ  
( ١٨ م — روضة المحبين )

مِنِّي» (١) فحُبُّ الله ورسوله يغار الله ورسوله على قدر محبته وإجلاله ، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة أخلى وإن زعم أنه من المحبين ، فكذب من ادعى محبة محبوبٍ من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمة محبوبه ويسعى في أذاه ومساخطه ويستهن بمحبه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك . بل قلبه بارد ، فكيف يصح لعبدٍ أن يدعى محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت ، ولا لحقوه إذا ضيقت . وأقلّ الأقسام أن يغار له من نفسه وهواه وشيطانه ، فيغار لمحبوبه من قريظته في حقه وارتكابه لمصيبته .

وأذا ترحلت هذه الغيرة من القلب ترحلت منه المحبة ، بل ترحل منه الدين وإن بقيت فيه آثاره وهذه الغيرة هي أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي الحاملة على ذلك ، فإن خلت من القلب لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر ، فإنه إنما يأتي بذلك غيرةً منه لربه ، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى علامة محبته ومحبوبيته الجهاد فقال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٢) .

## فصل

وأما الغيرة على المحبوب فإنما تُحمد حيث يُحمد الاختصاص بالمحبوب ويُذم الاشتراك فيه شرعاً وعقلاً كغيرة الإنسان على زوجته وأُمته والشيء

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

(٢) الآية ٥٧ . سورة المائدة .

الذى يختصُّ هو به ، فيغار من تعرض غيره لذكره ومشاركته له فيه ، وهذه الغيرة تختصُّ بالخلق ولا تُتَصَوَّر في حقِّ الخالق ، بل الحبُّ لربه يحبُّ أن الناس كلهم يحبُّونه ويذكرونه ويعبدونه ويحمِّدونه ، ولا شيء أقرَّ لعينه من ذلك ، بل هو يدعو إلى ذلك بقوله وعمله .

ولما لم يميز كثيرٌ من الصوفية بين هاتين الغيرتين وقع في كلامهم تحبيطٌ قبيح . وأحسن أمره أن يكون من السعي المغفور لا المشكور . وكان بعض جهلهم إذا رأى من يذكر الله أو يحبه يغار منه وربما سكته إن أمكنه ويقول : غيرة الحبِّ تحملني على هذا ، وإنما ذلك حسدٌ وبغىٌ وعدوانٌ ونوعٌ معاداةٍ لله ، ومُراءَاةٍ لطريق رسله أخرجوها في قالب الغيرة ، وشبهوا محبة الله بمحبة الصُّور من المخلوقين .

ولا ريب أن هذه الغيرة محودة في محبة من لا تحسن مشاركة الحبِّ فيه ، وسيأتى ذلك في باب الغيرة على المحبوب .

## فصل

ومنها : بذلُ الحبِّ في رضا محبوبه ما يقدر عليه مما كان يتمتع به بدون المحبة ، والمحبة في هذا ثلاثة أحوال : أحدها بذله ذلك تكلفاً ومشقةً وهذا في أوَّل الأمر ، فإذا قويت المحبة بذله رضاً وطوعاً ، فإذا تمكَّنت من القلب غاية التمكن بذله سؤلاً وتضرعاً كأنه يأخذه من المحبوب ، حتى إنه ليبذل نفسه دون محبوبه كما كان الصحابة رضی الله عنهم يَقُون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب بنفوسهم حتى يصروا حوله :

ولى فؤادٌ إذا لجَّ<sup>(١)</sup> الغرامُ به هام اشتياقاً إلى لُقيا مُعَذِّبه

(١) لج : تهادى .

تفديك بالنفس صب<sup>(١)</sup> لو يكون له أعز من نفسه شيء فذلك به  
ومن أثر محبته بنفسه فهو له بماله أشد إيثاراً قال الله تعالى : ( النَّبِيُّ  
أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ )<sup>(٢)</sup> ولا يتم لهم مقام الإيمان حتى يكون الرسول  
أحب إليهم من أنفسهم فضلاً عن أبنائهم وآبائهم كما صح عنه صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »<sup>(٣)</sup> وقال له عمر رضى الله عنه : والله يا رسول الله لأنت أحب  
إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال : « لَا يَأْمُرُ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ  
مِنْ نَفْسِكَ » قال : فوالله لأنت الآن أحب إلي من نفسي فقال : « الآن  
يا عمر »<sup>(٤)</sup>

فإذا كان هذا شأن محبة عبده ورسوله فكيف بمحبته سبحانه ؟ وهذا النوع  
من الحب لا يمكن أن يكون إلا لله ورسوله شرعاً ولا قدراً، وإن وجد في الناس  
من يؤثر محبته بنفسه وماله فذلك في الحقيقة إنما هو لمحبة عرضه منه ، فحمله محبة  
عرضه على أن بذل فيه نفسه وماله ، وليست محبته لذلك المحبوب لذاته بل  
لعرضه منه ، وهذا المحبوب له مثل ومحبته مثل ، وأما محبة الله ليس لها مثل  
ولا للمحبوب مثل ، ولهذا حكم الصحابة رضى الله عنهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في أنفسهم وأموالهم فقالوا<sup>(٥)</sup> : هذه أموالنا بين يديك فأحكم فيها بما  
(١) العصب : العاشق المشتاق والصباية : الشوق ، وقيل رفته ، وقيل حرارته  
وقيل رقة الهوى والولع الشديد بالشيء .

(٢) الآية ٦ . سورة الأحزاب .

(٣) رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده . كما في الجامع

الصغير للسيوطي .

(٤) في صحيح البخارى ببعض اختلاف .

(٥) القائل هو سعد بن معاذ . رواه أصحاب السير في غزوة بدر مطولاً ورواه

مسلم مختصراً .

شئت ، وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحرَ لخصناه ، نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك . قال قيس بن صرمة الأنصاري :

نوى في قریشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً      يذكرُّ لو يَلقَى حبيباً مؤاتيا  
ويعرض في أهلِ المواسمِ نفسه      فلم يرَ من يؤوى ولم يرَ داعيا  
فلما أتانَا واستقرت به النوى      وأصبح مسروراً بطيبةً راضيا<sup>(١)</sup>  
بذلنا له الأموال من حلِّ مالنا      وأنفسنا عند الوغى والتأسيا<sup>(٢)</sup>  
نعدى الذى عادى من الناس كلهم      جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا  
ونعلم أن الله لاربٌ غيره      وأن رسولَ الله أصبح هاديا  
فالمحب وصفه الإيثار، والمدعى طبعه الاستئثار .

## فصل

ومنها : سروره بما يُسرُّ به محبوبه كائنًا ما كان ، وإن كرهته نفسه فيكون عنده بمنزلة الدواء الكريه ، يكرهه طبعاً ويحب له لما فيه من الشفاء . وهكذا المحب مع محبوبه ، يُسرُّ ما يرضى به محبوبه وإن كان كريهاً لنفسه . وأما من كان واقفاً مع ما تشتهيئه نفسه من مراضى محبوبه فليست محبته صادقة ،

( ١ ) هذا البيت ملفق هنا من بيتين هما :

فلما أتانَا أظهر الله دينه      فأصبح مسروراً بطيبة راضيا  
والنبي صديقاً واطمأنت به النوى      وكان له عوناً من الله باديا  
وقد وردت هذه الأبيات في سيرة ابن هشام بزيادة واختلاف  
( ٢ ) الوغى : الحرب والجلبة . وآسيته بنفسى : سويته بها .

بل هي محبة معلولة ، حتى يُسرَّ بما ساءه وسره من مراضى محبوبه ، وإذا كان هذا موجوداً في محبة الخلق بعضهم لبعض فالحبيب لذاته أولى بذلك . قال أبو الشيص :

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي      متأخراً عنه ولا مُتقدِّم  
وأهنتني فأهنت نفسيَ جاهداً      ما من يهون عليك من يُكرم  
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم      إذ كان حظي منك حظيَ منهم  
أجد الملامة في هواك لذيدةً      حباً لذكركِ فليكني اللوم  
وقريبٌ من هذا البيت الأخير قولُ الآخر :

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ      لقد سررتني أني خطرتُ بياك<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر :

صدودك عني إن صددتِ يسرتني      ولم أرَ قبلي عاشقاً سرّاً بالصد  
سررتُ به أني تيقنتُ أنما      دعاكِ إليهِ رغبةٌ منك في ودي  
ولو كنتِ فيه تزهدين لساءه<sup>(٢)</sup>      ولكنما عتبتُ المحبَّ من الوجد  
فيا فرحةً لي إذ رأيتكِ تفتني<sup>(٣)</sup>      على لذنبي ككان مني على عمد  
وقال الآخر :

أهوى هواها وطولُ البعد يعجبها      فالبعدُ قد صار لي في حبِّها أرباً  
فن رأيتُ والهسا قبلي أخا كلف      ينأى إذا حبَّته من أرضه قرُباً

(١) تقدم هذا البيت مع غيره في صفحة ٧٢ وفيه : وإن ساءني .

(٢) كذا .. ولعل الصواب : لساءني .

(٣) كذا .. ولا وجه لحذف النون



وقريبٌ من هذا قول أحمد بن الحسين<sup>(١)</sup> :

يا من يَعِزُّ علينا أن نفارَقهم وجداننا كلَّ شيء بعدكم عَدَم  
إن كان سرِّكم ما قال حاسدنا فما لجرِّح إذا أَرْضاكم أَلَم

واهتدم<sup>(٢)</sup> بعضهم هذا فقال :

يا من يَعِزُّ علينا أن نَلِمَ بهم إذ بُعدنا عنهم قد صار قصدهم  
إن كان يرضيكم هذا البعاد فما فيه لصبِّكم جَرِّحٌ ولا أَلَم

ولعمرك الله أ أكثر هذه دعاوى لاحقيقة لها، والصادقُ منهم يخبر عن علمه  
وإرادته ، لاعتن حاله وصفته . ولقد أحسن القائل<sup>(٣)</sup> :

رَضُوا بالأمانى وأَبْتَلُوا بمحظوظهم وخاضوا بحارَ الحب دعوى وما ابتلوا  
فهم في السُّرى لم يَبْرَحُوا من مكانهم

وما ظعنوا<sup>(٤)</sup> في السير عنه وقد كلُّوا

وإن كان هذا هو وصف قائلها بعينه وحاله فإنه خاض بحارَ الحب وما ابتلَ  
فيه له قدم ، وأخبر عن نفسه عند انكشاف غِطاءه وطلبِ الرسل له لقدومه على  
ربه فقال وصدق<sup>(٥)</sup> :

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لَقِيتُ فقد ضيعت أيامي  
أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ نفسى بها زمناً قال يوم أحسبها أضغاث أحلام<sup>(٦)</sup>

(١) هو أبو الطيب المتفنى .

(٢) الاهتدام : نوع من السرقات الشعرية .

(٣) هو ابن الفارض .

(٤) ظعنوا : ساروا وارتحلوا .

(٥) هو ابن الفارض .

(٦) أضغاث الأحلام : ما يدخل بمضاه في بعض وليس كالصحيحة ولا

تأويل لها لعدم تبينها . وفي سورة يوسف ( قالوا أضغاث أحلام ) .

وهذه جال كل من أحب مع الله شيئاً سواه فإنه إلى هذه الغاية يصير ولا بد ، وسيندو له إذا انكشف الغطاء أنه إنما كان مغروراً بخدوعاً بأمنية ظفرت نفسه بها مدة حياته ثم انقطعت وأعقبت الحسرة والندامة . قال الله تعالى : ( إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَتْخَعَتْ فِيهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرْيَهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَنَّاتُ النَّارِ ) (١) فالأسباب التي تقطعت بهم هي الوصل والعلاق والمودات التي كانت لغير الله وفي غير ذات الله ، وهي التي يتقدم إليها سبحانه فيجعلها هباء منثوراً ، فكل محبةٍ غيره فهي عذابٌ على صاحبها وحسرةٌ عليه إلا محبته ومحبة ما يدعو إلى محبته ، ويعين على طاعته ومرضاته ، فهذه هي التي تبقى في القلب يوم تُبلى السرائر كما قال :

سبقى لكم في مضمَر القلب والحشا سريرة حب يوم تُبلى السرائر  
وقال آخر :

إذا تصدع شمل الوصل بينهم فلمحبين شمل غير منصدع  
وإن تقطع حبل الوصل يومئذٍ فلمحبين حبل غير منقطع

## فصل

ومنها : حب الوحدة والأنس بالخلوة والتفرُّد عن الناس وكان المحبة قد ثبتت على ذلك ، فلا شيء أحلى للمحب الصادق من خلوته وتفرُّده ، فإنه إن ظفر بمحبوبه أحب خلوته به ، وكره من يدخل بينهما غاية الكراهة ،

ولهذا السرّ - والله أعلم - أمر النبي صلى الله عليه وسلم برّد المارّ بين يدي المصلي حتى أمر بقتاله، وأخبر أنه لو يدرى ما عليه من الإثم لكان وقوفه أربعين خيراً له من مروره بين يديه<sup>(١)</sup> ولا يجد ألم المرور وشدّته إلا قلب حاضر بين يدي محبوبه مقبل، وقد ارتفعت الأغيار بينه وبينه، فمرور المارّ بينه وبين ربه بمنزلة دخول البغيض بين المحبّ ومحبوبه . وهذا أمر الحاكم فيه الذوق فلا ينكره إلا من لم يدق .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : مرور المارّ بين يدي المصلي يُذهب نصف أجره . ( ذكره الإمام أحمد ) وأيضاً فإن المحبّ يستأنس بذكر محبوبه وكونه في قلبه لا يفارقه ، فهو أنيسه وجليسه لا يستأنس بسواه ، فهو مستوحش لمن يشغله عنه . وحدثني تقي الدّين بن شقير ، قال : خرج شيخ الإسلام ابن تيمية يوماً فخرجت خلفه ، فلما انتهى إلى الصحراء وانفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد سمعته يتمثل بقول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

وأخرجُ من بين البيوت لعلني أحدث عنك القلب بالسر خالياً  
خفوة المحبّ محبوبه هي غاية أمتيته ، فإن ظفّر بها وإلاّ خلا به في سرّه  
وأوحشه ذلك من الأغيار . وكان قيس بن الملوّح إذا رأى إنساناً هرب منه ، فإذا أراد أن يدنو منه ويحاده ذكر له ليل وحديثها فيأنس به ويسكن إليه . وينبغي للمحبّ أن يكون كما قال يوسف لإخوته وقد طلب منهم أخاهم : ( فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ )<sup>(٣)</sup> .

إِذَا لَمْ تَكُنْ فَيَكُنْ سَعْدَى فَلَا أَرَى لَكِنَّ وَجوهاً أَوْ أُغْيَبَ فِي لَحْدَى  
(١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي .

(٢) هو مجنون ليل كما جاء في تزيين الأسواق للأنطاكي .

(٣) الآية ٦٠ . سورة يوسف .

## فصل

ومنها: اشتكاة المحبِّ لمحبوبه وخضوعه وذله له ، والحُبُّ مَبْنِيٌّ عَلَى الذُّلِّ ،  
ولا يَأْنِفُ العَزِيزُ الَّذِي لَا يَذِلُّ لشيءٍ من ذله لمحبوبه ، ولا يَعْذُو نَقْصًا ولا عَيْبًا ،  
بل كثيرٌ منهم يَعُدُّ ذلَّهُ عِزًّا كما قال :

إذا كنتَ تهوى من تحبَّ ولم تكن      ذليلاً له فاقرا السلامَ على الوصل  
تذل لمن تهوى لتكسبَ عِزَّةً      فكم عِزَّةٌ قد نالها المرءُ بالذلِّ  
وقال الآخر :

إخضع وَذِلْ لمن تحبَّ فليس في      شرع الهوى أنْفٌ يُشَالُ وَيُعْقَدُ<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر :

ويعجبنى ذلِّي لديك ولم يكن      اِيْعُجِبْنِي لولا محبتك الذلِّ  
وقال آخر :

يَلِدُ له ذلُّ الهوى وخضوعه      ولولا الهوى مَالِدٌ للعاقل الذلِّ  
وقال الآخر :

مساكينُ أهل الحبِّ حتى قبورهم      عليها ترابُ الذلِّ دون المقابر<sup>(٢)</sup>  
ومنى استحکم الذلِّ والحبَّ صار عبوديةً ، فيصير قلب المحبِّ معبداً  
لمحبوبه ، وهذه الرتبة لا يليق أن تتعلق بمخلوقٍ ، ولا تصلح إلا لله وحده .

( ١ ) تقدم هذا البيت في صفحة ١٨٢

( ٢ )      د      د      د      د      ١٨٢

## فصل

ومنها : امتدادُ النَّفْسِ وتردُّدُ الأَنَاسِ وتصادُّها . وهذا نوعان :

أحدهما : ما يقارنه حزنٌ ولَهْفٌ<sup>(١)</sup> كما قال القائل :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَّ مِنْ نَفْسِ الْعَالِ شَقٌّ طَوْلًا قَطَعَتْهُ بَانْتِحَابِ  
وقال آخر :

تردُّدُ أَنَاسِ الْمَحَبِّ يَدُلُّنَا عَلَى كُنْهِ<sup>(٢)</sup> مَا أَخْفَاهُ مِنَ أَلَمِ الْحَبِّ  
إِذَا خَطَرَاتُ الْحَبِّ خَامَرْنَ قَلْبَهُ تَنْفَسٌ حَتَّى ظَلَّ مُتَصَدِّعَ الْقَلْبِ

والثاني : ما يكون سببه طرباً ولذّةً . وسببُ وجود النوعين انحصارُ القلبِ وافتراجُه بسبب الوارد الذي ورد عليه فأحدث للنفس الذي تروحه عليه الرّنةَ كَيْفِيَّةً مُؤْذِيَةً وطلب إخراجها فهو تنفُّسُ الصُّعْدَاءِ ، وأما تنفُّسُ الرّاحةِ فإن القلب ينسبط بعد انقباضه فيدفع الهواء المحيط به فيطلب الخروج .

## فصل

ومنها : هجرُهُ كُلِّ سَبَبٍ يُقْضِيهِ مِنْ مَحْبُوبِهِ وَيُبْغِضُهُ الْمَحْبُوبَ ، وارتياحُه لكل سببٍ يُدْنِيهِ مِنْهُ وَيُسْتَحْمَدُ بِهِ عِنْدَهُ إِذَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وفي الباب عجائب للمحبّين ، فكثيرٌ منهم هجر طعاماً أو لباساً أو أرضاً أو صناعةً أو حالةً من الحالات كان محبوبه يَمْتَنُّهَا فلم يَعدْ إليها أبداً ، ولم تطاوعه نفسه بفعله البتّة . وكثيرٌ منهم حملة الحبّ على اكتساب المعالي والفضائل وغيرها مما يعلم أن المحبوب يُعْظَمُهُ وَيُحِبُّهُ . وهذا نوعان أيضاً :

(١) الالهف : التحسر .

(٢) الكنه : جوهر الشيء وحقيقته وغايته وقدره .

أحدها : أن يكون المحبوب مؤثراً لذلك محباً له ، فالمحب يبذل جهده فيه لينال منه أعلاه إن أمكنه ، فإن كان المحبوب مشغولاً بجمع المال أثر ذلك في محبة شغفاً أشد من شغفه ، وإن كان مشغولاً بالعلم اجتهد المحب في طلبه أشد من اجتهداه ، وإن كان مشغولاً بحرفةٍ أو صناعةٍ حرص المحب على تعلمها إن وجد إلى ذلك سبيلاً ، وإن كان مشغولاً بالنوادر والحكايات الحسان والأخبار المستحسنة بالغ المحب في تحفظها ، فالمحبة النافعة أن تقع على عشق كامل يحملك عشقه على طلب الكمال ، والبلية كل البلية أن تُبتلى بمحبة فارغ بطل صفر من كل خير فيحملك حبه على الشبهة به .

والثاني : أن يكون المحبوب فارغاً من محبة ذلك وإيثاره ، ولكن المحبة تستخرج من قلب المحب عزمًا وإرادة وحرصاً على ما يعظم به في عين المحبوب وقلبه ، فتجده من أحرص الناس على ذلك بحسب استعداده كما قيل :

ويرتاح للمعروف في طلب العلى      لتُحمد يوماً عند ليلي شمائله<sup>(١)</sup>  
وهذا قد يكون له سبب آخر وهو معاداة الناس له وتنقصهم إياه وازدراؤهم به ، فيحمله الانتقاء لنفسه والغيرة لها ومحبتها على المنافسة في المعالي واكتساب الحمد ، وهذا من شرف النفس وعزتها كما قيل :

من كان يشكر للصديق فإني      أحبو بصالح شكري الأعداء  
هم صيروا طلب المعالي ديدني      حتى وطئت بنعلي الجوزاء<sup>(٢)</sup>  
ولربما انتفع الفتى بعدوه      والسم أحياناً يكون شفاء  
وقال الآخر :

عداى لهم فضل على ومينة      فلا أعدم الرحمن عني الأعداى

(١) جمع شمال : أخلاقه وطباعه .

(٢) الدين : العادة لدأب . والجوزاء : برج من أبراج السماء .

هم يَمْشُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنِبْهَا وَهم نَافِسُونِي فَاكْتَسَبْتُ الْعَالِيَا

## فصل

ومنها : الاتفاق الواقع بين المحبِّ والمحبوب ، ولا سيما إذا كانت المحبةُ  
محبةً مشاكلةً وَمُنَاسَبَةً ، فكثيراً ما يمرض المحبُّ بمرض محبوبه ويتحرك  
بحركته ولا يشعر أحدهما بالآخر ، ويتكلم المحبوب بكلامٍ فيتكلم المحبُّ به  
بعينه اتفاقاً ، فانظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله  
عنه يوم الخُدَّيَّةِ لما قال له : « أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدَوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ » قال :  
بلى ، قال : « فَعَلَامَ نُعْطَى الدِّينَةَ فِي دِينِنَا ؟ » فقال : « إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ  
نَاصِرِي وَلَسْتُ أَعْصِيهِ » فقال : ألم تكن تحدثنا أنا نأتى البيت فنطوف به ؟  
فقال : « قُلْتُ لَكَ إِنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ » قال : لا ، قال : « فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ  
بِهِ » . ثم جاء أبا بكرٍ الصديق رضى الله عنه فقال له : « يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ  
وَعَدَوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ » قال : بلى ، قال : ( فَعَلَامَ نُعْطَى الدِّينَةَ <sup>(١)</sup> ) فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ  
وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا ؟ ) فقال له : إنه رسول الله وهو ناصره وليس يعصيه ، قال :  
ألم يكن يحدثنا أنا نأتى البيت فنطوف به ؟ قال : أقال لك إنك تأتية العام ؟ قال :  
لا ، قال : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُعْطَوِّفٌ بِهِ . فأجاب على جواب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم حرفاً بحرف من غير تواطؤ ولا تشاعر ، بل موافقة محبِّ للمحبوب . هكذا  
وقع في صحيح البخارى ، ووقع في بعض المغازى أنه أتى أبا بكرٍ أولاً فقل له  
ذلك ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده فقال له مثل ما قال أبو بكر .  
قال الشَّهْزَلِيُّ : وهذا هو الأولى ويشبه أن يكون المحفوظ ، فإنه لا يُظَنُّ  
بعمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له قولاً فلا يرضى به

( ١ ) الدنية والدنى : الحقير ، الضعيف ، الساقط .

حتى يأتي أبا بكر رضى الله عنه بعد ذلك والشبهة عنده لم تزل فيعيدها عليه ، ولا يُظَنُّ ذلك بعمر رضى الله عنه . ولعمري لقد نزع أبو القاسم يذنوبٍ صحيح ، ولكن المحفوظ هو الذى وقع فى البخارى ، وعليه عامة أهل السير والمسانيد والسنن . وأما ما نسب إليه عمر رضى الله عنه فقد أُجيب عنه بأنه كان يرجو النسخ وموافقة ربه له فى ذلك كما تقدم له أمثالها ، فإنه كان يقول القول فينزل به الوحي ، والثانى أن المقام كان مقام محنةٍ وابتلاءٍ عَجَزَ عنه صبرُ أكثر الصحابة ولم يتسع له بطنهم ، وداخلهم من الهمِّ والقلق والتحرُّق على أعدائهم أمرٌ عظيم . ولهذا لما أمرهم أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا بُدِّنهم لم يقم منهم رجلٌ واحدٌ حتى دخل صلى الله عليه وسلم على أمِّ سلمة مُعَضَّبًا فقالت له : من أغضبك أغضبه الله ، فقال : « وَمَا لِي لَا أَغْضَبُ وَأَنَا أَمْرٌ بِالْأَمْرِ فَلَا أُتَّبَعُ <sup>(١)</sup> » وهذا يردُّ تأويلَ من تأوَّلَه على أن القوم كانوا محسنين فى ذلك التثبُّت ، وأنهم كانوا ينتظرون النسخ فلا لوم عليهم . وهذا خطأ قبيحٌ من هذا المعتذر ، بل كانت المبادرة إلى امتثال أوامره صلى الله عليه وسلم أولى بهم ، ولو كانوا محسنين فى التأخير لما اشتدَّ غضبه عليهم ولكان أولى منهم بانتظار النسخ ، بل هذا من سعيهم للغفور الذى غفره الله لهم بكامل إيمانهم ونصحهم لله ورسوله ، وعذَّرهم الله سبحانه لقوَّة الوارد وضعفهم عن حمله حتى لم يحمله عمر رضى الله عنه فى قوَّته وشدته ، واحتمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وكان جوابهما من مشكاة <sup>(٢)</sup> واحدة .

ولما احتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحكم العكوفى الأمري

(١) رواه بنحوه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده .

(٢) المشكاة : الكوة غير النافذة . وقيل الأنبوبة فى وسط القنديل . قال تعالى

( مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ) .



الذى حكم الله له به ورضى به وأقر به ودخل تحته طوعاً وانقياداً - وهو الفتح الذى فتح الله له - أثابه الله عليه بأربعة أشياء : مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإتمام نعمته عليه ، وهدايته صراطاً مستقيماً ، ونصر الله له نصراً عزيزاً . وبهذا يقع جواب السؤال الذى أورده بعضهم ها هنا فقال : كيف يكون حكم الله له بذلك علّة لهذه الأمور الأربعة إذ يقول الله تعالى : ( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَفْقَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ )<sup>(١)</sup> الآية ، وجوابه ما ذكرنا أن تسليمه لهذا الحكم والرضا به والانقياد له والدخول تحته أوجب له أن آتاه الله ذلك ، والمقصود إنما هو ذكر الاتفاق بين المحب والمحبوب ، وهذا الذى جرى للصادق رضى الله عنه من أحسن الموافقة ، ومن هذا موافقة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لربه تعالى فى عدة أمور قالها فنزل بها الوحي كما قال . وتقوى هذه الموافقة حتى يعلم المحب بكثير من أحوال محبوبه وهو غائب عنه ، وهذا بحسب تعلّق الهمة به وتوجّه القلب إليه واتحاد مراده بمراده ، وربما اقتضى ذلك اتفاقهما فى المرض والصحة والفرح والحزن والخلق ، فإن كان مع ذلك بينهما تشابه فى الخلق الظاهر فهو الغاية فى الاتفاق . ولنفقصر من العلامات على هذا القدر وبالله التوفيق .

## الباب الحادي والعشرون

في انقضاء المحبة أفراد الحبيب بالحب وعدم التفرُّك بينه وبين غيره فيه

هذا من موجبات المحبة الصادقة وأحكامها ، فإن قوى المحبة متى انصرفت إلى جهة لم يبقَ فيها مُتَّسِعٌ لغيرها . ومن أمثال الناس : « ليس في القلب حُبَّان ، ولا في السماء رَبَّان » ومتى تقسَّمت قوى الحب بين عدَّة محالَّ ضُعُفَتْ لِمَحَالَّة وتأمل قوله سبحانه وتعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا <sup>(١)</sup> ) كيف أمره بتقواه المتضمنة لإفراده بامثال أمره ونهيه محبةً له وخشيةً ورجاءً ، فإن التقوى لا تتم إلا بذلك ، واتباع ما أوحى إليه المتضمن لتركه ما سوى ذلك واتباع المنزل خاصة ، وبالتوكل عليه وهو يتضمن اعتماد القلب عليه وحده وثقته به وسكوته إياه دون غيره . ثم أتبع ذلك بقوله : « مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ » <sup>(٢)</sup> فأنت تجد تحت هذا اللفظ أن القلب ليس له إلا وجهٌ واحدة إذا مال بها إلى جهة لم يميل إلى غيرها ، وليس للعبد قلبان يطيع الله ويتبع أمره ويتوكل عليه بأحدهما والآخر لغيره ، بل ليس إلا قلب واحد ، فإن لم يفرِّد بالتوكل والمحبة والتقوى ربه وإلا <sup>(٣)</sup> انصرف ذلك إلى غيره ، ثم استطرد من ذلك إلى أنه سبحانه لم يجعل زوجة الرجل أمه ، واستطرد منه إلى

( ١ ) أوائل سورة الاحزاب .

( ٢ ) الآية ٤ . سورة الاحزاب .

( ٣ ) كذا . . والظاهر أنها زائدة .

أنه لم يجعل دَعِيَّه ابْنَه ؛ فانظر ما أحسنَ هذا التأصيل وهذا الاستطراد الذى تسجد له العقول والألباب ، وله نظائر فى القرآن عديدة ، فمنها قوله : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً فَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) <sup>(١)</sup> فالنفسُ الواحدةُ وزوجها آدمُ وحواءُ ، واللذان جعلاه شُرَكَاءَ فيما آتاهما المشركون من أولادهما ، ولا يُلْتَفَتُ إلى غير ذلك مما قيل إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولدٌ فأَتَاهُمَا إبليس فقال : إن أحببنا أن يعيش لكما ولدٌ فسمياه عبد الحارث ففعلا ، فإن الله سبحانه اجتباه وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك . ونظيرُ هذا الاستطراد قوله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَاجِّ) <sup>(٢)</sup> ثم قال : «وَلَيْسَ الْأَبْرُ بَأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» <sup>(٣)</sup> فإنهم كانوا يفعلون ذلك فى الإحرام ، فلما ذكر لهم وقت الإحرام الذى هو من فوائد الأهِلَّةِ استطرد منه إلى ذكر ما يفعلونه فيه ، وهو كثيرٌ جداً .

والمقصودُ أن المحبة تستلزم توحيد المحبوب فيها ، وقد بالغ أبو محمد بن حزم فى إنكاره على من يزعم أنه يعشق أكثرَ من واحدٍ وقال فى ذلك شعراً ، ونحن نذكر كلامه وشعره ، قال بعد كلامٍ طويل : ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين ، وإنما هذا من جهة الشهوة التى ذكرنا آنفاً ، وهى على المجاز تسمى محبة لا على التحقيق ؛ وأما نفس المحب

(١) الآيتان ١٨٨ و ١٨٩ . سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٨٩ . سورة البقرة .

فما في الميل به فضل<sup>١</sup> يصرفه من أسباب دينه ودنياه ، فكيف بالاشتغال بحب  
ثاني، وفي ذلك أقول :

كُذِبَ المدعى هوى اثنين حتماً مثل ماني الأصول أ كُذِبَ ماني<sup>(١)</sup>  
ليس في القلب موضعٌ لحبيبين ولا أحدث الأمور اثنين  
فكما العقل واحد ليس يدرى خالقاً غير واحدٍ رحمان  
فكذا القلب واحد ليس يقوى<sup>(٢)</sup> غير فردٍ مُباعدٍ أو مُدان  
هر في شريعة المودة ذو شك بعيد من محبة الإيمان  
وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان  
وقد اختلف الناس في هذه المسألة فقالت طائفة : ليس للقلب إلا وجهة  
واحدة إذا توجه إليها لم يمكنه التوجه إلى غيرها ، قالوا : وكما أنه لا يجمع فيه  
إرادتان معاً فلا يكون فيه حُبَّان ، وكان الشيخ إبراهيم الرقي رحمه الله يميل إلى  
هذا . وقالت طائفة<sup>٣</sup> : بل يمكن أن يكون له وجهتان فأكثر باعتبارين ، فيتوجه  
إلى أحدهما<sup>(٤)</sup> ولا يشغله عن توجهه إلى الآخر ، قالوا : والقلب حَمَلٌ فما حماته  
تحمل ، فإذا حملته الأمثال حملها ، وإن استعجزته عجز عن حمل غير ما هو فيه ،  
فالقلب الواسع يجمع فيه التوجه إلى الله سبحانه وإلى أمره وإلى مصالح عباده ،

---

(١) ماني : صاحب مذهب المانوية ، ولد في بابل عام ٢١٥ وهو من القائلين  
بالتناسخ ويقدم الظلمة والنور وأزليتهما . ويزعم أن الليل يخلق الشر والنهار  
يخلق الخير . وفي دينه من الضلالات والخزعبلات ما يفوق الأساطير . ومن  
أغرب ما يدعو إليه تحريم الزواج وإباحة اللواط كما يحرم ذبح الحيوانات ويحظر  
أكلها ميتة ١١

(٢) كذا .. ولعل الصواب يهوى كما يدل عليه البيت الأول .

(٣) كذا .. بالتذكير بعد قوله وجهتان . ولعل الصواب هو التأنيث ،

ولا يَشْفُهُ واحدٌ من ذلك عن الآخر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه متوجهٌ في الصلاة إلى ربه وإلى مراعاة أحوال مَنْ يصلي خلفه ، وكان يسمع بكاء الصبي فيخفف الصلاة خشية أن يَشُقَّ عَلَى أمه <sup>(١)</sup> أفلا ترى قلبه الواسع الكريم كيف اتسع للأميرين؟ ولا يُظَنُّ أن هذا من خصائص النبوة ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يجهز جيشه وهو في الصلاة ، فيتسع قلبه للصلاة والجهاد في آن واحد ، وهذا بحسب سعة القلب وضيقه وقوته وضعفه . قالوا : وكال عبودية أن يتسع قلب العبد لشهود معبوده ومراعاة آداب عبوديته ، فلا يَشْفُهُ أحد الأمرين عن الآخر ، وهذا موجود في الشاهد ، فإن الرجل إذا عمل عملاً للسلطان مثلاً بين يديه وهو ناظر إليه يشاهده ، فإن قلبه يتسع لمراعاته وإتقانه ، وشهود إقبال السلطان عليه ورؤيته له ، بل هذا شأن كل محبٍّ يعمل لمحبوبه عملاً بين يديه أو في غيبته ، قالوا : وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى يوم موت ابنه إبراهيم فكان بكاؤه رحمةً له ، فاتسع قلبه لرحمة الولد وللرضا بقضاء الله ، ولم يَشْفُهُ أحدهما عن الآخر ، لكن النُضْيل لم يتسع قلبه يوم موت ابنه لذلك فجعل يَضَعُكَ ، فقيل له : أتضحك وقد مات ابنك ؟ فقال إن الله سبحانه قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه . ومعلوم أن بين هذه الحال وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذٍ تفاوتٌ لا يعلمه إلا الله . ولكن لم يتسع قلبه لما اتسع له قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونظيرُ هذا اتساع قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لغناء الجَوَيزِيتين الأَتَينِ كانتا تغنيان عند عائشة رضى الله عنها فلم يَشْفُهُ ذلك عن ربه ، ورأى فيه من مصلحة إرضاء النفوس الضعيفة بما يستخرج منها من محبة الله ورسوله ودينه ، فإن النفوس متى نالت شيئاً من حظها طوَّعت ببذل ما عليها من الحق ، ولم يتسع

( ١ ) هو في البخارى ومسلم وأترمذى والنسائى . كما جاء في تيسير الوصول .

قلب عمر لذلك لما دخل فأنكره ، وكم بين من ترد عليه الواردات فكل منها يثيرهته ويحرك قلبه إلى الله كما قال القائل :

يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ <sup>(١)</sup>  
 فمن يرد عليه من الواردات فيشغله عن الله ويقطعه عن سير قلبه إليه . فالقلب  
 الواسع يسير بالخلق إلى الله ما أمكنه ، فلا يهرُب منهم ولا يلحق بالفقر <sup>(٢)</sup>  
 والجبال والخلوات ، بل لو نزل به من نزل سار به إلى الله ، فإن لم يسر معه سار  
 هو وتركه ، ولا يُنكر هذا فالمحبة الصحيحة تقتضيه ، وخذ هذا في المغنى إذا  
 طرب ، فلو نزل به من نزل أطربهم كأنهم ، فإن لم يطربوا معه لم يدع طربه لغلظ  
 أكبادهم وكثافة طبهم . وكان شيخنا يميل إلى هذا القول وهو كما ترى قوته  
 وحبته .

والتحقيق أن المحبوب لذاته لا يمكن أن يكون إلا واحداً ، ومستحيل أن  
 يوجد في القلب محبوبان لذاتهما ، كما يستحيل أن يكون في الخارج ذاتان قائمتان  
 بأنفسهما كل ذات منهما مستغنية عن الأخرى من جميع الوجوه ، وكما يستحيل  
 أن يكون للعالم ربان متكافئان مستقلان ، فليس الذي يُحبُّ لذاته إلا الإله  
 الحق الغنى بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير بذاته إليه . وأما ما يُحبُّ  
 لأجله سبحانه فيتعدّد . ولا تكون محبة العبد له شاغلة له عن محبة ربه ولا يشرکه  
 معه في الحب ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب زوجاته وأحبهن  
 إليه عائشة رضي الله عنها ، وكان يحب أباهما ويحب عمر رضي الله عنهم ، وكان  
 يحب أصحابه وهم مراتب في حبه لهم ، ومع هذا فحبه كله لله وقوى حبه جميعها  
 منصرفة إليه سبحانه .

( ١ ) تقدم هذا البيت في الصفحة ٢٦٤ .

( ٢ ) جمع قفرة : مفازة لانبات فيها ولا ماء . وأفقرت الدار : خلت ،

فإن المحبة ثلاثة أقسام : محبة الله ، والمحبة له وفيه ، والمحبة معه . فالمحبة له وفيه من تمام محبته وموجباتها لا من قواطعها ، فإن محبة الحبيب تقتضى محبة ما يحبُّ ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه ، وكيف لا يحبُّ المؤمن ما يستعين به على مرضاة ربه، ويتوصل به إلى حبه وقربه؟ وأما المحبة مع الله فهي المحبة الشريكية ، وهي كمحبة أهل الأنداد لأندادهم كما قال تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ )<sup>(١)</sup> وأصلُ الشُّركِ الذى لا يغفره الله هو الشُّركُ فى هذه المحبة ، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الربَّ سبحانه فى خلق السموات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها وعادوا عليها وتألهوها وقالوا : هذه آلهة صغارٌ تقربنا إلى الإله الأعظم . ففرقٌ بين محبة الله أصلاً والمحبة له تبعاً والمحبة معه شركاً . وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشُّرك .

وَمُحْكِي أَنْ الْفُضَيْلَ دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فِي مَرْضَاهَا فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبْتَ هَلْ تَحْبُنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ أَظُنُّ فِيكَ هَذَا ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّكَ تَحِبُّ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ، وَلَكِنْ أَفْرَدَ اللَّهُ بِالْمَحَبَّةِ وَاجْعَلْ لِي مِنْكَ الرَّحْمَةَ أَىْ يَكُونُ حُبُّكَ لِي حُبًّا رَحِمَ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ لَا مَحَبَّةَ مَعَ اللَّهِ . فَلَهُ حَقٌّ مِنَ الْمَحَبَّةِ لَا يَشْرُكَ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ وَضْعُ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَالتَّشْرِيكُ بَيْنَ اللَّهِ وَغَيْرِهِ فِيهَا . فَلْيَتَدَبَّرْ اللَّيْبُ هَذَا الْبَابَ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ أَبْوَابِ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## الباب الثاني والعشرون

### في غيرة المحبين على أحبائهم

لما كان هذا الباب متصلاً بإفراد المحبوب بالمحبة ومن موجباته فإن الغيرة بحسب قوة المحبة، وقوتها بحسب إفراد المحبوب حسن ذكره بعده .

وأصل الغيرة الحمية والألفة<sup>(١)</sup>، والغيرة نوعان : غيرة للمحسوب ، وغيرة عليه . فأما الغيرة له فهي الحمية له والغضب له إذا استهين بحقه وانتقصت حرمة وناله مكروه من عدوه ، فيغضب له المحب ويحمي وتأخذ الغيرة له بالمبادرة إلى التغيير ومحاربة من آذاه ، فهذه غيرة المحبين حقاً ، وهي من غيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشرك به واستحل محارمه وعصى أمره .

وهذه الغيرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه حتى يزول ما يكرهه ، فهو يغار لمحبوبه أن تكون فيه صفة يكرهها محبوبه ويمقتها عليها أو يفعل ما يغيضه عليه ، ثم يغار له بعد ذلك أن يكون في غيره صفة يكرهها ويغضها ، والدين كله في هذه الغيرة بل هي الدين ، وما جاهد مؤمن نفسه وعدوه ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا بهذه الغيرة ، ومتى خلت من القلب خلا من الدين ، فال مؤمن يغار لربه من نفسه ومن غيره إذا لم يكن له كما يحب ، والغيرة تصفى القلب وتخرج خبثه كما يخرج الكير<sup>(٢)</sup> خبث الحديد .

---

(١) الألفة : الاستنكاف .

(٢) الكير : منفع الحديد يكون من جلد غليظ وله حافات . وخبث الحديد نفايته أو ما نفاه الكير .



## فصل

وأما الغيرة على المحبوب فهي أنفة المحب وحميته أن يشاركه في محبوه غيره وهذه أيضاً نوعان : غيرة المحب أن يشاركه غيره في محبوه ، وغيرة المحبوب على محبه أن يحب معه غيره ، والغيرة من صفات الرب جلّ جلاله ، والأصل فيها قوله تعالى . ( قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) (١) .

ومن غيرة تعالى لعبده وعليه يحميه مما يضُرُّه في آخرته كما في الترمذى وغيره مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يُحِبُّ أَحَدَكُمْ مَرِيضَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ » وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الكسوف : « وَاللَّهِ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدُهُ أَوْ تَرَى أُمَّتُهُ » . وفي ذكر هذا الذنب بخصوصه في خطبة الكسوف سرٌّ بدیع قد نهىنا عليه في باب غَضُّ البصر وأنه يورث نوراً في القلب . ولهذا جمع الله سبحانه وتعالى بين الأمر به وبين ذكر آية النور ، فجمع الله سبحانه بين نور القلب بغض البصر وبين نوره الذي مثله بالمشكاة لتعلق أحدها بالآخر . فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين ظلمة القلب بالزُّنا وبين ظلمة الوجود بكسوف الشمس ، وذكر أحدهما مع الآخر ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ شَيْءٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ لِلدُّخُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَتْنَى عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرَّسُلَ » .

وروى الثوري عن حماد بن إبراهيم عن عبد الله قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَغَارُ لِلْمُسْلِمِ فَلْيَغْرِ » <sup>(١)</sup> . وروى أيضاً عن عبد الأعلى ، عن ابن عيينة <sup>(٢)</sup> ، عن أمه ، عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغَارُ فَلْيَغْرِ أَحَدُكُمْ » ، وفى الصحيح عنه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغَيْرُهُ اللَّهُ إِنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ » <sup>(٣)</sup> ، وروى القعنبي عن الدراوردي ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرَةً » <sup>(٤)</sup> .

## فصل

وغيره العبد على محبوبه نوعان : غيرة ممدوحة يحبها الله ، وغيره مذمومة يكرها الله ، فالتى يحبها الله أن يغار عند قيام الرية ، والتى يكرها أن يغار من غير رية بل من مجرد سوء الظن . وهذه الغيرة تفسد المحبة وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه . وفى المسند وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال : (الْغَيْرَةُ غَيْرَتَانِ : فَغَيْرَةُ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَأُخْرَى يَكْرَهُهَا اللَّهُ ، قُلْنَا : يَارَسُولَ اللَّهِ مَا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْتِيَ مَعَاصِيَهُ أَوْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُهُ ، قُلْنَا : فَالْغَيْرَةُ الَّتِي يَكْرَهُ اللَّهُ ؟

(١) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن مسعود مرفوعاً وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) هكذا . . وفى شرح الجامع الصغير للناوى : قال الهيثمى : فيه عبد الأعلى بن عامر الثعلبى وهو ضعيف . . . قال ابن القطان : والحديث لا يصح فإن فيه ابا عبيدة عن أمه زوج عبد الله بن مسعود ولا يعرف لهما حال . وإذن فإن عينة هنا مصحفة عن « أبى عبيدة » .

(٣) رواه الشيخان وأحمد والترمذى كما قال السيوطى .

(٤) رواية مسلم : « والله أشد غيراً » .

قال : غَيْرَةُ أَحَدِكُمْ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ الْغَيْرَةُ فِي الرِّيَّةِ ، وَالْغَيْرَةُ الَّتِي يَكْرَهُهَا اللَّهُ الْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ <sup>(١)</sup> » . وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنِّي » <sup>(٢)</sup> . وقال عبد الله بن شداد : الغيرة غيرتان : غيرةٌ يصلح بها الرجل أهله ، وَغَيْرَةٌ تَدْخُلُهُ النَّارُ . وروى عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن شماس المَهْزِي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على مارية القبطية وهي حاملٌ بإبراهيم وعندها نسيبٌ لها قدم معها من مصر فأسلم ، وكان كثيراً ما يدخل على أم إبراهيم وأنه جَبَّ نَفْسَهُ فَقَطَعَ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَرِيبَهَا فَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَمَا يَقَعُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، فَخَرَجَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ، فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ، فَأَخْبَرَهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَرِيبِ مَارِيَةَ ، فَضَى بِسَيْفِهِ فَأَقْبَلَ يَسْعَى حَتَّى دَخَلَ عَلَى مَارِيَةَ فَوَجَدَهَا قَرِيبَهَا ذَلِكَ ، فَأَهْوَى بِالسَّيْفِ لِيَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُ كَشَفَ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : إِنْ جَبْرِيلُ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَرَّأَهَا وَقَرَّبَهَا مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِي ، وَبَشَّرَنِي أَنَّ فِي بَطْنِهَا غُلَامًا وَأَنَّهُ أَشْبَهُ الْخَلْقَ بِي وَأَمَرَنِي أَنْ أُسَمِّيَهُ إِبْرَاهِيمَ <sup>(٣)</sup> .

---

(١) رواه ابن ماجه بنحوه . (٢) رواه الشيخان وغيرهما .  
 (٣) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر والطبراني في المعجم الكبير وغيرهما . كما قاله ابن حجر في الإصابة .

وقال الواقدي عن محمد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : كانت سارة عند إبراهيم صلى الله عليه وسلم ففكرت . . . هـ  
لا تزق منه ولداً ، فلما رأت ذلك وهبت له هاجر أمها ، فولدت لإبراهيم ، ففارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها وعبت على هاجر ، فخلعت أن تقطع منها ثلاثة أعضاء ، فقال لها إبراهيم : هل لك أن تبري يمينك ؟ قالت : كيف أصنع ؟ قال : اتقي أذنيها واخفضيها ، والخفص هو الختان ، ففعلت ذلك بها فوضعت هاجر في أذنيها قرطين فازدادت بهما حسناً ، فقالت سارة : إنما زدتها جالاً ، فلم تقاره<sup>(١)</sup> على كونها معه ، ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً فقلها إلى مكة ، فكان يزورها كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها وقلة صبره عنها .

وفي الصحيح من حديث حميد ، عن أنس رضي الله عنه قال : أهدى بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم له قصعة فيها ثريد وهو في بيت بعض نسائه ، فضربت يد الخادم فانكسرت القصعة ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ الثريد ويردّه في القصعة ويقول : ركلوا غارت أمكم ، ثم انتظر حتى جاءت قصعة صحيحة فأعطاها التي كسرت قصعتها<sup>(٢)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها : ما غرت على امرأة قط ما غرت على خديجة من كثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، ولقد ذكرها يوماً فقلت : ما صنع بعجوز حمراء الشدين قد أبدلك الله خيراً منها ؟ فقال : « والله ما أبدلني الله خيراً منها »<sup>(٣)</sup> . فانظر هذه الغيرة

- 
- (١) لم تقاره : لم توافقه على بقائها معه . وقاره مقارة أى قر معه وسكن .  
(٢) رواه البخارى والترمذى وأحمد ، ولابى داود والنسائى نحوه . كما جاء في فتح البارى .  
(٢) رواه البخارى مختصراً وأحمد والطبرانى كما أشار إليه ابن حجر في الفتح

الشديدة على امرأة بعد ما ماتت . وذلك انطرح محبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تغار عليه أن يذكر غيرها ، وكذلك غيرها من صفية رضى الله عنهما ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم بها المدينة وجد أئمة نفسه زوجة وعرس<sup>(١)</sup> بها في الطريق ، قالت عائشة رضى الله عنها : تنكرت وخرجت أنظر فعرقتى فأقبل إلى فأنقلبت وأسرع المشى فأدركنى فاحتضننى وقال « كيف رأيتهما ؟ » قلت : يهودية بين يهوديات - تعنى السبي -<sup>(٢)</sup> .

وفى المسند من حديث الأشعث بن قيس قال : تضيفت بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إلى امرأته فضر بها ، قال : فخرجت بينهما فرجع إلى فراشه فقال : يا أشعث احفظ عني شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَسْأَلَنَّ رَجُلًا فِيمَ يَضْرِبُ امْرَأَتَهُ » . وذكر حماد بن زيد عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة أن ابن عمر رضى الله عنهما سمع امرأته تكلم رجلاً من وراء جدار ، بينها وبينه قرابة لا يعلمها ابن عمر ، فجمع لها جراند<sup>(٣)</sup> ثم ضربها حتى أضربت حسيساً<sup>(٤)</sup> . وذكر الخرائطى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه كان يأكل تفاحاً ومعه امرأته فدخل عليه غلام له فناوته تفاحاً قد أكلت منها فأوجعها معاذ ضرباً . ودخل يوماً على امرأته وهى تطالع فى خباء أديم فضر بها . وذكر الثورى عن أشعث عن الحسن أن امرأة جاءت تشكو زوجها إلى النبي صلى الله

---

( ١ ) يقال عرس : إذا نزل المسافر ليستريح ثم يرتحل . أما عرس بامرأته على معنى الدخول بها فقالوا هو خطأ . والصحيح : أعرس بامرأته : دخل بها .  
( ٢ ) ذكره بنحوه المحب الطبرى فى مناقب أمهات المؤمنين وقال : أخرجه ابن ماجه والحافظ الدمشقى فى المرافقات .

( ٣ ) الجراند جمع جريدة : قضبان التخل يجردها الخوص . والحسيس : الصوت الخفى ومنه قوله تعالى ( لا يسمعون حسيسها ) .

( ٤ ) أضب الشئ : أخفاه .

عليه وسلم لطمها ، فدعا الرجلَ لِيَأْخُذَ حَقَّهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ( الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ )<sup>(١)</sup> فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَرَدْنَا أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا»<sup>(٢)</sup> وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه شديد الغيرة وكانت امرأته تخرج فتشهد الصلاة فيسكروه ذلك فتقول : إن نهيتني اتهمت ، فيسكت امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup> وهو الذى أشار على النبی صلى الله عليه وسلم أَنْ يَحْجُبَ نِسَاءَهُ ، وكان عادة العرب أن المرأة لا تحتجب لنزاهتهم ونزاهة نساءهم ، ثم قام الإسلام على ذلك ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو حجبت نساءك فإنه يدخل عليهن البرُّ والفاجر ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيةَ الْحِجَابِ<sup>(٤)</sup> وَرَفَعَ إِلَى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلٌ قد قتل امرأته ومعها رجلٌ آخر ، فقال أولياء المرأة : هذا قتل صاحبتنا ، وقال أولياء الرجل : إنه قد قتل صاحبنا ، فقال عمر رضى الله عنه : ما يقول هؤلاء ؟ قال : ضرب الآخر فَنَحَذَى امرأته بالسيف فإن كان بينهما أحدٌ فقد قتلته ، فقال لهم عمر : ما يقول ؟ فقالوا : ضرب بسيفه فقطع فَنَحَذَى المرأة فأصاب وسط الرجل فقطعه باثنتين ، فقال عمر رضى الله عنه : إن عادوا فَعَدُّ . ذكره سعيد بن منصور فى سننه . وأخذ بهذا جماعة من الفقهاء منهم الإمام أحمد وأصحابه رحمهم الله تعالى ، قالوا لو وجد رجلا يزنى بامرأته

( ١ ) الآية ٣٤ . سورة النساء .

( ٢ ) فى الإصابة لابن حجر : ذكر القصة مقاتل وعبد بن حميد والطبرى وغيرهم . وقال الشهاب الخفاجى فى حاشيته على البيضاوى : رواها أبو داود .

( ٣ ) رواه الشيخان وأحمد فى مسنده .

( ٤ ) رواه الشيخان ، وزاد فى الرياض النضرة أباحاتم . كما جاء فى تيسير

الوصول .

فقتلها فلا قصاص عليه ولا ضمان ، إلا أن تكون المرأة مُكْرَهَةً فعليه القصاص بقتلها ، ولكن لا يُقبل قولُ الزوج إلا بتصديق الوليِّ أو بَيِّنَةٍ ، واختلفت الرواية عن الإمام أحمد في عدد البينة فُرُوِيَ عنه أنها رجلان ، ويروى عنه لا بد من أربعة ، ووجه هذه الرواية ظاهر حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه قال : يارسول الله ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي أَهْمَلَهُ حَتَّى آتَى بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَعَمْ » فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ كُنْتُ لِأَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ <sup>(١)</sup> فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا تَعَجَّبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لِأَنَّا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي » <sup>(٢)</sup> .

وذكر سعيد بن منصور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن رجل دخل بيته فإذا مع امرأته رجلٌ فقتلها وقتله ، فقال علي رضي الله عنه : إِنْ جَاءَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ وَإِلَّا دُفِعَ بِرُمَّتِهِ <sup>(٣)</sup> . ووجهُ رواية الاكتفاء باثنين أن البينة ليست على إقامة الحد ، ولكن على وجوب <sup>(٤)</sup> السبب المانع من القصاص ، فإن الزوج كان له أن يقتل المتعدّي على أهله ، ولكن لما أنكر أولياء القتل طَوْلِبَ الْقَاتِلُ بِالْبَيِّنَةِ فَاكْتَفَى بِرَجُلَيْنِ . وَرُفِعَ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلٌ قَدْ قَتَلَ يَهُودِيًّا فَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَقَالَ : إِنْ فَلَانًا خَرَجَ غَازِيًّا وَأَوْصَانِي بِامْرَأَتِهِ ، فَبَلَغَنِي أَنَّ يَهُودِيًّا يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا فَكُنْتُ لَهُ حَتَّى جَاءَ ، فَجَلَّ يَنْشُدُ وَيَقُولُ :

( ١ ) يقال . صَفَحَ فَلَانًا بِالسَّيْفِ : ضَرَبَهُ بِمَرْضَاهُ لِإِبْحَادِهِ .

( ٢ ) تقدم ذكر هذا الحديث في صفحتي ٢٧٤ ، ٢٩٧ .

( ٣ ) في لسان العرب لابن منظور : الرمة : قطعة جبل يشد بها الأسير أو

الغافل إذا قيد إلى القتل ، وقول على يدل على هذا .

( ٤ ) كذا . ولعل الصواب : وجود .

وأبيض غرة الإسلام مِنِّي خَلَوْتُ بِعِرْسِهِ لَيْلُ التَّمَامِ <sup>(١)</sup>  
أَبَيْتُ عَلَى تَرَانِهَا وَيَمْسَى عَلَى جَرْدَاءٍ لَاحِقَةِ الْحِزَامِ  
كَأَنَّ مَوَاضِعَ الرِّبَلَاتِ مِنْهَا فِتْنَامٌ يَنْهَضُونَ إِلَى فِتْنَامِ <sup>(٢)</sup>

فَقُتِلَ إِلَيْهِ فَقَتَلْتَهُ ، فَأَهْدَرَ حُمْرَ دَمِهِ <sup>(٣)</sup> وَلَيْسَ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مَطَالِبَةٌ عُمَرَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْقَاتِلَ بِالْبَيِّنَةِ إِذْ لَعَلَّهُ تَيَقَّنَ ذَلِكَ أَوْ أَقْرَبَ بِهِ الْوَلَى ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ  
مَتَى قَامَ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الْكَذِبَ أَغْنَتْ عَنِ الْبَيِّنَةِ . وَذَكَرَ  
سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَجُلًا  
أَضَافَ إِنْسَانًا مِنْ هُذَيْلٍ فَذَهَبَتْ جَارِيَةٌ لَهُمْ تَحْتَطِبُ فَأَرَادَهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَرَمَتْهُ  
بِفِئْرٍ <sup>(٤)</sup> فَقَتَلَتْهُ ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : ذَاكَ قَتِيلٌ  
اللَّهُ لَا يُودِي <sup>(٥)</sup> أَبَدًا . وَذَكَرَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا السَّيَّارَةِ  
أَوَّلَعَ بِامْرَأَةٍ أُمِّي جُنْدَبٍ يَرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَقَالَتْ : لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ أَبَا جُنْدَبٍ إِنْ  
يَعْلَمُ بِهَذَا يَقْتُلُكَ ، فَأَبَى أَنْ يَنْزِعَ <sup>(٦)</sup> فَكَلَّمْتُ أَخَا أَبَا جُنْدَبٍ فَسَكَّامَةً فَأَبَى أَنْ  
يَنْزِعَ ، فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا جُنْدَبٍ ، فَقَالَ أَبُو جُنْدَبٍ : إِنِّي نَخِرُ الْقَوْمَ أَنِّي أَذْهَبُ  
إِلَى الْإِبِلِ ، فَإِذَا أَظْلَمْتُ جِئْتُ فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ فَإِنْ جَاءَكَ فَأَدْخِلْنِي عَلَى ، فَوَدَّعَ  
أَبُو جُنْدَبٍ الْقَوْمَ وَأَخْبَرَهُمْ : أَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْإِبِلِ ، فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ جَاءَ فَسَكَّنَ فِي

( ١ ) العرس امرأة الرجل . والجمع أعراس ، وربما سمي الرجل والآنثى عرسين  
وليل التمام : أطول ليلة في السنة .

( ٢ ) الربلات : جمع ربله وهي باطن الفخذ . والفتام : وطاء يفرس في الهودج  
ونحوه .

( ٣ ) أهدر دمه : أباح قتله .

( ٤ ) الفير : الحجر ملء الكف ، وقيل : الحجر عامة .

( ٥ ) لا يودي : أي ليس له دية .

( ٦ ) نزع عن الأمر : ترك وانتهى .



البيت . وجاء أبو السَّيَّارة وهي تطحن في ظلها ، مرادها عن نفسها فقالت :  
وَيْحَكَ ! أَرَأَيْتَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ هَلْ دَعَوْتُكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ قَطْ ؟  
قال : لا ولكن لا أصبر عنك ، قالت : أدخل البيت حتى أتهميَّ لك ، فلما دخل  
البيت أغلق أبو جُنْدُب الباب ثم أخذه فدفقه من عنقه إلى بَحْرِ<sup>(١)</sup> ذَنْبِهِ ،  
فذهبت المرأة إلى أخى أبي جُنْدُب فقالت : أدرك الرجلَ فَإِنْ أَبَا جُنْدُب قَاتِلُهُ ،  
فجعل أخوه يناشده فتركه ، وحمله أبو جُنْدُب إلى مدرجة الإبل فألقاه . فكان  
إذ مرَّ به إنسان قال له : ما شأنك ؟ فيقول : وقعت من بَكْرٍ<sup>(٢)</sup> فخطمى ،  
وبلغ الخبرُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي جُنْدُبٍ فَأَخْبَرَهُ بِالْأَمْرِ عَلَى  
وجهه ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْمَرْأَةِ فَمَدَّقُوهُ ، فجلد عمر أبا السَّيَّارة مائة جلدة  
وأبطل دِيْنَتَهُ .

وذكر العباس بن هشام الكلبي عن أبيه أن عمرو بن حَمَمَةَ الدَّوْمِيَّ أَنَّى  
مكة حاجاً ، وكان من أجل العرب ، فنظرت إليه امرأةٌ فقالت : لا أدري وجهه  
أحسن أم فسه ، وكانت له جُمَّةٌ<sup>(٣)</sup> تسمى الزينة ، فكان إذا جلس مع أصحابه  
نشرها ، وإذا قام عَقَصَهَا<sup>(٤)</sup> ، فقالت له المرأة : أين منزلك ؟ قال : نجد ، قالت :  
ما أنت بنجدى ولا تهاجى فاصدقنى ، فقال : رجلٌ من أهل السَّراة فيما بين مكة  
واليمن ، ثم أشار إليها ارتد في خلفي ففعلت ، فمضى بها إلى السَّراة وتبعها زوجها  
فلم يلحقها فرجع ، فلما استقرت عنده قطع عروقها وقال : والله لا تتبعين بعدى رجلاً  
أبداً ، ثم ردها إلى زوجها على تلك الحال .

---

( ١ ) العجب : مؤخر كل شيء . وأصل الذنب ، وعجب الذنب جزء في أصل  
الذنب عند رأس المصمصة .

( ٢ ) البكر : الفتى من الإبل ، والاثني بكرة ، والجمع أبكر وبكران .

( ٣ ) الجملة : مجتمع شعر الرأس .

( ٤ ) عقص الشعر : ضفره وليته على الرأس .

## فصل

والله سبحانه وتعالى يغار على قلب عبده أن يكون مُعْطَلًا من حبه وخوفه ورجائه وأن يكون فيه غيره . فالله سبحانه وتعالى خلقه لنفسه واختاره من بين خلقه ، كما في الأثر الإلهي : ابن آدم خلقتك لنفسى و خلقت كل شيء لك ، فبحقّى عليك لا تشتغل بما خلقته لك عن ما خلقتك له . وفي أثر آخر : خلقتك لنفسى فلا تلعب ، وتكفّلت لك برزقك فلا تتعب . يا ابن آدم اطلبنى تجدنى ، فإن وجدتنى وجدت كل شيء ، وإن فُتُتْكَ فاتك كل شيء ، وأنا خير لك من كل شيء ، ويغار على لسانه أن يتعطل من ذكره ويشتغل بذكر غيره ، ويغار على جوارحه أن تتعطل من طاعته وتشتغل بمعصيته ، فيقبح بالعبء أن يغار مولاه الحق على قلبه ولسانه وجوارحه وهو لا يغار عليها .

وإذا أراد الله بعبده خيراً سلط على قلبه إذا أعرض عنه واشتغل بحب غيره أنواع العذاب حتى يرجع قلبه إليه ، وإذا اشتغلت جوارحه بغير طاعته ابتلاها بأنواع البلاء . وهذا من غيرته سبحانه وتعالى على عبده ، وكأ أنه سبحانه وتعالى يغار على عبده المؤمن فهو يغار له ولحرمة ، فلا يمكن الفساد أن يتوصل إلى حرمة غيره منه لعبده ، فإنه سبحانه وتعالى يدفع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن قلوبهم ، وجوارحهم ، وأهلهم ، وحریمهم ، وأمواهم ، يتولى سبحانه الدفع عن ذلك كله غيرته منه لهم كما غاروا لمخارمه من قومهم ومن غيرهم . والله تعالى يغار على إيمانه وعبده من المفسدين شرعاً وقدرًا ، ومن أجل ذلك حرّم الفواحش وشرع عليها أعظم العقوبات وأشنع القتل لشدّة غيرته على إيمانه وعبده ، فإن عطلت هذه العقوبات شرعاً أجزاها سبحانه قدرًا .

## فصل

ومن غَيْرَ تَه سبْحانه وتعالى غَيْرَ تَه عَلَى توحيدِه ودينِه وكلامِه أن يحظى به من ليس من أهله ، بل حال بينهم وبينه غيرة عليه ، قال الله تعالى : ( وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا )<sup>(١)</sup> ولذلك ثَبَطَ سبْحانه أعداءه عن متابعة رسوله واللاحاق به غَيْرَةً كما قال الله تعالى : ( وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ . لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ )<sup>(٢)</sup> فغار سبْحانه عَلَى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أن يخرج بينهم المنافقون فيسعوا بينهم بالفتنة فثبَّطهم وأقعدهم عنهم . وسمع الشبلى رحمه الله تعالى قارئاً يقرأ : ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا )<sup>(٣)</sup> فقال : أتدرون ما هذا الحجاب ؟ هذا حجاب الغيرة ولا أحدٌ أغير من الله ، يعنى أنه سبْحانه وتعالى لم يجعل الكفَّار أهلاً لمعرفة . وهاهنا نوع من غيرة الرب سبْحانه وتعالى لطيف لا تهتدى إليه العقول ، وهو أن العبد يُفْتَحُ له بابٌ من الصفاء والأنس والوجود ، فيساكنه ويطمئن إليه وتلتذذ به نفسه فيشتغل به عن المقصود ، فيغار عليه مولاه الحقُّ

---

( ١ ) الآية ٣٥ . سورة الانعام و ٤٦ . سورة الإسراء . والاكنة : الاغطية .  
والوقر : الصمم .

( ٢ ) الآيتان ٤٦ و ٤٧ سورة التوبة . والخبال : الفساد . وأوضعوا خلالكم :  
سعوا بينكم بالبغيمة ، وإفساد ذات بينكم .  
( ٣ ) الآية ٤٥ . سورة الإسراء .

فِيخْلِيهِ مِنْهُ وَيَرُدُّهُ حِينَئِذٍ إِلَيْهِ بِالْفَقْرِ وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَيُشْهِدُهُ غَايَةَ فَقْرِهِ  
وإِعْدَامِهِ <sup>(١)</sup> وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ الْبَيْتَةِ ، فَتَعُودُ عِزَّةُ ذَلِكَ الْإِنْسِ  
وَالصَّفَاءُ وَالْوُجُودُ ذِلَّةً وَمَسْكِنَةُ وَفَقْرًا وَفَاقَةً ، وَذَرَّةٌ مِنْ هَذَا أَحَبُّ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى وَأَنْفَعُ الْعَبْدُ مِنَ الْجِبَالِ الرُّوَاسِي مِنْ ذَلِكَ الصَّفَاءِ وَالْإِنْسِ الْمَجْرَدُ عَنْ شَهُودِ  
الْفَقْرِ وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ . وَهَذَا بَابٌ لَا يَتَسَعُّ لَهُ قَلْبٌ كُلُّ أَحَدٍ .

## فصل

وَمِنَ الْغَيْرَةِ الْغَيْرَةِ عَلَى دَقِيقِ الْعِلْمِ وَمَا لَا يَدْرِكُهُ فَهَمُّ السَّامِعِ أَنْ يُذَكَّرَ لَهُ .  
وَلِهَذِهِ الْغَيْرَةِ قَالَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ،  
أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أَنْتَ  
بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ . فَالْعَالَمُ يَغَارُ عَلَى  
عَالِمِهِ أَنْ يَبْدُلَهُ لغيرِ أَهْلِهِ ، أَوْ يَضَعَهُ فِي غيرِ مَحَلِّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَتَمَنَّوْا الْحِكْمَةَ أَهْلَهَا فَتُظْلَمُوهُمْ ، وَلَا تَبْدُلُوهَا لِغَيْرِ  
أَهْلِهَا فَتُظْلَمَ رَهَابُ .

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ) <sup>(٢)</sup> . فَقَالَ لِلسَّائِلِ : وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنِّي  
إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِتَفْسِيرِهَا كَفَرْتَ ؟ فَإِنَّكَ تَكْذِبُ بِهِ <sup>(٣)</sup> وَتَكْذِيبُكَ بِهَا كُفْرُكَ  
بِهَا . فَالْمَسْأَلَةُ الدَّقِيقَةُ اللَّطِيفَةُ الَّتِي تُبَدَّلُ لغيرِ أَهْلِهَا كَالْمَرْأَةِ لِحَسَنَاءِ الَّتِي تُهْدَى إِلَى  
ضَرِيرٍ مُقْعَدٍ كَمَا قِيلَ :

( ١ ) الإعدام والعدم : فقدان الفقر ، وأعدم الرجل : افتقر .

( ٢ ) آخر سورة الطلاق .

( ٣ ) كذا . . . ولعل الصواب بها .

\* خَوْدٌ<sup>(١)</sup> تَرْفٌ إلى ضرير مُقْعَد \*

وكان أبو علي إذا وقع شيء في خلال مجلسه من تشويش الوقت يقول :  
هذا من غير الحق ، يريد أن لا يجري ما يجري من صفاء الوقت ، قال الشاعر :

هَمَّتْ بِأَيَّانِنَا حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاقَةِ نَهَاهَا وَجْهَهَا الْحُسْنَ  
مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي مِنْ مَحَاسِنِهَا عُدَّتْ بِالْهَجْرِ حَتَّى شَفَّنِي الْحَزْنَ

قال القُشَيْرِيُّ : وقيل لبعضهم : أَلَحَبَّ أَنْ تَرَاهُ ؟ قال : لا ، فإل : وَلِمَ ؟  
قال : أُنْزَهُ ذَلِكَ الْجَمَالَ عَنْ نَظَرٍ مِثْلِي ، وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشُدُوا :

إِنِّي لِأَحْسُدُ نَازِرِي عَايِكَ حَتَّى أَغُضَّ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ  
وَأَرَاكَ تَخْطُرُ فِي شِمَائِلِكَ الَّتِي هِيَ فَتْنَتِي فَأَغَارَ مِنْكَ عَايِكَ

قلت : وهذه غير فاسدة وغاية صاحبها أن يُعَقِّ عنه وأن يعد ذلك في  
شَطَاحَاتِهِ الْمَذْمُومَةِ ، وَأَمَّا أَنْ تُعَدَّ فِي مَنَاقِبِهِ وَفَضَائِلِهِ أَنْ يُقَالَ أَتَحِبُّ أَنْ تَرَى اللَّهَ  
فَيَقُولُ : لَا وَرُؤْيَاهُ أَعْلَى نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ  
يَسْأَلَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ دَعَائِهِ :  
( اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ )<sup>(٢)</sup> وَقَوْلُ  
هَذَا الْقَائِلِ : أُنْزَهُ ذَلِكَ الْجَمَالَ عَنْ نَظَرٍ مِثْلِي مِنْ خُدْعِ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ ، وَهُوَ  
يُشَبِّهُ مَا يُنْحَكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : أَلَا تَذْكُرُهُ ؟ فَقَالَ : أُنْزَهُ أَنْ يَجْرَى  
ذِكْرُهُ عَلَى لِسَانِي ، وَطَرُدُ هَذَا التَّنْزِيهِ الْفَاسِدُ أَنْ يَنْزَهُهُ أَنْ يَجْرَى كَلَامُهُ عَلَى  
عَلَى لِسَانِهِ أَوْ يَخْطُرَ هُوَ أَيْضًا عَلَى قَلْبِهِ ، وَقَدْ وَقَعَ بَعْضُهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا  
فَلَا مَوَدَّه فَنُشِد :

( ١ ) الخود : الشابة الجميلة الذاعمة الحسنة الخلق ، جمعها خود وخودات .

( ٢ ) تقدم مطولا في الصفحة ٣٠

يقولون زُرْنَا واقض واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عني  
 إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا مني أنفت لهم مني  
 وطرد هذه الغيرة أن لا يزور بيته غيره على بيته أن يزوره مثله . ولقد  
 لمت شخصاً مرة على ترك الصلاة فقال لي : إني لا أرى نفسي أهلاً أن أدخل  
 بيته ، فانظر إلى تلاعب الشيطان بهؤلاء . ومن هذا ما ذكره القشيري قال :  
 سئل الشبلي متى تستريح ؟ فقال : إذا لم أر له ذا كراً . ومات ابن له فقطعت  
 أمه شعرها فدخل هو الحمام ونور لحيته<sup>(١)</sup> حتى ذهب شعرها . ف قيل له : لم  
 فعلت هذا ؟ فقال : إنهم يعزوني على الغفلة<sup>(٢)</sup> . ويقولون : آجرك الله ، فقذيت  
 ذكرهم لله تعالى على الغفلة بلحيتي وموافقة لأهلي . ونظير هذا ما يحكى عن  
 النوري رحمه الله تعالى أنه سمع رجلاً يؤذن فقال : طعنة وسم الموت ، وسمع كلباً  
 ينبح فقال : ألبك وسعديك ، فسئل عن ذلك فقال : أما ذاك فكان يذكره  
 على رأس الغفلة ، وأما الكلب فقال الله تعالى : ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْمِعُ  
 بِحَمْدِهِ )<sup>(٣)</sup> . وسمع الشبلي مرة رجلاً يقول : جل الله ، فقال : أحب أن يُنجله  
 من هذا ، ويا عجبا ممن يعد هذا في مناقب رجل ويجعله قدوة ويزين به كتابه .  
 وهل شيء أشد على قلب المؤمن وأمر عليه من أن لا يرى لربه ذا كراً ؟ وهل  
 شيء أقر لعينه من أن يرى ذا كرين الله بكل مكان ، وعذر هذا القائل أنه  
 لا يرى ذا كراً لله بحق الذكر ، بل لا يرى ذا كراً إلا والغفلة والبهوة مستولية  
 على قلبه ، فيذكر ربه بلسان فارغ من القلب وحضوره في الذكر ، وذلك  
 ذكر لا يليق به ، فيغار محبة أن يذكر بهذا الذكر فيحب أن لا يسمع أحداً

(١) نور لحيته : دهنها بالنورة . والنورة : أخلط تستعمل لإزالة الشعر .

(٢) أي على غفلتهم عن تعظيم الله .

(٣) الآية ٤٤ . سورة الاسراء .

يذكره هذا الذكر . ولما اشترك الناس في هذا الذكر أخبر أن راحته أن لا يرى له ذاكراً . هذا أحسن ما يُحمَل عليه كلامه ، وإلا فظاهره إلى العداوة أقرب منه إلى المحبة . وليس هذا حال الشبلِ رحمه الله تعالى فإن المحبة كانت تغلب عليه ، ومع ذلك فهو من شطحاته التي يُرجى أن تُغفّر له بصدقه ومحبه وتوحيده ، لا أنها مما يُحمد عليه ويقتدى به فيه .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يذكره على جميع أحوالهم وإن كان ذكرهم إيّاه مراتب ، فأعلاها ذكر القلب واللسان مع شهود القلب المذكور وجمعيته بكليته بأحب الأذكار إليه ، ثم دونه ذكر القلب واللسان أيضاً وإن لم يشاهد المذكور ، ثم ذكر القلب وحده ، ثم ذكر اللسان وحده ، فهذه مراتب الذكر وبعضها أحب إلى الله من بعض .

وكان طرد قول الشبلِ أن راحته أن لا يرى الله مصلياً ، ولا لكلامه تالياً ، ولا يرى أحداً ينطق بالشهادتين ، فإن هذا كلمة من ذكره بل هو أعلى أنواع ذكره ، فكيف يستريح قلب المحب إذا لم يرَ من يفعل ذلك ؟ والله سبحانه وتعالى يحب أن يُذكر ولو كان من كافر .

وقال بعض السلف : إن الله يحب أن يُذكر على جميع الأحوال إلا في حال الجماع وقضاء الحاجة . وأوحى الله عز وجل إلى موسى صلى الله عليه وسلم أن اذكرني على جميع أحوالك ، والله تعالى لا يُضيع أجر ذكر اللسان المجرد ، بل يثيب الذّاكر وإن كان قلبه غافلاً ، ولكن ثواب دون ثواب .

قال القشيري : وسمعت الأستاذ أبا علي يقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم في مبايعته فرساً من أعرابيّ وأنه استقاله <sup>(١)</sup> فأقاله ، فقال له الأعرابي : عَمَرَكَ اللهُ فمن أنت ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « امرؤ من قُرَيْش » فقال له بعض

(١) استقاله البيع : طلب إليه أن يقيه ، أى يفسخ البيع .

الحاضرين : كفاك جفاءً أن لا تعرف نبيك . قال أبو علي : فإنما قال امرؤ من قريش غيره ، وإلا كان واجباً عليه التعرف إلى كل أحد أنه من هو ، ثم إن الله أجرى على لسان ذلك الصحابي التعريف للأعرابي ، فيقال : من العجب أن يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم غار أن يذكر أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي لا يعرفه ، وهو كان دائماً يذكر ذلك لأعدائه من الكفار سرّاً وجهرّاً ليلاً ونهاراً ولا يغار من ذلك ، فكيف يُظنُّ به أنه غار أن يعرف ذلك المسكين أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هذا من خيالات القوم ورهاتهم<sup>(١)</sup> وإنما ستر عنه ذلك الوقت معرفته له لحكمة لطيفة فهمها الصحابي فصرّح بها للأعرابي ، وهي أن هذا الأعرابي كان جافياً جلفاً<sup>(٢)</sup> فأحبّ النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرفه جفاءً وجلافته بطريق لا يكتنه بها ويعرف من نفسه أنه أهلٌ لذلك ، فكأنه يقول بلسان الحال : كفاك جفاءً أن تجهلني فتسألني من أنا ، فلما فهم الصحابي ذلك بلطف إدراكه ودقّة فهمه فبادر به وقال : كفاك جفاءً أن لا تعرف نبيك .

ثم ذكر القشيري كلام الشبلي أنه قال : غيرة الإلهية على الأنفاس أن تضع فيما سوى الله ، وهذا كلام حسن .

قال القشيري : والواجب أن يقال : الغيرة غيرتان : غيرة الحق على العبد ، وهو أن لا يجعله للخلق فيضنّ به عليهم ، وغيرة العبد للحق ، وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق سبحانه ، فلا يقال : أنا أغار على الله ولكن يقال : أنا أغار الله ، قال : فإذا الغيرة على الله جهل ، وربما تؤدي إلى ترك الدين . والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له ، فمن سنّة الحق مع

( ١ ) جمع ترمة : الباطل .

( ٢ ) الجلف : الرجل الجافي .



أولياؤه أنهم إذا ساكنوا غيراً أو لاحظوا شيئاً أو صالحوا بقلوبهم شيئاً يشوش عليهم ذلك ، فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصةً لنفسه فارغةً ، كآدم عليه السلام لما وُطن نفسه على الخلود في الجنة أخرجه من الجنة ، وإبراهيم الخليل عليه السلام لما أعجبه إسماعيل أمره بذبحه حتى أخرجه من قابه ، فلما أنشأ وتلّه للجبين وصنّى سرّه منه أمره بالفداء عنه . وقال بعضهم : احذروه فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه . وقيل : الحقّ تعالى غيورٌ ومن غيّرته أنه لم يجعل إليه طريقاً سواه .

وقال السريُّ لرجل عارف : بى علة باطنة فداؤوها ؟ قال : يامرئى الله غيورٌ لا يراك تساكُنْ غيره فتسقط من عينه . فهذه غيرةٌ صحيحة .

## فصل

وهاهنا أقسامٌ آخرُ من الغيرة مذمومة منها : غيرةٌ يحمل عليها سوء الظنّ فيؤذى بها الحبُّ محبوبه ويُغرى عليه قلبه بالغضب ، وهذه الغيرة يكرهها الله إذا كانت في غير ربيّةٍ ، ومنها غيرةٌ تتحمّل على عقوبة المحبوب بأكثر مما يستحقّه كما ذكر عن جماعة أنهم قتلوا محبوبهم . وكان ذلك الجنّ الشاعرُ له غلامٌ وجاريةٌ في غاية الجمال وكان يهواهما جميعاً ، فدخل المنزل يوماً فوجد الجارية معانقةً للغلام تقبله فشدّ عليهما فقتلها ، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاه طويلاً ثم قال :

ياطلعةً طلع الحُمامُ<sup>(١)</sup> عليها      وجنى لها ثمرَ الردى بيديها  
رويتُ من دمها الثرى وأطالما      روى الهوى شقتي من شفتيها

وأجلت سيفي في مجالِ خِناقِها      ومدامعي تجري على خديها  
فَوَحَقَّ نعلها فما وطىء الثرى      شيء أعزُّ عليَّ من نعلها  
ما كان قتلها لأنني لم أكن      أبكي إذا سقط الغبارُ عليها  
لكن بخلتُ على سِوَايَ بحسنها      وأنفت من نَظر الغلام إليها

ثم جلس عند رأس الغلام فبكي وأنشأ يقول :

أشفقتُ أن يرَدَ الزمانُ بغيره      أو أُبتلى بعد الوفاء بهجره  
قمرٌ أنا استخرجته من دَجَنِهِ<sup>(١)</sup>      بمودتي وجنيته من خِدره  
فقتلته وله على كرامةٍ      ملء الحشا وله الفؤاد بأسره  
عهدي به ميثماً كأحسن نائمٍ      والدمع ينحر مُقلتي في نحره  
لو كان يدرى التَّيْتُ ماذا بعده      بالحى منه بكى له في قبره  
غُصَصُ<sup>(٢)</sup> تكاد تفيض منها نفسه      ويكاد يخرج قلبه من صدره

## فصل

وقد يغار الحبُّ على محبوبه من نفسه ، وهذا من أعجب الغيرة وله أسباب :

منها : خشية أن يكون مفتاحاً لغيره كما ذكر أن الحسن بن هانئ وعلى بن عبد الله الجعفرى اجتمعا فتناشدا فأنشد الحسن<sup>(٣)</sup> :

ولما بدا لي أنها لا تودُّني      وأن هواها ليس عني بمنجلى

( ١ ) الدجنة والدجنة : الغيم المطبق والظلمة .

( ٢ ) جمع غصة : وهى الشجا والهَم والحزن وما غص به الإنسان من طعام أو غيظ .

( ٣ ) هو أبو نواس ، وفى كتاب الأغانى للأصبهاني أن هذين البيتين واللذين بعدهما كلها لعلي بن عبد الله الجعفرى .

تَمَنَيْتُ أَنْ تُبْلِيَ بَغِيرِي لَعَلَّهَا    تَذُوقُ حَرَارَاتِ الْهُوَى فَتَرْقَ لِي  
فَأَنْشُدْهُ عَلَى :

رَبِّمَا سَرَّنِي صَدُودُوكَ عَنِّي    فِي طِلَالِيكَ وَامْتِنَاعِكَ مِنِّي  
حَذَرًا أَنْ أَكُونَ مِفْتَاحَ غَيْرِي    فَإِذَا مَا خَلَوْتُ كُنْتَ التَّمَنَى  
وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَمْتَنِعُ مِنْ وَصْفِ مَحْبُوبِهِ وَذَكَرَ مُحَاسِنَهُ خَشْيَةً تَعْرِيزُهُ لِحُبِّهِ  
غَيْرِهِ لَهُ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّافِقِيُّ :

وَلَسْتُ بِوَاصِفٍ أَبَدًا خَلِيلاً    أَعْرَضَهُ لِأَهْوَاءِ الرِّجَالِ  
وَمَا بَالِي أَشَوْقَ قَلْبٍ غَيْرِي    وَدُونَ وَصَالِهِ سِتْرُ الْحِجَالِ  
وَكَثِيرٌ مِنَ الْجَهَالِ وَصَفَ امْرَأَتَهُ وَحَاسِنَهَا لَغَيْرِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ  
فِرَاقِهَا لَهُ وَاتِّصَالِهَا بِهِ .

## فصل

ومنها : أَنْ يَحْمِلَهُ فَرَطُ الْغَيْرَةِ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ نَفْسَهُ مَنَازِلَةَ الْأَجْنَبِيِّ فَيَغَارَ عَلَى  
المَحْبُوبِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يُنْكَرُ هَذَا فَإِنْ فِي الْحُبِّ عَجَائِبٌ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَامٍ  
الطَّائِيُّ (١) .

بِنَفْسِي مِنْ أَغَارَ عَلَيْهِ مِنِّي    وَأَحْسَدَ أَهْلَهُ نَظَرِي إِلَيْهِ  
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ طَمَسْتُ عَنْهُ    عَيُونََ النَّاسِ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ  
حَبِيبٌ بَثٌّ فِي جَسِي هَوَاهُ    وَأَمْسَكَ مَهْجَتِي رَهْنًا لَدَيْهِ  
فَرُوحِي عِنْدَهُ وَالْجِسْمُ خَالٍ    بِلا رُوحٍ وَقَلْبِي فِي يَدَيْهِ

(١) هذه الأبيات ليست في ديوان أبي تمام المطبوع .

وقال آخر :

يا من إذا ذُكر اسمُهُ في مجلسٍ      لذّ الحديث به وطاب المجلس  
إني كُنْ نظري أغار وإنتي      بك عن سواي من الأنام لأنفس  
نفسى فداؤك ولورأيت تلددي<sup>(١)</sup>      خَضِلَ المدامع مطرقاً أتنفّس  
لعلّت أنى في هواك مُعذّبٌ      ومن الحياة ورّوحها مستنثّس

وقال على بن نصر :

أَفَاتِكَ أَنْتِ فَاتِكَةُ بقلبي      وحسنُ الوجه يَفْتُكِ بالقلوب  
أَصُونِكَ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَا مَنْ      بُليت بها فأضحت من نصيبى  
وعن نفسى أَصُونِكَ لَيْتَ نَفْسِي      تَقِيكَ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبِ  
وَمَا حَقُّ الْحَسَنِ عَلَى إِلَّا      صِيَانَتَهُنَّ مِنْ دَنْسٍ<sup>(٢)</sup> الذُّنُوبِ

### فصل

ومنها : شدةُ الموافقة للحبيب ، والحبيبُ يكره أن ينسب محبته إليه وأن يذكر ذلك ، فهو لموافقته لمحبوه يفار عليه من نفسه كما يسره هجرُ محبوه إذا علم أن فيه مراده ، قال الشاعر :

مُرِرْتُ بِهَجْرِكَ لِمَا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَابَكَ فِيهِ سُرُورًا .  
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا مَرَرَنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورًا

### فصل

ومِلاكُ المِيرةِ وأَعلاها ثلاثة أنواع : غيرةُ العبدِ لربه أن تُذَمَّتْكَ محارِمُهُ وتُضَيِّعَ حَدُودُهُ . وَغَيْرَتُهُ عَلَى قَلْبِهِ أَنْ يَسْكُنَ إِلَى غَيْرِهِ وَأَنْ يَأْنَسَ بِسِوَاهِ ،

( ١ ) التلدد : التحير والتردد .

( ٢ ) الدنس : القبح والوسخ وفعل ما يشين .

وغيرته على حرمة أن يتطاع إليها غيره . فالغيرة التي يحبها الله ورسوله دارت على هذه الأنواع الثلاثة ، وما عداها فإما من خدع الشيطان ، وإما بلوى من الله كغيرة المرأة على زوجها أن يتزوج عليها . فإن قيل : فإن أئى الأنواع تعدون غيره . فاطمة رضى الله عنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه لما عزم على نكاح ابنة أبى جهل ، وغيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ؟ قيل : من الغيرة التي يحبها الله ورسوله ، وقد أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها بضعة<sup>(١)</sup> منه وأنه يؤذيه ما آذاها ، ويؤريه ما أرابها<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن يحسن ذلك الاجتماع البتة ، فإن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحسن أن تجتمع مع بنت عدوه عند رجل ، فإن هذا فى غاية المنافرة مع أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صهره الذى حدثه فصدقه ووعد فوفى له دليل على أن علياً رضى الله عنه كان مشروطاً عليه فى العقد إما لفظاً وإما عرفاً وحالاً أن لا يريب فاطمة ولا يؤذيها بل يمسكها بالمعروف ، وليس من المعروف أن يضم إليها بنت عدو الله ورسوله ويغياها بها ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ويتزوج ابنة أبى جهل »<sup>(٣)</sup> والشرط العرفى الحالى كالشرط اللفظى عند كثير من الفقهاء كفقهاء المدينة وأحمد بن حنبل وأصحابه رحمهم الله تعالى ، على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف عليها الفتنة فى دينها باجماعها وبنت عدو الله عنده ، فلم تكن غيرته صلى الله عليه وسلم مجرد كراهية الطبع للمشاركة ، بل الحامل عليها حرمة الدين . وقد أشار إلى هذا بقوله : « إني أخاف أن تفتن فى ديني »<sup>(٤)</sup> والله أعلم بالصواب .

( ١ ) البضعة منه : جزء منه والبضعة : القطعة من اللحم .

( ٢ ) أرابها : أغاظها وأقلقها .

( ٣ ) روى هذه القصة البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

( ٤ ) تكملة الحديث السابق فى بعض الروايات .

## الباب الثالث والعشرون

في عفاف المحبين مع أمهاتهم

قال الله تعالى : ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ،  
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ  
لِفِرْوَجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ  
مُكْرَمِينَ . فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ )<sup>(١)</sup> ولما أنزلت هذه  
الآيات على النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قَدْ أَنْزَلْتُ عَلَى عَشْرٍ آيَاتٍ مِنْ  
أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ »<sup>(٢)</sup> . ثم قرأ هذه الآيات .

وقال الله تعالى : ( إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ) . إلى قوله : ( وَالَّذِينَ هُمْ  
لِفِرْوَجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ  
مُكْرَمِينَ . فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( قُلْ  
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فِرْوَجَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ  
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ  
فُرُوجَهُنَّ )<sup>(٤)</sup> الآية . وقال تعالى : ( وَلَيْسَتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى

( ١ ) أوائل سورة المؤمنين .

( ٢ ) رواه الترمذى كما جاء فى تفسير الخازن . وقال الحفاجى فى حاشيته على  
البيضاوى : الحديث وارد فى السنن لكنهم اختلفوا فى صحته وضعفه .

( ٣ ) الآيات ١٩ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ . سورة الماعز .

( ٤ ) الآيتان ٣٠ و ٣١ . سورة النور .

يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ<sup>(١)</sup> وقال تعالى : (وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرَ لِمَنْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : (وَمَرِيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)<sup>(٣)</sup> فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)<sup>(٤)</sup> وقال في الآية الأخرى : (وَلَيْسَتْغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) فأمرهم بالاستغفار إلى وقت الغنى ، وأمر بتزويج أولئك مع الفقر ، وأخبر أنه تعالى يغنيهم ، فما حمل كلٍّ من الآيتين ؟ فالجواب أن قوله : (وَلَيْسَتْغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) في حق الأحرار ، أمرهم الله تعالى أن يستغفروا حتى يغنيهم الله من فضله ، فإنهم إن تزوجوا مع الفقر التزموا حقوقاً لم يقدرُوا عليها وليس لهم من يقوم بها عنهم ، وأما قوله : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) فإنه سبحانه أمرهم فيها أن ينكحوا الأيامى وهنَّ النساء اللواتى لا أزواج لهنَّ ، هذا هو المشهور من لفظ الأيتم عند الإطلاق وإن استعمل في حق الرجل بالقييد ، كما أن العزب عند الإطلاق للرجل وإن استعمل في حق المرأة . ثم أمرهم سبحانه أن يزوجوا عبيدهم وإماءهم إذا صلبوا للنكاح ، فالآية الأولى في حكم تزويجهم لأنفسهم ، والثانية في حكم تزويجهم لغيرهم . وقوله في هذا القسم : (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ) يَعْمُ الأنواع الثلاثة التى ذكرت فيه ، فإن الأيتم تستغنى بنفقة زوجها وكذلك الأمة ، وأما العبد فإنه لما كان لآمال له وكان ماله لسيده

(٢١) (الآيتان ٣٣ و ٦٠ . سورة النور .

(٣) آخر سورة التحريم .

(٤) الآية ٢٢ . سورة النور .

فهو فقيرٌ مادام رقيقاً فلا يمكن أن يُجعل لنكاحه غايةٌ وهي غناه ما دام عبداً ، بل غناه إنما يكون إذا عتق واستغنى بهذا العتق ، والحاجة تدعوه إلى النكاح في الرق ، فأمر سبحانه بإنكاحه وأخبر أنه يغنيه من فضله ، إما بكسبه وإما بإتفاق سيده عليه وعلى امرأته ، فلم يمكن أن ينتظر بنكاحه الغنى الذي ينتظر بنكاح الحر والله أعلم .

وفي المسند وغيره مرفوعاً : ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ : الْمَتَزَوِّجُ يُرِيدُ الْعَقَافَ ، وَالْمُكَاتَّبُ يُرِيدُ الْآدَاءَ ، وذكر الثالث <sup>(١)</sup> .

## فصل

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم من العفاف أعظم ما يكون ، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره فإنه صلى الله عليه وسلم كان شاباً والشباب مركب الشهوة ، وكان عزباً ليس عنده ما يعوضه ، وكان غريباً عن أهله ووطنه . والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم ، فإذا تغرب زال هذا المانع ، وكان في صورة المملوك والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر ، وكانت المرأة ذات منصبٍ وجمالٍ والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك ، وكانت هي المطالبة فيزول بذلك كلفةُ تعرُّض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة ، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمرادة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره ، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان

---

(١) هو المجاهد في سبيل الله . والمكاتب : الجند الذي كاتبه سيده على نفسه بئمنه فإذا سعى وأداه عتق .



ومكانه الذى لا تناله العيون ، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بغتة ، وأتته بالرغبة والرغبة ، ومع هذا كله ففعل الله ولم يطمعها ، وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله ، وهذا أمر لو ابتلي به سواه لم يعلم كيف كانت تكون حاله ، فإن قيل : فقد هم بها ، قيل عنه جوابان ، أحدهما : أنه لم يههم بها بل لولا أن رأى برهان ربه لهم ، هذا قول بعضهم فى تقدير الآية . والثانى : وهو الصواب أن همهم كان هم خطرات فتركه الله فأثابه الله عليه وهما كان هم إصرار بذلت معه جهدها فلم تصل إليه فلم يستوهمان .

قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : همهمان : هم خطرات وهم إصرار ، فهم الخطرات لا يؤاخذ به ، وهم الإصرار يؤاخذ به . فإن قيل : فكيف قال وقت ظهور براءته : ( وَمَا أُبْرئِي نَفْسِي ) قيل : هذا قد قاله جماعة من المفسرين وخالفهم فى ذلك آخرون أجل منهم وقالوا : إن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف عليه السلام ، والصواب معهم لوجوه ، أحدها : أنه متصل بكلام المرأة وهو قولها : ( الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ . وَمَا أُبْرئِي نَفْسِي )<sup>(١)</sup> ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه فى اللفظ بوجه ، والقول فى مثل هذا لا يحذف لثلاث يوقع فى اللبس<sup>(٢)</sup> فإن غايته أن يحتمل الأمرين ، فالسكلام الأول أولى به قطعاً .

---

( ١ ) الآيات ٥١ و ٥٢ و ٥٣ . سورة يوسف . وحصص الحق : وضع وتبين بعد خفائه .

( ٢ ) اللبس : الشبهة تخفى معها حقيقة الأمر . ولبس الشيء : خلطه وعماه ولبس عليه الأمر جعله مشكلاً ومدعاة إلى الشك والحيرة .

الثاني : أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقاتلتها هذه ، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها : ( الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ) ، والسياق صريح في ذلك فإنه لما أرسل الملك إليه يدعوهُ قال للرسول : ( أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ )<sup>(١)</sup> فأرسل إليهنَّ الملك وأحضرهنَّ وسألهنَّ وفيهنَّ امرأته ، فشهدنَّ ببراءته ونزاهته في غيبته ، ولم يُمكنهنَّ إلا قولُ الحقِّ فقال النسوة : ( حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ )<sup>(٢)</sup> وقالت امرأةُ العزيز : ( أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ )<sup>(٣)</sup> فإن قيل : لكن قوله : ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ )<sup>(٤)</sup> الأحسنُ أن يكون من كلام يوسف عليه السلام ، أي إنما كان تأخيرى عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أنى لم أخنه في امرأته في حال غيبته وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال : ( وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ )<sup>(٥)</sup> وهذا من تمام معرفته صلى الله عليه وسلم بربه ونفسه ، فإنه لما أظهر براءته ونزاهته مما قُذف به أخبر عن حال نفسه وأنه لا يزكِّيها ولا يبرئها ، فإنها أماراة بالسوء لكن رحمة ربه وفضله هو الذى عصمه ، فردَّ الأمر إلى الله بعد أن أظهر براءته ، قيل : هذا وإن كان قد قاله طائفةٌ فالصوابُ أنه من تمام كلامها ، فإن الضمائر كلها في نسق واحدٍ يدلُّ عليه وهو قول النسوة : ( مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ) وقول امرأة العزيز : ( أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) فهذه خمسة ضمائر بين بارزٍ ومستتر ثم اتصل بها قوله : ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ ) فهذا هو

الذکور أولاً بعینه فلا شیء یفصل الکلام عن نظمہ ویضمّر فیہ قول لا دلیل علیہ ، فإن قیل فما معنی قولها : ( لَتَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ) قیل : هذا من تمام الاعتذار ، قرنت الاعتذار بالاعتراف فقالت : ذلك أى قولى هذا وإقرارى ببراءته لیعلم أنى لم أخنه بالكذب علیہ فى غیبتہ وإن خنته فى وجهه فى أوّل الأمر ، فالآن یعلم أنى لم أخنه فى غیبتہ ، ثم اعتذرت عن نفسها بقولها : ( وما أبرئى نفسى ) ثم ذكرت السبب الذى لأجله لم تبرئ نفسها ، وهى أن النفس أماره بالنسوء ، فتأمل ما أعجب أمر هذه المرأة ! أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها ، ثم اعتذرت عن نفسها ، ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع فى مغفرة الله ورحمته وأنه إن لم یرحم عبده وإلا فهو عرصة للشر ، فوازن بين هذا وبين تقدير كون هذا الکلام كلام يوسف علیه السلام لفظاً ومعنى ، وتأمل ما بین التقديرين من التفاوت ، ولا یستبعد أن تقول المرأة هذا وهى على دین الشریک فإن القوم كانوا یقرّون بالربّ سبحانه وتعالى وبحقه وإن أشركوا معه غسیره ، ولا تنس قول سیدها لها فى أوّل الحال : ( وَاسْتَغْفِرِی لِذَنبِکِ إِنَّکِ کُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ )<sup>(١)</sup> .

## فصل

وفى الصحيح من حدیث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علیه وسلم : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فى ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَاكِبٌ نَشَأَ فى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَانِقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ

(١) الآية ٢٩ : سورة يوسف .

تَحَابُّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَمَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » (١) .

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة وابن عمر رضى الله عنهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ يَمْشُونَ إِذْ أَخَذَتْهُمُ السَّمَاءُ فَأَوَّأُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَأُطْبِقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَنْظِرُوا أَعْمَالًا صَالِحَةً عَمِلْتُمُوهَا فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَةٌ وَصَبِيَانِ وَكُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي الشَّجَرُ فَلَمْ أَتْ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أُحْلِبُ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيِّ قَبْلَهُمَا وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ (٢) عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ أَرَلْ كَذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً . وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ فَأَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْتَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَحِثْتَهَا بِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَقِي اللَّهَ وَلَا تَفُضُّ الْخَلَاءِمَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، فَقُمْتُ عَنْهَا وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْ

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد . كما قال السيوطى .

(٢) يتضاغون : يتضورون ويصبحون من الجوع .

هَذِهِ الصَّخْرَةُ فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً . قَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا يَفْرُقُ <sup>(١)</sup> مِنْ أُرْزُ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ : أَعْطِنِي حَقِّي فَأَعْطَيْتُهُ فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَزَرَعْتُهُ وَنَمَيْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ لَهُ بَقْرًا وَرِعَاءَهَا <sup>(٢)</sup> فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْلُمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي ، فَقُلْتُ : اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرِعَائِهَا فَهُوَ لَكَ ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي ، فَقُلْتُ : لَا اسْتَهْزَيْ بِكَ فَخُذْ ذَلِكَ ، فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرَجْ عَنَّا مَا بَقِيَ مِنَ الصَّخْرَةِ فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ <sup>(٣)</sup> .

وقال عبيد الله بن مرمى : حدثنا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ مَوْلَى طاحِثَةَ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعَهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ مَا حَدَّثْتُ بِهِ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : « كَانَ ذُو الْكِفْلِ <sup>(٤)</sup> مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فَأَتَتْهُ أُمْرَأَةٌ فَأَعْدَاكَهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَّأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ أُرْعِدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ أَوْ كَرِهْتِكِ ؟ قَالَتْ : لَا وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ ! قَالَ : فَتَفْعَلِينَ هَذَا وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ ؟ قَالَتْ : حَمَلْتَنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ فَتَرَكَهُ ثُمَّ قَالَ : اذْهَبِي وَلَا تَأْخِذِي لَكَ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ

---

( ١ ) الفرق : مكيال معروف بالمدينة يسع ثلاثة أصع أو ستة عشر رطلا أو أربعة أرباع .

( ٢ ) رعاء : جمع رعية وهي الكلا أو جمع راع .

( ٣ ) رواه البخاري ومسلم .

( ٤ ) في الجامع الصحيح : الكفل وكذلك هو في تهذيب التهذيب في ترجمة

سعد مولى طلحة راوى القصة عن ابن عمر رضى الله عنهما .

لَا يَعْصِي اللَّهُ ذُو الْكَفْلِ أَبَدًا فَمَاتَ مَنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ : غَفَرَ اللَّهُ لَذِي الْكَفْلِ «<sup>(١)</sup> . وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَجِبَ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ » .

وذكر المبرّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي ، قال : كان بالسكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبّد والاجتهاد فنزل في جوار قوم من النّجّ ، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلةٍ فهُويها وهام بها عقله ، ونزل بالجارية مانزله فأرسل يخطبها من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسمّاة لابن عمِّ لها<sup>(٢)</sup> ، فلما اشتدّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية : قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتدّ بلائي بك ، فإن شئت زرتك ، وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي ، فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين اخلّتين ، ( إني أخافُ إن عصيتُ ربِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ )<sup>(٣)</sup> أخاف نارا لا يخبو سعيها ، ولا يخمد لهيها ، فلما أبغها الرسولُ قوله قالت : وأراه مع هذا يخاف الله ؟ والله ما أحدٌ أحقّ بهذا من أحدٍ ، وإن العباد فيه لمشتركون ، ثم انخلت من الدُّنيا وألقت علائقها<sup>(٤)</sup> خلف ظهرها وجعلت تتعبّد ، وهي مع ذلك تذوب وتنحلُّ حبًّا للفتى وشوقًا إليه حتى ماتت من ذلك ، فكان الفتى يأتي قبرها فيسكني عنده ويدعوها ، فعلمته عينه ذات يوم على قبرها فرآها في منامه في أحسن منظر فقال : كيف أنت وما لقيت بعدى ؟ قالت :

( ١ ) أورده المؤلف في الباب السابع والعشرين معزواً إلى جامع الترمذى وهو أيضاً في المسند .

( ٢ ) مسمّاة له وعليه : مخطوبة له .

( ٣ ) الآية ١٥ سورة الأنعام ، الآية ١٥ سورة يونس ، الآية ١٣ سورة

الزمر . ( ٤ ) جمع علاقة : وهى ما تعلق بها من مال وزوج وولد .

نعم المحببة يأسؤلى<sup>(١)</sup> محبتكم حبٌ يقود إلى خير وإحسان

فقال : على ذلك إلى مَ صرتِ ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له في جنة أُخلد ملك ليس بالفانى  
فقال لها : اذكرينى هناك فإنى لست أنساك ، فقالت : ولا أنا والله أنساك ،  
ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا فأعنى على ذلك بالاجتهاد ، فقال لها :  
متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريبٍ فترانا ، فلم يعشِ القتي بعد الرؤيا إلا سبع  
ليالٍ حتى مات رحمه الله تعالى .

وذكر الزُّبَيْرُ بن بكار أن عبد الرحمن بن أبي عمّار نزل مكة وكان من  
عُباد أهلها فسمّى القسّ من عبادته ، فرمى يوماً بجارية تغنى فوق فسمع غناءها  
فرآها مولاهما فأمره أن يدخل عليها فأبى ، فقال : فاقعد فى مكانٍ تسمع غناءها  
ولا تراها ، ففعل فأعجبته ، فقال له مولاهما : هل لك أن أحوّلكما إليك ؟ فامتنع  
بعض الامتناع ثم أجابه إلى ذلك ، فنظر إنيها فأعجبته فشغف بها وشغفت به ،  
وعلم بذلك أهل مكة ، فقالت له ذات يومٍ : أنا والله أحبك ، فقال : وأنا والله  
أحبك ، قالت : فإنى والله أحب أن أضع فى على فك ، قال : وأنا والله أحب  
ذلك ، قالت : فما يمنعك ؟ فإنّ الموضع خال ، قال لها : ويحك إني سمعت الله  
يقول : ( الأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ )<sup>(٢)</sup> فأنا والله أكره أن  
يكون صلة ما بينى وبينك فى الدنيا عداوةً فى القيامة ، ثم نهض وعيناه تذرفان  
بالدموع من حبّها .

وقال عبد الملك بن قُرَيْبٍ<sup>(٣)</sup> : قلت لأعرابي : حدثنى عن ليلتك مع فلاة

( ١ ) السؤل : مأسأله . والحاجة .

( ٢ ) الآية : ٦٧ سورة الزخرف .

( ٣ ) هو الأصمى .

قال : نعم خلوت بها والقمر يُرِينِها فلما غاب أرتذيه ، قلت : فما كان بينكما ؟  
قال : أقرب ما أحل الله مما حرم الله : الإشارة بغير ما لباس ، والدُّنُو بغير  
إمساس ، ولعمري لئن كانت الأيام طالت بعدها لقد كانت قصيرة معها  
وحسبك بالحب :

ما إن دعاني الهوى لفاحشة إلا نهاني الحياء والكرم  
فلا إلى فاحشٍ مدتُ يدي ولا مَشْتُ بي لرِيبةٍ قدم  
وقال آخر :

وصفوها فلم أزل علم الله هُ كَثِيباً مُسْتَوْهًا مستهماً<sup>(١)</sup>  
هل عليها في نظرةٍ من جناح من فتى لا يزور إلا لما<sup>(٢)</sup>  
حال فيها الإسلام دون هواه فهو يهوى ويحفظ الإسلاما  
ويميل الهوى به ثم يخشى أن يطيع الهوى فيلقى أثماً  
وقال الحسين بن مطير :

أحبك يأسئلى على غير رِيبةٍ ولا بأس في حب تعف سرأره  
أحبك حباً لا أعنف بعده محباً ولكنى إذا ليم عاذره  
وقد مات قلبي أول الحب مرة ولومت أنمحي الحب قدمات آخره  
وقال محمد بن أبي زُرعة الدمشقي

إن حظي ممن أحب كفاف<sup>(٣)</sup> لا صدودٌ مَقْصٍ ولا إنصافٌ  
كلما قلت قد أنابت إلى الوصل ل ثناها عما أريد العفاف

(١) مستوهاً : مضطرب العقل . ومستهماً : هائماً .

(٢) لا يزور إلا لما : في الأحايين .

(٣) كفاف : قليل والكفاف من الرزق ما كف عن الناس أى أغنى . وفي الحديث : اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً .



فكأنى بين الصدود وبين ال وصل ممن مقامه الأعراف<sup>(١)</sup>  
 فى محل بين الجنان وبين النأ ر أرجو طوراً وطوراً أخاف  
 وقال عثمان بن الضحاك الحزامى : خرجت أريد الحج فزلت بالأبواء ،  
 فإذا امرأة جالسة على باب خيمة فأعجبني حسننها فتمثلت بقول نصيب :  
 بزئبب أليم<sup>(٢)</sup> قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملأ القلب  
 فقالت : يا هذا أتعرف قائل هذا الشعر ؟ قلت : نعم نصيب ، قالت : فتعرف  
 زئببه ؟ قلت : لا ، قالت : فأنا زئببه . قلت : حياك الله ، قالت : أما إن اليوم  
 موعده من عند أمير المؤمنين ، خرج إليه عام أول فوعدنى هذا اليوم ، لعلك  
 لا تبرح حتى تراه ، قال : فبينما أنا كذلك إذا أنا براكب ، قالت : ترى ذلك  
 الراكب ؟ إني لأحسبه إياه ، قال : فأقبل فإذا هو نصيب ، فزل قريباً من الخيمة  
 ثم أقبل فسلم حتى جلس قريباً منها يسألها وتسأله أن ينشدها ما أحدث  
 فأنشدها ، فقلت فى نفسى : محبان طال التناؤى بينهما لا بد أن يكون لأحدهما  
 إلى صاحبه حاجة ، فقممت إلى بعيرى لأشدد عليه ، فقال : على رسلك إني معك ،  
 فجلست حتى نهض معى فتسايرنا ثم التفت إلى فقال : أقلت فى نفسك محبان  
 التقيا بعد طول التناؤى فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة ؟ قلت :  
 نعم قد كان ذلك ، قال : ورب هذه البنية ما جلست منها مجلساً هو أقرب  
 من هذا .

وقال عمر بن شبة : حدثنا أبو غسان قال : سمعت بعض المدنيين يقول :  
 كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولاً يفرح أن يرى من يراها ، فإن

(١) الأعراف : قيل هو سور بين الجنة والنار .

(٢) أليم : لا يزل . والإلمام النزول .

ظَفَرُ مِنْهَا بِمَجْلَسٍ تَشَاكِيَا وَتَنَاشِدَا الْأَشْعَارِ . وَالْيَوْمَ يَشِيرُ إِلَيْهَا وَتَشِيرُ إِلَيْهِ قَبْعِدُهَا  
وَتَعْدُهُ فَإِذَا التَّقِيَا لَمْ يَشْكُ حَبًّا وَلَمْ يَنْشُدْ شِعْرًا ، وَقَامَ إِلَيْهَا كَأَنَّهُ قَدْ أَشْهَدَ عَلَى  
نِكَاحِهَا أَبَا هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ : كَانُوا يَعْشُقُونَ فِي غَيْرِ  
رَبِيبَةٍ ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي إِلَى الْقَوْمِ فَيَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ لَا يَسْتَنْكَرُ لَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ  
هَشَامُ بْنُ حَسَّانٍ : لَكِنِ الْيَوْمَ لَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِالْمَوَاقِعَةِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ :  
مَا تَعْدُونَ الْعَشْقَ فَيْكُمْ ؟ قَالَ : الْقُبْلَةُ وَالضَّمَّةُ وَالْغَمَزَةُ ، وَإِذَا نَكَحَ الْحَبَّ فَسَدَ .  
وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : كَانَ الْعَتَبِيُّ يَحِبُّ جَارِيَةً تَسْمَى مَلَكًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

يَا مَلَكًا قَدْ صَرْتُ إِلَى خُطَّةٍ	رَضِيتُ مِنْهَا فَيْكَ بِالضَّمِّ (١)
مَا اشْتَمَلَتْ عَيْنِي عَلَى رَقْدَةٍ	مَذْغَبَتِ عَنْ عَيْنِي إِلَى الْيَوْمِ
فَبِتْ مَفْتُوقَ حَبَارَى الْبَكَاءِ	مَعْطَلَ الْعَيْنِ عَنِ النَّوْمِ
وَوَجَدِي الدَّهْرَ بِكُمْ غُلْمَةً	فَالَمُوتُ مِنْ نَفْسِي عَلَى سَوَمٍ (٢)
يُلُومُنِي النَّاسَ عَلَى حَبِّكُمْ	وَالنَّاسَ أَوْلَى فَيْكَ بِاللُّومِ

قَالَ : فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

إِنْ تَكُنِ الْغُلْمَةُ هَاجَتْ بِكُمْ فَعَالِ الْغُلْمَةِ بِالصَّوْمِ  
لَيْسَ بِكَ الْحَبُّ وَلَكِنَّمَا تَدُورُ مِنْ هَذَا عَلَى كَوْمٍ

يَقَالُ : كَامَ الْفَحْلُ يَكُومُ كَوْمًا إِذَا نَزَا عَلَى الْحِجْرَةِ (٣) وَأَرَادَتْ هَذِهِ الْمَعشُوقَةُ  
قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَامَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ  
فَلْيَنْزِلْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ »

(١) الضم : الظلم .

(٢) على سوم : أى يطلبها ويحوم حولها .

(٣) هى الانثى من الخيل ، وأكثَرُ اللَّغَوِيِّينَ يَقُولُونَ بِغَيْرِهَا ..

فَإِنَّهُ لَهُ وَجَلَّ ۝ (١) .

وقال أبو الحسن المدائني : هَوَىٰ بعضُ المسلمين جاريةً بمكة فأرادها فامتنعت عليه ، فقال على لسان عطاء بن أبي رباح :

سَأَلْتُ النَّتْقَ <sup>(٢)</sup> الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَعَانُقِي وَقُبْلَةِ مُسْتَقِ الْفَوَادِ جُنَاحُ  
فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَذْهَبَ التَّقَى تَلَاصُقُ أَكْبَادِ بَهَنٍ جِرَاحُ  
فَقَالَتْ : اللَّهُ سَأَلْتُ عَطَاءَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَكَ هَذَا ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، فزارته  
وجعلت تقول : إِيَّاكَ أَنْ تَتَعَدَّى مَا أَفْتَاكَ بِهِ عَطَاءُ .

وقال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونِ قَالَ : أُنْشَدْتُ  
مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ قَوْلَ وَضَّاحِ الْيَمَنِ :

فَمَا نَوَّلْتُ حَتَّى تَضَرَّعْتَ حَوْلَهَا وَأَقْرَأْتُهَا مَا رَخَّصَ اللَّهُ فِي اللَّمَمِ <sup>(٣)</sup>  
فَضَحِكَ مُحَمَّدٌ وَقَالَ : إِنْ كَانَ وَضَّاحٌ مُفْتِيًّا فِي نَفْسِهِ :

وقال الأصمعي : قيل لأعرابي : ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى ؟  
قال : كنت أمتع عيني من وجهها ، وقلبي من حديثها ، وأستر منها ما لا يحببه  
الله ، ولا يرضى كشفه إلاَّ عند حِلِّه ، قيل : فَإِنْ خِفْتَ أَنْ لَا تَجْتَمِعَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟  
قال : أَكُلُّ قَلْبِي إِلَى حُبِّهَا ، وَلَا أَصِيرُ بِقُبْحِ ذَلِكَ الْفِعْلِ إِلَى نَقْضِ عَهْدِهَا . قال :  
وقيل لآخر وقد زُوِّجَتْ عَشِيقَتُهُ مِنْ ابْنِ عَمِّهَا وَأَهْلُهَا عَلَى إِهْدَائِهَا إِلَيْهِ : أَيَسْرُكَ  
أَنْ تَظْفِرَ بِهَا اللَّيْلَةَ ؟ قال : نعم والذي أمتعني بها وأشقاني بطلبها ، قيل : فما كنت  
صانعاً ؟ قال : كنت أطيع الحبَّ في لثمها ، وأعصى الشيطان في إثمها ، ولا أفسد

( ١ ) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

( ٢ ) البيتان تقدما في صفحة ١١٣ و ١٢٤ باختلاف في اللفظ .

( ٣ ) اللمم : الصغير من الذنوب نحو القبلية والنظرة وما أشبهها .

عشق عشر سنين بما يَبْقَى عَارُهُ ، وتُنَشَّرُ بالقبيح أخبارُهُ ، في ساعةٍ تَنْقَدُ لذَّتها ،  
وتَبْقَى تَبِعَتُهَا إِنْ إِذَا لِلَّيْمِ ، لَمْ يَنْقُذْنِي أَصْلُ كَرِيمِ .

وقال عباس الدَّورِي : كان بعضُ أصحابنا يقول : كان سفيان الثوريُّ كثيراً  
ما يتمثلُ بهذين البيتين :

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِنْ نَالِ صَفْوَتِهَا      مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْوِزْرُ وَالْعَارُ  
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَعَبَّتِهَا <sup>(١)</sup>      لِأَخِيرٍ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ  
وقال الحسين بن مُطَيْر :

وَنَفْسَكَ أَكْرِمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ      فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا  
وَلَا تَقْرَبِ الْمَرْغَى الْحَرَامَ فَإِنَّمَا      حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا  
وقال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : الفُتُوَّةُ تَرْكُ مَا تَهْوَى لِمَا تَخْشَى  
وقال الخرائطي : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجَنْدِيدِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ  
الْمَقْدَمِيُّ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ يَقُولُ : بَيْنَا  
أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَنَا بِبَحَارِيَةٍ مُتَعَبِدَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهِيَ تَقُولُ : يَا رَبِّ كَمْ  
مِنْ شَهْوَةٍ ذَهَبَتْ لَذَّتِهَا ، وَبَقِيَتْ تَبِعَتُهَا ، يَا رَبِّ أَمَا لَكَ أَدَبٌ إِلَّا النَّارُ ؟ فَمَا زَالَ  
مَقَامُهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ وَضَعْتَ يَدِي عَلَى رَأْسِي خَارِجاً أَقُولُ :  
فُكَلْتُ مَالَكَا أُمِّي ، جُورِيَّةٌ مِنْذُ اللَّيْلَةِ قَدْ بَطَلَتْهُ <sup>(٢)</sup> .

وَطَائِفَةٌ بِالْبَيْتِ وَاللَّيْلِ مُظْلَمٌ      تَقُولُ وَمِنْهَا دَمْعُهَا يَنْسَجِمُ <sup>(٣)</sup>  
يَا رَبِّ كَمْ مِنْ شَهْوَةٍ قَدَّرَ زَيْنُهَا      وَلَذَّةٌ عَيْشٍ حَبْلُهَا مُتَصَرِّمٌ <sup>(٤)</sup>

(١) المنبة : عاقبة الشيء .

(٢) بطلانه : عطلته . وأبطل : فسد وذهب ضياعاً وخسراً . وأبطل : جاء  
بالباطل . وتبطل : تعطل . وفي الأساس : البطل المتعطل (وشر الفتيان المتبطل المتعطل)

(٣) ينسجم : يسيل .

(٤) تصرم : تقطع وتقضى .

أما كان يكفي للعباد عقوبةً ولا أدباً إلا الجحيم المضم  
فما زال ذلك القول منها تضرعاً إلى أن بدا فجر الصباح المقدّم  
فشبكت منى الكف أهتف خارجاً

على الرأس أبدى بعض ما كنت أكنم  
وقلت لنفسي إذ تطاول ما بها وأعياء عليها ورذوها المتغنم  
ألا ثكثتك اليوم أمك مالكا جويرة أهلك منها التكلم  
فما زلت بطّالاً بها طول ليلة تنال بها حظاً جسيماً وتغنم

وقال نخرمة بن عثمان : نبئت أن فتى من العباد هوى جارية من أهل  
البصرة فبعث إليها لخطبها فامتنعت وقالت : إن أردت غير ذلك فعلت ، فأرسل  
إليها : سبحان الله ! أَدْعُوكِ إلى مالا إثم فيه وتدعينني إلى مالا يصّح ؟ فقالت :  
قد أخبرتك بالذي عندي فإن شئت فتقدم ، وإن شئت فتأخر ، فأنشأ يقول :

وأسألهما الحلال وتدع<sup>(١)</sup> قلبي إلى مالا أريد من الحرام  
كداعي آل فرعون إليه وهم يدعونه نحو الأثام  
فقال منعماً في الخلد يسعي وظلّوا في الجحيم وفي السقام

فلما علمت أنه قد امتنع من الفاحشة أرسلت إليه : أنا بين يديك على الذي  
تحب ، فأرسل إليها : لا حاجة لنا فيمن دعواناه إلى الطاعة ودعانا إلى المعصية ،  
ثم أنشد :

لاخير فيمن لا يراقب ربه عند الهوى ويخافه إيماناً  
حجب التقي سبيل الهوى فأخو التقي بخشي إذا وافى المعاد هواناً

(١) كذا.. بحذف حرف العلة ولا مسوغ له إلا الضرورة .

وقال عبد الملك بن مروان الليلى الأخيلىة : بالله هل كان بينك وبين توبة  
سوء قط ؟ قالت : والذى ذهب بنفسه وهو قادرٌ على ذهاب نفسى ما كان بينى  
وبينه سوء قط ، إلا أنه قدم من سفر فصاحت فغمزَ يدى فظننت أنه يَخْنَعُ<sup>(١)</sup>  
لبعض الأمر فذلك معنى قولى :

وذى حاجة قلناله لا تَبْجُ بهـا فليس إليها ما حَيَّت سَبِيلُ  
لنا صاحب لا يَنْبَغِي أن نَخُونَهُ وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ  
قالت : لا والذى ذهب بنفسه ما كلمنى بسوء قط حتى فرت بينى  
وبينه الموت .

وقال ابن أحرر : بينا أنا أطوف بالبيت إذ بصرتُ بامرأة متبرقة تطوف  
بالبيت وهى تقول :

لا يقبل الله من معشوقة عملاً يوماً وعاشقها غضبانٌ مهجورٌ<sup>(٢)</sup>  
ليست بمأجورة فى قتل عاشقها لكن عاشقها فى ذاك مأجورُ  
فقلت لها : فى هذا الموضع ؟ فقالت : إليك عني لا يعلمك الحب ، قلت :  
وما الحب ؟ قالت : جلّ والله عن أن يخفى ، وخفى عن أن يرى ، فهو كالنار  
فى أحجارها ، إن حرّ كته أو رى<sup>(٣)</sup> ، وإن تركته توارى ، ثم أنشدت تقول :  
غَيْدُ أَوَانِسُ مَا هَمَّنَ بَرِيَّةً كظباء مكة صيدُهن حرامُ  
يُحْسِنُ من لين الحديث أوانساً<sup>(٤)</sup> وَيَصُدُّهن عن الخنا الإسلامُ

(١) يخضع : يدعو إلى الفجور . والخنة : الزينة والفجور .

(٢) تقدم البيتان فى الصفحة ١٧٣ .

(٣) أورى : اشتمل .

(٤) تقدم البيتان فى الصفحة ٢٤٣ وفيهما : يحسن من لين الحديث زوانياً ،

والخنا : الفحش .

وقد روى محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا عبد الوارث ، عن محمد بن جُحادة ، عن الوليد ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ حَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلَتْ الْجَنَّةَ » <sup>(١)</sup> . وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن هُبَيْعَةَ ، عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ اتَّقَتْ رَبَّهَا وَأَحْصَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلِي مِنْ أَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ » <sup>(٢)</sup> .

وقال الزُّبَيْر بن بَكَّار : أخبرني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، حدثني أبي أن امرأةً لقيت كثيرَ عزة فقالت : تسمع بالمُعَيْدِىَّ خيرٌ من أن تراه ، قال : مه رحمتك الله ! فأنا الذى أقول :

فَإِنْ أَلُّهُ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنِّى إِذَا مَا وَزَنْتِ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ أُوزِّنُ  
قالت : وكيف تُوزَنُ بالقوم وأنت لا تعرف إلا بعزّة ؟ قال : والله لئن قلت ذلك لقد رفع الله بها قدرى ، وزين بها شعرى ، وإنها لكما قلت :  
وما روضةٌ بالخزن طاهرة الثرى يَمُجُّ النَّدى جُشْجَانُهَا وَعَرَارُهَا <sup>(٣)</sup>  
بأطيب من أردانٍ عَزَّةٌ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبَ نَارُهَا  
من الخُفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقْ شَقْوَةً وَبِالْحَسْبِ الْمَسْكُونِ صَافٍ نِجَارُهَا  
فَإِنْ بَرَزْتَ كَانَتْ لِعَيْنَيْكَ قُرَّةٌ وَإِنْ غَبَتْ عَنْهَا لَمْ يَمُكَّ عَارُهَا

(١) رواه أحمد والبزار والطبرانى . كما جاء فى الجامع الصغير للسيوطى .

(٢) فى مسند أحمد عن عبد الرحمن بن عوف باختلاف فى اللفظ .

(٣) تقدمت هذه الأبيات فى صفحة ٣٣٩

قالت : أرأيت حين تذكر طيبها فلو أن زنجيةً تخمرت بالمدل الرطب  
لطاب ريحها ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس .

خليلى مرأبى على أم جندب      تقضى لبانات<sup>(١)</sup> الفؤاد المذبذب  
ألم ترى أنى كلما جئت طارقاً      وجدت بها طيباً وإن لم تطيب ؟  
فقال : والله الحق خير ما قيل ، هو والله أنعت لصاحبه منى .

ودخلت عزة على عبد الملك بن مروان وهو لا يعرفها ترفع مظلمة لها ، فلما  
سمع كلامها تعجب منه ، فقال له بعض جلسائه : هذه عزة كثير ، فقال لها  
عبد الملك إن أردت أن أرّد عليك مظلمتك فأنشديني ما قال فيك كثير ،  
فاستحييت وقالت والله ما أعرف كثيراً ولكنى سمعتهن يحكون عنه أنه  
قال فى :

قضى كل ذى دين فوق غريمه      وعزة مطول معنى غريمها  
فقال عبد الملك ليس عن هذا أسألك ، ولكن أنشديني من قوله :

وقد زعمت أنى تغيّرت بعدها      ومن ذا الذى يا عز لا يتغير  
تغير جسمى والخليقه كالذى      عهدت ولم يخبر بسرك مخبر  
قالت : ما سمعت هذا واسكن سمعت الناس يحكون عنه أنه قال فى :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت      من الصم لو تمشى بها العصم زلت  
صفوح<sup>(٢)</sup> فما تلقاك إلا بخيلة      فمن مل منها ذلك الوصل ملّت

فقضى حاجتها وردّ مظلمتها وقال : أدخلوها على الجوارى يأخذن من أدهبها .  
وذكرت عنه أنه قال فيها أيضاً :

( ١ ) جمع لبانة : الحاجة والنهمة .

( ٢ ) المرأة الصفوح : المعرضة الهاجرة



وما نلت منها محرماً غير أننى أقبل بساماً من الثغر أفلجاً  
وألثم فاهاً تارةً ثم تارةً وأترك حاجات النفوس تخرجاً

وقال الزبير بن بكار، عن عباس بن سهل الساعدي قال : بينا أنا بالشام إذ  
لقيني رجلٌ من أصحابي فقال هل لكم في جميل نعوذه ؟ فدخلنا عليه وهو يجود  
بنفسه وما يُخَيِّلُ إلىَّ إلا أن الموت يكرهه<sup>(١)</sup> ، فنظر إلىَّ ثم قال : يا ابن سهل ،  
ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قطّ ، ولم يزن ، ولم يقتل نفساً ؟ يشهد أن لا إله إلا  
الله ؟ قلت : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، قلت :  
والله ما أحسبك سلت وأنت تشبّب<sup>(٢)</sup> منذ عشرين سنة في بُشينة ، فقال :  
لأنّني شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة — فإنني في أوّل يومٍ من  
أيام الآخرة وآخر يومٍ من أيام الدنيا — إن كنت وضعت يدي عليها لرؤية .  
فما برحنا حتى مات .

وقال عوانة بن الحكم : كان عبد المطلب لا يسافر إلا ومعه ابنه الحارث ،  
وكان أكبر ولده ، وكان شبيهاً به جمالاً وحُسنًا ، فأبى اليمن وكان يجالس  
عظيماً من عظمائهم فقال له : لو أمرت ابنك هذا يجالسني وينادمني ، ففعل ،  
فعشقت امرأته الحارث ، فراسلته فأبى عليها ، فألحّت عليه ، فأخبر بذلك أباه ،  
فلما يئست منه سقته سمّاً شهيراً ، فارتحل به عبد المطلب حتى إذا قدم مكة مات  
الحارث . وذكرها هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وذكر رثاء أبيه  
له بقصيدته التي فيها :

( ١ ) يكرهه : يشدد عليه ويبلغ منه المشقة .

( ٢ ) شبب بفلانة : تغزل بها ووصف حسنها .

والحارث الفيّاض أكرم ماجدٍ أيامَ نازعه المهامُ الكاسا  
ولما احتضِرَ أبو سفيان بن الحارث هذا وهو ابن عمّ النبي صلى الله عليه وسلم  
قال لأهله : لا تبكوا علىّ فإنّي لم أنتظنّ<sup>(١)</sup> بخطيئة منذ اسلمت .

ولما قدم عروّة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك خرجت برجله الآكلة<sup>(٢)</sup>  
فاجتمع رأى الأطباء على نشرها وأنه إن لم يفعل سرت إلى جسمه فهلك ، فلما  
عزم على ذلك قالوا له : نسقيك مرّقدًا؟ قال : ولم ؟ قالوا : لثلاث تحسّ بما يصنع ،  
قال : لا بل شأنكم ، فنشروا ساقه بالمنشار ، فما أزال عضواً عن عضوه حتى  
فرغوا منها ثم حسموها<sup>(٣)</sup> ، فلما نظر إليها في أيديهم تناولها وقال : الحمد لله ،  
أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنّي مامشيت بك إلى حرامٍ قطّ .

ولما حضرت عمر بن أبي ربيعة الوفاة بكى عليه أخوه الحارث ، فقال له  
عمر : يا أخي إن كان أسفك لما سمعت من قولي : قلت لها وقالت لي ، فكل  
مملوكٍ لي حرّاً إن كنت كشفت حراماً قطّ . فقل الحارث : الحمد لله تعالى  
طابت نفسي .

وقال سفيان بن محمد دخلت يوماً عزة على أمّ البنين أخت عمر بن  
عبد العزيز فقالت يا عزة ما قول كثيرٍ :

قضى كلّ ذي دين فوفّي غريمه وعزة ممّطول معني غريمها؟<sup>(٤)</sup>

(١) تنطف : تلطخ .

(٢) الآكلة : الحسكة والجرب .

(٣) حسموها : كوهها لكيلا يسيل الدم .

(٤) تقدم هذا البيت في الصفحة ٥٠ ومطل فلانا بديته : سوفه بوعده الوفاء

مرة بعد الأخرى ، ومعنى : معذب حزين ، مكلف بما يشق عليه .

ما كان هذا الدين؟ فقالت: كنت وعدته بقُبْلَةٍ ففحرجت منها، فقالت أم البنين: أنجزها وعلى إثمها، قالت: فأعتقت أم البنين بكلمتها هذه أربعين رقة، وكانت إذا ذكرتها بكّت وقالت: ليتني خرست ولم أتكلم بها. ولما احتضر ذو الرمة قال: لقد هممت بى عشرين سنة في غير ريبَةٍ ولا فساد.

وكان الحارث بن خالد بن هشام الخزومي عاشقاً لعائشة بنت طلحة وله فيها أشعارٌ أفرد لها ابن المَرْزُبَان كتاباً، فلما قُتِل عنها مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ قِيلَ للحارث: ما يمنعك الآن منها؟ قال: والله لا يتحدث رجال قريش أن تشيبي بها كان لريبةٍ ولشيءٍ من الباطل.

وقال ابن عُلَاثَة: دخلت على رجلٍ من الأعراب خيمته وهو يُنْ قفلت: ما شأنك؟ قال: عاشق، قفلت له: ممن الرجل؟ قال: من قومٍ إذا عشقوا ماتوا عَفَةً، فجعلت أعذله<sup>(١)</sup> وأزهدّه فيما هو فيه، فتنفّس الصَّعْدَاءُ ثم قال: ليس لي مسعدٌ فأشكو إليه إنما يسعدُ الحزينَ الحزينُ وقال سعيد بن عُمَيْة لأعرابي: ممن الرجل؟ قال: من قومٍ إذا عشقوا ماتوا قال: عذرى وربّ السكبة، قفلت له: وممّ ذاك؟ قال: في نساءنا صباحة، وفي رجالنا عفة.

وقال سفيان بن زياد: قلت لامرأة من عُذْرَة ورأيت بها هوى غالباً خفت عليها الموت منه: ما بال العشق يقتلكم معاشرَ عُذْرَة من بين أحياء العرب؟ فقالت: فينا جمالٌ وتعفّفٌ والجمال يحملنا على العفاف، والعفاف يورثنا رقة القلوب، والعشق يفنى آجالنا، وإنا نرى عيوناً لا ترونها.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قال رجلٌ من بني فزارة لرجلٍ من

(١) أعذله: ألومه

بنى عذرة : ما بعد موتكم من الحب مزية ، وإنما ذلك من ضعف البنية ووهن العقل وضيق الرئة ، فقال له العذري : أما لو رأيتم الحاجر الباج ، ترشق بالأعين الدعج ، من فوقها الخواجب الزجج ، والشفاه الشعر ، تفتش عن الثنايا الغر ، كأنها نغم الدر ، لجلتموها اللات والعزى ونبذتم الإسلام وراء ظهوركم <sup>(١)</sup> .

وقال بثر بن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول فى مرضه الذى مات فيه : اللهم إني أعلم أنك تعلم أني لم أطأ فرجاً حراماً قط وأنا أعلم ، ولم آكل درهماً حراماً قط وأنا أعلم .

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي : دخلت على المعتضد وعلى رأسه غلمان صباح الوجوه أحداث ، فنظرت إليهم فرآني المعتضد وأنا أتأملهم ، فلما أردت القيام أشار إلى ، فكنت ساعةً فلما خلا قال لى : أيها القاضي والله ما حلت سراويل على حرام قط .

وقال اليزيدى : جلس محمد بن منصور بن بسام وعلى رأسه عدة خديم لم ير قط أحسن منهم ، ما منهم من ثمنه ألف دينار بل أكثر ، فجعل الناس ينظرون إليهم فقال محمد : هم أحرار لوجه الله إن كان الله كتب على ذنبا مع واحد منهم ، فن عرفت خلاف ذلك منهم فليعض فإنه قد عتق وهو فى حل مما يأخذ من مالى .

وقال إبراهيم بن أبي بكر بن عياش : شهدت أبى عند الموت فبكيت فقال : ما يبكيك ؟ فما أنى أبوك فاحشة قط .

---

( ١ ) البلج جمع أبلج : الذى بعد ما بين عينيه فهو أبلج وهى بلجاء . الدعج : جمع دعجا . والدعج : شدة سواد العين مع سعتها . والزج جمع زجا . والزجج : دقة فى الحاجبين وطول . الثنايا جمع ثنية : وهى أربع أسنان فى مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنان من أسفل . الغر : البيضاء .

وقال عمر بن حفص بن غياث : لما حضرت أبي الوفاة أغشى عليه فبكيت عند رأسه ، فقال لي حين أفاق : ما يبكيك ؟ قلت : أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر يعني القضاء قال : لا تبك فإني ما حللت سراويلي على حرام قط ، ولا جلس بين يدي شخصان فباليت علي من توجه الحكم منهما .

وقال سفيان بن أحمد المصيصي : شهدت الهيثم بن جميل وهو يموت وقد سبجى<sup>(١)</sup> نحو القبلة ، فقامت جاريته تغمز رجله فقال : أغمزيهما فإن الله يعلم أنهما ما مشتا إلى حرام قط .

وقال محمد بن إسحاق : نزل السرى بن دينار في درب بمصر وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بحالها ، فعلمت به المرأة فقالت : لأفتننه ، فلما دخلت من باب الدار تكشفت وأظهرت نفسها ، فقال : مالك ؟ فقالت : هل لك في فرائس وطى وعيش رخي ؟ فأقبل عليها وهو يقول :

وكم ذى معاصٍ نال منهن لذةً ومات فخلأها وذاق الدواهيها  
تصرم لذات المعاصي وتنقض وتبقى تباعات المعاصي كما هي<sup>(٢)</sup>  
فيا سوءاً والله راء وسامعٌ لعبدٍ بعين الله يعشى المعاصيا

وقال عمر بن بكير : قال أعرابي : علقت امرأة كنت آتيها فأحدثها سنين وما جرت بيننا رية قط ، إلا أني رأيت يباض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدي على يدها ، فقالت : مه<sup>(٣)</sup> لا تفسد ما بيني وبينك ، فإنه ما نكح حب

(١) سبجى الميت : مد عليه ثوباً وغطاه .

(٢) تصرم : تنقض وتذهب . وتباعات جمع تباعة : ظلامة أو ما يترتب على الفعل من الخير والشر إلا أن استعماله في الشر .

(٣) مه : اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكف ، ولا تقل بمعنى اكفف لأن اكفف يتعدى ولا يتعدى . وحكمها في التذكير والوصل حكم صه . وجاء في القاموس المحيط للفيروز ابادي : مهمه قال له مه مه أى اكفف .

قطّ إلاّ فسد . قال : فقامت وقد تصبّبت عرقاً حياً منها ولم أعود إلى شيء من ذلك .

وذكر أبو الفرج وغيره أن امرأة جميلة كانت بمكة ، وكان لها زوج ، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها : أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتن به ؟ قال : نعم ، قالت : من ؟ قال : عبيد بن عمير ، قالت : فائذن لي فيه فلا فتنته ، قال : قد أذنت لك ، قال : فأتته كالمستفتية ، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام فأسفرت عن وجهه منديل فلقة القمر ، فقال لها : يا أمة الله استترى ، فقالت : إني قد فتنت بك قال : إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك قالت : لا تسألني عن شيء إلاّ صدقتك قال : أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقيض روحك أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت قال : فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت قال : فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك يمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت ، قال : فلو أردت للممرّ على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت ، قال : فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا ، قال : فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا ، قال : صدقت قال : أتسقى الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك ، قال : فرجعت إلى زوجها فقال : ما صنعت ؟ قالت : أنت بطّال ونحن بطّالون ، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة ، فكان زوجها يقول : مالي ولعبيد بن عمير أفسد على امرأتي ، كانت في كل ليلة عروساً فصيرها راهبة .

وقال سعيد بن عبد الله بن راشد : علقت فتاةً من العرب فتىً من قومها  
 وكان عاقلاً فجعلت تكثر التردد إليه ، فلما طال عليها ذلك مرضت وتغيّرت  
 واحتالت في أن خلا لها وجهه ، فتعرضت إليه ببعض الأمر فصرفها ودفعها عنه  
 فزاد المرض حتى سقطت على الفراش ، فقالت له أمُّه : إن فلانة قد مرضت وها  
 علينا حتى ، قال : فعوديتها وقولى لها : يقول لك ما خبرك ؟ فسارت إليها أمه وسألها  
 ما بك ؟ فقالت : وجعٌ في فؤادى هو أصل علتي ، قالت : فإن ابني يسألك عن  
 علتك ، فتنفّست الصعداء ثم قالت :

يسألنى عن علتي وهو علتي عجيبٌ من الأنساء جاء به الخبر  
 فأنصرفت إليه أمه وأخبرته وقالت له : تريد أن تصير إليك ؟ فقال : نعم ،  
 فذكرت أمه لها ذلك فبكت وقالت :

ويبعدنى عن قربته ولقائه فلما أذاب الجسم منى تعطفاً  
 فليست بآتٍ موضعاً فيه قاتلى كفاًنى سقاماً أن أموت تلهفاً  
 وتزايدت بها العلة حتى ماتت .

وأحب رجلٌ من أهل الكوفة يسمى أبا الشعثاء امرأةً جميلةً ، فلما علمت  
 به كتبت إليه وقالت :

لأبى الشعثاء حبٌّ دائمٌ ليس فيه تهمةٌ لمتهمٍ  
 يا فؤادى فازدجر<sup>(١)</sup> عنه ويا عبثَ الحبِّ به فاقصد وقمُ  
 جاءنى منه كلامٌ صائدٌ ورسالاتُ المحبين الكلمُ

( ١ ) ازدجر وانزجر بمعنى زجره : منعه ونهاه قال تعالى : ( ولقد جاءهم من  
 الأنبياء ما فيه مزدجر ) أى منع من ارتكاب المآثم .

صمائد يا منسه غزلانه مثل ما يامن غزلان الحرم  
صل إن أحيت أن تعطى المنى يا أبا الشعثاء الله وصم  
ثم ميعادك بعد الموت في جنة الخلد إن الله رجم  
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً ناعماً قد كملت فيه النعم

وقال الأصمعي عن أبي سفيان بن العلاء قال : بصرت الثريّا بعمر بن أبي ربيعة وهو يطوف حول البيت ، فتنكرت وفي كفها خلوق<sup>(١)</sup> فزحمته فأثر أنخلوق في ثوبه : فجعل الناس يقولون : يا أبا الخطاب ما هذا زى المحرم فأنشأ يقول :

أدخل الله رب موسى وعيسى جنة الخلد من ملائي خلوقاً  
مسحت كفها بحبيب قميصي حين طمنا بالبيت مسجاً رفيقاً

فقال له عبد الله بن عمر : مثل هذا القول في هذا الموضع ؟ فقال له : يا أبا عبد الرحمن قد سمعت مني ما قد سمعت قورب هذه البذيّة ما حلت إزارى على حرام قطّ .

وقيل لليلي الأخيلية : هل كان بينك وبين توبة ما يكرهه الله ؟ قالت : إذا أكون منسلخة من ديني إن كنت ارتكبت عظيماً ثم أتبعه بالكذب .

وقال العتبي : خرجت إلى المربد فإذا بأعرابي غزل فلت إليه فذكرت النساء فتنفس ثم قال : يا ابن أخي إن من كلامهن لما يقوم مقام الماء فيشفي من الظما . فقلت : صف لي نساءكم ، فقال : نساء الحى تريد ؟ قلت : نعم فأنشأ يقول :

(١) الخلق : ضرب من الطيب أكثر أجزائه من الزعفران .



رُجِّعُ<sup>(١)</sup> وَلَسَنَ مِنَ اللّٰوَاتِي بِالضَّحَى لَذِيولَهْنٌ عَلَى الطَّرِيقِ غِبَارَ  
يَأْنَسْنَ عِنْدَ بَعولَهْنِ إِذَا خَسَلُوا وَإِذَا هُمْ خَرَجُوا فَهِنَّ خِفْصَارُ<sup>(٢)</sup>

قال العتبي : فأخبرت به أبي قال : تدري من أين أخذ قوله : وإن من كلامهن  
ما يقوم مقام الماء فيشفي من الظما ؟ قلت : لا ، قال : من قول القطامي :

يَقْتُلُنَا بِمَحْدِثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مِنْ يَتَقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي  
فَهْنٌ يُبْـدِينَ مِنْ قَوْلِ يُصْبِنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي<sup>(٣)</sup>

وهذه الطائفة لعقمتهم أسباب أقواها إجلال الجبار ، ثم الرغبة في المحور  
الحسان في دار القرار ، فإن من صرف استمتاعه في هذه الدار إلى ما حرم الله عليه  
منع من الاستمتاع بالمحور الحسان هناك ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَلْبَسِ  
الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٤)</sup> » ، وَمَنْ شَرِبَ اتْلَمَرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ  
يَشْرَبْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ<sup>(٥)</sup> . فلا يجمع الله للعبد لذة شرب الخمر ولبس الحرير والتمتع  
بما حرم الله عليه من النساء والصبيان ولذة التمتع بذلك في الآخرة ، فليتنخير  
العبد لنفسه إحدى اللذتين ، وليطب نفساً عن إحداها بالأخرى ، فلن يجعل  
الله من أذهب طيباًته في حياته الدنيا واستمتع بها كمن صام عنها ليوم فطره  
من الدنيا إذا لقي الله . ودون ذلك مرتبة أن يتركها خوف النار فقط ، فإن  
تركها رغبةً ومحبةً أفضلُ من تركها لجرّد خوف العقوبة .

( ١ ) امرأة رجاح : عجزاء وأيضاً : رزان

( ٢ ) خفّار : شديداً الحياء ، ذوات وفاء .

( ٣ ) في الأغاني وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة : فهن يقبذن . الخ وذو الغلة

الصادي : الشديد المطش .

( ٤ ) رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه وأحمد والطبراني . كما قال السيوطي

( ٥ ) رواه ابن ماجه . ورواه بنحوه البخاري ومسلم .

ثم أدنى من ذلك أن يحمله عليها خوفُ العار والشنار<sup>(١)</sup> ، ومنهم من يحمله على العفة الإبقاء على محبته خشية ذهابها بالوصال ، ومنهم من يحمله عليها عفة محبوبه ونزاهته ، ومنهم من يحمله عليها الحياء منه والاحتشام له وعظمتُهُ في صدره . ومنهم من يحمله عليها الرغبة في جميل الذكر وحسن الأجدوثة ، ومنهم من يحمله عليها الإبقاء على جاهه ومروءته وقدره عند محبوبه وعند الناس ، ومنهم من يحمله عليها كرمُ طبعة وشرفُ نفسه وعلوُّ همته ، ومنهم من يحمله عليها لذةُ الظفر بالعفة فإن للعفة لذةً أعظمَ من لذة قضاء الوطر ، لكنها لذةٌ يتقدمها ألمٌ حبس النفس ثم تعقبها اللذة ، وأما قضاء الوطر فبالضد من ذلك ، ومنهم من يحمله عليها علمه بما تعقبه اللذة المحرمة من المضار والمفاسد ، وجمع الفجور خلال الشر كلها ، كما ستقف عليه في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى .

## فصل

ولم يزل الناسُ يفتخرون بالعفة قديماً وحديثاً ، قال إبراهيم بن هرمة :

ولربّ لذةٍ ليللةٍ قد نلتها      وحرامها بحلالها مدفوعٌ

وقال غيره :

إذا ما هممنا صدنا وازعجتني      فولى على أعقابها الهمُّ خاسئاً

وقال آخر :

أتأذنون لصبٍّ في زيارتكم      فعندكم شهواتُ السمع والبصر  
لا يُضمرُ سوءٌ إن طالت إقامته      عفُ الضميرِ ولكن فاسقُ النظر

(١) الشنار : أقبح العيب والعار والامر المشهور بالشنعة .

وقال مسلم بن الوليد :

ألا رب يوم صادق العيش نالته بها وندامى العفافة والنهى<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

إِن تَرَنِى زَانِىَ الْعَيْنِينَ فَالْفَرْجُ عَفِيفُ  
لَيْسَ إِلَّا النَّظَرُ الْفَا تَرِ الشَّرُّ الظَّرِيفُ  
وقال الموسوى<sup>(٢)</sup> :

بِتَنَاضُجِيَعَيْنِ فِي ثَوْبِي هَوَى وَتَقَى يَلْفُنَا الشَّوْقُ مِنْ فَرَقِي إِلَى قَدَمِ  
يَشَى بِنَا الطَّيِّبُ أَحْيَانًا وَأَوْنَةً يُضِيئُنَا الْبَرْقُ مَجْتَازًا عَلَى إِضْمِ<sup>(٣)</sup>  
ثُمَّ ائْتَيْنَا وَقَدْ رَابَتْ<sup>(٤)</sup> ظَوَاهِرُنَا وَفِي بَوَاطِنُنَا بَعْدُ عَنْ التَّهَمِ  
وقال نَفْطَوَيْه :

كَمْ قَدْ خَلَوْتُ مِنْ أَهْوَى فِيمَنْعَنِ مِنْهُ الْحَيَاةُ وَخَوْفُ اللَّهِ وَالْحَذَرُ  
وَكَمْ ظَفَرْتُ مِنْ أَهْوَى فَيَقْنَعَنِ مِنْهُ الْفُكَاةُ وَالتَّجْمِيشُ<sup>(٥)</sup> وَالنَّظَرُ  
أَهْوَى الْحَسَانِ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهُمْ وَلَيْسَ لِي فِي حَرَامِ مِنْهُمْ وَطَرُ  
كَذَلِكَ الْحُبُّ لَا إِيْتَانُ مَعْصِيَةٍ لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ  
وقال الشهاب محمود بن سليمان صاحب ديوان الإنشاء (الخلجي) :

- 
- (١) العفافة : العفة وهى الكف عمالا يحل ولا يحمل قولاً أو فعلاً .  
والنهى جمع نهية : العقل، سعى به لأنه ينهى عن القبيح وعن كل ما ينافيه .  
(٢) هو الشريف الرضى .  
(٣) إضم كعنب : جبل ، والوادي الذى فى المدينة المنورة .  
(٤) رابت : دعت إلى الشك .  
(٥) التجميش : المغازلة بالقرص والملاعبة .

لله وقفة عاشقين تلاقيا      من بعد طول نوحى وبعْد مزار  
يتعاطيان من الغرام مُدَمَّة      زادتْهما بعداً من الأوزار  
صدقا الغرام فلم يَمِلْ طَرْفٌ إلى      فُحْشٍ ولا كَفٍّ لِمَلٍّ إزار  
فتلاقيا وتقرّقا وكلاهما      لم يَخْشَ مَطْعَنَ عَائِبٍ أو زار<sup>(١)</sup>

وقيل لبُئْسَينة : هذا جميل لما به فهل عندك من حيلة تُنَفِّسَين بها وجدّه ؟  
قالت ما عندي أكثر من البكاء إلى أن ألقاه في الدار الأخرى ، أو زيارته  
وهو ميت تحت الثرى . وقيل لمتبة بعد موت عاشقها : ما كان يضرك لو أمتعته  
بوجهك ؟ قالت : منعنى من ذلك خوفُ العار ، وشماتةُ الجار ، ونخافةُ الجبار .  
وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه غير أنى أجِد سِتْرَه أبقي للمودّة ، وأُحَدِّد للعاقبة ،  
وأطوعَ للرب ، وأخفّ للدنْب .

وهوى فتى امرأةً وهويته وشاع خبرها فاجتمعا يوماً خاليتين فقال لها :  
هلمّى نحقق ما يقال فينا فقالت : لا والله لا كان هذا أبداً وأنا أقرأ : ( الأَخْلَاءُ  
يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ )<sup>(٢)</sup> . وقيل لبعضهم وقد هوى  
جاريةً فطال عشقه بها : ما أنت صانعٌ لو ظفرت بها ولا يراكا إلا الله ؟  
قال : والله لأجعلته أهونَ الناظرين إلىّ ، لا أفصل بها خالياً إلاّ ما أفضله  
بمحضرة أهلها ، حنينٌ طويل ، ولحظٌ من بعيد ، وأترك ما يسخط الرب ،  
ويفسد الحب .

إذا كان حظُّ الرءِ ممن يحبه      حراماً فخطى ما يحِلُّ ويَحْمَلُ  
حديثُ كماء الزُّن بين فصوله      عتابٌ به حسنُ الحديث يُقْصَلُ

(١) زرى عليه فعله : عابه .

(٢) الآية ٦٧ : سورة الزخرف .

وَلَسْتُمْ فَمَ عَذَابِ الْآثَاتِ كَأَنَّمَا جَآهَنُ شَهِدَتْ فُتَّ فِيهِ الْقَرْفُلُ  
وَمَا الْعَشْقُ إِلَّا عَفَّةٌ وَزَاهَةٌ وَأَنْسُ قُلُوبِ أَنْسَهْنُ النُّغُولُ  
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي الْحَيِيبَ مِنَ التِّي تَرِيْبٍ وَأُدْعِي لِلْجَمِيلِ فَأَجْلُ  
وَقَالَ آخِرُ :

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ مِنْ الْجَدِّ يَكْبُو دُونَهَا الْمُتَطَاوِلُ  
بَذُولٌ لِمَالِي حِينَ يَبْخُلُ ذُو النَّهْيِ عَفِيفٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ قَرْمٌ حُلَا حُلْ (١)  
وَمَا أَلْطَفَ قَوْلُهُ : حِينَ يَبْخُلُ ذُو النَّهْيِ فَإِنَّ ذَا النَّهْيِ لَا يَبْخُلُ إِلَّا فِي مَوْضِعٍ  
الْبَخْلُ ، فَأَخْبَرَ هَذَا أَنَّهُ يَبْذُلُ مَالَهُ حِينَ يَبْخُلُ بِهِ رَبُّهُ فِي مَوْضِعِ الْبَخْلِ .

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ حَذَافَةَ : رَأَيْتُ بُصْحَارَ (٢) جَارِيَةً قَدْ أَهْضَمَتْ خَدَّيْهَا بِقَبْرِ  
وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ :

خَدَى يَقِيكَ خَشُونَةُ اللَّحْدِ وَأَقْلُ مَا لَكَ سَيِّدَى خَدَى  
يَا مَا كُنَ السُّتْرُ الَّذِي بَوَفَاتِهِ عَمِيَتْ عَلَى مَسَالِكِ الرُّشْدِ  
إِسْمَاعِيلُ فَدَيْتُكَ قَصَصِي فَلَعَنِي أَشْفَى بِذَلِكَ غُلَّةَ الْوَجْدِ  
قَالَ : فَسَأَلَهَا عَنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ فَقَالَتْ : فَتَى رَاقِقَتُهُ فِي الصَّبَا ، ثُمَّ أَشَاتَتْ تَقُولُ :  
كُنَّا كَزَوْجِ حَامِئٍ فِي أَيْكَةٍ (٣) مُتَنَمِّعِينَ بِصَحَّةٍ وَشَبَابٍ  
فَعَدَا الزَّمَانُ مُشْتَتَاً بِفِرَاقِهِ إِنْ الزَّمَانُ مَفْرَّقُ الْأَحْبَابِ

---

( ١ ) القرم : السيد المعظم ، والحلاحل : السيد في عشيرته ، والشجاع الركين  
في مجلسه

( ٢ ) صحار بالضم : قصبة عمان بما يلي الجبل . كما جاء في الصحاح للجوهري .  
( ٣ ) الأيكة وجمها أيك : الشجر الكثيف الملتصق وقيل الغيضة تنبت السدر  
والأراك ونحوهما من ناعم الشجر .

قال : فبكيت لركة شعرها فأنشأت تقول :

تبكى عليه ولست تعرف أمره      فلا علمك حاله ببيان  
ما كان للعافين<sup>(١)</sup> غير نواله      فإذا امتجير ففارس الفرسان  
لا يُتبع الجيران رفة طرفه      ويتابع الإحسان للجيران  
عف السريرة والجهرية مثلها      فإذا استضم<sup>(٢)</sup> أراك فتق طعان

قلت : أعلمني من هو ؟ قالت : سنان بن وبرة الذي يقول فيه الشاعر :

يا رائداً غيثاً لنجعة قومه      يكفيك من غيث نوال سنان

ثم قالت : يا هذا والله لولا أنك غريب مامتك من حديثي . قلت : فكيف كان حبه لك ؟ قالت : ما كان يوسدني إذا نمت إلا يده ، فكثت معه أربعة أحوال<sup>(٣)</sup> ما توسدت غيرها إلا في حال يمنعه مانع .

وقال سعيد بن يحيى الأموى : حدثني عمي محمد بن سعيد ، حدثنا عبد الملك

ابن عمير قال : كان أخوان من ثقيف من بنى كنة بينهما من التحاب شىء . لا يعلمه إلا الله ، وكل واحد منهما أخوه عنده عدل<sup>(٤)</sup> نفسه ، فخرج الأكبر منهما إلى سفر له وله امرأة فأوصى أخاه بحاجة أهله ، فبينما المقيم في دار الطاعن إذ مرت امرأة أخيه في ررع تجوز من بيت إلى بيت ، وكانت من أجل البشر ، فرأى شيئاً حيره ، فلما رآه ولت ووضع يدها على رأسها ودخلت بيتاً ، ووقع حبها في قلبه ، فجعل يذوب وينحل جسمه ويتغير لونه . وقدم أخوه فقال : مالك يا أخى متغيراً ، ما وجعك ؟ قال : ما بى من وجع ، فدعا له الأطباء فلم يقف

( ١ ) المافين : طلاب المعروف . والنوال : المطاء .

( ٢ ) استضم : انتقص حقه ، وضامه حقه واستضامه : ظله .

( ٣ ) جمع حول : السنة .

( ٤ ) العدل : ما عدل الشئ . والمثل والنظير .

أُحْدُ عَلَى دَانِهِ غَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَكَانَ طَبِيبًا فَقَالَ : أَرَى عَيْنَيْنِ مَحِيحَتَيْنِ  
وَمَا أُدْرِي مَا هَذَا الْوَجَعُ وَمَا أَظُنُّهُ إِلَّا عَاشِقًا ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَسْأَلُكَ  
عَنْ وَجَعِ أَخِي وَأَنْتَ تَسْتَهْزِئُ بِي ، فَقَالَ : مَا فَعَلْتُ ، وَنَدَّاسِقِيهِ شَرَابًا عِنْدِي  
فَإِنْ كَانَ عَاشِقًا فَسَيَتَبَيَّنُ لَكُمْ ، فَأَتَاهُ بِشَرَابٍ فَجَعَلَ يَسْقِيهِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، فَلَمَّا أَخَذَهُ  
الشَّرَابَ هَاجَ وَقَالَ :

أَلِمَّا بِي عَلَى الْأَيَّامِ      تَ مِنْ خَيْفٍ تَزُرُّهُنَّ  
غَزَالٌ مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ      مَ فِي دُورِ بَنِي كُنَّةَ  
أَسِيلُ الْخُلْدِ مَرْبُوبٌ <sup>(١)</sup>      وَفِي مَنْطِقِهِ غُنَّةُ

فَقَالَ : أَنْتَ طَبِيبُ الْعَرَبِ فَبِمَنْ ؟ قَالَ : سَأَعِيدُ لَهُ الشَّرَابَ وَلَعَلَّهُ يَسْمَعُنِي ،  
فَأَعَادَ لَهُ الشَّرَابَ فَسَمِيَ الْمَرْأَةُ ، فَطَلَقَهَا آخِرَهُ لِيَتَزَوَّجَهَا فَقَالَ الْمَرِيضُ : عَلَى كَذَا  
وَكَذَا إِنْ تَزَوَّجْتَهَا ، فَقَضَى وَلَمْ يَتَزَوَّجَهَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ السَّرَاجُ : حَدَّثَنَا أَبُو مَسْمَرٍ ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :  
عَرَضَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ سَجْنَهُ يَوْمًا فَأَتَانِي بِرَجُلٍ فَقَالَ : مَا كَانَ جُرْمُكَ ؟ فَقَالَ :  
أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ أَخَذَنِي الْعَسَسُ <sup>(٢)</sup> وَأَنَا مَخْبِرُكَ بِخَبْرِي ، فَإِنْ كَانَ الْكَذِبُ يَنْجِي  
فَالصَّدَقُ أَوْلَى بِالنَّجَاةِ ، قَالَ : وَمَا قِصَّتُكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَخًا لِفُلَانٍ فَضَرَبَ الْأَمِيرُ  
عَلَيْهِ الْبَعْثَ إِلَى خِرَاسَانَ ، فَكَانَتْ امْرَأَتُهُ تَهْوَانِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ ، فَبَعَثْتُ إِلَيْهَا  
ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولًا أَنْ قَدْ جَاءَ كِتَابُ صَاحِبِكَ فَهَلُمَّ لَتَقْرَأَهُ ، فَضَيَّعْتُ إِلَيْهَا  
فَجَعَلَتْ تَشْفُلُنِي بِالْحَدِيثِ حَتَّى صَلَيْنَا الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ أَظْهَرَتْ لِي مَا فِي نَفْسِهَا مِنِّي  
وَدَعَتْنِي إِلَى السُّوءِ ، فَأَيَّيْتُ ذَلِكَ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَفْعَلْ لِأَصْبِيحَنَّ وَلَا أَقُولَنَّ

---

( ١ ) مَرْبُوبٌ : جَمِيلُ الْجِسْمِ . وَرَبُّ الْوَلَدِ : تَعْمِدُهُ بِمَا يَغْذِيهِ وَيَنْمِيهِ . أَسِيلُ الْخُلْدِ :  
لَيْنُ الْخُلْدِ طَوِيلُهُ .

( ٢ ) الْعَسَسُ : حَرَسَ اللَّيْلَ . وَعَسَ : طَافَ بِاللَّيْلِ .

إنك لص ، ففقتها والله أيها الأمير على نفسي قفلت : أمهليني حتى الليل ، فلما صليت العتمة<sup>(١)</sup> وثقت بشدة حرس الأمير فخرجت من عندها هارباً ، وكان القتلُ أيسرَ على من خيانة أخى . فلقيني عسسُ الأمير فأخذوني ، وقد قفلت في ذلك شعراً ، قال : وما قلت ؟ فقال :

ربّ بيضاء آنس<sup>(٢)</sup> ذاتِ دلٍّ      قد دعنتى لوصلها فأيتُ  
لم يكن شأنى العفاف ولكن      كنت خلاً لزوجها فاستحيْتُ  
فأمر بإطلاقه .

وقال الريم بن زياد : رأيت جاريةً عند قبرٍ وهى تقول :

بنفسى فتى أوفى البرية كلها      وأقوامى فى الموت صبراً على الحب  
فقلت لها : بهم صار أوفاهم وأقوامى ؟ قالت : هو يئى ، فكان أهلى إن جاهر  
بحجى لاموه ، وإن كتبه عنفوه ، فلما أخذه الأمر قال :

يقولون إن جاهرتُ قد عضك الهوى      وإن لم أبحْ بالحبّ قالوا تصبرا  
وليس لمن يهوى ويكتمُ حبه      من الأمر إلا أن يموتَ فيُعذرا  
ولم يزل يردد هذين البيتين حتى مات ، فوالله يا هذا لا أبرح أو يتصل  
قبرانا ، ثم شهقت شهقة فصاح النساء وقلن : قضت ، والذي اختار لها الوفاة  
فما رأيت أسرع ولا أوحى من أمرها . قال ابن الدُمينة :

وبنا فوئيق الحى لانحن منهم      ولا نحن بالأعداء مختلطان  
وبات بقينا ساقط الطل والندى      من الليل برداً يمينه<sup>(٣)</sup> عطران

( ١ ) العتمة : وقت صلاة العشاء .

( ٢ ) الأنس : الفتاة الطيبة النفس المحبوب قريها ، وحديثها يؤنس به .

( ٣ ) يردا يمينه : ضرب من يرود اليمن .



نذود بذكر الله عنا غوى الصبا إذا كان قلبنا له يردان  
ونصذر<sup>(١)</sup> عن رى العفاف وربما نقعنا غليل الحب بالرشفان

قال أبو الفرج : وشت جارية بُئِنَتْ بها إلى أبيها وأخيها وقالت لها : إن  
جئلاً عندها ، فأتيا مشتعلين على سيفيهما فرأياه خالياً حَجَرَةً منها يحدثها  
ويشكو إليها بته<sup>(٢)</sup> ثم قال لها : يا بُئِنَتْ أرايت ما بي من الشغف والعشق  
ألا تجزيني به ؟ قالت له : بماذا ؟ قال : بما يكون من اللتخابين ، فقالت له :  
يا جميل أهذا تبغى ؟ والله لقد كنت عندى بعيداً منه ، فإذا عاودت تعريضاً  
برية لا رأيت وجهي أبداً ، فضحك وقال : والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم  
ما عندك ، ولو علمت أنك تجيئيتى إليه لعلمت أنك تجيئين غيري ، ولو رأيت منك  
مساعدة لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي إن طاوعتنى نفسى ، أو هجرتك  
أبداً ، أما سمعت قولى :

وإنى لأرضى من بُئِنَتْ بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلابله<sup>(٣)</sup>  
بلا وبأن لا أستطيع وبالننى وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى وأخره لا نلتقى وأوائله ؟  
فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغى لنا بعد هذا اليوم أن نمنع هذا  
الرجل من إتيانها .

( ١ ) صدر عن الماء : رجع عنه والنصرف . قال تعالى : ( لانسق حق يصدر  
الرءاء ) أى يرجع الرءاء من سقيمهم أو يرجعون إلىهم .

( ٢ ) البك : الحال وأشد الحزن الذى لا يصبر عنه صاحبه فيبته . والمرضى  
الشديد .

( ٣ ) بلابله : أو هامه ووساوسه .

## الباب الرابع والعشرون

في ارتطاب سبيل الحرام وما يفضى إليه من الفاسد والآلام

حقيقٌ بكل عاقل أن لا يسلك سبيلاً حتى يعلم سلامتها وآفاتهما وما توصل إليه تلك الطريق من سلامة أو عطب ، وهذان السيلان هلاك الأولين والآخرين بهما ، وفيهما من المعاطب والمهلك ما فيهما ، ويفضيان بصاحبهما إلى أقبح الغايات وشرّ موارد الهلكات ، ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى سبيل الزنى شرّاً سبيل فقال تعالى : ( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا )<sup>(١)</sup> فإذا كانت هذه سبيل الزنى فكيف بسبيل اللواط التي تعدل القطعة منه في الإثم والعقوبة أضاعافاً وأضعافاً أضاعافاً من الزنى ؟ كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، فأما سبيل الزنى فأسوأ سبيل ، ومَقِيل<sup>(٢)</sup> أهلها في الجحيم شرٌّ مَقِيل ، ومستقرُّ أرواحهم في البرزخ في تنوّر من نارٍ يأتيهم لها من تحتهم ، فإذا أُنّاهم اللهب ضجّوا وارتفعوا ، ثم يعودون إلى موضعهم ، فهم هكذا إلى يوم القيامة كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، ورؤيا الأنبياء وحى لا شك فيها .

فروى البخارى في صحيحه من حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُب رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا يُكثّر أن يقول لأصحابه : « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا ؟ فَيَقْصُ عليه ما شاء الله أن يُقْصَ » ، وإنه قال لنا ذات

( ١ ) الآية ٣٢ . سورة الإسراء .

( ٢ ) المَقِيل . المثنوى والنوم في الظهيرة .

غَدَاةٍ : إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتِيَانِ وَإِيهمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنْهُمَا قَالَا لِي : انْطَلِقْ ، وَإِنِّي  
انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ ،  
وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَنْدَغُ<sup>(١)</sup> رَأْسُهُ فَيَتَدَ هَذِهِ الْحَجَرُ هَاهُنَا ، فَيَتَمِيعُ  
الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ  
بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى : قَالَ : قُلْتُ لَهَا : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا نَر ؟ قَالَ :  
قَالَا لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَنَقٍ لِقَاهُ ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ  
عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَى وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ  
إِلَى قَفَاهُ ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ  
فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ  
ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ :  
قُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا نَر ؟ قَالَ : قَالَا لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى  
مِثْلِ التَّنُورِ ، فَإِذَا فِيهِ لَفْطٌ وَأَصْوَاتٌ ، قَالَ : فَاَطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رَجَالٌ وَنِسَاءٌ  
عُرَاةٌ ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مَنْهُمْ ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا  
قَالَ : قُلْتُ لَهَا : مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : قَالَا لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ . فَاَنْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى  
نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدِّمِّ ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَاحِجٌ يَسْبِجُ ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ  
رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّاحِجُ يَسْبِجُ مَا يَسْبِجُ ، ثُمَّ يَأْتِي  
ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَقْفَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبِجُ ثُمَّ  
يَرْجِعُ إِلَيْهِ كَمَا رَجِعَ إِلَيْهِ فَقَفَرَهُ فَاهُ فَالْقِمَهُ حَجَرًا ، قَالَ : قُلْتُ لَهَا : مَا هَذَا نَر ؟ قَالَ :

( ١ ) ثلغ رأسه : شذخه . ويتدهده : يتدحرج والكلوب : المهماز ، وحديده  
معطوفة الرأس والجمع كلاليب . وضوضو : صاح وصرخ .  
( ٢٣ م — روضة المحبين )

قالا لى : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجل كربه المرأة<sup>(١)</sup> كما كره  
ما أنت راء رجلاً مراً آة ، وإذا عنده نارٌ يحشها ويسعى حولها ، قال : قلت  
لها : ما هذا ؟ قال : قال لى : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على روضة ممتمة<sup>(٢)</sup>  
فيها من كل نور الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجلٌ طويلٌ لأ كاد أرى  
رأسه طولاً فى السماء ، وإذا حول الرجل من أ كثر ولدان رأيتهم قط قال :  
قلت لها : ما هؤلاء ؟ قال : قال لى : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا<sup>(٣)</sup> على دوحه  
لم أر دوحه قط أعظم منها ولا أحسن ، قال : قال لى : ارق فيها ، فارتقينا  
فيها إلى مدينة مبنيّة بدين ذهب وكن فضة ، قال : فأتينا باب المدينة فاستفتحنا  
فتفتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطرنج من خلقهم كأحسن ما أنت راء ،  
وشطرنج كأقبح ما أنت راء قال : قال لهم : اذهبوا فمعموا فى ذلك النهار قال : وإذا  
نهرٌ معترضٌ يجرى كأن ماء المحض فى البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم  
رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قال : قال لى :  
هذه جنة عدن ، وهذاك منزلك قال : فسمما بصرى صعداً فإذا قصرٌ مثل الربابة  
البيضاء قال : قال لى : هذاك منزلك قال : قلت لها : بارك الله فيكما ذراني  
فأدخله قال : أما الآن فلا ، وأنت داخله . قال : قلت لها : فإني قد رأيت

( ١ ) المرأة : المنظر .

( ٢ ) اعتم التبت . ثم طوله وظهر نوره .

( ٣ ) رواية البخارى : فأتيناه إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط الح . قال  
القسطلانى : وعند الإمام أحمد والنسائى : إلى دوحه بدل روضة . والدوحه : الشجرة  
العظيمة من أى شجر كان . وابن : جمع لبنة : التى يبنى بها . وهو فى الأصل المضروب  
من الطين يبنى به دون أن يطبخ . والمحض : الخالص وكل شئ خالص لا يشوبه  
شئ يخالطه . والربابة : السحابة البيضاء .

مُنْذُ اللَّيْلِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ : قَالَا لِي : أَمَّا إِنَّمَا نَسْخَبُكَ ، أَمَّا الرَّجُلُ  
الْأَوَّلُ الَّذِي أُتِيتَ عَلَيْهِ يُمْسَخُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ  
وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيتَ عَلَيْهِ يَشْرُفُ شِدْقَهُ إِلَى  
قَفَاهُ وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ  
السَّكْذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ ، وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ  
فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيتَ عَلَيْهِ يَسْبِغُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ  
الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكَلُ الرِّبَا ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهَ الْمَرْءَ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا  
وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوْضَةِ  
فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَأَمَّا الْوَلَدَانِ حَوْلَهُ فَكُلُّهُمَا مَوْلِدٌ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ؛ قَالَ : فَقَالَ  
بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَمَّا  
الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَرُ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطَرُ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا  
صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وقال أبو مسلم الكجبي : حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ جَابِرٍ ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ ،  
قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :  
« بَيْنَا أَنَا نَأْمُ إِذْ أَنَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بَضْبَعَيْنِ <sup>(١)</sup> فَأَخْرَجَانِي فَأَتَيْنَا بِي جِبَلًا وَعَرَا  
وَقَالَا لِي : اصْعَدْ فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَطِيقُهُ فَقَالَا : سَنَسَهِّلُهُ لَكَ قَالَ : فَصَعِدْتُ حَتَّى  
إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ <sup>(٢)</sup> إِذَا أَنَا بِأَصْوَاتٍ مَدِيدَةٍ فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ ؟  
فَقَالَا : هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا أَنَا بِفَوْجٍ أَشَدُّ شَيْءَ  
اتِّفَاحًا ، وَأَنْتَنَةٌ رِيحًا ، وَأَسْوَأُ مِنْظَرًا ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَا : هَؤُلَاءِ  
قَتَلُوا الْكُفَّارَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِفَوْجٍ أَشَدُّ شَيْءَ اتِّفَاحًا ، وَأَنْتَنَةٌ رِيحًا ، كَأَنَّ

( ١ ) النْبِيعُ : مَا بَيْنَ الْإِبْطِ إِلَى نِصْفِ الْمَضِدِ ، وَالْجَمْعُ اضْبِاع .

( ٢ ) سَوَاءُ الْجَبَلِ : وَسْطُهُ .

ريحهم المراحض قُلت : من هُوَ لاء ؟ قال : هُوَ لاء الزانون والزواني <sup>(١)</sup> .  
وقال قُتَيْبَةُ بن سَعِيد : حَدَّثَنَا نُوْح بن قَيْس قال : حَدَّثَنِي أَبُو هَارُونَ  
الْبَعْدِيُّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : « لَيْلَةُ أَمْرِي بِي أَنْطَلِقَ بِي إِلَى خَلْقٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَثِيرٍ ، نِسَاءٌ مُعَلَّقاتُ  
بُتْنَيْنٍ وَمَنْهَنَ بِأَرْجُلِهِنَّ مَنَكِسَاتٍ ، وَلِهِنَّ صَرَخٌ وَخُورٌ قُلت : يَا جَبْرِيلُ مَنْ  
هُوَ لاء ؟ قال : هُوَ لاء اللواتي يَزْنِينَ وَيَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَيَجْعَلْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ  
وَرَثَةً مِنْ غَيْرِهِمْ » .

وقال أَبُو نَعِيمٍ الْفَضْلُ بن دُكَيْنٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بن شَدَّادٌ ، عَنْ  
غَزْوَانَ بن جَرِيرٍ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُمْ تَذَاكَرُوا عِنْدَ عَلِي بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
الْفَوَاحِشَ فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ تَدْرُونَ أَى الزَّانِي أَعْظَمُ ؟ قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُلُّهُ  
عَظِيمٌ قَالَ : وَلَكِنْ سَأُخْبِرُكُمْ بِأَعْظَمِ الزَّانِي عِنْدَ اللَّهِ ، هُوَ أَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِزَوْجَةِ  
الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ فَيَصِيرَ زَانِيًا وَقَدْ أَفْسَدَ عَلَى الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ . ثُمَّ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنْ  
النَّاسَ يُرْسَلُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحٌ مُنْتَنَةٌ حَتَّى يَتَأَذَى مِنْهَا كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ،  
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ وَأَلَمَّتْ <sup>(٢)</sup> أَنْ تَمْسَكَ بِأَنْفَاسِ الْأُمَمِ كُلِّهَا نَادَاهُمْ  
مَنَادٍ يُسْمِعُهُمُ الصَّوْتَ وَيَقُولُ لَهُمْ : هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي قَدْ آذَتْكُمْ ؟  
فَيَقُولُونَ : لَا نَدْرِي وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهَا كُلَّ مَبْلَغٍ ، فَيُقَالُ : أَلَا إِنَّهَا رِيحُ

---

(١) بعض هذا الحديث ورد في الفتح لابن حجر عقب الحديث السابق  
وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب بأطول مما هنا ثم قال : رواه ابن خزيمة  
وابن حبان في صحيحهما واللفظ لابن خزيمة ولا علة له .  
(٢) ألم : قرب ، وبالناس : نزل بهم .

فروج الزناة الذين لَقُوا الله بزناتهم ولم يتوبوا منه ، ثم يصرف بهم ، فلم يذكر عند الصرف بهم جنة ولا ناراً .

وقال الخرائطي : حدثنا علي بن داود القنطري ، حدثنا سعيد بن عفير ، حدثني مسلم بن علي الخشني ، عن أبي عبد الرحمن ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنِّي أَتُكُمْ وَالزَّيِّ فَإِنَّ فِيهِ سِتَّ خِصَالٍ : ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ ، فَأَمَّا الْأَوَّلَى فِي الدُّنْيَا فَذَهَابُ الْبَهَاءِ ، وَدَوَامُ الْفَقْرِ ، وَقِصْرُ الْعُمُرِ . وَأَمَّا الْآوَلَى فِي الْآخِرَةِ فَسَخَطُ اللَّهِ ، وَسُوءُ الْحِسَابِ ، وَدُخُولُ النَّارِ <sup>(١)</sup> » .

ويذكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : المُقِيمُ عَلَى الزَّيِّ كَعَابِدِ وَثْنٍ ، ورفعهُ بعضهم ، وهذا أولى أَنْ يُشَبَّهَ بِعَابِدِ الْوَثْنِ مِنْ مُذْمِنِ الْحَمْرِ ، وفي المسند وغيره مرفوعاً : مُذْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثْنٍ . فَإِنَّ الزَّيِّ أَعْظَمُ مِنْ شَرِّبِ الْحَمْرِ . قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : ليس بعد قتل النفس أعظمُ من الزَّيِّ .

وفي الصحيحين من حديث أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قال : أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ ، قال : قلت : ثم أَيُّ ؟ قال : أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَوْفَةً أَنْ يُطْعَمَ مَعَكَ ،

---

(١) ذكره السيوطي بنحوه في الجامع الكبير وقال : رواه الخرائطي في مساوي الأخلاق وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وضعفه ، وأبو الفتح الراشدي في جزئه والرافعي .

قال : قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك ، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه : ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَمًا )<sup>(١)</sup> .

وقال قُتَيْبَةُ بن سعيد : حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن أنعم ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الزَّانِي بِحَلِيلَةِ جَارِهِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِ وَيَقُولُ لَهُ : أَدْخِلِ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ »<sup>(٢)</sup> وذكر سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن جامع بن شداد ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : إذا بُخَسَ المكيال حبس القطر ، وإذا ظهر الزَّانِي وقع الطاعون ، وإذا كثر الكذب كثر الهرج .

وفي الصحيحين<sup>(٣)</sup> من حديث الأعمش ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » .

وذكر سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي بن حراش ، عن أبي ذرٍّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ ثَلَاثَةً :

( ١ ) الآية ٦٨ . سورة الفرقان .

( ٢ ) رواه الخرائطي في مساوىء الاخلاق والديلمى في مسند الفردوس ، كما قال السيوطى .

( ٣ ) هذا الحديث لم يرد في صحيح البخارى وهو في الجامع الصغير والترغيب والترهيب دون أن يتسيرا فيه إلى رواية البخارى بل قالوا : رواه مسلم والنسائي ، وزاد في الزواجر أحمد .



الشَّيْخُ الزَّيْنِيُّ ، وَالْمَقْلُ الْمُخْتَالُ ، وَالْبَحِيلُ الْمَذَانُ « (١) .

وذكر الأعمش ، عن خَيْثَمَةَ ، عن أَبِي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَثَلُ الَّذِي يَخْنُسُ عَلَى فِرَاشٍ الْمُغِيْبَةِ مَثَلُ الَّذِي يَنْهَشُهُ الْأَسَاوِدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢) . الْمُغِيْبَةُ هِيَ الَّتِي قَدْ سَافَرَ زَوْجُهَا فِي جِهَادٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ غَيْرِهَا ، وَفِي النِّسَائِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَأَهْلِهِمْ ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ إِلَّا نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ : يَا فُلَانُ هَذَا فُلَانٌ فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ . ثُمَّ التَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « مَا تَرَوْنَ يَدْعُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئًا » ؟ وَفِي لَفْظٍ : « وَإِذَا خَلَقَهُ فِي أَهْلِهِ فَخَانَهُ قِيلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَذَا خَانَكَ فِي أَهْلِكَ فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ فَمَا ظَنُّكُمْ » ؟

ويكفي في قُبْحِ الزَّيْنِيِّ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ كَمَالِ رَحْمَتِهِ شَرَعَ فِيهِ أَفْخَسَ الْقَتْلَاتِ وَأَصْعَبَهَا وَأَفْضَحَهَا ، وَأَمَرَ أَنْ يَشْهَدَ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ تَعْذِيبَ فَاعِلِهِ ، وَمَنْ قُبِحَ أَنْ اللَّهَ سَبَحَانَهُ فَطَرَّ عَلَيْهِ بَعْضَ الْحَيَوَانَاتِ الْبَهِيمِ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهُ كَمَا ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي مَحَبِّهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونِ الْأَوْدِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قُرْدًا زَيْنِي بِقُرْدَةٍ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمَا الْقُرُودُ فَرَجَّوْهَا حَتَّى مَاتَا وَكَذْتُ فِيمَنْ رَجَّهَ .

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانَ وَالضَّيَّاءُ الْمَقْدِسِيُّ . كَمَا قَالَ السَّيُوطِيُّ .  
وَالْمَقْلُ : الْفَقِيرُ .

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْخَرَانِطِيُّ فِي مَسَاوِيءِ الْإِخْلَاقِ . كَمَا قَالَ السَّيُوطِيُّ . وَالْأَسَاوِدُ : جَمْعُ أَسْوَدَ : الْعَظِيمُ مِنَ الْحَيَاتِ وَفِيهِ سَوَادٌ .

## فصل

والزنى يجمع خلال الشرِّ كلَّها من قلة الدين وذهاب الورع وفساد المروءة وقلة التوبة ، فلا تجد زانياً معه ورعٌ ، ولا وفاءً بعهدٍ ، ولا صدقٌ في حديث ، ولا محافظةً على صديق ، ولا غيره تامّةً على أهله . فالعذر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته .

ومن موجباته غضبُ الربِّ بإفساد حرمه وعياله ، ولو تعرّض رجلٌ إلى طلاقٍ من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة . ومنها سوادُ الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه الناظرين ، ومنها ظلمة القلب وطمسُ نوره<sup>(١)</sup> وهو الذي أوجب طمس نور الوجه وغشيان الظلمة له . ومنها الفقرُ اللازم . وفي أثرٍ يقول الله تعالى : ( أَنَا اللَّهُ مُهْلِكُ الطُّغَاةِ ، وَمُفَقِّرُ الزُّنَاةِ ) . ومنها أَنه يذهب حرمة فاعله ، ويُقطعه من عين ربه ومن أعين عباده . ومنها أَنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسمُ العِفَّةِ والبرِّ والعدالة ، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والقاذق والزاني والخائن . ومنها أَنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . فسلبه اسم الإيمان المطلق وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان . وسئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث فخطَّ دائرةً في الأرض وقال : هذه دائرة الإيمان ، ثم خطَّ دائرةً أخرى خارجةً عنها وقال : هذه دائرة الإسلام ، فإذا زنى العبد خرج من هذه ، ولم يخرج من هذه . ولا يلزم من ثبوت جزء ما من الإيمان له

---

(١) طمس نوره : ذهابه وطمس الشيء طمساً وطموساً : درس وانهمى .

أن يسمى مومنًا ، كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقہ ولا يسمى به عالماً فقيهاً ، ومعه جزء من الشجاعة والجلود ولا يسمى بذلك شجاعاً ولا جواداً ، وكذلك يكون معه شيء من التقوى ولا يسمى مُتَّقِيّاً . ونظائره . فالصواب إجراء الحديث على ظاهره ولا يُتَأَوَّل بما يخالف ظاهره والله أعلم . ومنها أن يعرض نفسه لسُكْنَى التَّنُور الذى رأى النبی ﷺ صلى الله عليه وسلم فيه الزُّنَاةَ والزواني . ومنها أنه يقارقه الطيب الذى وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيث الذى وصف الله به الزُّنَاةَ كما قال الله تعالى : ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) (١) .

وقد حرّم الله الجنة على كل خبيث ، بل جعلها مأوى الطيبين ، ولا يدخلها إلا طيب . قال الله تعالى : ( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) (٢) . وقال تعالى : ( وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ) (٣) . فإنما استحقوا سلام الملائكة ودخول الجنة بطيبهم ، والزُّنَاة من أخبث الخلق ، وقد جعل الله سبحانه جهنم دار الخبيث وأهله ، فإذا كان يوم القيامة ميز الخبيث من الطيب وجعل الخبيث بعضه على بعض ثم ألقاه وألقى أهله فى جهنم فلا يدخل النار طيبٌ ، ولا يدخل الجنة خبيث .

ومنها الوحشة التى يضعها الله سبحانه وتعالى فى قلب الزانى ، وهى نظير الوحشة التى تعلو وجهه ، فالعزيف على وجهه حلاوة وفى قلبه أُنْسٌ ، ومن جالسه

( ١ ) الآية ٢٦ . سورة النور .

( ٢ ) الآية ٣٢ . سورة النحل .

( ٣ ) الآية ٧٣ . سورة الزمر .

استأنس به ، والزاني تعلو وجهه الوحشة ومن جالسه استوحش به ، ومنها قلة  
المهينة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له ، وهو أحقر شيء في نفوسهم  
وعيونهم ، بخلاف العفيف فإنه يُرزق المهابة والحلاوة . ومنها أن الناس ينظرونه  
بعين الخيانة ولا يأمنه أحدٌ على حرمة ولا على ولده . ومنها الرائحة التي  
تفوح عليه يشمها كل ذى قلب سليم ، تفوح من فيه وجسده ، ولولا  
اشترائك الناس في هذه الرائحة لفاحت من صاحبها ونادت عليه ولكن  
كما قيل :

كلُّ به مثل ما به غير أنهم من غيرة بعضهم للبعض عُدال

ومنها ضيقة الصدر وحرجه فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم ، فإن من  
طلب لذة العيش وطيبه بما حرّمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده ، فإن ما عند الله  
لا يُنال إلا بطاعته ، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خير قط . ولو علم الفاجر  
ما في العفاف من اللذة والسرور والشرح الصدر وطيب العيش لرأى أن الذي  
فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له ، دع ربح العاقبة والفوز بثواب الله  
وكرامته . ومنها أنه يُعرض نفسه لقوات الاستمتاع بالخور العين في المساكن  
الطيبة في جنات عدن ، وقد تقدّم أن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد عاقب  
لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة ، وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه  
إياها يوم القيامة ، فكذلك من تمتع بالصور الحرم في الدنيا ، بل كل ماناله العبد  
في الدنيا فإن توسّع في حلاله ضيق من حظه يوم القيامة بقدر ما توسّع فيه ، وإن  
ناله من حرام فاته نظيره يوم القيامة .

ومنها أن الزنى يُجرّنه على قطعة الرّحم وعقوق الوالدين وكسب الحرام  
وظلم الخلق وإضاعة أهله وعياله ، وربما قاده قسراً إلى سفك الدّم الحرام ، وربما  
استعان عليه بالسحر والشرك وهو يدرى أو لا يدرى ، فهذه المعصية لا تتم

إلا بأنواعٍ من المعاصي قبلها ومعها ، ويقولُ عنها أنواعٌ آخرُ من المعاصي بعدها ، فهي مخوفةٌ بعنيدٍ من المعاصي قبلها وجندٍ بعدها ، وهي أجلبُ شيءٍ لشرِّ الدنيا والآخرة ، وأمنعُ شيءٍ لخير الدنيا والآخرة ، وإذا علقت بالبعد فوقع في حبالها وأشراكها عزٌّ على الناصحين استنقاذه ، وأعي الأطباء دواؤه ، فأسيرُها لا يُفدى ، وقتيلها لا يُودي<sup>(١)</sup> ، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم ، فإذا اتَّلى بها عبدٌ فليودّع نِعَمَ الله فإنها ضيفُ سريعِ الانتقال ، وشيكُ الزوال . قال الله تعالى : ( ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ )<sup>(٣)</sup> .

## فصل

فهذا بعضُ ما في هذه السبيل من الضرر ، وأما سبيلُ الأمة اللوطية فتلك سبيلُ الهالكين المُفْضِيَّةُ بالسكها إلى منازل المعدِّين الذين جمع الله عليهم من أنواع العقوبات ما لم يجمعه على أمةٍ من الأمم ، لا من تأخر عنهم ولا من تقدّم ، وجعل ديارهم وآثارهم عبرةً للمعتبرين ، وموعظةً للمتقين .

وكتب خالد بن الوليد إلى أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما أنه وجد في بعض ضواحي القرب رجلاً يُنْكَحُ كما تنكح المرأة ، فجمع أبو بكر رضي الله عنه لذلك ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه فاستشارهم ، فكان عليُّ رضي الله عنه أشدَّهم قولاً فيه فقال : إن

---

( ١ ) لا يودي : ليس له دية . وودي القاتل القاتل ودياً ودية : أعطى وليه ديته .

( ٢ ) الآية ٥٢ . سورة الأنفال .

( ٣ ) الآية ١١ ، سورة الرعد .

هذا لم يعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن تمحرقوه بالنار ، فأحرقوه بالنار<sup>(١)</sup> .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجاعة من الصحابة والتابعين : يُرْجَمُ بالحجارة حتى يموت أحصن أو لم يُحصن ، ووافقه على ذلك الإمام أحمد وإسحاق ومالك ، وقال الزهري : يُرْجَمُ أحصن أو لم يُحصن ، سنه ماضية ، وقال جابر ابن زيد في رجل غشي رجلاً في دبره قال : الدبر أعظم حرمة من الفرج ، يُرْجَمُ أحصن أو لم يُحصن ، وقال الشعبي : يُقْتَلُ أحصن أو لم يُحصن .

وسئل ابن عباس عن اللوطي ما حده ؟ قال يُنْظَرُ أعلى بناء في المدينة فيرمى منه مُنْكَسِكًا ثم يُتْبَعُ بالحجارة . ورجم على لوطياً وأفتى بتحريقه . وكأنه وأى جواز هذا وهذا .

وقال إبراهيم النخعي : لو كان أحد ينبغي له أن يُرْجَمَ مرتين لكان ينبغي للوطي أن يُرْجَمَ مرتين . وذهبت طائفة إلى أنه يُرْجَمُ إن أحصن ويحصد إن لم يُحصن . وهذا قول الشافعي وأحمد في رواية عنه ، وسعيد بن المسيب في رواية عنه ، وعطاء بن أبي رباح .

قال عطاء : شهدت ابن الزبير أتى بسبعة أخذوا في الأواط : أربعة منهم قد أحصنوا ، وثلاثة لم يُحصنوا ، فأمر بالأربعة فأخرجوا من المسجد الحرام فرُجِموا بالحجارة ، وأمر بالثلاثة فضرَبوا الحد وفي المسجد ابن عمر وابن عباس . فالصحاباء اتفقوا على قتل اللوطي وإنما اختلفوا في كيفية قتله ، فظن بعض الناس أنهم متنازعون في قتله ولا نزاع بينهم فيه إلا في إلحاقه بالزاني أو قتله مطلقاً . وقد اختلف الناس في عقوبته على ثلاثة أقوال : أحدها أنها أعظم من

( ١ ) رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي . كما قال الهيثمي في الزواجر .

عقوبة الزَّاني كما أن عقوبته في الآخرة أشدَّ ، الثاني أنها مثلها ، الثالث أنها دونها ، وذهب بعض الشافعية إلى أن عقوبة الفاعل كعقوبة الزاني ، وعقوبة المفعول به الجلد . مطلقاً بـ كراً كان أو ثيباً قال : لأنه لا ياتخذ بالنعل به بخلاف الفاعل .

وذهب بعض الفقهاء إلى أنه لاحد على واحد منهما قال : لأن الوازع عن ذلك مافي الطباع من النفرة عنه واستقباحه ، وما كان ذلك لم يحتج إلى أن يزجر الشارع عنه بالحد كالأكل العذرة<sup>(١)</sup> والميتة والدم وشرب البول ، ثم قال هؤلاء : إذا أكثر منه الأوطى فللإمام قتله تعزيراً<sup>(٢)</sup> ، صرح بذلك أصحاب أبي حنيفة . والصحيح أن عقوبته أغلظ من عقوبة الزاني لإجماع الصحابة على ذلك ولغلظ حرمة وانتشار فساد ، ولأن الله سبحانه وتعالى لم يعاقب أمة ما عاقب الأوطى .

قال ابن أبي نعيم في تفسيره عن عمرو بن دينار في قوله تعالى : ( إِنْ كُنْمْ لَتَأتُونَّ النَّفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ )<sup>(٣)</sup> قال : مانزاً<sup>(٤)</sup> ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط . وقال محمد بن بخالد : سمعت عباساً الدورى يقول بلغنى أن الأرض تعج<sup>(٥)</sup> إذا ركب الذكر على الذكر . وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن كعب قال : كان إبراهيم يشرف على سدوم<sup>(٦)</sup> فيقول :

( ١ ) العذرة : الغائط .

( ٢ ) تعزيراً : ردعاً . والتعزير شرعاً تأديب دون الحد .

( ٣ ) الآية ٢٨ . سورة العنكبوت .

( ٤ ) نزا الفحل : وثب .

( ٥ ) تعج : تصيح وتصرخ .

( ٦ ) سدوم : قرية قوم لوط .

وَبَلِّغْ لَكَ سُدُومَ يَوْمًا مَالِكٌ ، فَجَاءَتْ إِبْرَاهِيمَ الرُّسُلُ وَكَلَّمَهُمْ إِبْرَاهِيمُ فِي أَمْرِ قَوْمٍ لَبِطُوا قَالُوا ( يَا إِبْرَاهِيمُ اُعْرِضْ عَنْ هَذَا ) قَالَ : ( وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا )<sup>(١)</sup> فَذَهَبَ بِهِمْ إِلَى مَنَزَلِهِ فَذَهَبَتْ امْرَأَتُهُ فَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ : ( يَا قَوْمِ هُوَ لَبِئْسَ بُنْيَانٍ هُنَّ آطَفَرُ لَكُمْ )<sup>(٢)</sup> أَزْوَاجُكُمْ هُنَّ ( أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ )<sup>(٣)</sup> ؟ وَجَعَلَ لُوطُ الْأَضْيَافَ فِي بَيْتِهِ وَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ وَقَالَ : ( لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ )<sup>(٤)</sup> قَالَ : أَيْ عَشِيرَةٍ تَمْنَعُنِي قَالَ : وَلَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ بَعْدَ لُوطٍ إِلَّا فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ الرُّسُلُ مَا قَدِ افْتَى لُوطٌ فِي سَبِيهِمْ ( قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَمْرٌ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ )<sup>(٥)</sup> فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضْرَبَ وَجُوهَهُمْ بِجَنَاحِهِ ضَرْبَةً طَمَسَتْ أَعْيُنَهُمْ قَالَ : وَالطَّمَسُ أَنْ تَذْهَبَ حَتَّى تَسْتَوِيَ ، وَاحْتَمَلَ مَدَائِنَهُمْ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ سَمَاءِ الدُّنْيَا نَبِيْحَ كَلَامِهِمْ وَأَصْوَاتَ دُيُوكِهِمْ ، ثُمَّ قَلْبَهَا وَأَمَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ<sup>(٦)</sup> قَالَ : عَلَى أَهْلِ بَوَادِيهِمْ وَعَلَى رُعَاتِهِمْ وَعَلَى مُسَافِرِيهِمْ ، فَلَمْ يَنْفَتَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَادْخَلَ جَنَاحَهُ تَحْتَ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ فَرَفَعَهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نَبِيْحَ الْكَلَابِ وَأَصْوَاتَ الدَّجَاجِ وَالْدِّيَكَةِ ، ثُمَّ قَلْبَهَا فَجَعَلَ أَغْلَاهَا أَسْفَلَهَا ثُمَّ اتَّبَعُوا بِالْحِجَارَةِ .

( ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ ) الْآيَاتُ ٧٧ وَ ٧٨ وَ ٨٠ وَ ٨١ سُورَةُ هُودَ .

( ٦ ) سَجِيلٌ : طِينٌ مَطْبُوخٌ .



وفي تفسير أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أغلق لوطٌ على ضيفه الباب فخاضوا الباب ودخلوا ، فَطَمَسَ جبريل أعينهم فذهبت أبصارهم فقالوا : يالوط جئتنا بالسريرة ؟ وتوَعَدُّوه ، فأوجس في نفسه خيفةً قال : يذهب هؤلاء ونؤذِي ، فقالوا : لا تخف إنا رُسُلُ رَبِّكَ إِنْ مَوَّعِدُهُمُ الصُّبْحُ قال لوط : الساعة ، قال جبريل : أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟ قال فرُفِعَتِ المدينة حتى سمع أهل السماء كَبِيجَ الكلاب ثم أَقْلِيَتِ ورُمُوا بالحجارة . وقال حذيفة بن اليمان : لما أرسلت الرسلُ إلى قوم لوطٍ لتهلكهم قيل لهم : لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوطٌ ثلاث مرّات ، وطريقهم على إبراهيم قال : فأتوا إبراهيم فبشروه بما بشروه (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) <sup>(١)</sup> قال : كان مجادلته إِيَّاهُمْ أن قال لهم : إن كان فيهم خمسون أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ، قال : أفأرأيتم إن كان فيهم أربعون ؟ قالوا : لا ، قال : فثلاثون ؟ قالوا : لا . حتى انتهى إلى عشرة أو خمسة ، فأتوا لوطاً وهو في أرض يعمل فيها لحسبهم ضيفاً ، فأقبل بهم حين أمسى إلى أهله فأتوا معه فالتفت إليهم فقال : أَمَا تَرَوْنَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ؟ قالوا : وما يصنعون ؟ قال : ما من الناس أحدٌ شرٌّ منهم ، قال : فأنتهى بهم إلى أهله فانطلقت العجوز السوء امرأته فأتت قومه فقالت : لقد تضيف لوطاً الليلة قومٌ ما رأيت قطُّ أحسنَ وجوهاً ولا أطيبَ ريحاً منهم ، فأقبلوا يهرعون إليه حتى دفعوا الباب ثم كادوا أن يقبلوه عليهم ، فقام مَلَكٌ يميناً فصفقه دونهم ثم أغلق الباب ثم علوا الأجاجير <sup>(٢)</sup> فجعل يخاطبهم فقال : ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) <sup>(٣)</sup> حتى بلغ ( أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ

( ١ ) الآية ٧٤ : سورة هود . والروع ما ألقي في القلب من الفزع .

( ٢ ) الأجاجير . جمع إجار وهو السطح .

( ٣ ) الآية ٧٨ . سورة هود .

شَدِيدٍ . قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ <sup>(١)</sup> فطمس جبريل أعينهم فما بقي أحدٌ منهم تلك الليلة حتى عَمِيَ قَالَ : فباتوا بشرّ ليلةٍ عُمياً ينتظرون العذاب . قال : وسار بأهله واستأذن جبريلُ عليه السلام في هلاكهم فأذن له ، فارتفع بالأرض التي كانوا عليها فألوى <sup>(٢)</sup> بها حتى سمع أهلُ السماء الدنيا ضُغَاءً <sup>(٣)</sup> كلابهم ، وأوقد تحتها ناراً ثم قلبها بهم قال : فسمعت امرأته الوجبة <sup>(٤)</sup> وهي معه فالتفتت فأصابها العذاب .

وفي تفسير العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما : جادل إبراهيمُ الملائكةَ في قوم لوط أن يُترَكُوا فقال : أرايتم إن كان فيهم عشرةُ آياتٍ من المسلمين أتركونهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرةُ آيات ولا خمسةٌ ولا أربعةٌ ولا ثلاثة ولا اثنان ، فحزن إبراهيمُ على لوط وأهل بيته و ( قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ) <sup>(٥)</sup> فذلك قوله : ( فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ . إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ) <sup>(٦)</sup> فقالت الملائكة : ( يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ) <sup>(٧)</sup> فبعث الله إليهم جبريل فانتسف المدينة ومن فيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وتبعتهم الحجارة بكل أرضٍ . فأهلك الله سبحانه الفاعل

( ١ ) الآيتان ٨٠ و ٨١ . سورة هود .

( ٢ ) ألوى بها : ذهب بها مصعداً .

( ٣ ) الضغاء : السيلاح من الألم

( ٤ ) الوجبة : صوت الساقط .

( ٥ ) الآية ٣٢ . سورة العنكبوت . والغابرين : الباقيين المالكين وقد فسر

غير بمعنى هلك ، فالغابرون : الهالكون .

( ٦ و ٧ ) الآيات ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ سورة هود .

والمفعول به ، والساكت الراضى ، والدال المحصن منهم وغير المحصن ،  
العاشق والمعشوق ، وأخذهم وهم فى سكرة عشقهم يعمهون .

وذكر ابن أبى داود فى تفسيره عن وهب بن منبه قال : إن الملائكة حين  
دخلوا على لوط ظن أنهم أضياف ضافوه فاحتفل لهم وحرص على كرامتهم ،  
وخالفته امرأته إلى فساق قومه فأخبرتهم أنه ضاف لوطاً أحسن الناس وجهاً  
وأضرهم جمالاً وأطيبهم ريحاً ، فكانت هذه خيانتها التى ذكر الله عز وجل  
فى كتابه . وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله : ( فَخَانَتَاهُمَا ) <sup>(١)</sup> قال :  
والله ما زنتا ولا بغت امرأة نبي قط فقليل له : فما كانت خيانة امرأة نوح  
وامرأة لوط ؟ فقال ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما امرأة  
لوط فإنها كانت تدل على الضيف .

وقال أبو مسلم الليثى فى مسنده ، حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الوارث  
حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل قال : سمعت  
جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن  
أخوف ما أخاف على أمي من بعدى عمل قوم لوط » <sup>(٢)</sup> وقال هشام بن  
عمار : حدثنا عبد العزيز الدراوردي عن عمرو بن أبى عمرو ، عن عكرمة ،  
عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله  
من وقع على بهيمة ، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » (رواه الإمام  
أحمد) وقال القعنبي : حدثنا عبد العزيز هو الدراوردي ، عن عمرو بن أبى  
عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب الخزومي ، عن عكرمة ، عن

(١) الآية ١٠ سورة التحريم .

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم . كما قال السيوطى .

ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيْرَ تُخُومِ الْأَرْضِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ كَمَّهُ أَعْمَى عَنِ السَّبِيلِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ ثَلَاثًا ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَيْمَتِهِ » <sup>(١)</sup> . هذا الإسناد على شرط البخارى .

وقال أبو داود الطيالسى : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، عَنْ خَالِدِ الْحَذَّاءِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا بَاشَرَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَهُمَا زَانِيَانِ » وفى لَفْظٍ : « إِذَا أَتَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ » <sup>(٢)</sup>

وفى المسند والسنن من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ » وفى لَفْظٍ : « مَنْ وَجَدَ نَمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ الْمَفْعُولَ بِهِ » <sup>(٣)</sup> وإسناده على شرط البخارى .

وروى مهيب بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

---

( ١ ) رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى كما جاء فى الترغيب والترهيب وفى الزواجر . وتخوم جمع تخم : الحد الفاصل بين أرضين ، والمعالم يهتدى بها فى الطريق . وكه الأعمى : أضله .

( ٢ ) رواه البيهقى فى السنن . كما قال السيوطى .

( ٣ ) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى . كما قال الهيثمى فى الزواجر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وَجَدَتْهُ يَوْمَهُ يَعْمَلُ عَمَلًا قَوْمًا لوطي فارجموا أو قال : فاقتلوا الفاعل والمفعول به » .

وحرق اللوطية بالنار أربعة من الخلفاء : أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن الزبير ، وهشام بن عبد الملك .

وقال حماد بن سلمة عن قتادة ، عن خلاس ، عن عبيد الله بن معمر قال : يقتل اللوطي . وقال سعيد بن المسيب : عندنا على اللوطي الرجم أحسن أو لم يُحصن سنة ماضية ، وهذا يدل على أن ذلك سنة مضى عليها العمل .

وقال الشعبي : يقتل أحسن أو لم يُحصن . وقال الزهري وربيعة وابن هرمز ومالك بن أنس : عليه الرجم أحسن أو لم يُحصن .

وقال بعض العلماء : وإنما قال سعيد بن المسيب : إن ذلك سنة ماضية لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ » ، ولم يقل محصناً أو غير محصن .

وحرقهم أبو بكر رضي الله عنه بالنار بعد مشاورة الصحابة ، وأشار عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك ، وحرقهم علي بن الزبير كما ذكره الأجرى وغيره عن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب يُنكح كما تُنكح المرأة ، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقال علي : إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن تحرقوه بالنار ، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحرق بالنار ، فأمر به أبو بكر أن يحرق .

قال : وقد حرقهم ابن الزبير وهشام بن عبد الملك ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يُرْجَمُ اللُّوطِيُّ بَكَرًا كَانَ أَوْ ثِيْبًا .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوهُ ، ولم يفرّق أحدٌ منهم بين المحصّن وغيره ، وصرّح بعضهم بعموم الحكم للمحصّن وغير المحصّن ، فذلك قال ابن المسيّب : إن هذا سنة ماضية .

وفي مسائل إسحاق بن منصور الكوسج قلت لأحمد : يُرْجَمُ اللُّوطِيُّ أَحْصِينَ أَوْ لَمْ يُحْصَن ؟ فقال : يُرْجَمُ أُحْصِينَ أَوْ لَمْ يُحْصَن . قال إسحاق بن راهويه : هو كما قال .

والسنة في الذي يعمل عمل قوم لوط أن يُرْجَمَ محصنًا كان أو غير محصّن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوهُ » رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ، ثم أفقَى ابن عباس بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يعمل عمل قوم لوط أنه يُرْجَمُ وإن كان بكرًا ، فحكم في ذلك بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك روى عن علي بن أبي طالب مثل هذا القول إن اللوطيَّ يُرْجَمُ ولم يذكر محصنًا كان أو غير محصّن ، وكذلك فعل الله سبحانه بقوم لوط ، وكذا يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرقهم بالنار . هذا كلام إسحاق رحمه الله .

وذكر الآجری فی کتاب تحریم اللواط من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : « سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَيَقُولُ : ادْخُلُوا النَّارَ مَعَ الدَّاخلِينَ : الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ ، وَالنَّاكِحُ يَدَهُ ، وَنَاكِحُ

الْبَهِيمَةِ ، وَنَاكِحُ الثَّرَاءِ فِي دُبُرِهَا ، وَالْجَامِيعُ بَيْنَ الثَّرَاءِ وَابْنَتِهَا ،  
وَالزَّانِي بِحَلِيلَةِ جَارِهِ ، وَالْمُؤْذِي لْجَارِهِ حَتَّى يَلْعَنَهُ » .

وذكر عن أنس مرفوعاً نحوه وقال : « أَدْخُلُوا النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ  
إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا ، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا ، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا ، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ :  
النَّاكِحُ يَدَهُ ، وَالْفَاعِلُ ، وَالْمَفْعُولُ بِهِ ، وَمُذْمِنُ الْخَمْرِ ، وَالضَّارِبُ  
أَبَوَيْهِ حَتَّى يَسْتَفِينَا ، وَالْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ ، وَالزَّانِي بِحَلِيلَةِ  
جَارِهِ » (١) .

وقال مجاهد : لو أن الذي يعمل ذلك العمل يعني عمل قوم لوطٍ اغتسل بكل  
قطرةٍ في السماء وكل قطرةٍ في الأرض لم يزل نجساً ، وقد ذكر الله سبحانه  
عقوبة اللوطية وما حل بهم من البلاء في عشر سورٍ من القرآن وهي :  
سورة الأعراف ، وهود ، والحجر ، والأنبياء ، والفرقان ، الشعراء ، والنمل ،  
والعنكبوت ، والصافات ، واقتربت الساعة ، وجمع على القوم بين عمى الأبصار  
وَحَسَفِ الدِّيار ، والقذف بالأحجار ، ودخول النار . وقال محذراً لمن عمل  
عما هم ما حل بهم من العذاب الشديد : ( وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ  
بَبَعِيدٍ ) (٢) .

وقال بعض العلماء : إذا علا الذِّكْرُ الذِّكْرَ هَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَعَجَّتْ (٣)  
الأرض إلى ربِّها ، ونزل سَخَطُ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَيْهِمْ ، وَغَشِيَتْهُمْ اللَّعْنَةُ ،

(١) رواه الحسن بن عرفة في جزئه والبيهقي في الشعب ، كما قال السيوطي .

(٢) الآية ٨٩ : سورة هود .

(٣) عجت : صاحت ورفعت صوتها .

وَحُتَّ بِهِمُ الشَّيَاطِينُ ، وَاسْتَأْذَنْتِ الْأَرْضُ رَبَّهَا أَنْ تَخْفِيفَ بِهِمْ ، وَتَقْلُ  
الْعَرْشَ عَلَى حَمَلَتِهِ ، وَكَبَّرَتْ الْمَلَائِكَةُ ، وَاسْتَعْرَتْ <sup>(١)</sup> الْجَحِيمَ ، فَإِذَا جَاءَتْهُ  
رُسُلُ اللَّهِ لِقَبْضِ رُوحِهِ فَقَالُوا إِلَى دِيَارِ إِخْوَانِهِمْ ، وَمَوْضِعِ عَذَابِهِمْ ، فَكَانَتْ  
رُوحُهُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمْ . وَذَلِكَ أَضْيَقُ مَكَانًا وَأَعْظَمُ عَذَابًا مِنْ تَنُورِ الزُّنَاةِ .  
فَلَا كَانَتْ لَذَّةٌ تَوْجِبُ هَذَا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ ، وَتَسُوقُ صَاحِبَهَا إِلَى مِرَافَقَةِ أَهْلَابِ  
الْجَحِيمِ . تَذْهَبُ اللَّذَاتُ ، وَتُعْقَبُ الْحَسَرَاتُ ، وَتَفْنِي الشَّهْوَةُ ، وَتَبْقَى الشَّقْوَةُ .  
وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يُنْشِدُ :

تَفْنَى الْأَذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا      مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْخِزْيُ وَالْعَارُ  
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَفْئِدَتِهَا      لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

## فصل

وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ الْفَاحِشَةُ مَعَ ذِي رَجَمٍ مَحْرُومٍ فَذَلِكَ الْمُلْكُ كُلُّ الْمُلْكِ ،  
وَيَجِبُ قَتْلُ الْفَاعِلِ بِكُلِّ حَالٍ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ .

وَاحْتَجَّ أَحْمَدُ بِمَحْدِثِ عَدِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : لَقِيتُ  
خَالِيَّ وَمَعَهُ الرَّايَةُ فَقُلْتُ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : بَعْثَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً أَبِيهِ أَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَآخَذَ مَالَهُ ( رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ )  
وَأَصْحَحَ بِهِ .

وَقَالَ شُعْبَةُ : حَدَّثَنَا الرَّكَّانِيُّ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ هَدِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ

( ١ ) استعمرت النار : توقدت .

( ٢ ) المغبة : العاقبة .



قال : رأيت أناساً ينطلقون فقلت : أين تذهبون ؟ قالوا : بهشتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل يأتي امرأة أبيه أن يقتله .

وذكر عبد الله بن صالح : حدثنا يحيى بن أيوب ، عن ابن جرير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقْتُلُوا النَّمَاعِلَ وَالْمَعُولَ بِهِ وَالَّذِي بَاتِيَ الْبَهِيمَةَ وَالَّذِي يَأْتِي كُلَّ ذَاتِ مَحْرَمٍ »<sup>(١)</sup> وقال هشام بن عمار : حدثنا رِفْدَةُ بْنُ قُضَاعَةَ ، حدثنا صالح بن راشد قال : أتى الحُجَّاجُ برجلٍ قد اغتصب أخته على نفسها فقال : احبسوه وسلوه من هاهنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فسألوا عبد الرحمن بن مطرف<sup>(٢)</sup> فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ تَخَطَّى الْحُرْمَتَيْنِ فَخَطَّوْا وَسَطَهُ بِالسَّيْفِ » . وأفتى ابن عباس رضى الله عنهما بمثل ذلك . وقال عمر بن شبة : حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي عن قتادة قال : أتى الحُجَّاجُ برجلٍ زنى بأخته ، فسأل عنها عبد الله فقال : يُضْرَبُ بِالسَّيْفِ ، فأمر به الحُجَّاجُ فضرب عنقه بالسيف .

وذكر جماعة عن حماد بن سلمة ، عن بكر بن عبد الله المزني أن رجلاً تزوج خاتمه فرفع إلى عبد الملك بن مروان فقال : إني ظننت أنها تحل لي

---

(١) ذكره الهيثمي في الزواجر من دون الفقرة الأخيرة وقال : رواه البيهقي وغيره .

(٢) رواه أحمد والحاكم عن عبد الله بن أبي مطرف ، كما قال السيوطي . وراجع هذه القصة أيضاً في الإصابة لابن حجر العسقلاني ، وما قبل في نحرهما .

فقال: لا جهالة في الإسلام وأظنُّ أنه أمرٌ به فقتل. وفي مسائل صالح بن أحمد  
قال: سألت أبا عن الرجل الذي تزوج ذات محرم منه فقال: إن كان عمداً  
يُقتلُ ويؤخذُ ماله، وإن كان لا يعلم يُفرَّقُ بينهما، وأستحبُّ أن يكون لها  
ما أخذت منه ولا يرجع عليها بشيء. وفي صحيفة عمرو بن شعيب، عن أبيه  
عن جدِّه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يدخلُ الجنةَ مَنْ أتى  
ذاتَ محرمٍ »<sup>(١)</sup>.

---

(١) رواه الخرائطي عن ابن عمرو والطبراني في المعجم الكبير وأبو ليم  
في الخلية كلاهما عن ابن عباس. كما قال السيوطي.

## الباب الخامس والعشرون

في رحمة المحبين والشفاعة لهم الى اصابهم في الوصال الذي يبيحه الدين

قال الله تعالى : ( مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ) <sup>(١)</sup> وكلُّ من أعان غيره على أمرٍ بقوله أو فعله فقد صار شافعاً له ، والشفاعةُ للمشفوع له هذا أصلها ، فإن الشافع يشفع صاحب الحاجة فيصير له شفعاً في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها ، فدخل في حكم هذه الآية كلُّ متعاونين على خيرٍ أو شرٍّ بقولٍ أو عملٍ . ونظيرها قوله تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ) <sup>(٢)</sup> . وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا جاءه طالب حاجةٍ يقول : « اسْعَوْا تَوْجَرُوا وَيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا أَحَبَّ » <sup>(٣)</sup> ، وفي صحيح البخاري أن بريرةَ لما عتقتَ اختارتَ نفسها فكان زوجها يمشي خلفها ودموعه تسيل على لحيته ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ رَاجَعْتِي فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكَ » فقالت : أتأمرني ؟ قال : « لَا إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ » قالت : فلا حاجة لي فيه <sup>(٤)</sup> . فهذه شفاعةٌ من سيّد الشفعاء لحبٍّ إلى محبوبه ، وهي من أفضل الشفاعات وأعظمها أجراً عند الله ، فإنها تتضمن اجتماع محبوبين على ما يحبه الله ورسوله ، ولهذا كان أحبَّ ما لإبليس وجنوده التفريق بين هذين المحبوبين .

(١) الآية ٨٥ . سورة النساء . (٢) الآية ٢ . سورة المائدة .

(٣) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي ، كما قال السيوطي .

(٤) أنظر صفحة ١٤٣ .

وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة (يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) وفي السيئة (يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا). فإن لفظ الكِفْلُ يُشْعِرُ بالحمل والثقل، ولفظ النصيب يُشْعِرُ بالحظ الذي يَنْصَبُ طالبه في تحصيله، وإن كان كلٌّ منهما يُستعمل في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما حَسَنَ اختصاصُ حظِّ الخير بالنصيب وحظُّ الشرِّ بالكِفْلِ.

وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوّج ابنته له وكان خطبها قبل ذلك عمّ بنتها، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنها كارهة هذا الذي زوّجها أبوها، وأنه كان يعجبها أن يزوّجها عمّ بنتها، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم نكاح أبيها وزوّجها عمّ بنتها<sup>(١)</sup>. وقد تقدّم حديث عمرو بن دينار، عن طاووس، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله، في حِجْرِي يَتِيمَةٌ قد خطبها رجلٌ مُوسِرٌ ورجُلٌ مُعْدِمٌ، فنحن نحبّ الموسِرَ وهي تحبّ للمُعْدِمِ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ لِلْمُعْتَابَيْنِ مِثْلُ النِّكَاحِ» رواه سليمان بن موسى عنه<sup>(٢)</sup>.

وقال مُحَمَّدُ بن الحسين: حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين قال: كان عمر بن الخطاب يَعْصُ بالليل فسمع صوت امرأةٍ تَغْنِي وتقول:

هل من سبيلٍ إلى خَيْرٍ فَأُشْرِبَهَا      أم هل سبيلٌ إلى نصرٍ بن حِجَّاجٍ

(١) رويت هذه القصة في صحيح البخارى وسنن النسائى وابن ماجه بالفاظ أخرى عن خنساء بنت خدام الانصارية. ورويت من طرق أخرى في كتابى الإصابة وأسد الغابة.

(٢) أنظر تخريجہ فی صفحة ٢١٢.

فقال : أمّا وعمر حتى فلا . فلما أصبح بعث إلى نصر بن حجاج فإذا رجلاً جميلاً فقال : اخرج فلا تسأكني بالمدينة ، فخرج حتى أتى البصرة وكان يدخل على مجاشع بن مسعود ، وكانت له امرأة جميلة فأعجبها نصر ، فأحبها وأحبته فكان يقعد هو ومجاشع يتحدثان والمرأة معهما ، فكتب لها نصر في الأرض كتاباً فقالت : وأنا ، فعلم مجاشع أنها جواب كلام . وكان مجاشع لا يكتب والمرأة تكتب ، فدعا ياناء فأكفاه على المكتوب ودعا كاتباً فقرأه فإذا هو : إني لأحبك حباً لو كان فوقك لأظلك ولو كان تحتك لأقلّك<sup>(١)</sup> ، وبلغ نصرأ ما صنع مجاشع فاستحيا ولزِمَ بيته وضمي جسمه حتى كان كالفرخ<sup>(٢)</sup> ، فقال مجاشع لامرأته : اذهبي إليه فأسنديه إلى صدرك ، وأطعميه الطعام بيدك ، فأبت ، فعزم عليها فأنته فأسندته إلى صدرها وأطعمته الطعام بيدها ، فلما تحامل خرج من البصرة .

إن الذين بخير كنت تذكركم هم أهل كوك وغنم كنت أنها كما لا تطلبن شفاء عند غيرهم فليس يُخَيِّبك إلا من توفاً كما

فإن قيل : فهل تبيح الشريعة مثل ذلك ؟ قيل : إذا عيّن طريقاً للدواء ونجاة العبد من المملكة لم يكن بأعظم من مداواة المرأة للرجل الأجنبي ، ومداواته لها ، ونظر الطبيب إلى بدن المريض ومسّه بيده للحاجة . وأما التداوى بالجماع فلا يبيحه الشرع بوجه ما ، وأما التداوى بالضم والقبلة فإن تحقق الشفاء به كان نظير التداوى بالخر عند من يبيحه ، بل هذا أسهل من التداوى

( ١ ) أقل الشيء : حمله ورفعته .

( ٢ ) الفرخ : ولد الطائر ، وكل صغير من الحيوان والنبات . والفرخ أيضاً الرجل الضعيف الذليل المطرود .

بالخمر فإنَّ شُرْبَهُ من السَّكْبَرِ . وهذا الفعل من الصَّغائر <sup>(١)</sup> . والمقصود أن الشفاعة للعشائر ، فيما يجوز من الوصال والتلاق ، سَنَةً ماضية وسعى مشكور .  
وقد جاء عن غير واحدٍ من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم أنهم شفَعُوا هذه الشفاعة .

فقال الخرائطي : حدَّثنا عليُّ بن الأعرابي ، حدَّثنا أبو غسان النَّهْدِيُّ قال : مرَّ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في خِلَافَتِهِ بطريقٍ من طُرُقِ المدينة فإذا جاريةٌ تطحنُ برحها وهي تقول :

وهَوَيْتُهُ من قبل قطع تمايى      متمايساً <sup>(٢)</sup> مثل القضيب الناعم  
وكانَ نورَ البدرِ سَنَةً وَجْهَهُ      يَنمِي وَيَصْعَدُ في ذُؤَابَةِ هاشم <sup>(٣)</sup>  
فدقَّ عليها البابَ فخرجتُ إليه فقال : ويلك أحرَّةُ أنتِ أم مملوكة ؟  
فقلت : بل مملوكةٌ يا خليفة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فمن هَوَيْتِ ؟  
فبكت ثم قالت : بحقِّ الله إلا انصرفتَ عَنِّي ، قال : لا أُرِيْمُ أو تعلميني  
فقلت :

وأنا التي لعب الغرامُ بقلبها      فبكت لحبِّ محمد بن القاسم

فصار إلى المسجد وبعث إلى مولاهما فاشتراها منه ، وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب وقال : هؤلاء فِتْنَتان الرجال ، وكم قد مات بهنَّ من كريم ، وعَطِبَ عليهنَّ من سليم .

( ١ ) خالف المؤلف نفسه بهذا الرأي انظر صفحة ١٣٢ وما بعدها .

( ٢ ) متمايساً : متبختراً .

( ٣ ) ينمي : يزيد ويكثر . والذؤابة : الناصية ، وقيل منبتها من الرأس .  
وذؤابة القوم : أشرفهم والمقسم فيهم .

ويذكر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه جاءته جارية تستعدي على رجل من الأنصار فقال لها عثمان : ما قصتك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين كلفت بـابن أخيه ، فما أنفك أراعيه ، فقال له عثمان : إما أن تهـبها لابن أخيك أو أعطيك ثمنها من مالي ، فقال : أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له .

وأتى علي بن أبي طالب بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال له : ما قصتك ؟ فقال : لست بسارق ولكنني أصدوك .

تعلقت في دار الرباحي خوذةً      يذل لها من حسنها الشمس والبدر  
لها في بنات الروم حسن ومنصب      إذا افتخرت بالحن صدقها الفخر  
فلما طرقت الدار من حر مهجة      أتيت وفيها من توقدتها جرر  
تبادر أهل الدار لي ثم صيخوا      هو اللص محتوماً له القتل والأسر  
فلما سمع على شعره رق له وقال للمهلب بن رباح : اسمح له بها ونعوذك منها ، فقال : يا أمير المؤمنين سله من هو لنعرف نسبه ؟ فقال : النهاس بن عيينة العجلي ، فقال : خذها فهي لك .

وذكر التميمي في كتابه المسمى «بامتزاج النفوس» أن معاوية بن أبي سفيان اشترى جارية من البحرين فأعجب بها إنجاباً شديداً فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها :

وفارقته كالفضن يهتر في الثرى      طريراً وسيماً بعد ما طر شاربه<sup>(١)</sup>

فسألها فقالت : هو ابن عمي ، فردّها إليه وفي قلبه منها .

وقال سالم بن عبد الله : كانت عاتكة ابنة زيد تحت عبد الله بن أبي بكر

(١) التحرير : دو المنظر والهيئة الحسنة . وطر شاربه : نبت .

الصدِّيق رضى الله عنه ، وكانت قد غلبته على رأيه وشغلته عن سُوقه ، فأمره أبو بكر بطلاقها واحدةً ففعل ، فَوَجَدَ عليها فقعد لأبيه على طريقه وهو يريد الصلاة ، فلما بَصَرَ بأبي بكر بكى وأنشأ يقول :

ولم أَرِ مثلى طَلَّقَ اليومَ مثلها      ولا مثلاً في غير جُرمٍ يَطْلَقُ  
لها خُلُقٌ جَزَلٌ وَحِلْمٌ وَمَنْصِبٌ      وخلقٌ سَوِيٌّ في الحَيَاةِ <sup>(١)</sup> وَمَصْدُقٌ  
فَرَّقَ له أبو بكر رضى الله عنه وأمره بمراجعتها ، فلما مات قالت ترثيه :

آليتُ <sup>(٢)</sup> لا تنفكُ عيني سخينةً      عليكَ ولا ينفكُ جلدِي أغبراً  
فلله عينا من رأى مثله فتى      أعفَّ وأمضى في الهَيَاجِ وأصبراً  
إذا شرعتُ <sup>(٣)</sup> فيه الأسنَّةُ خاضها      إلى الموت حتى يترك الرَّمحَ أحمرأ  
فلما حلت تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأولم عليها ، فقال له على  
ابن أبي طالب رضى الله عنه : أتأذن لى يا أمير المؤمنين أدخل رأسى إلى عاتكة  
أكلماً؟ قال : نعم ، فأدخل على رأسه إليها وقال : يا عُدَيَّةُ نفسها .

آليت لا تنفكُ عيني قريرةً      عليكَ ولا ينفكُ جلدِي أصفراً  
فبكتُ ، فقال له عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كلُّ النساءِ يفعلن هذا .  
فلما قُتِلَ عمر قالت ترثيه :

عين جُودى بعبرةٍ ونحيبٍ      لا تَمَلِّ على الجواد النحيبِ

---

( ١ ) رواية الأغاني والإصابة : « فى الحياء ، ، وجزل : كريم . ومصدق : صادق الخلال .

( ٢ ) رواية الأغاني : « فأقسمت ، ،

( ٣ ) شرعت : تسددت .



فجعتني المنون بالفارس المَعْلَمَ يوم الهياج والثوب<sup>(١)</sup>  
 قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب<sup>(٢)</sup>  
 فلما حلت تزوجها الزبير بن العوام ، فاستأذنت ليلة أن تخرج إلى المسجد  
 فشق ذلك عليه وكره أن يمنعهما لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »<sup>(٣)</sup> فأذن لها ثم انكس<sup>(٤)</sup> في موضع مظلم  
 من الطريق ، فلما مرت وضع يده عليها ، فكرت راجعة تسبح ، فسبقها  
 الزبير إلى المنزل ، فلما رجعت قال لها : ما ردك عن وجهك ؟ قالت : كننا نخرج  
 والناس ناس ، وأما اليوم فلا . وتركت المسجد ، فلما قُتل الزبير قالت ترميه :  
 غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مُعَرِّد<sup>(٥)</sup>  
 ياعمرو لو نبهته لوجدته لاطائشاً رعى السنان ولا اليد  
 ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله فيما مضى حتى تروح وتفتدى  
 كم غمرة قد خاضها لم يأنه عنها طرادك يا ابن أم الفرقد<sup>(٦)</sup>  
 إن الزبير لذو بلاء صادق سمح سجيته كريم المشهد  
 فلما حلت خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إني لأضين بك  
 على القتل .

( ١ ) رواية الأغاني : « والتليب » . المعلم : الفارس جعل لنفسه علامة  
 الشجعان في الحرب . والثوب في أذان الفجر أن يقول المؤذن : الصلاة خير من  
 النوم .

( ٢ ) المنون : الدهر . والمنون أيضاً : المنية . وشعوب : المنية والفراق .  
 ( ٣ ) تقدم تخريجه في صفحة ٣٠٠ ( ٤ ) انكس : اختفى واستتر .  
 ( ٥ ) البهمة : الشجاع يستبهم على قرنه وجه غلبته . ومعرّد : هارب . وعرد  
 عن قرنه : أحجم ونسكل .  
 ( ٦ ) الغمرة : الشدة . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمال ، وولد البقرة

وذكر الخرائطي أن المهدي خرج إلى الحج حتى إذا كان بزُبالة<sup>(١)</sup> جلس يتغدى فأتى بدوى فناداه : يا أمير المؤمنين إني عاشقٌ ، ورفع صوته ، فقال للحاجب : ويحك ما هذا ؟ قال : إنسان يصيح إني عاشق ، قال : أدخلوه ، فأدخلوه عليه فقال : مَنْ عشيقتك ؟ قال : ابنة عمي ، قال : أولها أَبٌ ؟ قال : نعم ، قال : فما له لا يزوجه إياها ؟ قال : ها هنا شيء يا أمير المؤمنين ، قال : ما هو ؟ قال : إني هجينٌ — والمهجينُ : الذي أمُّه أمةٌ ليست عربيةً — قال له المهدي : فما يكون ؟ قال : إنه عندنا عيبٌ ، فأرسل في طلب أبيها فأتى به ، فقال : هذا ابن أخيك ؟ قال : نعم ، قال : فلم لا تزوجه كريمتك ؟ فقال له مثل مقالة ابن أخيه ، وكان من ولد العباس عنده جماعةٌ ، فقال : هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجينٌ ما الذي يضرهم من ذلك ؟ قال : هو عندنا عيبٌ ، فقال له المهدي : زوجه إياها على عشرين ألف درهمٍ ، عشرة آلافٍ للعيب ، وعشرة آلافٍ مهرها ، قال : نعم ، فحمد الله وأثنى عليه وزوجه إياها ، فأتى ببدرتين فدفنهما إليه فأنشأ الشاب يقول :

إِبْتَعْتُ ظَبِيَّةً بِالْفِلاءِ وَإِنَّمَا يُعْطَى الْغِلَاءُ بِمِثْلِهَا أَمْثَالِي  
وَتَرَكْتُ أَسْوَاقَ الْقِيَاحِ لِأَهْلِهَا إِنْ الْقِيَاحِ وَإِنْ رَخِصْنَ غَوَايِي

وذكر الخرائطي من حديث الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم أن عمر ابن أبي ربيعة كان قد ترك الشعر ورغب عنه ونذر على نفسه بكل بيتٍ يقوله هديً بدنةً<sup>(٢)</sup> ، فمكت كذلك حيناً ثم خرج ليلةً يريد الطواف بالبيت إذ نظر

---

(١) زبالة (بضم أوله) : منزل بطريق مكة من الكوفة ، كما في ياقوت .  
(٢) الهدى : ما يهدي إلى الحرم من النعم . والبدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يسمونها ، والجمع بدن بالضم .

إلى امرأة ذات جمالٍ تطوف ، وإذا رجلٌ يتلوها ، كلما رفعت رِجلها وضع رِجله موضع رِجلها ، فجعل ينظر إلى ذلك من أمرها ، فلما فرغت المرأة من طوافها تبعها الرجل هُنَيْةً ثم رجع ، فلما رآه عمر وثب إليه وقال : أَمُحِبِّتَنِي عَنْ أَمْرِكَ ، قال : نعم ، هذه المرأة التي رأيت ابنةَ عُمَيٍّ وأنا لها عاشقٌ وليس لي مال ، فخطبتها إلى عُمَيٍّ فرغب عني <sup>(١)</sup> وسألني المهرَ مالا أقدر عليه ، والذي رأيت هو حظي منها ، ومالي من الدنيا أمانةٌ غيرها ، وإنما ألقاها عند الطواف وحظيَ ما رأيت من فعلي . فقال له عمر : وَمَنْ عَمُّكَ ؟ قال : فلان بن فلان ، قال : انطلق معي إليه ، فانطلقا ، فاستخرجه عمر فخرج مبادراً فقال : ما حاجتُكَ يا أبا الخطَّاب ؟ قال : تزوج ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان ، وهذا المهرُ الذي تسأله يُسَاقُ إليك من مالي ، قال : فإني قد فعلت . قال عمر : إني أحبُّ أن لا أبرحَ حتى يَتمعَا ، قال : وذلك أيضاً ، قال : فلم يَبرَحْ حتى جمعهما جميعاً ، وأتى منزله فاستلقى على فراشه فجعل النوم لا يأخذه ، وجعل جوفهُ يَجِيشُ <sup>(٢)</sup> بالشعر ، فأنكرت جاريته ذلك ، فجعلت تسأله عن أمره وتقول : ويحك ما الذي قد دهأك ؟ فلما أَكثرت عليه جالساً وأنشد :

تقول وَلَيْدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي	طربتُ وكنت قد أَقْصَرْتُ حِينَا
أراك اليوم قد أَحدثت شوقاً	وهاج لك البكا داءٌ دَفِينَا
بربك هل أَنَا لك لها رَسُولٌ	فشاقتك أُمُّ رَأَيْتَ لَهَا خَدِينَا <sup>(٣)</sup>
فقلت شكا إلى أَخٍ مُحِبٍّ	كبعض زماننا إذ تعلَّيْنَا
فعدَّ عَلَيَّ مَا يَلْتَقِي بِهِنَدِيرٌ	فوافق بعضُ ما كدَّا لَقِينَا

(١) رغب عني : لم يردني .

(٢) يجيش : يزخر ، يفيض .

(٣) الخنن والخنين : الصاحب ، الحبيب ، الصديق ، والجمع : أخدان .

وذو القلب المصاب وإن تعزى<sup>(١)</sup> يهيج حين يلتقي العاشقين  
وكم من خلة أعرضت عنها لغير قلى وكنْتُ بها ضنيناً<sup>(٢)</sup>  
رأيتُ صدودها فصدت عنها ولو هام الفؤاد بها جنونا

وعرض خالد بن عبد الله القسرى سجنه يوماً وكان فيه يزيد بن فلان  
البحلى<sup>(٣)</sup> ، فقال له خالد : فى أى شىء حبست يا يزيد ؟ قال : فى تهمة — أصلح  
الله الأمير — قال : أفتعود إن أطلقتك ؟ قال : نعم ، وكره أن يعرض بقصته  
لثلاث يفضح معشوقته ، فقال خالد : أحضروا رجال الحى حتى تقطع يده بمحضرتهم ،  
وكان ليزيد أخ فكتب شعراً ووجه به إلى خالد :

أخالد قد أعطيت فى الخلق رتبةً وما العاشقُ المسكينُ فينا بسارق  
أقرَّ بما لم يأتِهِ السرُّ إنه رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق  
ولولا الذى قد خِفْتُ من قطع كفه لأُفِيتُ فى شأن الهوى غير ناطق  
إذا بدت الرايات للسبق فى العلى فأنت ابن عبد الله أولُ سابق

فلما قرأ خالد الأبيات علم صدق قوله ، فأحضر أولياء الجارية فقال : زوجوا  
يزيد فتاتكم ، فقالوا : أمّا وقد ظهر عليه ما ظهر فلا ، فقال : لئن لم تزوجه  
طامعين كتر وُجَّه كارهين ، فزوجه ونقد خالد المهر من عنده .

وذكر أبو العباس المبرّد قال : كان رجلٌ بالكوفة يدعى ليث بن زياد  
قد ربى جاريةً وأدبها فخرجت بارعةً فى كل فنٍّ مع جمالٍ وافرٍ ، فلم يزل معها  
مدةً حتى تبينت منه الحاجة فقالت : يامولاي لو بعثنى كان أصلح لك مما أراك  
به وإن كنتُ لأظن أنى لا أصبر عنك ، فقصد رجلاً من الأغنياء يعرفها

(١) الخلة : الخليل يستوى فيه المذكور والمؤنث . والقلبي : الهجر والبغض .

(٢) فى ديوان للصباية : « العجل » .

ويعرف فضلها فباعها بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال وجه بها إلى مولاهما وجزع عليها جزعاً شديداً ، فلما صارت الجارية إلى سيدها نزل بها من الوحشة للأول ما لم تستطع دفعه ولا كتمه ، فباحته به وقالت :

أَتَانِي الْبِلَاحَةُ فَأَنَا صَانِعُ أَصْطَبِرُ لِلْبَيْنِ أَمْ أَنَا جَازِعُ  
كُنْفِي حَزَنًا أَنِّي عَلَى مِثْلِ جَرَّةٍ أَقَامِي نَجْمَ اللَّيْلِ وَالْقَلْبُ نَازِعٌ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَبُوحَ بِحَبِيهِ فَإِنِّي قَتِيلٌ وَالْعَيْنُونَ دَوَامِعُ

فبلغ سيدها شعرها فدعا بها وأرادها فامتنعت عليه وقالت له : يا سيدي إنك لا تنفع بي ، قال : ولم ذاك؟ قالت : إني لما بي ، قال : وما بك؟ صفيه لي قالت : أجد في أحشائي نيراناً تتوقد ، لا يقدر على إطفائها أحد ، ولا تسأل عما وراء ذلك ، فرحمها ورق لها وبعث إلى مولاهما فسأل عن خبره ، فوجد عنده مثل الذي عندها ، فأحضره فرد الجارية عليه ، ووهب له من ثمنها خمسين ألفاً ، فلم تزل عنده مدة طويلة . وبلغ عبد الله بن طاهر خبرهما وهو بخراسان ، فكتب إلى خليفته بالكوفة يأمره أن ينظر فإن كان هذا الشعر الذي ذكر له من قبل الجارية أن يشتريها له بما ملكت يمينه ، فركب إلى مولى الجارية فخره بما كتب إليه عبد الله بن طاهر ، فلم يجد سيدها بداً من عرضها عليه وهو كاره فأراد الأمير أن يعلم ما عند الجارية فأنشأ يقول :

بَدِيعُ حُسَيْنٍ رَشِيقٌ قَدْ جَعَلَتْ مَنِيَّ لَهُ مَلَاذًا  
فَأَجَابَتْهُ الْجَارِيَةُ :

فَعَاتَبُوهُ فَزَادَ عَشَقًا فَاتِ شَوْقًا فَكَانَ مَاذَا  
فَعَلِمَ أَنَّهَا تَصْلُحُ لَهُ ، فَاشْتَرَاهَا بِمِائَتِي أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَجَبَّزَهَا وَحَمَلَهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

طاهر إلى خراسان ، فلما صارت إليه اختبرها فوجدتها على ما أراد ، فغلبته على عقله ، ويقال : إنها أم محمد بن عبد الله بن طاهر ، ولم تزل الطائف<sup>(١)</sup> وجوانزها تأتي مولاهما الأول حتى ماتت .

وقال عمر بن شبة ، حدثنا أيوب بن عمر الغفاري قال : طلق عبد الله بن عامر امرأته ابنة سهل بن عمرو ، فقَدِمَت المدينة ومعها ابنة لها ، ومعها ودعة جوهر استودعها إياه ، فتزوجها الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ثم أراد ابن عامر الحج فأتى المدينة فلقى الحسن فقال : يا أبا محمد إن لي إلى ابنة سهل حاجة فأحب أن تأذن لي عليها ، فقال الحسن : البسي ثيابك فهذا ابن عامر يستأذن عليك ، فدخل عليها فسالها ودعته فجاءته بها عليها خاتمه . فقل لها : خذي ثلثها فقالت : ما كنت لأخذ على أمانة انتممت عليها شيئاً أبداً ، ثم أقبل عليها ابن عامر فقال : إن ابنتي قد بلغت فأحب أن تحللي ديني وبينها ، فبكت وبكت ابنتها ، فرق ابن عامر فقال الحسن : فهل لكما ؟ فوالله ما من محلل خير مني قال : فوالله لا أخرجها من عندك أبداً ، فكفلها حتى مات .

وذكر الزنجشري في « ربيع الأبرار » أن زبيدة بنت أبي جعفر<sup>(٢)</sup> قرأت في طريق مكة على حائط :

أما في عباد الله أو في إمامه      كريمٌ يُجَلِّي<sup>(٣)</sup> الهم عن ذاهب العقل  
له مقلّةٌ أما المآقي فقرحةٌ      وأما الحشا فالنارُ منه على رجل<sup>(٤)</sup>

(١) أَلطاف جمع لطف : الهدايا .

(٢) كذا . . . وهي بنت جعفر بن أبي جعفر .

(٣) يجلي : يكشف .

(٤) المآقي جمع مآفة : طرف العين مما يلي الأنف وهي مجرى الدمع . وعلى

رجل : يعني على أشدها .

فذرّت أن تحتال لقائهما حتى تجمعَ بينهما وبين من يحبه ، قالت : فإنّي لَبِمُرْدَلِفَةٍ إذ سمعت من ينشدها ، فاستدعيت به فزعم أنه قالها في بنت عم له وقد حلف أهلها أن لا يزوّجوها منه ، فوجّهت إلى الحى وما زالت تبذلُ لهم المالَ حتى زوّجوه . وإذا المرأةُ أعشقتُ من الرجل ، فكانت زُبَيْدَةً تعدّه في أعظم حسناتها وتقول : ما أنا بشيءٍ أمرّ منى بجمعى بين ذلك الفتى والفتاة .

قال الزمخشري : وهوى أحمد بن أبي عثمان الكاتبُ جاريةً لزُبَيْدَةٍ اسمها « نعم » حتى مرض وقال فيها أبياتاً منها :  
وإني ليرضىنى الممرُّ ببابها وأقنع منها بالشتيمة والزَّجرُ  
فوهبتها له .

وذكر الخرائطى أنه كان لبعض الخلفاء غلامٌ وجاريةٌ من غلمانه وجواريه متحابّين ، فكتب الغلامُ إليها يوماً يقول :

ولقد رأيتك فى المنام كأنما عاطيتنى من ريق فيك البارد  
وكان كفك فى يدى وكأننا بتنا جميعاً فى فراش واحد  
فطَفِقْتُ يومى كلّهُ متراقداً لأراك فى نومي واستُ براقداً  
ثم انتبّهت ومِعصمك كلالها بىدى اليمين وفى يمينك ساعدى  
فأجابته الجارية :

خيراً رأيتَ وكلُّ ما أبصرتَه سنأله متى برغم الحاسد  
إني لأرجو أن تكون معانق فتبيتَ منى فوق ثدى ناهد  
وأراك بين خلاخلى ودمالجى وأراك بين ترانبي وبجاسدى<sup>(١)</sup>

(١) خلاخلى جمع خالخال : الخللخال، وثوب خلخال : رقيق . ودمالجى جمع =

وَنَبِيتَ الْلُطْفِ عَاشِقَيْنِ تَعَاظِمَا      طَرَفَ الْحَدِيثِ بِلَا مَخَافَةٍ رَاصِدَا

فَبَلَغَ الْخَلِيفَةَ خَبْرَهُمَا فَأَنْكَحَهُمَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا عَلَى شِدَّةٍ غَيْرَتِهِ .

وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى : سَمِعَ الْمُهَلَّبَ فَقَدْ يَتَفَنَّى بِشَعْرِ  
فِي جَارِيَةٍ لَهُ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ :

لَعَمْرِي إِنْكَ الْمَحْبِبِّينَ رَاحِمٌ      وَإِنِّي بَسْتَرْتُ الْعَاشِقَيْنِ حَقِيقٌ

سَاجِعٌ مِنْكُمْ شَمْلٌ وَدٌّ مَبْدَدٌ      وَإِنِّي بِمَا قَدْ تَرَجَّوْا خَلِيقٌ

ثُمَّ وَهَبَهَا لَهُ وَمَعَهَا خَمْسَةُ آلَافٍ دِينَارٍ .

وقال الخرائطي : كَانَ رَجُلٌ نَحَّاسٌ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ غَيْرُهَا ،

وَكَانَ يَعْزِضُهَا فِي الْمَوَاسِمِ فَتُنَاقِلُ النَّاسُ فِيهَا حَتَّى بَلَغَتْ مَبْلَغًا كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ وَهُوَ

يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ ، فَعُلِقَتْهَا <sup>(١)</sup> رَجُلٌ فَقِيرٌ فَكَادَ عَقْلُهُ أَنْ يَذْهَبَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ

وَهَبَهَا لَهُ ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنْ سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ( وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَا أَخْيَى النَّاسَ جَمِيعًا ) <sup>(٢)</sup> أَفَلَا أَحْيَى النَّاسَ جَمِيعًا ؟

وَقَالَ عَلَى بْنُ قُرَيْشٍ الْجَرَجَانِيُّ :

شَكُوتُ بِلَاءٍ لَا أَطِيقُ احْتِمَالَهُ      وَقَلْبِي مُطِيعٌ لِلْهَوَى غَيْرُ دَافِعٍ

فَأَقْسَمَ مَا تَرَكَ عَنَابَكَ عَنْ قَلْبِي      وَلَكِنْ لَعَلِّي أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعٍ

وَإِنِّي مَتَى لَمْ أُلْزَمِ الصَّبْرَ طَائِعًا      فَلَا بَدَّ مِنْهُ مَكْرَهًا غَيْرَ طَائِعٍ

== دملج . ودملوج : حلية تحيط بالعقد . والترائب جمع تريبة : عظام الصدر مما

يلي الترقوتين وموضع القلادة . ونجاسد جمع مجسد : الثوب الملامس للجسد .

وجسد به : لصق .

( ١ ) علقها : أحبها .

( ٢ ) الآية ٣٢ . سورة المائدة .



إذا أنت لم يعطفك إلا شفاعته فلا خير في ود يكون بشافع  
وكان أبو السائب الخزومي أحد القراء والفقهاء ، فرؤى متعلناً بأستار  
الكعبة وهو يقول : اللهم ارحم العاشقين ، واعطف عليهم قلوب المشوقين .  
ف قيل له في ذلك فقال : الدعاء لهم أفضل من عمره من الجعرة<sup>(١)</sup> .

وذكر أحمد بن الفضل الكاتب أن غلاماً<sup>(٢)</sup> وجارية كانا في كتاب  
فهو يها الغلام ، فلما كان في بعض أيامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح  
الجارية :

ماذا تقولين فيمن شفه سقم من طول حبك حتى صار حيرانا  
فلما قرأته الجارية أغرورت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته :

إذا رأينا محباً قد أضر به طول الصبابة أو آيناه إحسانا

وذكر الهيثم بن عدي ، عن محمد بن زياد أن الحارث بن السليل الأزدي  
خرج زائراً لعقمة بن حزم<sup>(٣)</sup> الطائي وكان حليفاً له ، فنظر إلى ابنة له تدعى  
الرباب وكانت من أجل النساء ، فأعجب بها وعشقه عشقاً حال بينه وبين الانصراف  
إلى أهله ، فقال لعقمة : إني أتيتك خاطباً وقد ينكح الخاطب ، ويدرك  
الطالب ، ويمنح الراغب قال : كفو كريم فأقم ننظر في أمرك ، ثم انكفا<sup>(٤)</sup>  
إلى أم لجارية فقال لها : إن الحارث سيد قومك حسباً ومنصباً ويتأفلا ينصرفن  
من عندنا إلا بحاجته ، فشاوري ابنتك وأديرها عما في نفسها ، فقالت لها : أي

(١) أنظر الصفحة ١٤٤ .

(٢) هو علي بن الجهم .

(٣) اسمه عقمة بن خصفة واسم ابنته الزباء . كما ذكره الميسداني في

أمثاله .

(٤) انكفا : رجع .

بُذِيَّة ، أَيْ الرجالُ أُعْجِبَ إِلَيْكَ ؟ السَّكَلُ الجُحْجَاحُ <sup>(١)</sup> ، الْمَفْضَلُ الْمِيَّاحُ <sup>(٢)</sup> ، أُمُ الْفَتَى الْوَضَّاحُ <sup>(٣)</sup> ، الْمَلُولُ الْعَامَّاحُ ؟ قَالَتْ : الْفَتَى الْوَضَّاحُ . قَالَتْ : إِنْ الْفَتَى يُغِيرُكَ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ الشَّيْخُ يُمِيرُكَ <sup>(٥)</sup> ، وَلَيْسَ السَّكَلُ الْفَاضِلُ ، السَّكَلُ الْفَاضِلُ <sup>(٦)</sup> ، كَالْحَدِيثِ السَّنَةِ ، السَّكَلُ الْمَنْ . قَالَتْ : يَا أُمَّاهُ أَحَبُّ الْفَتَى ، كَحَبِّ الرَّعَاءِ أُنَيْقُ السَّكَلِ . قَالَتْ : يَا بُذِيَّةُ ، إِنْ الْفَتَى شَدِيدُ الْحُجَابِ ، كَثِيرُ الْعِتَابِ . قَالَتْ : يَا أُمَّاهُ أَخْشَى مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يَدْنِسَ ثِيَابِي ، وَيُؤَلِّقَ شَبَابِي ، وَيَشْمَتَ بِي أَتْرَابِي . فَلَمْ تَزَلْ بِهَا الْأُمُّ حَتَّى غَلَبَتْهَا عَلَى رَأْيِهَا فَتَزَوَّجَهَا الْحَارِثُ عَلَى خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ وَخَادِمٍ وَأَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَبَنَى بِهَا وَكَانَتْ عِنْدَهُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ ، فَارْتَحَلَ بِهَا إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ لَجَالِسٌ يَوْمًا بِفَنَاءٍ مِظْلَتِهِ وَهِيَ إِلَى جَانِبِهِ إِذْ أَقْبَلَ فِتْنِيَّةٌ يَعْتَلِجُونَ <sup>(٧)</sup> الصَّرَاعَ فَتَنَفَسَتْ الصُّعْدَاءُ ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ عَيْنِيهَا بِالْبُكَاءِ فَقَالَ مَا يَبْكِيكَ ؟ فَقَالَتْ : مَالِي وَلِلشَّيْوِخِ ، النَّاهِضِينَ كَالْفَرُوخِ <sup>(٨)</sup> ، فَقَالَ : ثُكَلْتِكِ أُمُّكَ قَدْ تَجَمَّعَ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلْ بِتَدْيِيبِهَا ، فَسَارَتْ مِثْلًا ، أَيْ لَا تَكُونِ ظِلًّا <sup>(٩)</sup> ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَطَقَ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ : أُمَّا وَأَيُّكَ لَرَبِّ غَارَةٍ شَهَدَتْهَا ، وَسَبِيَّةٌ أُرْدَقَتْهَا ، وَخَرَّةٌ شَرَبَتْهَا ،

( ١ ) الْجُحْجَاحُ : السَّيِّدُ السَّمْحُ الْكَرِيمُ .

( ٢ ) مِيَّاحٌ فِي مَشِينَتِهِ : مَالٌ وَتَبَخْتَرٌ ، وَمِيَّاحٌ فُلَانًا : أَعْطَاهُ .

( ٣ ) الْوَضَّاحُ صِيغَةُ مِبَالغةٍ : الْحَسَنُ الْوَجْهَ الْبَسَامُ . وَرَجُلٌ وَضَّاحٌ الْحَسَبُ :

ظَاهِرُهُ وَفَتِيهِ وَمُبَيَّنُهُ .

( ٤ ) يُغِيرُهَا : يَجْعَلُهَا تَقَارُ بِالزَّوْاجِ وَغَيْرِهِ .

( ٥ ) يُمِيرُكَ : يَهْدِيكَ لِكَيْ طَيْبَ الْعَيْشِ ، وَالْمِيرَةُ : الطَّعَامُ يَجْمَعُ لِلسَّفَرِ وَنَحْوِهِ .

( ٦ ) الْفَاضِلُ : السَّكَلُ الْعِطَاءُ .

( ٧ ) اِعْتَلَجَ الْقَوْمُ : اقْتَتَلُوا وَاصْطَرَعُوا .

( ٨ ) الْفَرُخُ : وَلَدُ الطَّائِرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ مِنَ الْجَيَّوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَمِنْ

الرِّجَالِ الذَّلِيلُ الضَّعِيفُ .

( ٩ ) الظِّلُّ : الْمَرْضَعَةُ لِغَيْرِ وَلَدِهَا .

الحق بأهلك فلا حاجة لى فيك ، ثم أنشأ يقول :

وعيرتُ أن رأيتى لابساً كبيراً      وغاية النفس بين الموت والكبر  
فإن بقيتِ رأيتِ الشيبَ راغمةً      وفى التفرُّق ما يقضى من العبر  
وإن يكن قد علا رأسى وغيره      صرفُ الزمان<sup>(١)</sup> وتقتيرُ من الشعر  
فقد أروح للذاتِ الفتى جذلاً      وهمى لم تُشبْ فاستخبرى أثرى<sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) صرف الزمان : حدثانه ونوائبه .

( ٢ ) جذلاً : فرحاً ونشيطاً . لم تشب : لم يصبها الوهن .

## الباب السادس والعشرون

في ترك المحبين أدنى المحبوبين رغبة في أحدهما

هذا باب لا يدخل فيه إلاّ النفوسُ الفاضلة الشريفة الأبية التي لا تقنع بالدُّنُونِ ، ولا تبسّع الأعلى بالأدنى بيعَ العاجز المغبون ، ولا يملكها لَطْفُ جِمالٍ مُفَشٍّ<sup>(١)</sup> عَلَى أنواع من القبائح ، كما قال بعض الأعراب وقد نظر إلى امرأةٍ مبرّقة :

إذا بَارَكَ اللهُ في مَلْبَسٍ      فلا بَارَكَ اللهُ في البُرْقُعِ  
يُرِيكَ عِيونَ الْمَهْمَا مُسْبِلًا      ويَكْشِفُ عَنْ مَنْظَرٍ في أَشْنَعِ

وقال الآخر :

لا يَفْرَنُكَ مَا تَرَى مِنْ نِقَابٍ      إنْ تَحْتَ النِقَابِ دَاءٌ دَوِيًّا

فالنفسُ الأبية لا ترضى بالدُّنُونِ . وقد عاب الله سبحانه أقوامًا استبدلوا طعامًا بطعامٍ أدنى منه ، فعنى ذلك عليهم وقال : ( ائْتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ )<sup>(٢)</sup> ، وذلك دليلٌ على وضاعة النفس وقلة قيمتها .

وقال الأصمعي : خلا رجلٌ من الأعراب بامرأةٍ فهمَّ بالريبة ، فلما تمكَّنَ منها تنحى سليماً وجعل يقول : إن امرأةً باع جنةً عرضها السمواتُ والأرضُ بفِترٍ<sup>(٣)</sup> ما بين رجلِكِ لقليلٍ البصر بالمساحة .

---

( ١ ) مفش : يخفى ما فيه من عيوب .

( ٢ ) الآية ٦١ : سورة البقرة .

( ٣ ) الفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحهما .

وقال أبو أسماء : دخل رجلٌ غَيْضَةً<sup>(١)</sup> فقال : لو خلوتُ هاهنا بمِصْبِيَّةٍ  
مَنْ كَانَ يرَانِي ؟ فسمع صوتاً ملاً ما بين لَأَتِي<sup>(٢)</sup> الغَيْضَةِ ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ  
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ )<sup>(٣)</sup> .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هَيْثَمُ - هو ابن خارجة - حدثنا إسماعيل ابن  
عياش ، عن عبد الرحمن بن عَدِي البَهْرَانِي ، عن يزيد بن مَيْسَرَةَ قال : إن الله  
تعالى يقول : أيها الشاب التاركُ شهوته لى ، المتبذل<sup>(٤)</sup> شبابه من أجل ، أنت  
عندى كِبْعُضٍ ملائِكَتِي .

وذكر إبراهيم بن الجُنَيْد أن رجلاً راود امرأة عن نفسها فقالت له : أنت  
قد سمعت القرآن والحديث فأنت أعلم قال : فأغلقى الأبواب فأغلقها ، فلما دنا  
منها قالت : بقی بابٌ لم أغلقه قال : أى باب ؟ قالت : الباب الذى بينك وبين الله ،  
فلم يتعرَّض لها .

وذكر أيضاً عن أعرابي قال : خرجتُ فى بعض ليالى الظلم فإذا أنا بحارية  
كانها عَلمٌ<sup>(٥)</sup> فأردتها عن نفسها فقالت : ويلك أما كان لك زاجرٌ من عقل ،  
إذ لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ فقلت : إنه والله ما يرانا إلا الكواكب ، قالت :  
فأين مُكْوَنُ كِبْهَأ ؟

وجلس زياد مولى ابن عياش رضى الله عنهما إلى بعض إخوانه فقال له :

( ١ ) الغَيْضَةُ : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف .

( ٢ ) اللابَةِ : الحرة والموضع ، ولابتا المدينة : حرتان تكتنفانها . وفى  
الحديث أنه صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لَأَتِي لَأَتِي المدينة .

( ٣ ) الآية ١٤ : سورة الملك .

( ٤ ) المتبذل شبابه : الذى حرم نفسه من ملذاته .

( ٥ ) العلم : الجبل : وشئ منسوب يهتدى به فى الطريق .

يا عبدَ الله ، فقال له : قل ما تشاء ، قال : ما هي إلا الجنة أو النار ؟ قلت : نعم  
قال : وما بينهما منزلٌ ينزله العباد ؟ قلت : لا والله فقال : والله إن نفسي ، لَمَفْسُ  
أُضِنُ بها على النار ، والصبرُ اليومَ عن معاصي الله خيرٌ من الصبرِ عَلَى الأغلال ،  
وقال وهب بن مُنَبِّه : قالت امرأةُ العزيز لـيوسف عليه السلام : ادخل معي  
الْقَيْطُونَ — تعنى السَّتر — قال : إن الْقَيْطُونَ لا يسترني من ربِّي .

وقال اليزيدي : دخلت عَلَى هارون الرشيد فوجدته مُكَبِّاً عَلَى وَرَقَةٍ ينظر  
فيها مكتوبةً بالذهب ، فلما رَأَى تَبَسَّمَ فقلت : فائدةُ أَصاحِ الله أمير المؤمنين ؟  
قال : نعم وجدتُ هذين البيتين في بعض خزانِ بنى أُمَيَّة فاستحسنتهما ، فأضفتُ  
إليهما ثالثاً ، فقال : ثم أنشدني :

إذا سُدَّ بابُ عنك من دون حاجةٍ      فدَعَّه لِأُخْرَى يَنْفَتَحُ لَكَ بِأُهَا  
فإن قُرَابَ البطنِ يكفيك مَلَأَهُ      ويكفيك سوءُ أُمُورِ اجْتَنَابِهَا  
فلا تَكُ مَبْذِلاً لِدِينِكَ واجتنب      ركوبَ المعاصي يَجْنِيكَ عِقَابُهَا  
وقال أبو العباس الناشي :

إذا المرءُ يحمي نفسه حِلًّا مشهورةً      لصحَّةِ أَيَّامٍ تبيدُ وتَنَقُّدُ  
فما باله لا يَحْتَمِي من حرامها      لصحَّةِ ما يَبْقَى له وَيُجَلَّدُ

وقيل : إن عليَّ بن أبي طالب رضى الله عنه كان ينشد هذين البيتين :  
إقْدَعِ<sup>(١)</sup> النَّفْسَ بِالْكَفَافِ وَإِلَّا      طَلَبْتُ مِنْكَ فَوْوَ مَا يَكْفِيهَا  
إِنَّمَا أَنْتَ طَوَّلَ عَمْرُكَ مَا عُمِّرْتَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا  
ومن أحسن شعر العرب وكان عمرو بن العاص يتمثل بهما :

(١) اقدع النفس : ائتمنها وكفها . وقدع فلاناً عن الشيء : كفه ومنعه .

إذا المرء لم يترك طعاماً أحبَّه ولم يَنه قلباً غاوياً حيث يَمَّا<sup>(١)</sup>  
قضى وطراً منه وغادر سُبَّةً إذا ذُكرت أمثالها تملأ الفها

وقال شُعْبَةُ : عن منصور ، عن إبراهيم ، كَلَّمَ رجلٌ من العُبَّاد امرأة فلم يزل  
بها حتى وضع يده على فخذها فانطلق فوضع يده على النار حتى نَشَتْ<sup>(٢)</sup> .

وقال زيد بن أسلم عن أبيه : كان عابدٌ في صَوْمِعةٍ يتعبد فأشرف ذات يوم  
فرأى امرأةً ففُتِن بها ، فأخرج إحدى رجليه من الصَّومِعة يريد النزول إليها ،  
ثم فسكَروا دَكر فأناب ، فأراد أن يعيد رجله إلى الصَّومِعة فقال : والله لا أُدخلُ  
رجلاً خرجت تريد أن تعصى الله في صومعتي أبداً ، فتركها خارجة من الصَّومِعة  
فأصابها الثلج والبرد والرياح حتى تقطعت .

وقال بعض السلف : من كان له واعظٌ من قلبه زاده الله عز وجل عزاءً ،  
والذلُّ في طاعة الله أقربُ من العزِّ في معصيته .

وقال أبو العتاهية : لَقِيتُ أبا نُؤَاسٍ في المسجد الجامع فعذلته<sup>(٣)</sup> وقلت له :  
أما آن لك أن ترَعَوِي<sup>(٤)</sup> وتنزجر؟ فرفع رأسه إلى وقال :

أترانى يَأْتَاهِي<sup>(٥)</sup> تاركاً تلك الملاهي

أترانى مفسداً بالنفسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه في العذل أنشأ يقول :

لا ترجع الأنفسُ عن غيِّها مالم يكن منها لها زاجرٌ

(١) يم : قصد .

(٢) نشت : جفت واحترقت .

(٣) عذله : لامه .

(٤) ترعوى : تسكف وترتدع .

(٥) العتاهي : ناقص العقل واللاحق . والعتاهية : ضلال الناس .

فوددت أني قلت هذا البيت بكل شيء فلته .

وقال ابن السكك عن امرأة كانت تسكن البادية : لو طالعت قلوب المؤمنين بفكرها ما دُخر لها في خُجُب الغيوب من خير الآخرة ، لم يَصِفْ لهم في الدنيا عيشٌ ، ولم تَقَرَّ لهم عين . وقال ضَيْفَمَ لرجلٍ : إن حَبَّةَ عَزٍّ وجلَّ شغل قلوب محبِّيه عن التلذُّذ بمحبة غيره ، فليس لهم في الدنيا مع محبته عزٌّ وجلٌّ لذة تداني محبته ، ولا يأملون في الآخرة من كرامة الثواب أكبر عندهم من النظر إلى وجه محبوبهم ، فسقط الرجل مغشياً عليه .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نَفِير ، عن أبيه عن النُّوَّاس بن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ وَفِي السُّورَيْنِ أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سِتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ وَلَا تَعْرَجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ فَتَحَ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ : وَيَحْكُ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلَجَّهُ ، فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ ، وَالسُّتُورُ الْمُرْخَاةُ حُدُودُ اللَّهِ ، وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةُ حِمَارُ اللَّهِ ، وَالِدَاعِيُّ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالِدَاعِيُّ مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ » (١) .

وقال خالد بن معدان : ما من عبدٍ إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمرَ الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمرَ الآخرة ، فإذا أراد الله بعبد خيراً ففتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعده الله بالغيب ، وإذا أراد الله به غير ذلك تركه على ما هو فيه ، ثم قرأ : ( أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ) (٢) .

(١) الجنبة : الناحية والجهة . ولا تعرجو : لا تميلوا عنه أو تتركوه

وتلججه : تدخله . (٢) الآية ٢٤ . سورة محمد .



وفي الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم « الْكَائِسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » :  
وفي المسند من حديث فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
« الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « من أصبح وأكثر <sup>(١)</sup> همه غير الله فليس من الله » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب مَنْ أَهْلَكَ الَّذِينَ تَظْلِمُ فِي ظِلِّ عَرْشِكَ؟ قال : هم البرية أيديهم ، الطاهرة قلوبهم الذين يتعابون بجلالي ، الذين إذا ذُكِرْتُ ذُكِرُوا بِي ، وإذا ذُكِرُوا بِي ذُكِرْتُ بِذِكْرِهِمْ ، الذين يُسَبِّحُونَ الْوُضُوءَ فِي الْمَكَارِهِ ، وَيُنْبِئُونَ إِلَى ذِكْرِي كَمَا تُنْبِئُ النَّسُورُ إِلَى وَكُورِهَا ، وَيَسْكَلْفُونَ بِحَبِّي كَمَا يَسْكَلْفُ الصَّبْيُ بِحَبِّ النَّاسِ ، وَيَغْضَبُونَ لِحَارِمِي إِذَا اسْتَحِلَّتْ كَمَا يَغْضَبُ النَّعِمُ إِذَا حَرِبَ <sup>(٢)</sup> » .

وقال أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثني عبد الله بن يحيى قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال موسى عليه السلام : « أَيُّ رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال : من أذْكَرُ برويته » .

---

( ١ ) أورده السيوطي في الجامع الصغير مرفوعاً عن ابن مسعود وقال : رواه الحاكم .

( ٢ ) حرب : هيج أو طعن أو سلب . والحرب بالفتح : الويل والهلاك . وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي : حرب كفرح : كلب واشتد غصبه فهو حرب .

وقال أحمد : حدثنا سيّار ، حدثنا جعفر ، حدثنا هشام الدستوائي قال : بلغني أن في حكمة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : « تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا تُرزقون فيها إلا بالعمل ، ويُحكّم علماء السوء ، الأجر تأخذون والعمل تُضيعون ، توشكون أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر وضيقه ، والله عزّ وجلّ نهاكم عن المعاصي كما أمركم بالصوم والصلاة ، كيف يكون من أهل العلم مَنْ دنياه آتُرُ عنده من آخرته وهو في الدنيا أعظمُ رغبةً ؟ كيف يكون من أهل العلم مَنْ مَسِيرُهُ إلى آخرته وهو مقبلٌ على دنياه ، وما يضره أُمهى إليه مما لا يضره ؟ كيف يكون من أهل العلم من اتهم الله عزّ وجلّ في قضائه فليس يرضى بشيء أصابه ؟ كيف يكون من أهل العلم من طلب العلم ليتحدث به ولم يطلبه ليعمل به ؟ » .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن مَعْمَر ، قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، قال : أو لأعب خُلِقنا ؟

وقال أحمد : حدثنا أبو بكر الحنفى ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، حدثنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أن أمه فاطمة حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إِنِّ مِنْ شِرَارِ أُمَّتِي الَّذِينَ غُدُّوا بِالنَّعِيمِ ، الَّذِينَ يَطْلُبُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ ، وَالْأَلْوَانَ الثِّيَابِ ، وَيَتَشَدَّقُونَ بِالْكَلامِ ) .

وقال أحمد : حدثنا أبو قَطَنِ ، حدثنا شعبة ، عن أبى مَسْلَمَةَ <sup>(١)</sup> ، عن

---

(١) الذى يروى عن أبى لضره ويروى عنه شعبة ، هو أبو مسلمة سعيد بن يزيد . كما جاء فى تهذيب التهذيب .

أبى نصرّة قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى موسى: يا أبا موسى شوقنا إلى ربنا، قال: فقرأ: فقالوا: الصلاة: فقال عمر: أولسنا فى الصلاة؟

## فصل

وملاك الأمر كله الرغبة فى الله وإرادة وجهه والتقربُ إليه بأنواع الوسائل، والشوقُ إلى الوصول إليه وإلى لقاءه، فإن لم يكن للعبد همةٌ إلى ذلك فالرغبة فى الجنة ونعيمها وما أعدَّ الله فيها لأوليائه، فإن لم تكن له همةٌ عاليةٌ تطالبه بذلك فخشية النار وما أعدَّ الله فيها لمن عصاه، فإن لم تطاوعه نفسه بشيء من ذلك فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم، ولا يقدر على ذلك بعد قدر الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه، فهذه فصول أربعة هن: ربيعُ المؤمن وصيفه وخريفه وشتاؤه، وهن منازلُه فى سيره إلى الله عزّ وجلّ، وليس له منزلةٌ غيرها، فأما مخالفةُ الهوى فلم يجعل الله للجنة طريقاً غيرَ مخافته، ولم يجعل للنار طريقاً غيرَ متابعتها، قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَمَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) <sup>(١)</sup> وقال تعالى: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَمَّتَانِ) <sup>(٢)</sup> قيل هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقامَ رَبِّه عليه فى الدنيا، ومقامه بين يديه فى الآخرة فيتركها لله.

وقد أخبر سبحانه أن اتباع الهوى يُضل عن سبيله، فقال الله تعالى:

(١) الآيات ٣٧ - ٤١ سورة النازعات.

(٢) الآية ٤٦. سورة الرحمن.

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) <sup>(١)</sup> ثم ذكر مآل الضالين عن سبيله ومصيرهم فقال : ( إِنَّا الَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ) <sup>(٢)</sup> وأخبر سبحانه أن اتباع الهوى يطبع على قلب العبد فقال : ( أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ) <sup>(٣)</sup> وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العاجز هو الذي اتبع هواه وتمنى على الله . وذكر الإمام أحمد من حديث راشد بن سعد ، عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( مَا نَحْتَ ظِلَّ السَّمَاءِ إِلَهَ يُعْبَدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ هَوَى مُتَّبِعٍ ) .

وذكر من حديث جعفر بن حيَّان ، عن أبي الحكم ، عن أبي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ شَهَوَاتُ النَّفْسِ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمَصَلَاتُ الْهَوَى ) . وفي نسخة كثير ابن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِنَّا أَخَوْفَ مَا مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي حُكْمَ جَائِرٍ ، وَزَلَّةُ عَالِمٍ ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ ) <sup>(٤)</sup>

( ١ ) الآية ٢٦ . سورة ص .

( ٢ ) الآية ٢٦ . سورة ص .

( ٣ ) الآية ١٦ سورة محمد .

( ٤ ) ورد في الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى بلفظ : « إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ ثَلَاثَ : مِنْ زَلَّةِ عَالِمٍ ، وَمِنْ هَوَى مُتَّبِعٍ ، وَمِنْ حُكْمِ جَائِرٍ » ، وقال : رواه البزار والطبراني من طريق كثير بن عبد الله وهو واه ، وقد حسنها الترمذى في موضع وصحها في موضع فأسکر عليه ، واحتج بها ابن خزيمة في صحيحه .

وقيل لبعض الحكماء : أىّ الأصحاب أبرُّ ؟ قال : العمل الصالح ، قيل :  
فأىُّ شيء أضرُّ ؟ قال : النفس والهوى . وقال بعض الحكماء : إذا اشتبه عليك  
أمران فانظر أقرَّ بهما من هواك فاجتنبه . وأتى بعض الملوك بأسيرٍ عظيم الجرم  
فقال : لو كان هواى فى العفو عنك لخالفته الهوى إلى قتلك ، ولكن لما كان  
هواى فى قتلك خالفته إلى العفو عنك . وقال الهيثم بن مالك الطائى : سمعت  
النعمان بن بشير يقول على المنبر : إن للشيطان فخوراً ومصالي<sup>(١)</sup> وإن من مصالى  
الشيطان وفخوه البطرَ بأنعم الله ، والفخرَ بإعطاء الله ، والكبرياء على عباد الله ،  
واتباع الهوى فى غير ذات الله .

وفى المسند وغيره من حديث قتادة ، عن أنسٍ رضى الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ مُهلكاتٌ ، وثلاثٌ مُنجياتٌ ،  
فالمُهلكاتُ : شحٌّ مطاعٌ ، وهوىٌ متَّبَعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسه ،  
والمُنْجِيَّاتُ : تقوى الله تعالى فى السرِّ والعلانية ، والعدلُ فى العصبِ والرضى ،  
والقصدُ فى الفقرِ والغنى » ،

وفى جامع الترمذى من حديث أسماء بنت عميسٍ رضى الله عنها قالت :  
سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُسُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ تَجَبَّرَ  
وَأَعْتَدَى ، وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى . بُسُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاسْتَحَالَ ، وَنَسِيَ  
الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَى . بُسُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا ، وَنَسِيَ الْمُقَابِرَ وَالْبَلَى . بُسُّ الْعَبْدِ  
عَبْدٌ بَغَى وَعَتَا ، وَنَسِيَ الْمَبْدَأَ وَالْمُنْتَهَى . [ بُسُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ يَخْتَلِ الدُّنْيَا  
بِالدِّينِ ] . بُسُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ يَخْتَلِ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ ، بُسُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ طَمَعُ

يَقُودُهُ . بَسَّ الْعَبْدُ عَبْدَهُ هَوَىٰ بُضْلُهُ . [ بَسَّ الْعَبْدُ عَبْدَهُ رَغَبٌ يُّذِلُّهُ ] <sup>(١)</sup>  
وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمنُ العبدُ حتى يكونَ هواه تبعًا  
لما جاء به ، فيكون هواه تابعا لا متبوعا ، فمن اتبعَ هواه فهو اه متبوعٌ له ،  
ومن خالف هواه لما جاء به الرسولُ صلى الله عليه وسلم فهو اه تابعٌ له ، فالؤمن  
هو اه تابعٌ له ، والمنافق الفاجر هو اه متبوعٌ له .

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هُدًى من الله أنه أظلم الظالمين ، فقال الله  
عَزَّ وَجَلَّ : ( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ  
مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) <sup>(٢)</sup>  
وأنت تجد تحت هذا الخطاب أن الله لا يهدي من اتبع هواه ، وجعل سبحانه  
وتعالى المتعَ قسمين لا ثالث لهما : إما ما جاء به الرسولُ صلى الله عليه وسلم .  
وإما الهوى . فمن اتبع أحدهما لم يمكنه اتباعُ الآخر ، والشيطانُ يُطِيفُ بِالْعَبْدِ  
من أين يدخل عليه فلا يجد عليه مدخلا ولا إليه طريقا إلا من هواه . فذلك  
كان الذى يخالف هواه يَفْرُقُ <sup>(٣)</sup> الشيطان من ظله ، وإنما تطاق مخالفة الهوى  
بالرغبة فى الله وثوابه ، والخشية من حجابهِ وعذابه . ووجد حلالة الشفاء فى  
مخالفة الهوى ، فإن متابعتَه الداءُ الأكبر ، ومخالفتَه الشفاءُ الأعظم . وقيل لأبى  
القاسم الجُنَيْدِ : متى تنال النفوسُ مُناها ؟ فقال : إذا صار داؤها دواها ، فقل  
له : ومتى يصير داؤها دواها ؟ فقال : إذا خالفت هواها ، ومعنى قوله : يصير

- 
- ( ١ ) الزيادة من الترمذى ، وفيه قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من  
هذا الوجه وليس إسناده بالقوى .  
( ٢ ) الآية ٥٠ . سورة القصص .  
( ٣ ) يفرق : يفزع ويخاف .

داؤها دواها أن داءها هو الهوى ، فإذا خالفته تداوت منه بمخالفته . وقيل :  
إنما سُمِّيَ هَوًى لأنه يهوى بصاحبه إلى أسفل السافلين . والهوى ثلاثة أرباع  
الهوان ، وهو شارع النار الأكبر كما أن مخالفته شارع الجنة الأعظم . وقال  
أبو دُاف العجلي :

واسـوأنا لفتى له أدبٌ      يُضحي هـواه قاهراً أدبهُ  
يأتى الدنية وهو يعرفها      فيشِينُ عِرْضاً صائناً أربهُ  
فإذا أرغوى عادت بصيرته      فبكى على الحين <sup>(١)</sup> الذى سلبهُ  
وقال ابن المرتفق الهذلي :

أين لى ما ترى والرد يأتى      عزيمة هـواه ويفلبهُ هـواه  
فيعى ما يرى فيه عليه      ويحسب من يراه لا يراه

## فصل

وأما الرغبة في الله وإرادة وجهه ، والشوق إلى لقائه ففى رأس مال العبد  
وملاك أمره وقوام حياته الطيبة ، وأصل مسعاده وفلاحه ونعيمه وقرّة عينه ،  
ولذلك خلق ، وبه أمر ، وبذلك أرسل الرُّسل ، وأنزل الكتب ،  
ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله عزّ وجلّ وحده ،  
فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده كما قال الله تعالى : ( فَإِذَا فَرَغْتَ  
فَانصَبْ . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ) <sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ

( ١ ) الحين : الوقت طال أو قصر .

( ٢ ) آخر سورة الانشراح .

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ<sup>(١)</sup>.

والراغبون ثلاثة أقسام : راغبٌ في الله ، وراغبٌ فيما عند الله ، وراغبٌ عن الله . فالجِبُّ راغبٌ فيه ، والعاملُ راغبٌ فيما عنده ، والراضى بالدينِ نيامن الآخرة راغبٌ عنه . ومن كانت رغبته في الله كفاه الله كلَّ مهمٍّ ، وتولاه في جميع أموره ، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه ، ووقاه وقاية الوليد ، وصانه من جميع الآفات . ومن أثر الله على غيره أثره الله على غيره . ومن كان الله كافاً له حيث لا يكون لنفسه ، ومن عرف الله لم يكن شئٌ أحبَّ إليه منه ، ولم تبقَ له رغبةٌ فيما سواه ، إلا فيما يقربه إليه ويعينه على سفره إليه .

ومن علامات المعرفة الهيبة ، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيئته له وخشيته إياه كما قال الله تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )<sup>(٢)</sup> أي العلماء به . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَعْرِفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً »<sup>(٣)</sup> ومن عرف الله صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كل شئ ، وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله ، واستوحش من الناس ، وأورثته المعرفة الحياء من الله ، والتعظيم له ، والإجلال والرافقة والمحبة والتوكل عليه ، والإنابة إليه والرضا به والتسليم لأمره . وقيل للجَنَيْدِ رحمه الله تعالى :

( ١ ) الآية ٥٩ . سورة النوبة .

( ٢ ) الآية ٢٨ . سورة فاطر .

( ٣ ) من حديث رواه البخارى بلفظ : « إِنِّي لَا أَعْلَمُهُم بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً ، وَفِي مُسْلِمٍ بلفظ : « لَأَنَا أَعْلَمُهُم ، إلخ ،



إن ها هنا أقواماً يقولون : إنهم يصلون إلى البرِّ بترك الحركات ، فقال : هؤلاء تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيم ، والذي يزنى ويسرق أحسن حالاً من الذى يقول هذا ، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله ، وإلى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرِّ شيئاً .

وقال : لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه البرُّ والفاجر ، وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب .

وقال يحيى بن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيتين : بكأؤه على نفسه ، وشوقه إلى ربه . وقال بعضهم : لا يكون العارف عارفاً حتى لو أعطى ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين . وقيل : العارف أنس بالله فاستوحش من غيره ، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه ، وذللَّ لله فأعزَّه في خلقه .

وقال أبو سليمان الداراني : يفتح للعارف على فراشه مالا يفتح له وهو قائم يصلى .

وقال ذو النون : لكل شيء غموبة ، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله .

وبالجملة حياة القلب مع الله لا حياة له بدون ذلك أبداً ، ومتى واطأ<sup>(١)</sup> اللسان القلب في ذكره ، وواطأ القلب مراد حبيبه منه ، واستقل له الكثير من قوله وعمله ، واستكثر له القليل من برِّه وطفه ، وعانق الطاعة وفارق المخالفة ، وخرج عن كله لمحبوبه فلم يبق منه شيء ، وامتلا قلبه بتعظيمه وإجلاله وإيثار رضاه ، وعزَّ عليه الصبرُ عنه ، وعدم القرار دون ذكره والرغبة إليه

والاشتياق إلى لقائه ، ولم يجد الأنس إلا بذكره ، وحفظ حدوده ، وآثره على غيره .  
فهو المحب حقاً .

وقال الجُنَيْد : سمعت الحارث المُحَاسِبِيَّ يقول : الحبةُ ميلكُ إلى الشيء بكليَّتِكَ . ثم إشارُك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتُك له سرّاً وجهرّاً ، ثم علمُك بتقصيرك في حبه . وقيل : الحبةُ نارٌ في القلب تحرق ماسوى مرادِ الحبيب من محبه . وقيل : بل هي بذلُ المجهود في رضا الحبيب ، ولا تصحُّ إلا بالخروج عن رؤية الحبة إلى رؤية الم محبوب . وفي بعض الآثار الإلهية : عبدي أنا . وحقّ لك محبٌ فبحقّي عليك كن لي محبّاً . وقال عبد الله بن المبارك : من أعطى شيئاً من المحبة ولم يُعطَ مثله من الخشية فهو مخدوع .

وقال يحيى بن مُعَاذٍ : من قال خردلةٍ من الحب أحبُّ إلىَّ من عبادة سبعين سنة بلا حب .

وقال أبو بكر الكَتَّانِي : جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم ، فتكلّم الشيوخُ فيها ، وكان الجُنَيْدُ أصغرهم سنّاً فقالوا : هاتِ ما عندك يا عراقى ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه ، متصلٌ بذكر ربه ، قائمٌ بأداء حقوقه ، ناظرٌ إليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوارُ هُويّته ، وصفا شربُه من كأس وده ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فبن الله ، وإن تحرّك فبأمر الله ، وإن سكّت فمع الله ، فهو بالله والله ومع الله ، فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ، جبرك الله يأتاج العارفين . وقيل : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود إني حرّمتُ على القلوب أن يدخلها حبى وحبٌ غيرى ، فأجمع العارفون كلُّهم أن المحبة لا تصحُّ إلا بالموافقة حتى قال بعضهم : حقيقة الحب موافقة الم محبوب في مرضيه ومساخطه ، واتفق القوم أن المحبة لا تصحُّ إلا بتوحيد الم محبوب .

وَيُحْكِي أَنَّ رَجُلًا ادَّعَى الاسْتِهْلَاكَ<sup>(١)</sup> فِي مَحَبَّةِ شَخْصٍ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَهَذَا أَخِي أَحْسَنَ مِنِّي وَجِبًّا وَأَتَمُّ جَلَالًا ؟ فَالْتَفَتَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَدَفَعَهُ الشَّابُّ وَقَالَ : مَنْ يَدَّعَى هَوَانًا يَنْظُرُ إِلَى سَوَانَا ؟ وَذَكَرَتِ الْمَحَبَّةُ عِنْدَ ذِي النُّونِ فَقَالَ : كُفُّوا عَنِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَا تَسْمَعُهَا النُّفُوسُ فَقَدْ عَيَّهَا ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

الْخُوفُ أَوَّلَى بِالْمُسَىءِ إِذَا تَأَلَّهَ وَالْحُزَنُ  
وَالْحُبُّ يَحْمِلُ بِالتَّقْسِي وَالنَّقْيُ مِنَ الدَّرَنِ

وَقَالَ سَمْنُونُ : ذَهَبَ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »<sup>(٢)</sup> فَهُمْ مَعَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتَهُ ثُمَّ لَمْ يَحْفَظْ حُدُودَهُ .

## فصل

فَالْمَحَبَّةُ شَجَرَةٌ فِي الْقَلْبِ عُرْوَتُهَا الذُّلُّ لِلْمُحْبُوبِ ، وَسَاقِهَا مَعْرِفَتُهُ ، وَأَغْصَانُهَا خَشْيَتُهُ ، وَوُرُقُهَا الْحَيَاءُ مِنْهُ ، وَثَمَرُهَا طَاعَتُهُ ، وَمَادَتُهَا الَّتِي تَسْقِيهَا ذِكْرُهُ ، فَتِي خَلَا الْحُبُّ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَانَ نَاقِصًا .

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُحِبُّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُحِبُّونَهُ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الْوَدُودُ وَهُوَ الْحَبِيبُ قَالَهُ الْبُخَارِيُّ . وَالْوَدُودُ خَالِصُ الْحُبِّ ، فَهُوَ يَوَدُّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُودُونَهُ .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ

( ١ ) اسْتِهْلَاكَ فِي كَذَا : جَهْدَ نَفْسِهِ فِيهِ .

( ٢ ) تَقْدِمُ هَذَا الْحَدِيثُ فِي صَفْحَةِ ٢٣ .

مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، فَبِمَا يَسْمَعُ وَبِمَا يُبْصِرُ وَبِمَا يَبْطِشُ وَبِمَا يَمْشِي ، وَلَنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَّتِهِ وَلَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَتِهِ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ » . وفي لفظٍ في غير البخاري : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا » فتأمل كمال الموافقة في الكراهة كيف اقتضى كراهة الرب تعالى لمساءة عبده بالموت لما كره العبد مساخط ربه ، وكمال الموافقة في الإرادة كيف اقتضى موافقته في قضاء حوائجه وإجابة طلباته وإعاذته بما استعاذ به ، كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك <sup>(١)</sup> ، وقال له عنه أبو طالب : يا ابن أخي ما أرى ربك إلا يطيعك ، فقال له : وأنت ياعم لو أطعته أطاعك <sup>(٢)</sup> . وفي تفسير ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله عز وجل : ( وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ) <sup>(٣)</sup> قال : حبيباً قريباً إذا سألَهُ أعطاه ، وإذا دعاه أجابه . وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : يا موسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد . وتأمل هذه الباء في قوله : فَبِمَا يَسْمَعُ وَبِمَا يُبْصِرُ وَبِمَا يَبْطِشُ وَبِمَا يَمْشِي كيف تجدها مبنيةً لمعنى قوله : كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، فإن سمع سمع بالله ، وإن أبصر أبصر به ، وإن بطش بطش به ، وإن مشى مشى به . وهذا تحقيق قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

( ١ ) رواه البخاري ومسلم .

( ٢ ) ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي طالب .

( ٣ ) الآية ١٢٥ سورة النساء .

مُحْسِنُونَ<sup>(١)</sup> ، وقوله : ( وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ )<sup>(٢)</sup> وقوله : ( وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٣)</sup> ، وقوله فيما رواه عنه رسوله من قوله : « أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحرَّكت بى شفتاه » . وهذا ضدّ قوله : ( أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا يُصْحَبُونَ )<sup>(٤)</sup> فالصحة التى نقاها هنا هى التى أثبتتها لأحبابه وأوإيائه ، فتأمل كيف جعل محبته لعبده متعلقةً بأداء فرائضه ، وبالتقرب إليه بالنوافل بعدها لا غير ، وفى هذا تعزيةٌ لمدعى محبته بدون ذلك أنه ليس من أهلها ، وإنما معه الأمانى الباطلة والدعاوى الكاذبة .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحبَّ الله العبدَ نادى جبريلُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلاناً فأَحْبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فى الأَرْضِ » وفى لفظٍ لمسلم : « إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ فقالَ : إني أحبُّ فلاناً فأَحْبُوهُ قالَ فَيُحِبُّهُ جبريلُ ثُمَّ يُنَادِى فى السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلاناً فأَحْبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قالَ ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فى الأَرْضِ ، وإذا أَبْغَضَ عبداً دعا جبريلَ فيقولُ : إني أَبْغِضُ فلاناً فَأَبْغِضْهُ قالَ فَيَبْغِضُهُ جبريلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فى السَّمَاءِ إنَّ اللهَ يُبْغِضُ فلاناً فَأَبْغِضُوهُ ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْبِغْضاءُ فى الأَرْضِ » وفى لفظٍ آخر لمسلم عن سهيل بن أبى صالح قال : كنّا بعرفة فرأى عمر بن عبد العزيز وهو

( ١ ) آخر سورة النحل .

( ٢ ) آخر سورة العنكبوت .

( ٣ ) الآية ١٩ . سورة الأنفال .

( ٤ ) الآية ٤٣ . سورة الانبياء .

هَلَى المومِمْ ققام الناس ينظرون إليه فقلت لأبى : يا أَيْتِ إنى أرى الله يحب  
عمر بن عبد العزيز، قال : وما ذاك ؟ قلت : لما له من الحب فى قلوب الناس ،  
فقال : إنى سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ثم ذكر الحديث . وأخرجه الترمذى ثم زاد فى آخره فذلك قولُ الله  
تعالى : ( إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَدًا )<sup>(١)</sup>  
انتهى . وقال بعضُ السلف فى تفسيرها : يحبهم ويحبهم إلى عباده .

وفى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبى صلى  
الله عليه وسلم عن الساعة فقال : « وما أعددت لها ؟ » قال لا شىء إلا أنى أحبُّ  
الله ورسوله ؟ فقال : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » قال أنس رضى الله عنه : فما  
فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ »  
قال أنس : فأنا أحبُّ النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون  
معهم بحبى إليهم وإن لم أعمل أعمالهم .

وفى الترمذى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المرء مع من  
أحبَّ ولهُ ما اكتسب » . وفى سنن أبى داود عنه قال : رأيت أصحاب النبى صلى  
الله عليه وسلم فرحوا بشىء لم أرهم فرحوا بشىء أشد منه ، قال رجل : يا رسول  
الله الرجل يحبُّ الرجل على العمل من الخير يعملُ به ولا يعمل بمثله . فقال  
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحبَّ » . وهذه المحبة لله  
توجب المحبة فى الله قطعاً ، فإن من محبة الحبيب المحبة فيه والبغض فيه .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال  
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ

بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظَاهَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي ». وفي جامع أبي عيسى الترمذی من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي أَنَّهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ ». وفي لَفْظٍ لغيره « الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِ اللَّهِ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغْطِيهِمْ أَهْلُ الْجَمْعِ ». وفي الموطأ من حديث أبي إدريس الخولاني قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى برأى الثنايا والناس حوله فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا<sup>(١)</sup> عن رأيه. فسألت عنه فقالوا : هذا مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، فلما كان الغد هجرت<sup>(٢)</sup> إليه فوجدته قد سبقني بالتهجير<sup>(٣)</sup> ، ووجدته يصلي ، فانتظرتُه حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قِبَل وجهه فسلمت عليه ثم قلت : والله إني لأحبُّك في الله ، فقال : الله ؟ قلت : الله ، فقال : آله ؟ قلت : الله ، فأخذ بحَبْرَةٍ<sup>(٤)</sup> ردائي فجذبني<sup>(٥)</sup> إليه وقال : أبشر فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجِبَتْ مُحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » .

وفي سنن أبي داود من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ » .

( ١ ) صدروا برأيه : أخذوا برأيه وعملوا به .

( ٢ ) التهجير : التبرُّك إلى كل شيء والمبادرة إليه . والتهجر والتهجير : السير في الهاجرة .

( ٣ ) حبوة الرداء : ما اشتمل عليه .

( ٤ ) جبهة : جذبه .

وفيه أيضاً عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا نَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كَانُوا مِنْ اللَّهِ » قالوا : يا رسول الله ، تخبرنا من هم ؟ قال : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللَّهِ إِنْ وُجُوهُهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ وَلَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ » وقرأ هذه الآية : ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) (١) .

وفى لفظٍ غيره : « إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِمَا كَانُوا مِنْ اللَّهِ » قالوا : يا رسول الله صفهم لنا ، حلَّهم لنا لعلنا نحبهم . قال : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ تَبَادَّلُوهَا وَلَا أَرْحَامٍ تَوَاصَلُوهَا هُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ وَعَلَى كُرَامِيٍّ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ » ثم قرأ هذه الآية : ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قال : « إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ (٢) مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ : لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّهِ (٣) ؟ قَالَ : لَا غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتَهُ فِيهِ » .

( ١ ) الآية ٦٢ . سورة يونس .

( ٢ ) المدرجة : الطريق .

( ٣ ) تربها : تتممها أو تتمم بها . ورب على فلان . أنعم عليه .



وقال رجل لمعاذ بن جبل : إني أحبك في الله ، قال : أحببك الذي أحببتني له .

وفي سنن أبي داود أن رجلاً كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجل فقال : يا رسول الله إني لأحبُّ هذا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَعَلِمْتَهُ ؟ » قال : لا ، قال : « أَعَلِمْتَهُ » فليحقه فقال : إني أحبك في الله، قال : أحبك الذي أحببتني له .

وفيهما أيضاً عن المقدام بن معدى كَرَب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخَيِّرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » .

وفي الترمذى من حديث يزيد بن نعمة الضبي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَبَيْنَهُ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ الْمَوَدَّةِ » .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَتُومِنُوا وَلَا تَتُومِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد الترمذى ، حدثنا شريك ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي المُنْذِلِ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالُوا : مَا أَبْطَأَكَ عَنْ أَهْلَيْهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : أَمَا إِنِّي سَوْفَ أَحْدِثُكُمْ أَنَّ أَخَا لَكُمْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَارَبِّ حَدِّثْنِي بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَحَبِّهِمْ إِلَيَّ ، قَالَ : عَبْدُكَ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ أَوْ طَرَفِ الْأَرْضِ سَمِعَ بِهِ عَبْدُكَ آخِرُ فِي أَقْصَى أَوْ طَرَفِ الْأَرْضِ

لا يعرفه ، فإن أصابته مصيبةٌ فكأنما أصابته ، وإن شاكته شوكةٌ فكأنما شاكته ، لا يحبه إلا إلى ، فذلك أحبُّ خلقي إليّ . قال : ياربّ خلقتَ خلقاً تدخلهم النار أو تعذبهم ، فأوحى الله إليهم كلهم خلقي ، ثم قال : ازرع زرعاً فزرعه ، فقال : اسقّه فسقاه ، ثم قال : قم عليه ، فقام عليه ماشاء الله من ذلك . فخصده ورفعته فقال : ما فعل زرعك يا موسى ؟ قال : فرغت منه ورفعته ، قال : ما تركت منه شيئاً ؟ قال : مالا خيرَ فيه أو مالا حاجة لي فيه ، قال : فكذلك أنا لا أعذب إلا من لا خير فيه .

## فصل

ولو لم يكن في محبة الله إلا أنها تنجي محبة من عذابه لكان ينبغي للعبد أن لا يتعوض عنها بشيء أبداً . وسئل بعض العلماء أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فقال : في قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) <sup>(١)</sup> الآية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يونس عن الحسن رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وَاللَّهِ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ حَبِيبَهُ وَلَكِنْ قَدْ يَبْتَلِيهِ فِي الدُّنْيَا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سيّار ، حدثنا جعفر ، حدثنا أبو غالب قال : بلغنا أن هذا الكلام في وصية عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : « يا معشرَ الحوارين تحبّوا إلى الله يفيض أهل المعاصي ، وتقرّبوا إليه بالمتّات لهم ، والتمسوا رضاه بسخطهم » قالوا . يأنّي الله فن نجالس ؟ قال : « جالسوا من يزيد أعمالكم منطقة ، ومن تذكركم بالله رؤيته ، ويزهدكم في دنياكم علمه » .

ويكفي في الإقبال على الله تعالى ثواباً عاجلاً أن الله سبحانه وتعالى يُقبل بقلوب عباده إلى من أقبل عليه ، كما أنه يُعرض بقلوبهم عن اعراض عنه ، فقلوب العباد بيد الله لا بأيديهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن في تفسير شيبان عن قتادة قال : ذكر لنا أن هَرَم بن حيان كان يقول : ما أقبل عبد على الله بقلبه إلا أقبل الله عز وجل بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم .

وقد روى هذا مرفوعاً ولفظه : « وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ بِمَلْبِهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِقُلُوبِ عِبَادِهِ وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْوُدِّ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ خَبْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ » وإذا كانت القلوب مجسولة على حب من أحسن إليها وكل إحسان وصل إلى العبد فن الله عز وجل كما قال الله تعالى : ( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَنِ الْهِ )<sup>(١)</sup> فلا الأَم من شغل قلبه بحب غيره دونه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية قال حدثني الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود أحبني وحبب عبادي إليّ وحبيني إلى عبادي ، قال : يارب هذا أنا أحبك وأحب عبادك إليك فكيف أحببك إلى عبادك ؟ قال : تذكرني عندهم ، فإنهم لا يذكرون مني إلا الحسن .

ومن أفضل ما سئل الله عز وجل حبه وحب من يحبه وحب عمل يقرب إلى حبه ، ومن أجمع ذلك أن يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرِبُنِي إِلَى حُبِّكَ ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحَبُّ نَاجِعُهُ قُوَّةً لِي

( ١ ) الآية ٥٣ . سورة النحل .

فما تحب ، وما زويت<sup>(١)</sup> عني بما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من أهلي ومالي ومن الماء البارد على الظمأ ، اللهم حبيبي إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين ، واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك وأنبياءك ورسلك وعبادك الصالحين ، اللهم أحى قلبي بحبك واجعاني لك كما تحب ، اللهم اجعلني أحببك بقلبي كله ، وأرضيك بجهدي كله ، اللهم اجعل حبي كله لك ، وسعي كله في مرضاتك<sup>(٢)</sup> « وهذا الدعاء هو فسطاط خيمة الإسلام الذي قيامها به ، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والقائمون بحقيقة ذلك هم الذين هم بشهادتهم قائمون . والله سبحانه تعرف إلى عبادته من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبتهم له ، فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ومن قام به ، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق من كل وجه الذي لا نقص فيه بوجه ما ، وهو سبحانه الجميل الذي لا أجمل منه بل لو كان جمال الخلق كلهم على رجل واحد منهم وكانوا جميعهم بذلك الجمال لما كان لجمالهم قطنة نسبة إلى جمال الله ، بل كانت النسبة أقل من نسبة سراج ضعيف إلى حذاء جرم الشمس ( والله المثل الأعلى )<sup>(٣)</sup> .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « إن الله جميل يحب الجمال » عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن مععود ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وثابت بن قيس ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وأبو ريحانة رضي الله عنهم .

( ١ ) زواه عن الشيء : صرفه ونحاه .

( ٢ ) في الجامع الصحيح للترمذي قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان من دعاء داود : اللهم . . . وذكر نحواً من هذا الدعاء .

( ٣ ) الآية ٦٠ . سورة النحل .

ومن أَسْمَاءُ الحَسَنَى : الجليلُ ، وَمَنْ أَحَقُّ بِالْجَمَالِ مِنْ كُلِّ جَمَالٍ فِي الْوُجُودِ  
فهو من آثار صنْعه ، فله جمالُ الذاتِ ، وجمالُ الأوصافِ ، وجمالُ الأفعالِ ،  
وجمالُ الأسماءِ ، فأَسْمَاؤُهُ كَأَنَّهَا حُسْنَى ، وصفاته كَأَنَّهَا كَمَالٌ ، وأفعاله كَأَنَّهَا جَمِيلَةٌ ، فلا  
يستطيع بشرٌ النظرَ إلى جلاله وجماله في هذه الدارِ ، فإذا رَأَوْهُ سَبَّحَانَهُ فِي جَنَّاتٍ  
عَدْنٍ أَنْتَهُمْ رُؤْيَتْهُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ ، فلا يَلْتَفِتُونَ حِينَئِذٍ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهِ ، ولولا  
حِجَابُ النُّورِ عَلَى وَجْهِهِ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ<sup>(١)</sup> وَجْهِهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ  
بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، كما في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
قال : قامَ فينا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَنَامُ وَلَا يَنَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ<sup>(٣)</sup> ، وَيَرْفَعُهُ ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ  
الْأَيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ  
لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » .

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ليس عند ربكم ليلٌ ولا نهار نورُ  
السموات من نور وجهه ، وإن مقدار كلِّ يومٍ من أيامكم عند الله اثنتا عشرة  
ساعة ، فتعرض عليه أعمالكم بالأَمْسِ [فتعرض عليه] أولُ النهار أو اليوم فينظر  
فيها ثلاث ساعات ، فيطَّلَعُ مِنْهَا عَلَى بَعْضٍ مَا يَكْرَهُ فَيَغْضِبُهُ ذَلِكَ ، فأولُ من يعلم  
بغضبه الدين يحملون العرشَ يَجِدُونَهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِمْ فَيَسْبِجُهُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ  
وَسُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَنَسَائِرُ الْمَلَائِكَةِ ، وينفخ جبريلُ في  
الْقُرْنِ فلا يبقى شيءٌ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ الْجَنَّةَ وَالْإِنْسَ ، فيسبحونه ثلاث ساعات حتى  
يَمْتَلِئَ الرَّحْمَنُ رَحْمَةً ، فتلك ستُّ ساعاتٍ ، ثم يُؤْتَى بِمَا فِي الْأَرْحَامِ فَيَنْظُرُ فِيهَا

(١) سُبُحَاتُ اللَّهِ : أنواره وجلالته وعظمته .

(٢) هو في صحيح مسلم .

(٣) الْقِسْطُ : المِيزَانُ ، وهو أيضاً العدل والضميق .

ثلاث ساعات فيصوّرهم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فتلك تسع ساعات، ثم ينظر في أَرْزَانِ الخلق كلهم ثلاث ساعات، فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم، ثم قرأ: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) <sup>(١)</sup>، ثم قال عبد الله: هذان شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى (رواه عثمان بن سعيد الدارمي) حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، عن الزبير بن عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفهري <sup>(٢)</sup>، عن ابن مسعود رضى الله عنه. رواه الحسن ابن إدريس، عن خالد بن الحياج، عن أبيه، عن عباد بن كثير، عن جعفر بن الحارث، عن معاذ بن، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إن ربكم ليس عنده نهار ولا ليل، وإن السموات مملوءات نوراً من نور الكرسي، وإن يوماً عند ربك اثنتا عشرة ساعة، فترفع فيها أعمال الخلائق في ثلاث ساعات، فيرى فيها ما يكره فيغضبه ذلك، وإن أول من يعلم بغضبه حَمَلَةُ العرش يرونه يَنْقُلُ عليهم فيسبحون له ويسبح له سرادقات العرش في ثلاث ساعات. من النهار، حتى يمتلي ربنا رضا فتلك ست ساعات من النهار، ثم يأمر بأَرْزاق الخلائق فيعطى من يشاء في ثلاث ساعات من النهار، فتلك تسع ساعات. ثم يرفع إليه أرحام كل دابة فيخلق فيها ما يشاء، ويجعل المدة لمن يشاء في ثلاث ساعات من النهار، فتلك اثنتا عشرة ساعة، ثم تلا ابن مسعود رضى الله عنه هذه الآية (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) هذا من شأن ربنا تبارك وتعالى. وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي دعا به يوم الطائف: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطُكَ

(١) الآية ٢٩. سورة الرحمن.

(٢) في تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٤٠٧) أن حماد بن سلمة يروى عن الزبير

أبي عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز القرشي عن ابن مسعود.

لَكَ الْعُتْبَىٰ حَتَّى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» <sup>(١)</sup> وإذا جاء سبحانه وتعالى يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده تشرق لنوره الأرض كلها كما قال الله تعالى: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ) <sup>(٢)</sup> وقول عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه: نور السموات والأرض من نور وجهه ، تفسير لقوله تعالى: (الله نور السموات والأرض) <sup>(٣)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث أبي بكر رضى الله عنه فى افتتاح النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن» وفى سنن ابن ماجه وحرب السكرمانى من حديث الفضل بن عيسى الرقاشى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بيننا أهل الجنة فى تعميمهم إذ سَطَعَ لهم نور فرقوار ووسمهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فيقول: السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قوله: (سلام قولاً من رب رحيم)» <sup>(٤)</sup> فيرفعون رؤوسهم فيظرون إليه وينظر إليهم ولا يلتفتون إلى شيء من التعميم حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم وعلى ديارهم ومنازلهم « لفظ حديث حرب: «فما ظن المجيبين بلذة النظر إلى وجه الكريم فى جنات النعيم؟» وقد كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك» . ( ذكره الإمام أحمد والنسائى وابن حبان فى صحيحه ) فاسمع الآن شأن أوليائه وأحبابه عند لقائه ثم اختر لنفسك :

(١) رواه ابن إسحاق فى السيرة والبرانى فى الدعاء والمعجم الكبير .

(٢) الآية ٦٩ . سورة الزمر .

(٣) الآية ٣٥ . سورة النور .

(٤) الآية ٥٨ . سورة يس .

أنت القَتِيلُ بكلِّ من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى

قال هشام بن حسان عن الحسن : إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى نسوا نعيم الجنة . وقال هشام بن عمار : حدثنا محمد بن سعيد بن سابور <sup>(١)</sup> ، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان ، حدثنا سعيد بن عبد الله الجرشي القاضي أنه سمع أبا إسحاق الهمداني يحدث عن الحارث الأعور ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه رفعه قال : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَسْكَنَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ بَعَثَ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ الرُّوحَ الْأَمِينَ فيقول : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ رَبَّكُمْ يُقْرِئُكُمْ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكُمْ أَنْ تَزُورُوهُ إِلَى فَنَاءِ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَبْطَحُ <sup>(٢)</sup> الْجَنَّةِ ، تَرْبُتُهُ الْمِسْكُ وَحَصْبَاؤُهُ <sup>(٣)</sup> الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ وَشَجَرُهُ الذَّهَبُ الرَّطْبُ وَوَرَقُهُ الزُّمْرَدُ ، فَيُخْرِجُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مُسْتَبَشِرِينَ مُسْرُورِينَ ، قَمَّ يَجْمَعُهُمْ وَتَمَّ كَرَامَتُهُ اللَّهِ وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ ، وَهُوَ مَوْعِدُ اللَّهِ أَنْجَزَهُ لَهُمْ ، فَيَأْذَنُ اللَّهُ لَهُمْ فِي السَّمَاعِ وَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ ، وَيُكْسُونَ حُلَلَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ : يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِمَّا وَعَدَ اللَّهُ [ رَبُّكُمْ ] شَيْءٌ ؟ فيقولون لَا وَقَدْ أَنْجَزَنَا مَا وَعَدَنَا فَمَا بَقِيَ شَيْءٌ إِلَّا النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ ( تَبَارَكَ وَتَعَالَى ) فِي حُجُبٍ فَيَقُولُ : يَا جِبْرِيلُ ارْقَعْ حِجَابِي لِإِعْبَادِي كَيْ يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ ، قَالَ : فَيَرْفَعُ

( ١ ) في تهذيب التهذيب ( ج ٩ ص ٢٢٢ ) أن الذي يروى عنه هشام بن عمار هو محمد بن شعيب بن شابور وهو يروى عن عبد الرحمن بن حسان الكنانى .  
( ٢ ) الأبطح : المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ومنه أبطح مكة وبطحاء مكة .  
( ٣ ) جمع حصبة : الحصى ؟



الْحِجَابَ الْأَوَّلَ فَيَنْظُرُونَ إِلَى نُورٍ مِنْ نُورِ الرَّبِّ فَيُخَيَّرُونَ لَهُ سَجْدًا  
فَيُنَادِيهِمُ الرَّبُّ يَا عِبَادِي أَرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ عَمَلٍ إِنَّمَا  
هِيَ دَارُ ثَوَابٍ ، فَيَرْفَعُ الْحِجَابَ الثَّانِي فَيَنْظُرُونَ أَمْرًا هُوَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ  
فَيُخَيَّرُونَ لِلَّهِ حَامِدِينَ سَاجِدِينَ ، فَيُنَادِيهِمُ الرَّبُّ أَنْ أَرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ  
إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ عَمَلٍ إِنَّمَا هِيَ دَارُ ثَوَابٍ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ . فَيَرْفَعُ الْحِجَابَ  
الثَّالِثَ فَمَعْدُ ذَلِكَ يَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَيَقُولُونَ حِينَ يَنْظُرُونَ  
إِلَى وَجْهِهِ : سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، فَيَقُولُ كَرَامَتِي أَمْكَنْتُكُمْ  
مِنْ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ وَأَحْلَيْتُكُمْ دَارِي . فَيَأْذَنُ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ أَنْ تَكَلِّمِي  
فَتَقُولُ : طُوبَى لِمَنْ سَكَنَنِي وَطُوبَى لِمَنْ يَخْلُدُ فِي وَطُونِي لِمَنْ أَعْدَدْتُ  
لَهُ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ) <sup>(١)</sup> وقوله تَعَالَى : ( وَجُوهٌ  
يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ) <sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَاتُهُمَا وَحِلْيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ  
مِنْ فِضَّةٍ آيَاتُهُمَا وَحِلْيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى  
رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ » .

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا جرير بن  
عبد الحميد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن كعب قال :  
ما نظر الله إلى الجنة إلا قال : طيبي لأهلك فزادت طيباً على ما كانت ، وما من

( ١ ) الآية ٢٩ : سورة الرعد .

( ٢ ) الآيتان ٢٢ و ٢٣ : سورة القيامة .

يوم كان عيداً في الدنيا إلا يخرجون في مقداره إلى رياض الجنة ، ويبرز لهم الربُّ تبارك وتعالى وينظرون إليه ، وتسقى<sup>(١)</sup> عليهم الريح بالطيب والمِسْك فلا يسألون ربهم تبارك وتعالى شيئاً إلا أعطاهم ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا على ما كانوا عليه من الحسن والجمال سبعين ضعفاً .

وقال عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنِي شَبَابَةُ عَنْ إِسْرَائِيلَ ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بنُ أَبِي فاختة سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى خَدَمِهِ وَنَعِيمِهِ وَسُرْرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدَوَةً وَعَشِيَّةً ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ <sup>(٢)</sup> ) » رواه الترمذى فى جامعه عنه .

وذكر عثمان بن سعيد الدارمى ، عن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا بَلَغَ مِنْهُمْ النَّعِيمُ كُلٌّ مَبْلَغٌ وَظَنُوا أَنَّ لَا نَعِيمَ أَفْضَلَ مِنْهُ تَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَنَظَرُوا إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ فَلَسُوا كُلٌّ نَعِيمٍ عَائِنُوهُ حِينَ نَظَرُوا إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ » .

وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى : ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ) قال : حسنها الله تعالى بالنظر إليه سبحانه ، وحق لها أن تنضرب وهى تنظر إلى ربها عز وجل . قال أبو سليمان الدارمى : لو لم يكن لأهل

( ١ ) سفت الريح التراب ونحوه : ذرته أو رحلته .

( ٢ ) الآيتان ٢٢ ، ٢٣ . سورة القيامة .

الحبة - أو قال المعرفة - إلا هذه الآية : (وَجُودَ يَوْمَ مَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) لا كَتَفَوْا بِهَا .

وذكر النسائي من حديث الزُّهري ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هَلْ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ لَا غَيْمَ فِيهِ وَفِي التَّمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ لَا غَيْمَ فِيهَا ؟ » قلنا : لا ، قال « فَإِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ حَتَّى إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَحَاضِرُهُ <sup>(١)</sup> مُحَاضِرَةٌ فَيَقُولُ : عَبْدِي هَلْ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا ؟ فيقول : ياربُّ أَلَمْ تَغْفِرْ لِي ؟ فيقول : بِمَغْفِرَتِي صِرْتُ إِلَى هَذَا . »

وفي الصحيحين من حديث مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فيقولون : كَبِيرُكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فيقول : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فيقولون : وَمَا نَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فيقول : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فيقولون : ياربُّ وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فيقول : أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْخِطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا » .

وفي الصحيح والسنن والمساند من حديث ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يَرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ كَمَوْعِدِهِمْ ، فيقولون : ما هو أَلَمٌ يُبَيِّنُ وَجُوهَنَا وَبُثْقُلَ مَوَازِينَنَا وَيُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ وَيُخْرِجَنَا مِنَ النَّارِ ؟ فيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقْرَبَ لَأَعْيُنِهِمْ .

وفي صحيح البخارى من حديث جرير بن عبد الله قال : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ أَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ : « إِنْ كُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَقْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا » .

وفي الصحيحين من حديث الزُّهْرِيِّ ، عن عطاء بن يزيد اللثي ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَلْ تُضَارُّونَ <sup>(١)</sup> فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » قالوا : لا يا رسول الله قال : « قَهْلُ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَ سَحَابٍ ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فَإِنْ كُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ » . وفى لَفْظٍ : « فَإِنْ كُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَيْهِ رَبَّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا » .

وقال الترمذى : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ : لِيَتَّبِعْ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانَ يَعْبُدُ ، فَيُمَثِّلُ إِيصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلَيبُهُ وَإِيصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ ، وَإِيصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ »

(١) جاء في القاموس المحيط : لا تضارون في رؤيته : أى لا تضامون تضاماً يدنو بعضهم من بعض فيضايقه . وجاء في لسان العرب : لا يضر بعضهم بعضاً وينفرد برؤيته . وقال في تفسيرها أيضاً : لا يقع بكم في رؤيته ضر ولا يلحقكم ضيم .

فَتَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَيَتَّبِعُ الْمُسْلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ  
مِنْكَ، اللَّهُ رَبُّنَا هَذَا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ حَتَّى تَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُجِيبُهُمْ .  
ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ  
بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، اللَّهُ رَبُّنَا، وَهَذَا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ حَتَّى تَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ  
يَأْمُرُهُمْ وَيُجِيبُهُمْ . قَالُوا: وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَهَلْ تُضَآرُّونَ فِي  
رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تُضَآرُّونَ فِي  
رُؤْيَا تِلْكَ السَّاعَةِ . قَالَ: ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَعْرِفُهُمْ نَفْسُهُ ثُمَّ يَقُولُ:  
أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي، فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ فَيَمْرُؤُنَ عَلَيْهِ مِثْلَ حِيَادِ  
الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ: سَلَّمَ سَلَّمَ، وَيَتَّبِعُ أَهْلُ النَّارِ فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ  
فِيهَا فَوْجٌ فَيَقَالُ: هَلِ امْتَلَأَتْ؟ فَيَقُولُ: هَلِ مِنْ مَزِيدٍ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ  
فَيَقَالُ: هَلِ امْتَلَأَتْ؟ فَيَقُولُ: هَلِ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى إِذَا أَوْعَبُوا<sup>(١)</sup> فِيهَا وَضَعَ  
الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا قَدَمَهُ فَأَرَوَى<sup>(٢)</sup> بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَقَالَتْ:  
قَطَّ قَطَّ، فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ أَتَى بِالْمَوْتِ مُكْتَبًا  
فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ  
فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ  
الشَّفَاعَةَ فَيَقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ هُوَ لَا،  
وَهُوَ لَا: قَدْ عَرَفْنَاهُ، هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وَكَلَّ بَنَاءَ، فَيُضْجَعُ فَيُدْبَحُ ذَبْحًا

(١) أَوْعَبُوا فِيهَا: أَدْخَلُوا فِيهَا وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَارِجًا .

(٢) أَرَوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ: ضَمَّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ .

عَلَى السُّورِ . ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتُ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتُ . »

قال الترمذى : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ وأصله فى الصحيحين لكن هذا السياقُ أجمع وأخصر . وفى لفظِ الترمذى : « فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ فَرَحًا لَمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ حُزْنًا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ » .

وفى مسند الحارث بن أبى أسامة من حديث قُرّة ، عن مالك ، عن زياد بن سعد ، حدثنا أبو الزبير قال : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جُمِعَتِ الْأُمَمُ وَدُعِيَ كُلُّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَجِئْنَا آخِرَ النَّاسِ فَيَقُولُ قَاتِلْ مَنْ النَّاسِ : مَنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ ؟ قال : فَيُشْرِفُ إِلَيْنَا النَّاسُ فَيَقَالُ : هَذِهِ الْأُمَّةُ الْأَمِينَةُ ، هَذِهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ فِي أُمَّتِهِ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ إِنَّكُمْ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ ، قال : فَنَأْتِي فَنَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى نَكُونَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَزَلَّةً ، ثُمَّ يُدْعَى النَّاسُ كُلُّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيَقَالُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ الْيَهُودُ ، فيقول : مَنْ نَبِيُّكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَبِيُّنَا مُوسَى ، فيقول : مَا كِتَابُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : كِتَابُ بَنِي التَّوْرَةِ ، فيقول : مَا تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعْبُدُ عَزِيزًا وَنَعْبُدُ اللَّهَ ، فيقول لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ : اسْأَلُوا بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ . ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فيقول : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ النَّصَارَى ، فيقول : مَنْ نَبِيُّكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَبِيْنَا عِيسَى ، فيقول : مَا كِتَابُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : كِتَابُ بَنِي الْإِنْجِيلِ ، فيقول : مَا تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعْبُدُ عِيسَى وَأُمَّهُ وَاللَّهُ . فيقول لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ : اسْأَلُوا بِهِمْ وَلَاءَ فِي جَهَنَّمَ ، فَيُدْعَى عِيسَى فيقول

لعيسى : يا عيسى ( ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> )  
 فيقول : ( سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ) <sup>(٢)</sup> إلى قوله :  
 ( العَزِيزُ الْحَكِيمُ ) <sup>(٣)</sup> ثم يدعى كلُّ أناسٍ بِإِلَهِائِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ثُمَّ  
 يَصْرُخُ الصَّارِخُ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ إِلَهاً فَلْيَتَّبِعْهُ ، تَقْدَمُهُمْ آلِهَتُهُمْ  
 مِنْهَا الْخَشَبُ وَالْحِجَارَةُ ، وَمِنْهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَمِنْهَا الدَّجَالُ ، حَتَّى تَبْقَى  
 الْمُسْلِمُونَ فَيَقِفُ عَلَيْهِمْ فيقول : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فيقولون : نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ، قال : خَيْرُ  
 اسْمٍ وَخَيْرُ دَاعِيَةٍ ، فيقول : مَنْ نَبِيُّكُمْ ؟ فيقولون : مُحَمَّدٌ ، فيقول : مَا كِتَابُكُمْ ؟  
 فيقولون : الْقُرْآنُ ، فيقول : مَا تَعْبُدُونَ ؟ فيقولون : نَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
 لَهُ ، قال : سَيَنْفَعُكُمْ ذَلِكَ إِنْ صَدَقْتُمْ ، قالوا : هَذَا يَوْمُنَا الَّذِي وَعَدْنَا فيقول :  
 أَعَرِفُونَ اللَّهَ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ ؟ فيقولون : نَعَمْ ، فيقول : وَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ  
 وَلَمْ تَرَوْهُ ؟ فيقولون : نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا عَدْلَ لَهُ ، قال : فَيَتَجَلَّى لَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
 فيقولون : أَنْتَ رَبُّنَا تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُكَ ، وَيَخْرُونَ لَهُ سُجَّداً ، ثُمَّ يَمْضِي  
 النُّورُ بِأَهْلِهِ .

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث أبي الزبير قال : سألت  
 جابراً عن الورد فأخبرني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نَجَى  
 يَوْمَ النِّيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ » <sup>(٤)</sup> فَوَقَّ النَّاسُ ، فَتَدْعِي الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ  
 تَعْبُدُ ، الْأَوَّلُ فَلِأَوَّلٍ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فيقول : مَا تَنْتَظَرُونَ ؟ فيقولون :  
 نَنْتَظِرُ رَبَّنَا ، فيقول : أَنَا رَبُّكُمْ ، فيقولون : حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ  
 يَضْحَكُ فَيَتَّبِعُونَهُ .

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي أن أبا بردة بن أبي موسى الأشعري أتى عمر بن عبد العزيز فقال : حدثنا أبو موسى الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَجْمَعُ اللَّهُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَإِذَا بَدَأَ لَهُ أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ مِثْلَ لِسَكَلٍ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْبَعُونَهُمْ حَتَّى يَفْتَحُمُوهُمْ » <sup>(١)</sup> النَّارَ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا وَنَحْنُ فِي مَكَانٍ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَنَقُولُ : نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ ، فَيَقُولُ : مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ فَنَقُولُ : نَنْتَظِرُ رَبَّنَا ، فَيَقُولُ : مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّكُمْ ؟ فَنَقُولُ : حَدَّثَنَا الرَّسُولُ أَوْ جَاءَنَا السُّكُتُبُ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا عِذْلَ ، فَيَنْجَلِي لَنَا ضَاحِكًا ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنْبِشُوا مَعْشَرَ الْمُسَاهِينَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ جَعَلْتُ مَكَانَهُ فِي النَّارِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » فقال عمر لأبي بردة : اللَّهُ ، لقد سمعت أبا موسى يحدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إى والله الذى لا إله إلا هو لقد سمعت أبى يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثًا ، فقال عمر بن عبد العزيز : ماسمعت فى الإسلام حديثًا هو أحبُّ إلىَّ منه .

وفى الترمذى من حديث الأوزاعى حدثنى حسان بن عطية ، عن سعيد ابن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضى الله عنه فقال أبو هريرة : أسأل الله تعالى أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة ، فقال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ويتلوى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور

(١) يفتحهم : يرموهم فيها على وجوههم .



ومنابرُ من لؤلؤٍ ومنابرُ من ياقوتٍ ومنابرُ من زَبَرَجَدٍ ومنابرُ من ذهب  
ومنابرُ من فضةٍ، ويجلس أَدْنَاهُمْ وما فيهم ذئبٌ عَلَى كَثْبَانٍ<sup>(١)</sup> المسك والكافور  
ما يرون أَنَّ أَهْلَ الكرامى أفضلُ منهم مجلساً .

قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله وهل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال :  
« نَعَمْ هَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » قلنا : لا ، قال :  
« كَذَلِكَ لَا تُمَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا  
حَاضِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى مُحَاضِرَةً حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ  
أَتَذْكُرُ يَوْمَ كَذَا عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَذْكُرُهُ بَعْضُ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا  
فَيَقُولُ : يَا رَبُّ أَلَمْ تَغْفِرْ لِي ؟ فَيَقُولُ : بَلَى فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنَزِلَتَكَ  
هَذِهِ<sup>(٢)</sup> ، فَبَدِينَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتَهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ قُوقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طَيْفًا  
لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ ، ثُمَّ يَقُولُ : قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ  
الْكَرَامَةِ فَخُذُوا مَا اسْتَهْتِمُ ، فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ ، فِيهِ مَالٌ  
تَنْظُرُ الْعَيُونُ إِلَى مِثْلِهِ وَلَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ ، فَيَحْتَمِلُ  
إِلَيْنَا مَا اسْتَهْتِمْنَا لَيْسَ يَبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى ، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَبْقَى أَهْلُ  
الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيُتِمِّلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنَزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فَيَلْتَقِي مَنْ هُوَ دُونَهُ  
وَمَا فِيهِمْ ذَنْبٌ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ فَأَيُنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى  
يَتِمَثَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَتَّبَعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَخْزَنَ فِيهَا ، ثُمَّ  
نَتَصَرَّفُ إِلَى مَنَارِلِنَا فَتَمْتَلِكُنَا أَرْوَاجُنَا فَيَتَكَلَّنَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا لَقَدْ جِئْتُ وَإِنْ

(١) جمع كَثِيب : تل من الرمل سمي به لأنه انكسب أى أنصب في مكان

فاجتمع فيه .

(٢) أنظر صفحة ٤٢٥ .

بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيِّبِ أَكْثَرَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحْقِنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا .

وقال يعقوب بن سفيان في مسنده : حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُصَفَّى ، حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَزُورُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ وَذَكَرَ مَا يُعْطُونَ » قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : اكْشِفُوا الْحُجُبَ ، فَيَكْشِفُونَ حِجَابًا ثُمَّ حِجَابًا حَتَّى يَتَجَلَّى لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَانَهُمْ لَمْ يَرَوْا نِعْمَةً قَبْلَ ذَلِكَ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ <sup>(١)</sup> .

وذكر عثمان بن سعيد الدَّارِمِيُّ من حديث الحسن رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا أَنَّهُ قَالَ : « يَا تَيْنَا رَبُّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ عَلَى مَكَانٍ رَفِيعٍ فَيَتَجَلَّى لَنَا ضَاحِكًا » (مرسلٌ مُصحَّحٌ) .

وقال عثمان الدَّارِمِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، حَدَّثَنَا الْأَجَاحُ حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَزَاحِمٍ قَالَ : إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ السَّمَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَنْشَقُّ بَيْنَ فِيهَا فَيَحْيِطُونَ بِالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا ، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ حَتَّى ذَكَرَ سَمِعَ سَمَوَاتٍ فَيَكُونُونَ سَبْعَةَ صُفُوفٍ قَدْ أَحَاطُوا بِالنَّاسِ ، ثُمَّ يَنْزِلُ الْمَلِكُ الْأَعْلَى جَلَّ جَلَالُهُ فِي بَهَائِهِ وَجَمَالِهِ وَمَعَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

وقال عثمان بن سعيد : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ الدَّمَشْقِيُّ ، وَكَانَ ثِقَةً ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ شَاوِرٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى غَفَرَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نجاءني جبريلُ وفي كَفِّهِ مِرْآةٌ فِيهَا نُكْتَةٌ »<sup>(١)</sup> سَوْدَاءُ ، فقالت : ماهذه يا جبريلُ ؟ قال : هذه الْجُمُعَةُ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْكَ رَبُّكَ فَتَكُونُ هُدًى لَكَ وَلَأَمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، فقلت : وَمَا لَنَا فِيهَا ؟ قال : لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ أَنْتُمْ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَاقِفُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّيُ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً هُوَ لَهُ قَسَمٌ إِلَّا أَنَاهُ وَلَا خَيْراً لَيْسَ لَهُ بِقَسَمٍ إِلَّا دُخِرَ لَهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِلَّا دُفِعَ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْهُ ، قلت : ماهذه النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ ؟ قال : هذه السَّاعَةُ يَوْمَ تَقُومُ الْقِيَامَةُ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ وَنَحْنُ نُسَمِّيهِ عِنْدَنَا يَوْمَ الْمَزِيدِ ، قلت : وَلِمَ تُسَمُّونَهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ يَا جبريلُ ؟ قال : لِأَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِياً أَفِيحاً<sup>(٢)</sup> مِنْ مَسَلِكٍ أَبْيَضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ هَبَطَ الْجَبَّارُ عَنْ عَرْشِهِ إِلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي وَقَدْ حُفَّ الْكَرْسِيُّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَجْلِسُ عَلَيْهَا الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ الْغُرَفِ حَتَّى يَحْفُوا بِالْكَثِيبِ ، ثُمَّ يَبْدُو لَهُمْ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : أَنَا الَّذِي صَدَّقْتُكُمْ وَعَدَيْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَأَحْلَلْتُكُمْ دَارَ كَرَامَتِي فَسَلُونِي ، فيقولونَ بِأَجْمَعِهِمْ : نَسْأَلُكَ الرِّضَا عَنَّا ، فَشَهِدْ لَهُمْ عَلَى الرِّضَا ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ : سَلُونِي ، فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ نَهْمُهُ<sup>(٣)</sup> كُلُّ عَبْدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقُولُ : سَلُونِي ، فيقولونَ : حَسْبُنَا رَبُّنَا رَضِينَا ، فَيَرْجِعُ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى

(١) النُّكْتَةُ فِي الشَّيْءِ كَالنَّقْطَةِ : وَهِيَ النَّقْطَةُ السَّوْدَاءُ فِي الْأَبْيَضِ رَقِيبُ الْبَيْضَاءِ فِي الْأَسْوَدِ .

(٢) أَفِيحٌ : وَاسِعٌ مَخْصَبٌ .

(٣) النَّهْمَةُ : الْحَاجَةُ ، وَبُلُوغُ الشَّهْوَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

عَرْشِهِ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِقَدْرِ إِشْرَاقِهِمْ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ  
سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ وَهِيَ غُرْفَةٌ  
مِنْ لَوْلُؤَةٍ بَيْضَاءَ وَيَأْقُوتَةُ حَمْرَاءَ وَزُمُرُدَةٌ خَضْرَاءَ لَيْسَ فِيهَا قَصَمٌ وَلَا  
وَصَمٌ<sup>(١)</sup> مُطَرَّدَةٌ أَنَهَارُهَا مُتَدَلِّيَةٌ فِيهَا ثِمَارُهَا، فِيهَا أَرْوَاجُهَا وَخُدُمُهَا وَمَسَاكِنُهَا  
فَلْيَسُوا إِلَى يَوْمِ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ  
وَرِضْوَانًا .

رواه عن أنسٍ جماعةٌ منهم عثمان بنُ عُمَيْرٍ بن اليقظان<sup>(٢)</sup> ومن طريقه  
رواه الشافعي في مسنده، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة<sup>(٣)</sup>، ومنهم أبو صالح،  
والزُّبَيْر بن عدى، وعلي بن الحكم البُنَانِي، وعبد الملك بن عُمَيْر، ويزيد الرقاشي  
وعبد الله بن بُرَيْدَة، كلهم عن أنسٍ وصححه جماعة من الحفاظ، وزاد الشافعي في  
مسنده في آخره: « وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي اسْتَوَى فِيهِ رَبُّكُمْ عَلَى الْعَرْشِ » وساقه  
عثمان بن أبي شَيْبَةَ من طريق، وقال في بعضها: « ثُمَّ يَنْتَجَلِي لَهُمْ رَبُّهُمْ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعَدِي وَأَوْفَيْتُكُمْ وَعَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَهَذَا  
يَحُلُّ كَرَامَتِي » إلى أن قال: « ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَيَرْتَفِعُ مَعَهُ النَّبِيُّونَ  
وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ » .

وروى محمد بن الزُّبُرْقَان، عن مقاتل بن حَيَّان، عن أبي الزبير، عن  
جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ

---

(١) قصمه قصماً: كسره وأبانه، وقيل كسره وإن لم يكن . ويصم الشيء  
وصماً: صدعه وعابه. والمعنى: ليس فيها كسر ولا عيب .  
(٢) كذا . . . والصواب: أبو اليقظان كما جاء في تهذيب التهذيب  
(٣) كذا . . . ولعل الصواب في المسند .

لِيَحْتَجُجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا يَحْتَجُجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزُودُونَ رَبَّهُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فَيَقُولُ لَهُمْ : تَمَنُّوا ، فَيَقُولُونَ : وَمَا نَتَمَنَّى وَقَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَّةَ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا أُعْطِينَا ، فَيُقَالُ لَهُمْ : تَمَنُّوا ، فَيَلْتَفِتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ » وذكر الحديث في قصة الجمعة .

وروى ابن مندَه من حديث الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قصة الجمعة بطولها وفيها يقول : « سَلُونِي فَيَقُولُونَ : أَرِنَا وَجْهَكَ رَبَّ الْعَالَمِينَ نَنْظُرُ إِلَيْكَ ، فَيَكْشِفُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِلْكَ الْحُجُبَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ » .

وذكر عثمان الدارمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه حدث عمر بن عبد العزيز قال : إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة فيسلم على أهل الجنة في أول درجة فيردون عليه السلام ، قال القرظي : وهذا في القرآن ( سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ )<sup>(١)</sup> فيقول : سلوني ، يفعل بهم ذلك في درجهم حتى يستوى على عرشه ، ثم تأتيهم التثخف من الله تحمله<sup>(٢)</sup> للملائكة إليهم .

وقال عبد الواحد بن زيد ، عن الحسن : لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا . وقال هشام بن حسان عنه أنه تبارك وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآوه تسوا نعيم الجنة .  
أعجب الصبر صبر المحبين . قال الشاعر :

( ١ ) الآية ٥٨ . سورة يس .

( ٢ ) كذا . . . ولعل الصواب : تحملها .

والصبرُ يُحمَدُ في المواطنِ كَثَرًا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يُحْتَمَدُ<sup>(١)</sup>  
 وقف رجلٌ على الشبلى فقال : أى الصبر أشدُّ على الصابرين ؟ قال : الصبر  
 فى الله ، فقال السائل : لا ، فقال : الصبر لله ، قال : لا ، قال : فالصبر مع الله ،  
 قال : لا ، قال : فما هو ؟ قال : الصبر عن الله ، فصرخ الشبلى ضرخةً كادت  
 روحه تَرَهَق . قال الشاعر :

والصبرُ عنك فذمومٌ عواقبُهُ والصبرُ فى سائر الأشياء محمود  
 الخوف يبعدك عن معصيته ، والرجاء يخرجك إلى طاعته ، والحب يسوقك  
 إليه سوقاً . لما علم الله سبحانه أن قلوبَ المشتاقين إليه لا تهتد إلا بلاقائه ضرب لهم  
 أجلاً للقاء تسكيناً لقلوبهم ، فقال الله تعالى :

( مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ )<sup>(٢)</sup> .

يامن شكى شوقه من طول فرقه إصبر لعلك تلقى من تحب غدا  
 وسر إليه بنار الشوق مجتهداً عساك تلقى على نار الغرام هدى  
 المحب الصادق كلما قرب من محبوبه زاد شوقاً إليه .

وأعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام<sup>(٣)</sup>  
 كلما وقع بصرُ المحب على محبوبه أحدث له رؤيته شوقاً على شوقه :  
 ما يرجع الطرفُ عنه حين يبصره حتى يعود إليه الطرفُ مشتاقا  
 المحب الصادق إذا سافر طرفه فى الكون لم يجد له طريقاً إلا على محبوبه ،

( ١ ) تقدم فى صفحة ٢٦٦ باختلاف فى اللفظ .

( ٢ ) الآية ٥ . سورة العنكبوت .

( ٣ ) وروى : إذا دنت الديار من الديار .

فَإِذَا انصَرَفَ بَصْرُهُ عَنْهُ رَجَعُ إِلَيْهِ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ<sup>(١)</sup> .

وَيَسْرَحُ طَرْفِي فِي الْأَنَامِ وَيَنْتَنِي      وَإِنْسَانُ عَيْنِي بِالْذَّمِّوعِ غَرِيقُ  
فَيَرْجِعُ مُرْدُودًا إِلَيْكَ وَمَالَهُ      عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ  
أَقْرَبُ شَيْءٍ لِعَيُونِ الْحُبِّ خَلُوتُهُ بِسِرِّهِ مَعَ مَحْبُوبِهِ . حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى شَيْخَنَا  
فِي عُنُقِ قَوَانِ أَمْرِهِ ، خَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّةِ بِكَرَّةٍ فَلَمَّا أَصْحَرَ<sup>(٢)</sup> تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ تَمَثَّلَ  
بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبَيْوتِ لَعْنِي      أَحَدَّثَ عَنْكَ الْقَلْبَ بِالسَّرِّ خَالِيًا<sup>(٣)</sup>  
الشَّوْقُ يُحْمِلُ الْحُبَّ عَلَى الْعَجَلَةِ فِي رِضَا الْمَحْبُوبِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا عَلَى الْقَوْرِ  
وَلَوْ كَانَ فِيهَا تَلَفُهُ . ( وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى . قَالَ مُنْهُمْ أَوْلَاءٌ هَلَى  
أَتَرَى وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لَتَرْضَى )<sup>(٤)</sup> قَالَ بَعْضُهُمْ : أَرَادَ شَوْقًا إِلَيْكَ فَسْتَرَهُ  
بِلَفْظِ الرِّضَا .

وَلَوْ قُلْتُ طَأً فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ      رِضًا لَكَ أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ  
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا      هَدَى مِنْكَ لِي أَوْ ضِلَلَةً مِنْ ضَلَالِكَ  
لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الْحِشَا      وَرَقْرَاقُ عَيْنِي خَشْيَةً مِنْ زِيَالِكَ<sup>(٥)</sup>

( ١ ) خَاسِئًا : ذَلِيلًا ، وَحَسِيرٌ : كَلِيلٌ ، ضَعِيفٌ ، أَعْيَاهُ النَّظَرُ وَالْبَحْثُ . قَالَ  
تَعَالَى : ( ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ) .

( ٢ ) أَصْحَرَ الرَّجُلَ : خَرَجَ إِلَى الصَّحَرَاءِ .

( ٣ ) تَقَدَّمَ فِي صَفْحَةِ ٢٨١ .

( ٤ ) الْآيَتَانِ ٨٣ وَ ٨٤ . سُورَةُ طه .

( ٥ ) رَقْرَقَ الْمَاءُ وَغَيْرُهُ : صَبَّهُ بِرَقَّةٍ ، وَعَيْنُهُ : أَجْرَى دَمْعُهَا ، وَالرَّقْرَاقُ مِنْ  
الْأَشْيَاءِ مَا تَزَالُ أَلْوَمُ مِنَ الدَّمْعِ مَا تَرَقَّرَقَ مِنْهُ . زِيَالُكَ : فِرَاقُكَ ، وَزِيَالُهُ مَزَابِلَةُ  
وَزِيَالَا : فَارِقُهُ .

وإن ساءى أن نلتني بمساءة لقد سرّني أني خطرتُ ببالك  
من علامات الحجة الصادقة أن الحب لا يَتمُّ له سرورٌ إلاَّ بمحبوبه ،  
وما دام غائباً عنه فعيشه كله مُنغصّ .

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلاَّ بكم يَتمُّ السرورُ  
عيبُ ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غُيبٌ ونحن حضور  
وقال آخر :

من سرّه العيدُ الجديد فقد عَدِمْتُ به السرور  
كان السرور يَتمُّ لي لو كان أحبّ إليَّ حضوراً  
لو قيل للمحبّ على الدوام : ما تتمنى ؟ قال : لقاء المحبوب .

ولما نزلنا منزلاً طَلَّهُ النـدي أنيقاً وبستاناً من الثورِ حالياً<sup>(١)</sup>  
أجد<sup>(٢)</sup> لنا طيبُ المكان وحسنه مني فتمنّينا فكنت الأمانيا

وقال الجُنيد : سمعت السريّ يقول : الشوق أجلُّ مقامٍ العارف إذا تحقّق  
فيه ، وإذا تحقّق بالشوق لها عن كل ما يَشغفه عمن يشّاق إليه . وقيل : أوحى  
الله تعالى إلى داود عليه السلام ، قل لشبان بني إسرائيل لم تَشغُلون نفوسكم  
بغيري وأنا مشتاق إليكم ؟ ما هذا الجفاء ؟ ولو يعلم المُدبرون عني كيف انتظاري  
لهم ورفقي بهم ومحبتى لترك معاصيهم لما تواسوا شوقاً إليّ وانقطعت أوصالهم من  
محبتى . هذه إرادتى للمُدبرين عني فكيف إرادتى للمقبّلين عليّ ؟ وسئل الجُنيدُ  
من أى شيء بكاء الحب إذا لقي المحبوب ؟ فقال : إنما يكون ذلك سروراً به

(١) حالياً . مزدانا .

(٢) أجد : أحدث .



ووجداً من شدة الشوق إليه ، قال : ولقد بلغني أن أخوين تمانقا فقال أحدهما : واشوقاه وقال الآخر : وادجده . وكانت عجوزاً لها غائبٌ فقدم من السفر فأظهر أهلها الفرح والسرور به . فجعلت تبكي فقبل لها : ما هذا البكاء ؟ فقالت : ذكّرني قدومُ هذا الفتى يوم القدوم على الله .

وقال بعضُ المحبين : قلوبُ المشتاقين منورةٌ بنور الله ، فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض ، فيعرضهم الله سبحانه وتعالى على الملائكة فيقول : هؤلاء المشتاقون إليّ أشهدكم أني إليهم أشوق .

## فصل

قال ابن أبي الحواري رحمه الله تعالى : سئل أبو سليمان الداراني رحمه الله وأنا حاضرٌ ما أقرب ما يُتَقَرَّب به إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ فبكي ثم قال : مثلي يُسأل عن هذا ؟ أقرب ما يُتَقَرَّب به إليه أن يطالع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو <sup>(١)</sup> . وقال يحيى بن مُعَاذ : النسكُ هو العناية بالسرائر وإخراج ما سوى الله من القلب . وقال سهل بن عبد الله : مامن ساعةٍ إلا والله سبحانه يطالع فيها على قلوب العباد ، فأى قلبٍ رأى فيه غيره سَلَطَ عليه إبليس . وقال سهل بن عبد الله : من نظر إلى الله عزَّ وجلَّ قريباً منه بعد عن قلبه كلُّ شيء سوى الله ، ومن طلب مرضاته أَرْضاه الله سبحانه وتعالى ، ومن أحلم قلبه إلى الله تَوَلَّى الله جوارحه . وقال سهل أيضاً : حرام على قلبٍ أن يشتم راحة اليقين وفيه سكونٌ إلى غير الله ، وحرامٌ على قلبٍ أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله وسئل بعضهم عن أفضل الأعمال فقال : رعاية السرِّ عن الالتفات إلى شيء

---

(١) كذا . . وفي حلية الأولياء : والآخرة غيره .

سوى الله عز وجل . وقال مسلم<sup>(١)</sup> : تركتموه وأقبل بعضكم على بعض ، لو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب .

## فصل

فإن تقاصرت<sup>(٢)</sup> همتك الدينية عن ترك الفواحش محبةً لهذا المحبوب الأعلى ولست هنالك فاتركها محبةً للنساء الآلاتي وصفهن الله في كتابه ، وبعث رسوله داعياً إلى وصلهن في جنة المأوى . وقد تقدّم ذكر بعض صفاتهن ولذة وصلهن ، فإن تقاصرت همتك عنهن ولم تكن كفواً لخطبتن ودعتك نفسك إلى إيثار ما هاهنا عليهن فكن من عقوبته العاجلة والآجلة على حذر . واعلم أن العقوبات تختلف ، فتارة تعجل وتارة تؤخر وتارة يجمع الله على العاصي بينهما . وأشد العقوبات العقوبة بسلب الإيمان ، ودونها العقوبة بموت القلب ومحو لذة الذكر والقراءة والدعاء والمناجاة منه ، وربما دبت عقوبة القلب فيه ديب الظلمة إلى أن يمتليء القلب بهما فتعمى البصيرة ، وأهون العقوبة ما كان واقعاً بالبدن في الدنيا ، وأهون منها ما وقع بالمال ، وربما كانت عقوبة النظر في البصيرة أو في البصر أو فيها .

قال الفضيل : يقول الله تعالى : ابن آدم إذا كنت أقلبك في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فاحذر لئلا أصرّك بين معاصيك ، ابن آدم اتقني ونم حيث شئت ، إنك إن ذكرتني ذكرتك ، وإن نسيتني نسيتك ، والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك .

---

( ١ ) كذا .. وفي لسان الميزان : سلم ، وفي حلية الأولياء : سالم وهو ابن ميمون الخواص الزاهد .  
( ٢ ) تقاصرت : تضاءلت وعجزت .

وقال الفضيل أيضاً : ما يؤمنك أن تكون بارزت الله تعالى بعملٍ مقتك عليه فأغلقَ عنك أبوابَ المغفرة وأنت تضحك ؟ وقال علقمة بن مرثد : يينا رجلٌ يطوف بالبيت إذ برق له ساعدُ امرأةٍ فوضع ساعده على ساعدها فالتذ به فلصقت ساعدها ، فأتى بعض أولئك الشيوخ فقال : ارجع إلى المكان الذي فعلت هذا فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود ، ففعل فخلى عنه .

وقال ابن عباس ، وأنس رضى الله عنهم : إن للحسنة نوراً في القلب ، وزيناً في الوجه ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق . وإن للسيئة ظلمة في القلب . وشيناً في الوجه ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق .

وقال الحسن : ماعصى الله عبداً إلا أذله الله . وقال المعتمر بن سليمان : إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصيح وعياه مدلته . وقال الحسن : هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم . وكان شيخ من الأعراب يدور على المجالس ويقول : من سره أن تدوم له العافية فليتنق الله .

وقال أبو سليمان الداراني : من صفا صفا له ، ومن كدر كدر عليه ، ومن أحسن في ليله كفي في نهاره ، ومن أحسن في نهاره كفي في ليله ، ومن ترك لله شهوة من قلبه فالله أكرم أن يعذب بها قلبه . وكتبت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إلى معاوية : أما بعد فإن العامل إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاماً .

وقال محارب بن دثار : إن الرجل ليذنب الذنب فيجد له في قلبه وهناً . وقال الحسين بن مطير :

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة فما لك نفس بمسدها تستعيرها

ولا تقرب الأمر<sup>(١)</sup> الحرام فإنما حلاوته تبقى ويبقى مسيرها  
وكان سفيان الثوري يتمثل يهذين البيتين :  
تبقى اللذائذُ ممن ذاق<sup>(٢)</sup> صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعارُ  
تبقى عواقبُ سوء في مَفَبَّتِها لا خيرَ في لذّةٍ من بعدها النارُ

## فصل

واعلم أن الجزء من جنس العمل ، والقلب معلق بالحرام كلما هم أن يفارقه  
ويخرج منه عاد إليه ، ولهذا يكون جزاؤه في البرزخ وفي الآخرة هكذا .

وفي بعض طُرُق حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُب الذي في صحيح البخارى أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي فَأَنْطَلَقْتُ  
مَعَهُمَا فَإِذَا بَيْتٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ  
يُوقَدُ تَحْتَهُ نَارٌ فِيهِ رَجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فَإِذَا أُوقِدَتِ النَّارُ ارْتَفَعُوا حَتَّى  
يَكَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا أُخِذَتْ رَجَعُوا فِيهَا فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ :  
هُمْ الزُّنَاةُ » . فتأمل مطابقة هذا العذاب لحال قلوبهم في الدنيا فإنهم كلما هموا  
بالتوبة والإقلاع والخروج من تنور الشهوة إلى فضاء التوبة أُرِكِسُوا<sup>(٣)</sup> فيه  
وعادوا بعد أن كادوا يخرجون .

ولما كان الكفَّار في سجن الكفر والشُّرك وضيقه وكانوا كلما هموا

( ١ ) تقدم البیتان فی صفحة ٣٣٠ وفيها : ولا تقرب المرعى الحرام الخ .

( ٢ ) تقدم البیتان فی صفحتی ٣٣٠ و ٣٧٤ .

( ٣ ) أُرِكِسُوا فيه : ردوا إليه وأعيدوا إليه ، قال تعالى ( كلما ردوا إلى الفتنة

أُرِكِسُوا فيها ) أى عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب .

بالخروج منه إلى فضاء الإيمان وسعته وروحه رجعوا على حوافرهم كان عقوبتهم في الآخرة كذلك ، قال الله تعالى : ( كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا )<sup>(١)</sup> . وقال في موضع آخر : ( كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا )<sup>(٢)</sup> فالكفر والمعاصي والفسوق كله غموم ، وكلما عزم العبد أن يخرج منه أبت عليه نفسه وشيطانه ومآلفه ، فلا يزال في غم ذلك حتى يموت ، فإن لم يخرج من غم ذلك في الدنيا بقي في غمه في البرزخ وفي القيامة ، وإن خرج من غمه وضيقه هاهنا خرج منه هناك ، فاحبس العبد عن الله في هذه الدار حبسه عنه بعد الموت ، وكان معذباً به هناك كما كان قلبه معذباً به في الدنيا ، فليس العشاقي<sup>(٣)</sup> والفجرة والظالمة في لذة في هذه الدار ، وإنما هم يعدّون فيها وفي البرزخ وفي القيامة ، ولكن سكر الشهوة وموت القلب حال بينهم وبين الشعور بالألم ، فإذا حيل بينهم وبين ما يشتهون أخضرت نفوسهم الألم الشديد ، وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في لحومهم . فالآلام تأكل أرواحهم غير أنها لاتقنى ، والدود يأكل جسومهم .

قال الإمام أحمد رضى الله عنه : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، حدثني وهب بن منبه قال : كان حزقيل قائماً فأتاه ملكٌ فذكر حديثاً طويلاً وأوفيه أنه مرّ بقوم أموات قفيل له : ادعهم فدعاهم فأحياهم الله له فقال : سلمهم فيم كنتم ؟ فقالوا : لما فارقنا

( ١ ) الآية ٢٠ . سورة السجدة .

( ٢ ) الآية ٢٢ سورة الحج .

( ٣ ) كذا . . ولعلها الفساق ، وهى بالصواب أشبه .

الحياة لَقِيمًا مَلَكًا يُقَالُ لَهُ مِيكَائِيلُ فَقَالَ : هَلُمُّوا أَعْمَالَكُمْ وَخُذُوا أَجُورَكُمْ  
فَذَلِكَ سُدَّتُنَا فِيكُمْ وَفِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَفِيْمَنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكُمْ ، فَنَظَرُوا فِي  
أَعْمَالِنَا فَوَجَدُونَا نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ ، فَسَلَّطَ الدُّوْدَ عَلَى أَجْسَادِنَا وَجَعَلَ الْأَرْوَاحَ  
تَأْلَمُ ، وَسَلَّطَ النِّمَّ عَلَى أَرْوَاحِنَا وَجَعَلَ الْأَجْسَادَ تَأْلَمُ ، فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ نَعْذَبُ  
حَتَّى دَعَوْتَنَا .

## الباب السابع والعشرون

قبضى ترك محبوبه مراما فبذل له مالا أو أعاضه الله خبراً منه

عنوانُ هذا الباب وقاعدته أن من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه ، كما ترك يوسف الصديق عليه السلام امرأة العزيز لله واختار السجنَ على الفاحشة فعوضه الله أن مكّنه في الأرض يتبوا<sup>(١)</sup> منها حيث يشاء ، وأتته المرأة صاغرةً سائلةً راغبةً في الوصل الحلال فتزوجها ، فلما دخل بها قال : هذا خير مما كنت تريدن . فتأمل كيف جزاه الله سبحانه وتعالى على ضيق السجن أن مكّنه في الأرض ينزل منها حيث يشاء ، وأذلّ له العزيز وامرأته ، وأقرت المرأة والنسوة ببراءته ، وهذه سُننُهُ تعالى في عباده قديماً وحديثاً إلى يوم القيامة . ولما عقر سليمان بن داود عليهما السلام الخليل التي شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس سخر الله له الريحَ يسير على مَتْنِهَا<sup>(٢)</sup> حيث أراد . ولما ترك المهاجرون ديارهم لله وأوطأهم التي هي أحبُّ شيء إليهم أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا ومالكهم شرقَ الأرض وغربها . ولو اتقى الله السارقُ وترك سرقةَ المال المعصوم لله لآتاه الله مثله حلالاً ، قال الله تعالى : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ )<sup>(٣)</sup> فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا اتقاه بترك أخذ مالا يَحِلُّ له رَزَقَهُ الله من حيث لا يحتسب ، وكذلك الزاني

---

( ١ ) تبوا منزلاً : نزله واتخذهُ سكناً . وبواهُ منزلاً : هياه ومكن له فيه .

( ٢ ) المَتْن : الظهر .

( ٣ ) الآيتان ٣٠٢ ، سورة الطلاق .

لو ترك ركوب ذلك الفرج حراماً لله لأثابه الله بركوبه أو ركوب ما هو خير منه حالاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ ، عن صِلَةَ ، عن خُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « النَّظَرَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ مَسْمُومٌ مَنْ تَرَكَهُ خَوْفَ اللَّهِ أَثَابَهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ <sup>(١)</sup> » .

وقال عمر بن شبة : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا عَنَبْسَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حدثنا أبو الحسن المدني ، عن علي رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَظَرُ الرَّجُلِ فِي مُحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ مَسْمُومٌ فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ السَّهْمِ أَعْقَبَهُ اللَّهُ عِبَادَةً تَمُرُّهُ » <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى : بلغني عن بعض الأشراف أنه اجتاز بمقبرة فإذا جارية حسناء عليها ثياب سواد ، فنظر إليها فعلق بقلبه فكتب إليها :

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة

والبدر في منظر الحسن موصوف

حتى رأيتك في أبوابنا كلة

سود وصدغك فوق الخلد معطوف

فرحت والقلب مني هائم ديف

والسكبد حري ودمع العين مذروف



رُدِّي الجوب ففيه الشكرُ واغتنمي

وصل الحب الذي بالحب مشغوفُ

ورمي بالرقعة إليها ، فلما قرأتها كتبت :

إن كنت ذا حسبٍ زالكِ وذا نسبٍ

إن الشريفَ بغضُ الطرفِ معروفُ

إن الزناة أناسٌ لا خلاقَ لهم فاعلم بأنك يومَ الدين موقوفُ

واقطع رجاك لحاك الله<sup>(١)</sup> من رجلٍ فإن قلبي عن الفحشاء مصروف

فلما قرأت الرقعة زجر نفسه وقال : أليس امرأةٌ تكون أشجع منك ؟ ثم تاب ولبس مدرعة<sup>(٢)</sup> من الصوف والتجأ إلى الحرم ، فيينا هو في الطواف يوماً وإذا بتلك الجارية عليها درعٌ من صوف فقالت له : ما أليق هذا بالشريف ، هل لك في المباح ؟ فقال : قد كنت أروم هذا قبل أن أعرف الله وأحبه ، والآن قد شغلني حبه عن حب غيره ، فقالت له : أحسنت ، ثم طافت وهي تنشد :

فطفنا فلاح في الطواف لوأخَّ غنيبنا بها عن كل مرأى ومسمع

وقال الحسن البصري : كانت امرأةٌ بغيةٌ قد فاقت أهل عصرها في الحسن لا تمسك من نفسها إلا بمائة دينار ، وإن رجلاً أبصرها فأعجبته . فذهب فعمل بيديه وعالج<sup>(٣)</sup> فجمع مائة دينار ، فجاء فقال : إنك قد أعجبتني فانطلقت فعملت ييدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت : ادفعها إلى القهرمان<sup>(٤)</sup> حتى ينقدها ويزنها ، فلما فعل قالت : ادخل ، وكان لها بيت مُنجدٌ وسريرٌ من

( ١ ) لحاك الله : أى قبحك ولعنك .

( ٢ ) المدرعة : ثوب من الصوف وجبة مشقوقة المقدم .

( ٣ ) عالج الشيء معالجه وعلاجاً : مارسه وزاوله .

( ٤ ) القهرمان : الوكيل الخاص بتدبير خرجها ودخلها .

ذهب فقالت : هلم لك ، فلما جلس معها مجلس الخائن تذكر مقامه بين يدي الله فأخذته رعدة وطفت شهوته فقال : أتركيني لأخرج ولك المائة دينار ، فقالت : ما بدا لك وقد رأيتني كما زعمت فأعجبك فذهبت فعالجت وكدحت حتى جمعت مائة دينار فلما قدرت على فعلت الذي فعلت ؟ فقال : ما حملني على ذلك إلا الفرق من الله ، وذكرت مقامي بين يديه ، قالت : إن كنت صادقاً فإلى زوج غيرك قال : ذريني لأخرج قالت : لا إلا أن تجعل لي عهداً أن تزوجني فقال : لا حتى أخرج ، قالت : عليك عهد الله إن أنا أتيتك أن تزوجني ، قال : اعل ، فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده ، وارتحلت المرأة بديها نادمة على ما كان نها حتى قدمت بلده ، فسألت عن اسمه ومنزله فدأت عليه ، فقيل له : الملكة جاءت بنفسها تسأل عنك ، فلما رآها شقيق شقة فأت ، فأسقط<sup>(١)</sup> في يدها فقالت : أما هذا فقد فاتني ، أما له من قريب ؟ قيل : بلى أخوه رجل فقير ، فقالت : إني أنزوجك حباً لأخيك ، قال : فتزوجته فولدت له سبعة أبناء .

وقال يحيى بن عامر التيمي : خرج رجل من الحى حاجاً فورد بعض المياه ليلاً ، فإذا هو بامرأة ناشرة شعرها ، فأعرض عنها فقالت له : هلم إلى فلم تعرض عني ؟ فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، فتجلببت<sup>(٢)</sup> ثم قالت : هبت والله مهاباً ، إن أولي من شركك في الهية لمن أراد أن يشركك في العصية ، ثم ولت فتبعها ، فدخلت بعض خيام الأعراب ، قال : فلما أصبحت أتيت رجلاً من القوم فسأله عنها وقلت : فتاة صفها كذا وكذا فقال : هي

( ١ ) أسقط في يدها . بصيغة المجهول : تحيرت وتحسرت على ما فاتها وندمت على ما ضاع منها .

( ٢ ) تجلببت : لبست الجلباب ، والجلباب النميص والخمار وما يلبس فوق الثياب كالملحفة والملاءة تشتمل بها المرأة .

والله ابنتي ، فقلت : هل أنت مُزوَّجى بها ؟ فقال : على الأكفاء فمن أنت ؟  
 فقلت : رجلٌ من تَيمِّمِ الله ، قال : كُفُوٌ كريمٌ ، فما رمتُ حتى تزوَّجْتُها ودخلت  
 بها ، ثم قلت : جهِّزْوها إلى قدومي من الحجِّ ، فلما قدمنا حملتها إلى الكوفة ،  
 وها هي ذى ولى منها بنون وبناتٌ ، قال : فقلت لها : ويحك ما كان تعرُّضُك  
 لى حينئذ ؟ فقلت : يا هذا ليس للنساء خيرٌ من الأزواج ، فلا تعجبن من  
 امرأة تقول هويت ، فوالله لو كان عند بعض السودان ما تريده من هواها لكان  
 هو هواها .

وقال الحسن بن زيد : ولينا بديار مصر رجلٌ فوجد<sup>(١)</sup> على بعض عمَّاله  
 خبسه وقيدَه ، فأشرفت عليه ابنة الوالى فهُويتهُ فكتبت إليه :

أيها الرامى بعينيه وفى الطرف الخوفُ  
 إن تُردَّ وصلاً فقد أمكَكَ الظبيُّ الألوْفُ  
 فأجابها الفتى :

إن ترينى زانى العَيْنَيْنِ فالقرجُ عفيفُ<sup>(٢)</sup>

ليس إلا النظر الفا ترُ والشعرُ الظريفُ

فأجابته :

قد أردناك فألقيناك إنساناً غفياً

فتأبَّيت فلا زِلْتَ لقيديك حليفاً

فأجابها :

---

( ١ ) وجد عليه : غضب .

( ٢ ) تقدم البيتان فى صفحة ٣٤٥ .

ما تأيت لأنى كنت للظي عيوفاً<sup>(١)</sup>

غير أنى خفت رباً كان بي رباً لطيفاً

فدافع الشعر وبانت القصة الوالى فدعا به فزوجه إياها ودفعها إليه .

وذكر أن رجلاً أحب امرأة وأحبته ، فاجتمعا فراودته المرأة عن نفسه فقال : إن أجلى ليس بيدي ، وأجلك ليس بيدك ، فربما كان الأجل قد دنا فنلقى الله عاصيين ، فقالت : صدقت ، فتابا وحسنت حالهما وتزوجت به .

وذكر بكرين عبد الله المزنى أن قصاباً واسعَ تجارية لبعض جيرانه ، فأرسلها أهلها إلى حاجة في قرية أخرى ، فتبعها فراودها عن نفسها ، فقالت : لا تفعل : لأنا أشدُّ حباً لك منى ، ولكنى أخاف الله ، قال : فأنت تخافينه وأنا لا أخافه ؟ فرجع تائباً ، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه ، فإذا هو برسول لبنى إسرائيل ، فسأله فقال : مالك ؟ قال : العطش ، فقال : تعال حتى ندعو الله حتى نظلمنا سحابة حتى ندخل القرية ، قال : مالى من عمل فأدعوه ، قال : فأنا أدعوه وأمن أنت ، فدعا وأمن الرجل ، فأظلمت سحابة حتى انتهيا إلى القرية ، فذهب القصاب إلى مكانه فرجعت السحابة معه ، فرجع إليه الرسول فقال : زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذى دعوت وأنت أمنت ، فظلمتنا سحابة ثم تبعتك ، كتحببى ماأمرك ، فأخبره ، فقال الرسول : إن التائب إلى الله يمكن ليس أحد من الناس بمكانه .

وقال يحيى بن أيوب : كان بالمدينة فتى بُعِجَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه شأنه ، فأنصرف ليلته من صلاة العشاء فتمثلت<sup>(٢)</sup> له امرأة بين يديه .

( ١ ) عيوفاً : كارهاً ، وعاف الشيء : تركه وزهد فيه .

( ٢ ) تمثلت له : عرضت له بنفسمها وظهرت له .

فعرّضت<sup>(١)</sup> له بنفسها فُتِنَ بها ومضت ، فأتبعها حتى وقف على بابها فأبصر وجلا عن قلبه وحضرته هذه الآية : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ )<sup>(٢)</sup> فخرّ مغشياً عليه ، فنظرت إليه المرأة فإذا هو كالميت ، فلم تزل هي وجارية لها يتعاونان عليه حتى ألقياه على باب داره ، فخرج أبوه فرآه مُلْتَقِ على باب الدار لما به فحمله وأدخله فأفاق ، فسأله ما أصابك يا بني ؟ فلم يخبره ، فلم يزل به حتى أخبره ، فلما تلا الآية شهِقَ شهقةً فخرجت نفسه ، فبلغَ عمرَ رضى الله عنه قصته فقال : ألا آذنتموني<sup>(٣)</sup> بموته ؟ فذهب حتى وقف على قبره فنادى : يا فلان (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ)<sup>(٤)</sup> فسمع صوتاً من داخل القبر : قد أعطاني ربى يا عمر .

وذكر الحسن هذه القصة عن عمر رضى الله عنه على وجه آخر قال : كان شاباً على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ملازماً للمسجد والعبادة ، فتهوَّيتهُ جاريةٌ فحدثت نفسه بها ، ثم إنه تذكّر وأبصر فشهِقَ شهقةً ففُشِيَ عليه منها ، فجاء عمُّ له فحمله إلى بيته ، فلما أفاق قال : يا عمّ انطلق إلى عمر فأقرئه منى السلام وقل له : ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فأخبر عمر فأثابه وقد مات فقال : لك جنتان .

وفي جامع الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَانَ ذُو الْكَفْلِ<sup>(٥)</sup> لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ ،

( ١ ) عرضت له بنفسها : تصدّت له وأغرته بها .

( ٢ ) الآية ٢٠١ سورة الأعراف .

( ٣ ) آذنتموني : أعلمتموني .

( ٤ ) الآية ٤٦ سورة الرحمن .

( ٥ ) تقدمت هذه القصة في صفحة ٢٢٣ .

فَاتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتْرَيْنِ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَّأَهَا ، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أُرْعِدَتْ وَبَسَتْ ، فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ ؟ أَكْرَهْتُكَ ؟ قَالَتْ : لَا وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ وَإِنَّمَا حَمَلْتَنِي عَلَيْهِ الْحُلَاجَةُ ، قَالَ : فَتَفْعَلِينَ هَذَا وَأَنْتِ لَمْ تَفْعَلِيهِ [ قَطُّ ] ؟ ثُمَّ قَالَ ، اذْهَبِي وَالِدَانِي لَكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَعْصِي اللَّهَ ذُو الْكِفْلِ أَبَدًا ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ : قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِنَذِي الْكِفْلِ . قال الترمذی : هذا حديث حسن .

وقال أبو هريرة ، وابن عباس رضي الله عنهم : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فقال في خطبته : « وَمَنْ قَدَرَ عَلَى امْرَأَةٍ أَوْ جَارِيَةٍ حَرَامًا فَتَرَكَهَا مُحَافَةً مِنَ اللَّهِ أَمَّنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقَزَعِ الْأَكْبَرِ وَحَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » .

وقال مالك بن دينار : جنات النعيم بين الفردوس وبين جنات عدن . فيها جوارٍ خُلِقْنَ مِنْ وَرْدِ الْجَنَّةِ ، يسكنها الذين همَّوا بالمعاصي فلما ذكروا الله عزَّ وجلَّ راقبوه ، فانشئت رقابهم من خشية الله عزَّ وجلَّ .

قال ميمون بن مهران : الذِّكْرُ ذِكْرَانِ : فَذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِاللِّسَانِ حَسَنٌ ، وَأَفْضَلُ مِنْهُ أَنْ تَذْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ مَا تُشْرِفُ عَلَى مَعَاصِيهِ .

وقال قتادة رضي الله عنه : ذُكِرْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « لَا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدْعُهُ لَيْسَ بِهِ إِلَّا مُحَافَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَبْدَلَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ » .

وقال عبيد بن عمير : صدقُ الإيمان وبرُّهُ أَنْ يَخْلَوْ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ فَيَدْعُهَا لَا يَدْعُهَا إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وقال أبو عمران الجوني: كان رجل من بني إسرائيل لا يمتنع من شيء، فجهد<sup>(١)</sup> أهل بيت من بني إسرائيل فأرسلوا إليه جارية منهم تسأله شيئاً فقال: لا أو تمكيني من نفسك، فخرجت فجهدوا جهداً شديداً فرجعت إليه فقالت: أعطنا فقال: لا أو تمكيني من نفسك، فرجعت، فجهدوا جهداً كثيراً فأرسلوها إليه فقال لها ذلك، فقالت: دونك، فلما خلا بها جعلت تنفض كما تنفض السقفة، قال لها: مالك؟ قالت: إني أخاف الله رب العالمين، هذا شيء لم أصنعه قط، قال: أنت تخافين الله ولم تصنعيه وأفعله؟ أعاهد الله أني لا أرجع إلى شيء مما كنت فيه، فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم أن فلاناً أصبح في كتب أهل الجنة.

وذكر أن شاباً في بني إسرائيل لم يكن فيهم شاب أحسن منه كان يبيع المكاتيل، فينأى ذات يوم يطوف بمكاتيله إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل، فلما رآته رجعت مبادرةً فقالت لابنة الملك: إني رأيت شاباً بالباب يبيع المكاتيل لم أر شاباً قط أحسن منه، قالت: أدخله، فخرجت فقالت: ادخل فدخل، فأغلقت الباب دونه، ثم قالت: ادخل فدخل، فأغلقت باباً آخر دونه، ثم استقبلته بنت الملك كاشفةً عن وجهها ونحرها، فقال لها: استتري عافاك الله، فقالت: إنا لم ندعك لهذا، إنما دعوناك الكذا وراودته عن نفسه، فقال لها: اتقي الله، قالت: إنك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت تكابرنى<sup>(٢)</sup> على نفسي، قال لها: فضعي لي وضوءاً، فقالت: أعلى تتعلل؟ بإجارية ضعى له وضوءاً فوق الجوسق<sup>(٣)</sup> مكاناً لا يستطيع أن يفر منه، فلما

(١) جهد أهل البيت: أجذبوا، وجهد العيش: ضاق واشتد.

(٢) تكابرنى على نفسي: تراودني عن نفسي.

(٣) الجوسق: القصر أو الحصن.

صار في التجوسق قال : اللهم إلى دُعيتُ إلى معصيتك وإني أخشأ أن ألقى نفسي من هذا التجوسق ولا أركب معصيتك ، ثم قال : بسم الله وألقى نفسه من أعلاه ، فأهبط الله ملكاً أخذ بضبعه<sup>(١)</sup> فوق قائماً على رجليه ، فلما صار في الأرض قال اللهم إن شئتَ رزقتني رزقاً يغنيني عن بيع هذه المكاتيل ، فأرسل الله عليه رجلاً<sup>(٢)</sup> من جرادة من ذهبٍ فأخذ منه حتى ملأ ثوبه ، فلما صار في ثوبه قال : اللهم إن كان هذا رزقاً رزقتنيه من الدنيا فبارك لي فيه ، وإن كان ينقصني ممالى عندك في الآخرة فلا حاجة لي فيه ، فنودي إن هذا الذي أعطيناك جزءاً من خمسة وعشرين جزءاً لصبرك على إلقاء نفسك ، فقال : اللهم فلا حاجة لي فيما ينقصني ممالى عندك في الآخرة ، فرُجع الجرادة .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي عن رجلٍ من بعض المياسير<sup>(٣)</sup> قال : بينا أنا يوماً في منزلي إذ دخل عليَّ خادمٌ لي فقال لي : رجلٌ بالباب معه كتابٌ ، فقلت : أدخله أو خذ كتابه ، فأخذ الكتاب منه فإذا فيه :

تجنبك الردى<sup>(٤)</sup> ولقيتَ خيراً  
وملك المليكُ من الغموم  
شكونَ بناتِ أحشائي إليكم  
وما إن تشكين إلى ظلوم  
وسألتني الكتابَ إليك فيما  
يخامرها — فدتك — من الهموم  
وهنَّ يقلن يا ابن الجود إنا  
برمننا من مزاعة النجوم  
وعندك لو مننتَ شفاه منقمةً  
لأعضاء دمين من الكلوم<sup>(٥)</sup>

( ١ ) الضبع : ما بين الإبط إلى الكتف .

( ٢ ) الرجل : طائفة عظيمة من الجرادة .

( ٣ ) جمع ميسور : ذو اليسار والغنى .

( ٤ ) الردى : الهلاك .

( ٥ ) جمع كلم : الجراحة .



قال : فلما قرأت الأبيات قلت : عاشق ، فقلت للخادم : أدخله ، فخرج فلم يره  
فارتبّت في أمره ، فجعل الفكر يتردد في قلبي ، ندعوت جوارى كلهن لجمعتهن  
فقات لمن : ماقصة هذا الكتاب ؟ فخلق لي وقلن : ياسيدنا ما نعرف لهذا  
الكتاب سبباً ، فمن جاءك به ؟ فقلت : قد فاتني وما أردت سؤالكن إلا أني  
ظننت له هوى في بعضكن ، فمن عرفت منكن أنها صاحبتة فعلى له ، فلتذهب  
إليه ولتأخذ كتابي إليه ، وكتبت كتاباً أشكره على فعله وأسأله عن حاله ،  
ووضعت الكتاب في موضع من الدار ، فكث الكتاب في موضعه حيناً لا يأخذه  
أحد ولا أرى الرجل ، فاغتممت غمّاً شديداً . ثم قلت : لعله بعض فتياننا ، ثم  
قلت : إن هذا الفتى قد أخبر عن نفسه بالورع ، وقد قنع من يحبه بالنظر ، فدبرت  
عليه فحجبت جوارى عن الخروج ، فما كان إلا يومٌ وبعض الآخر إذ دخل على  
الخادم ومعه كتابٌ قال : أرسل به إليك فلان ، وذكر بعض أصدقائي ففضضته  
فإذا فيه مكتوب :

ماذا أردت إلى روحٍ معلقة

عند التراق<sup>(١)</sup> وحادي الموت يحذوها

حَمَمْتُ حَادِيهَا ظَلَمًا فِدًّا بِهَا	فِي السَّيْرِ حَتَّى تَوَلَّتْ عَنْ تَرَاقِيهَا
حَجَبْتُ مَنْ كَانَ تَحِيًّا عِنْد رُؤْيَيْهَا	رُوحِي وَمَنْ كَانَ يَشْفِينِي تَرَائِيهَا
فَالنَّفْسُ تُجَنِّحُ نَحْوَ الظُّلَمِ جَاهِلَةً	وَالْقَلْبُ مِنِّي سَلِيمٌ مَا يُوَاتِيهَا
وَاللَّوْلُو قَيْلٌ لِي تَأْتِي بِفَاحِشَةٍ	وَإِنْ عَقَبَاكَ دُنْيَانَا وَمَا فِيهَا
لَقُلْتُ لَا وَالَّذِي أَخْشَى عَقُوبَتَهُ	وَلَا بِأَضْعَافِهَا مَا كُنْتُ أَتِيهَا
لَوْلَا الْحَيَاءُ لُبَحْنَا بِالَّذِي كُتِمْتُ	بَنْتُ الْفُؤَادِ وَأَبْدِينَا تَمَنِّيَهَا

(١) جمع ترقوة : عظيمة مشرفة بين ثغرة البحر والعاتق . وعند التراق كناية

عن مشاركة الموت .

قال : فبهت وقلت : لا أدري ما أحتال في أمر هذا الرجل ، وقلت للخادم : لا يأتيك أحدٌ بكتابٍ إلا قبضت عليه حتى تدخله عليّ ، ثم لم أعرف له خبراً بعد ذلك ، فبينما أنا أطوف بالكعبة إذا فتى قد أقبل نحوي وجعل يطوف إلى جنبي ويلاحظني ، وقد صار مثل العود ، فلما قضيت طوافي خرجت وأتبعني فقال : يا هذا أتعرفني ؟ قلت : لا أنكرك لسوء ، قال : أنا صاحب الكتابين ، فما تمالك أن قبلت رأسه وبين عينيه وقلت : بأبي أنت وأمي ، والله لقد شعلت قلبي وأطلت غمّي بشدة كتمانك لأمرك ، فهل لك فيما سألت وطابت ؟ قال : بارك الله لك وأقرّ عينيك ، إنما أتيتك أستحلك<sup>(١)</sup> من نظرة كنت نظرتها على غير حكم الكتاب والسنة ، والهوى دايع إلى كل بلاء ، وأستغفر الله العظيم ، فقلت : يا حبيبي أحب أن تصير معي إلى منزلي فأنس بك وتجري الحرمة بيني وبينك ، قال : ليس إلى ذلك سبيل ، فقلت : غفر الله لك ذنبك وقد وهبتها لك ومعها مائة دينار ، ولك في كل سنة كذا وكذا ، قال : بارك الله لك فيها ، فلولا عهود عاهدت الله عليها وأشياء أكبتها عليّ لم يكن في الدنيا شيء أحب إليّ من هذا الذي تعرّضه عليّ ، ولكن ليس إلى ذلك سبيل والدنيا منقطعة ، فقلت له : فإذا أبيت أن تقبل مني ذلك فأخبرني من هي حتى أكرمها لأجلك ما بقيت ، فقال : ما كنت لأذكرها لأحدٍ ، ثم قام وتركني .

وذكر عبد الملك بن قُريب قال : هوى رجلٌ من النساء جاريةً فاشتدّ حبه لها . فبعث إليها يخطبها . فامتنعت وأجابته إلى غير ذلك ، فأبى وقال : لا إلا ما أحلّ الله ، ثم إن محبته ألقيت في قلبها فبذلت له ما سأل ، فقال : لا والله لا حاجة لي بمن دعوتها إلى طاعة الله ودعنتي إلى معصيته .

وحكى المبرّد عن شيخه أبي عثمان المازني أنه قصده بعض أهل الذمة ليقراً

(١) استحلّه : سأله أن يحله له .

عليه « كتاب سيبويه » وبذل له مائة دينار ، فامتنع ورده ، فقلت له : أترُدُّ هذا القدر مع شدة فافتك ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله ، ولست أرى تمكن هذا الذي منها غيرة على القرآن . فاتفق أن غنت جاريةً بحضرة الواثق بقول العرجي :

أظْلومُ إن مصابكم رجلاً أهدي السلام تحيةً ظلمُ ؟

فاختلف أهل مجلسه في إعراب رجلٍ ، فمنهم من قال : هو نصب وجعله اسم إن ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية أصرت على النصب وقالت : لقنني إياه كذلك شيخي أبو عثمان المازني ، فأمر الواثق بإحضاره إلى بين يديه ، قال : فلما مَثَلْتُ بين يديه قال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : أيُّ الموازن ؟ أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلَّمَنِي بكلام قومي فقال لي : يا اسمك ؟ وقومي يقبلون الميم باء والباء ميماً ، فكرهت أن أواجهه بلفظة مكر فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، فظن لما قصده وأعجب به فقال : ما تقول في قول الشاعر :

أظْلومُ إن مصابكم رجلاً أهدي السلام تحيةً ظلمُ ؟

أترفع رجلاً أم تنصبه ؟ فقلتُ : الوجهُ النصب يا أمير المؤمنين : فقال : ولم ذلك ؟ فقلت : لأن مصابكم مصدرٌ بمعنى إصابتكم ، فأخذ البيهقي في معارضتي ، فقلت : هو بمنزلة قولك : إن ضربك زيداً ظلمُ ، فرجلاً مفعول مصابكم ومنصوبٌ به ، واندليل عليه أن الكلام معلقٌ إلى أن تقول ظلم قَيْمٌ ، فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين بُذِيَّةٌ ، قال : فما قالت لك عند مسيرك إلينا ؟ قلت : أنشدت قول الأعشى :

( ١ ) الذي : المعاهد الذي أعطى عهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه ، وهي

ذمية .

أَيَا أَبْنَاءِ لَا تَرَمُ<sup>(١)</sup> عِنْدَنَا فَإِنَّا بِمُخْصِرٍ إِذَا لَمْ يَرَمْ  
تَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكِ<sup>(٢)</sup> الْبَلَا دُنْجَنِي وَتَقَطَّعَ مِنَّا الرَّحِيمُ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلت قولَ جرير :

ثَقِيَ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَافَةِ بِالْجِنَاحِ

فقال : على النجاح إن شاء الله ، ثم أمر لي بألف دينار ، وردني إلى البصرة  
مُكْرَمًا ، فقال أبو العباس المبرد : فلما عاد إلى البصرة قال لي : كيف رأيتَ  
يا أبا العباس ؟ ردّنا لله مائة دينار فعوّضنا الله ألفًا .

---

( ١ ) رام مكانه : برحه وفارقه .

( ٢ ) أضمرت البلاء : غيبته إما بسفر أو بموت .

## الباب الثامن والعشرون

في معنى آثر عامل العقوبة والآلام ، على لذة الوصال المحرام

هذا باب إنما يدخل منه رجلان : أحدهما من تمسك من قلبه بالإيمان بالآخرة وما أعد الله فيها من الثواب والعقاب لمن عصاه ، فأثر أدنى القوتين ، واختار أسهل العقوبتين . والثاني رجل غلب عقله على هواه فعمل ما في الفاحشة من المفسد ، وما في العُدول عنها من المصلح ، فأثر الأعلى على الأدنى ، وقد جمع الله سبحانه وتعالى ليوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه بين الأمرين ، فاختار عقوبة الدنيا بالسجن على ارتكاب الحرام ، فقالت المرأة : ( وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ . قال رب السجن أحبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ )<sup>(١)</sup> فاختار السجن على الفاحشة ، ثم تبرأ إلى الله من حوله وقوته ، وأخبر أن ذلك ليس إلا بمعونة الله له وتوقيه وتأنيده لا من نفسه فقال : ( وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ) فلا يركن العبد إلى نفسه وصبره وحاله وعفته ، ومتى ركن إلى ذلك تخلت عنه عصمة الله وأحاط به الخذلان . وقد قال الله تعالى لا كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : ( وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا )<sup>(٢)</sup> ولهذا كان من دعائه : « يَا مُقَلِّبُ

(١) الآيتان ٣٢ و ٣٣ سورة يوسف .

(٢) الآية ٧٤ سورة الإسراء .

الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ<sup>(١)</sup> ، وكانت أكثر عيونه « لَا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ<sup>(٢)</sup> »  
كيف وهو الذى أنزل عليه : (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)<sup>(٣)</sup>  
وقد جرت سُنَّةُ الله تعالى فى خلقه أن من آثر الأمل العاجل على الوصال الحرام أعقبه  
ذلك فى الدنيا المسرّة التامة ، وإن هلك فالفوز العظيم ، والله تعالى لا يضيع  
ما تحمّل عبده لأجله .

وفى بعض الآثار الإلهية يقول الله سبحانه وتعالى : بهينى ما يتحمّل  
المتحمّلون من أجلى . وكل من خرج عن شىء منه لله حفظه الله عليه أو أعضاه  
الله ماهو أجلُّ منه ، ولهذا لما خرج الشهداء عن نفوسهم لله جعلهم الله  
أحياء عنده يرزقون ، وعوّضهم عن أبدانهم التى بذلوها له أبدان طير خضر  
جعل أرواحهم فيها تسرح فى الجنة حيث شاءت . وتأوى إلى قناديل مُعلّقة  
بالعرش<sup>(٤)</sup> ، ولما تركوا مساكنهم له عوّضهم مساكن طيبة فى جنات عدن  
ذلك الفوز العظيم .

وقال وهب بن منبه : كان عابد من عبّاد بنى إسرائيل يتعبّد فى صومعة ،  
فجاء رجل من بنى إسرائيل إلى امرأته يئى فبذل لها مالا وقال : اهلك أن  
تقتنيه ، فجاءته فى ليلة مطيرة فنادته فأشرف عليها ، فقالت : آوئى إليك ،  
فتركها وأقبل على صلاته ، فقالت : يا عبد الله آوئى إليك ، أما ترى الظلمة  
والمطر ؟ فلم تزل به حتى آواها ، فاضطجعت قريبا منه فجعلت تزيه محاسنها حتى  
دعته نفسه إليها ، فقال : لا والله حتى أنظر كيف صبرك على النار ، فتقدّم إلى

( ١ ) رواه الترمذى فى جامعه .

( ٢ ) رواه البخارى

( ٣ ) الآية ٢٤ . سورة الأنفال .

( ٤ ) ذكره مسلم فى صحيحه .

المصباح فوضع إصبعاً من أصابعه حتى احترقت ، ثم عاد إلى صلاته فدعته نفسه ،  
إليها ، فعاود المصباح فوضع إصبعه الأخرى حتى احترقت ، فلم يزل تدعوه  
نفسه وهو يعود إلى المصباح حتى احترقت أصابعه جميعاً وهي تنظر ،  
فَصَعِقَتْ وماتت .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا أمية بن شبل ، عن  
عبد الله بن وهب قال : لأعلمه إلا ذكره عن أبيه أن عابداً من بني إسرائيل  
كان في صومعته يتعبد ، فإذا نقر من العُواة قالوا : لو استنزلناه بشيء فذهبوا  
إلى امرأة بغى فقالوا لها : تعرضي له ، فجاءته في ليلة مظلمة مطيرة فقالت :  
يا عبد الله آوِني إليك ، وهو قائم يصلي ومصباحه ثاقب<sup>(١)</sup> ، فلم يلتفت إليها ،  
فقلت : يا عبد الله الظلمة والغيث<sup>(٢)</sup> ، آوِني إليك ، فلم تزل به حتى أدخلها إليه  
فاضطجعت وهو قائم يصلي ، ففعلت تتقلب وتريه محاسن خلقها حتى دعت نفسه  
إليها . فقال : لا والله حتى أنظر كيف صبرك على النار ، فدنا إلى المصباح فوضع  
إصبعاً من أصابعه فيه حتى احترقت ، قال : ثم رجع إلى مُصَلَّاه ، قال : فدعته نفسه  
أيضاً ، فعاد إلى المصباح فوضع إصبعه أيضاً حتى احترقت أصابعه وهي تنظر إليه  
فَصَعِقَتْ فماتت . فلما أصبحوا غدّوا لينظروا ما صنعت ، فإذا بها ميتة ، فقالوا :  
ياعدو الله يا مُرَأَى ! وقعت عليها<sup>(٣)</sup> ثم قتلها ، قال : فذهبوا به إلى ملكهم  
فشهدوا عليه ، فأمر بقتله ، فقال : دعوني حتى أصلي ركعتين ، قال : فصلي ثم دعا  
فقال : أي رب إني أعلم أنك لم تكن لتؤاخذني بما لم أفعل ، ولكن أسألك  
أن لا أكون عاراً على القرى بعدى ، قال : فردّ الله نفسها فقالت : أنظروا إلى  
يده ، ثم عادت ميتة .

( ١ ) ثاقب : مضى .

( ٢ ) الغيث : المطر .

( ٣ ) وقعت عليها : جامعها .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : بينما رجلٌ عابِدٌ عند امرأةٍ إذ عمَدَ فضرب يده على فخذِها ، فأخذ يده فوضعها في النار حتى نَشَتْ <sup>(١)</sup> .

وقال حُصَيْن بن عبد الرحمن : بلغني أن فتىً من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عمر يتفقده إذا غاب ، فعشقه امرأةٌ من أهل المدينة ، فذكرت ذلك لبعض نساءها ، فقالت : أنا أحتال لك في إدخاله عليك ، فقعدت له في الطريق ، فلما مرت بها قالت له : إني امرأةٌ كبيرةُ السنِّ ولى شاةٌ لا أستطيع أن أحلبها ، فلو دخلت لحابتها لى ، وكانوا أرغبَ شيءٍ في الخير ، فدخل فلم يرَ شاةً ، فقالت : اجلس حتى آتيك بها ، فإذا المرأة قد طلعت عليه ، فلما رأى ذلك عمَدَ إلى محرابٍ في البيت فقعد فيه فأرادته <sup>(٢)</sup> عن نفسه فأبى وقال : اتقى الله أيتها المرأة ، فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله ، فلما أبى عليها صاحت عليه فجاءوا فقالت : إن هذا دخل على يريدني عن نفسي ، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه ، فلما صلى عمرُ الغداة فقده ، فبينما هو كذلك إذ جاءوا به في وثأني ، فلما رآه عمر قال : اللهم لا تخلف ظني به ، قال : مالكم ؟ قالوا : استغاثت امرأةٌ بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلامَ عندها فضرَبناه وأوثقناه ، فقال عمر رضى الله عنه : اصدُقني ، فأخبره بالقصة على وجهها ، فقال له عمر رضى الله عنه : أتعرف العجوز ؟ فقال : نعم إن رأيتها عرقها ، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها ومجاثرهنَّ فجاء بهنَّ فعرضهنَّ ، فلم يعرفها فيهنَّ ، حتى مرت به العجوز فقال : هذه يا أمير المؤمنين ، فرفع عمر عليها الدرة وقال : اصدُقيني ، فقصت عليه القصة كما قصها الفتى . فقال عمر : الحمد لله الذي جعل فينا شبيهة يوسف .

(١) نشت : احترقت : ونش اللحم سمع له صوت على المقل أو في الفدر .

(٢) أرادته عن نفسه : راودته عن نفسه .



وقال أبو الزناد : كان راهبٌ يتعبدُ في صومعته فأشرف<sup>(١)</sup> منها فرأى امرأةً ففتن بها ، فأخرج رجله من الصومعة لينزل إليها ، فنزلت عليه العصمة فقال : رجلٌ خرجت من الصومعة لتعصى اللهَ والله لا تعود معي في صومعتي ، فتركها معلقةً خارج الصومعة يسقط عليها الثلوج والأمطار حتى تناثرت وسقطت ، فشكر الله ذلك من صنعه ، ومدحه في بعض كتبه بذى الرجل .

وقال مُصعب بن عثمان : كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأةٌ بيته ، فسألته نفسه فامتنع عليها ، فقالت : إذن أفضحك ، فخرج هارباً عن منزله وتركها فيه .

وقال جابر بن نوح : كنت بالمدينة جالساً عند رجل في حاجةٍ ، فمرت بنا شيخٌ حسن الوجه حسن الثياب ، فقام إليه ذلك الرجل فسلم عليه وقال : يا أبا محمد أسأل الله أن يعظم أجرك ، وأن يربط على قلبك بالصبر ، فقال الشيخ :

وكان يميني في الوغى<sup>(٢)</sup> ومساعدى فأصبحتُ قد خانت يميني ذراعها  
وقدميرتُ حيراناً من التشكل باهتاً أختا كلفٍ ضاقت على رباعها<sup>(٣)</sup>

فقال له الرجل : أبشر فإن الصبر مَعوَّلُ المؤمن ، وإنى لأرجو أن لا يحرمك الله الأجرَ على مصيبتك ، فقلت له : من هذا الشيخ ؟ فقال : رجلٌ منا من الأنصار ، فقلت : وما قصته ؟ قال : أصيب بابنه وكان به باراً قد كفاه جميع ما يعنيه ، ومِنِيَّتُهُ عَجَبٌ ، قلت : وما كانت ؟ قال أحبته امرأةٌ فارسلت إليه تشكوا حبه وتسأله الزيارة ، وكان لها زوج فألحت عليه ، فأفشى ذلك إلى صديقي

(١) أشرف : اطلع .

(٢) الوغى : الجلبة والحرب لما فيها من الصوت والجلبة .

(٣) الكاف : حمرة كدرة تعلو الوجه ، والبهق ، والامر يحتمل على مشقة

وعسر . والرباع : المنازل والديار والاحياء .

له، فقال له : لو بعثت إليها بعض أهالك فوعظتها وزجرتها رجوت أن تسكف عنك، فأمسك ، وأرسلت إليه إما أن تزورني وإما أن أزورك فأبى ، فلما يئست منه ذهبت إلى امرأة كانت تعمل السحر فجعلت لها الرغائب <sup>(١)</sup> في تهيجها، فعملت لها في ذلك ، فبينما هو ذات ليلة مع أبيه إذ خطر ذكرها بقلبه وهاج منه أمره لم يكن يعرفه واختلط <sup>(٢)</sup> ، فقام سرعاً فصلى واستعاذ والأمر يشتد ، فقال : ياأبه أدركني بريد، فقال : يا بني ما قصتك ؟ فحدثه بالقصة ، فقام وقيده وأدخله بيتاً ، فجعل يضطرب ويخور كما يخور الثور ، ثم هداً فإذا هو ميت والدم يسيل من منخره .

## فصل

وهذا ليس بعجيب من الرجال ولكنه من النساء أعجب . قال أبو إدريس الأودي : كان رجلان في بني إسرائيل عابدان ، وكانت جارية جميلة فأحبها وكنم كل منهما صاحبه، واختبأ كل منهما خلف شجرة ينظر إليها ، فقبض <sup>(٣)</sup> كل منهما سره إلى صاحبه ، فاتفقا على أن يراودها ، فلما قربت منهما قال لها : قد عرفت منزلتنا في بني إسرائيل ، وإنك إن لم تواتينا وإلا قلنا إذا أصبحنا : إنا أصبنا معك رجلاً، وإنه أفلتنا، وإنا أخذناك، فقالت : ما كنت لأطيقكما في معصية الله ، فأخذها وقال : إنا أصبنا معهما رجلاً فأفلتنا ، وأقبل نبي من أنبياءهم فوضعوا له كرسيًا فجلس عليه وقال : أفضى بينكم ؟ فقالا : نعم اقض بيننا ، ففرق بين الرجلين وقال لأحدهما : خلف أي شجرة رأيتهما ؟ قال : شجرة كذا

( ١ ) الرغائب جمع رغبة : العطاء الكثير .

( ٢ ) اختلط عقله : فسد .

( ٣ ) أطلعه عليه : أظهره عليه .

وكذا ، وقال للآخر ، فقال : شجرة كذا وكذا غير التي ذكر صاحبها ، ونزلت ناراً من السماء فأحرقتهما وأفلتت المرأة .

وقال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه فأرادها فقالت : إن أباك مستنى ، فشغف بها وقال فيها :

أرى ماءً وبى عطشٌ شديدٌ ولكن لا سبيلَ إلى الورود<sup>(١)</sup>

أما يكفيكِ أنكِ تملكينى وأن الناس عندى كالعبيد<sup>(٢)</sup>

وأنكِ لو قطعتِ يدي ورجلي لقلت من الرضا أحسنت زيدى

فسأل أبا يوسف عن ذلك فقال : أو كلما قالت جاريةً شيئاً تصدق ؟ قال ابن المبارك : فلا أدري ممن أعجب ، من هارون الرشيد حيث رغب فيها ، أو منها حيث رغب عنه ، أو من أبى يوسف حيث سوغ<sup>(٣)</sup> له إتيانها .

وقال أبو عثمان التيمي : مرّ رجلٌ براهبةٍ من أجل النساء فافتتن بها ، فتلطّف في الصعود إليها فراودها عن نفسها فأبت عليه وقالت : لا تغترّ بما ترى وليس وراءه شيء ، فأبى حتى غلبها على نفسها وكان إلى جانبها بجمرة فوضعت يدها فيها حتى احترقت ، فقال لها بعد أن قضى حاجته منها : مادعاك إلى ما صنعت ؟ قالت : إنك لما قهرتني على نفسي خفتُ أن أشاركك في اللذة فأشاركك في المعصية ففعلت ما رأيت ، فقال الرجل : والله لا أعصى الله أبداً وتاب مما كان عليه .

وذكر الحسين بن محمد الدامغانى أن بعض الملوك خرج يتصيد وانفرد عن

---

( ١ ) إلى الورود : إلى بلوغه والدنومنه .

( ٢ ) أنظر صفحة ١٨٧ وفيها نسب هذا البيت إلى ملك مجهول .

( ٣ ) سوغ له : جوزه .

أصحابه ، فر بقرية فرأى امرأةً جميلةً فراودها عن نفسها ، فقالت : إني غير طاهر فأتطهر وآتيك ، فدخلت بيتها وخرجت اليه بكتابٍ فقالت : انظر في هذا حتى آتيك ، فنظر فيه فإذا فيه ما أعدَّ الله للزاني من العقوبة فتركمها وذهب ، فلما جاء زوجها أخبرته الخبر ، فكره أن يقربها مخافة أن يكون للملك فيها حاجةٌ فاعتزلها ، فاستعدى <sup>(١)</sup> عليه أهلُ الزوجة إلى الملك وقالوا : إن لنا أرضاً في يد الرجل فلا هو يعمُرُها ولا هو يرُدُّها علينا وقد عطَّلها ، فقال الملك : ماتقول ؟ فقال : إني رأيتُ في هذه الأرض أسداً وأنا أتخوِّف دخولها منه ، ففهم الملك القصة فقال : اعمرُ أرضك فإنَّ الأسد لا يدخلها ، ونعم الأرض أرضك .

وكانت بعض النساء المتعبدات وقعت في نفس رجلٍ مؤسيرٍ وكانت جميلةً وكانت مُنْخَطَب فتأبى ، فبلغ الرجل أنها تريد الحج ، فاشتري ثلاثمائة بعيرٍ ونادى : من أراد الحج فليكثر من فلانٍ ، فاكثرت منه المرأة ، فلما كان في بعض الطريق جاءها فقال : إما أن تزوجيني نفسك ، وإما غير ذلك ، فقالت : ويحك اتقِ الله ! فقال : ما هو إلا ما تسمعين ، والله ما أنا بجمالٍ ولا خرجت إلا من أجلك ، فلما خافت على نفسها قالت : ويحك انظر أبقى في الرجال عينٌ لم تنم ؟ فقال : لا . ناموا كلهم ، قالت : أفنامت عين ربِّ العالمين ؟ ثم شهقت شهقةً خرت ميتةً ، وخرَّ الرجل مَفْشِيًّا عليه ، فلما أفاق قال : ويحي قتلت نفسك ولم أبلغ شهوتي .

وقال وهب بن منبّه : كان في بني إسرائيل رجلٌ متعبدٌ شديدُ الاجتهاد فرأى يوماً امرأةً فوقعت في نفسه بأوّل نظرة ، فقام مسرعاً حتى لحقها فقال : رويدك ياهذه ، فوقفت وعرفته فقالت : ما حاجتك ؟ قال : أذات زوجٍ أنت ؟

قالت : نعم فما تريد ؟ قال : لو كان غير هذا المكان لنا رأى ، قالت : على ذلك وما هو ؟ قال : عرض بقلبي من أمرك عارض<sup>(١)</sup> ، قالت : وما يمنعك من إنفاذه ؟ قال : وتتابعيني على ذلك ؟ قالت : نعم ، فخلت به في موضع فلما رآته يُجِدُّ في الذي سأل قالت : رويدك يا مسكين لا يسقط جاهك عنده ، فأنبه لها وذهب عنه ما كان يجد فقال : لا حرمك الله ثواب فعلك . ثم تنحى ناحية فقال لنفسه : اختارى إما عمى العين ، وإما الحب<sup>(٢)</sup> ، وإما السياحة مع الوحوش ، فاختارت السياحة مع الوحوش ، فكان كذلك إلى أن مات .

وأحب رجل تجارية من العرب وكانت ذات عقل وأدب ، فما زال يحتال في أمرها حتى اجتمع معها في ليلة مظلمة شديدة السواد ، فحدثها ساعة ثم دعت نفسه إليها فقال يا هذه قد طال شوقي إليك ، قالت : وأنا كذلك . فقال : هذا الليل قد ذهب والصبح قد اقترب ، قالت : هكذا تنفني الشهوات وتنقطع اللذات فقال لها : لو دنوت مني . فقالت : هيهات أخاف البعد من الله ، قال : فما الذي دعاك إلى الحضور معي ؟ قالت : شقوتي وبلائي ، قال لها : فتى أراك ؟ قالت : ما أنساك وأما الاجتماع معك فما أراه يكون ، ثم تولت . قال : فاستحييت مما سمعت منها ، وأنشد :

توقت عذاباً لا يطاق انتقامه      ولم تأت ما تخشى به أن تُعَذَّباً  
وقالت مقالاً كدت من شدة الحياء      أُهيم على وجهي حياءً وتعجباً  
ألا أف للحب الذي يورث العمى      ويورد ناراً لا تملّ التلهباً  
فأقبل عودى فوق بدنى مفكراً      وقد زال عن قلبي العمى فتمسرباً

وقال ابن خلف : أخبرني أبو بكر العامري قال : عشقت عاتكة المريّة

(١) عرض بقلبي عارض : أى خطر لى خاطر .

(٢) الحب : القطع ، والمحبوب الذى استرسلت مذاكيره .

ابن عم<sup>ؑ</sup> لها ، فأرادها عن نفسها فامتنعت عليه وقالت :

فما طعم ماء من سحابٍ مُرَوِّقٍ	تحدّر من غرّ طوالِ الذوائب <sup>(١)</sup>
يُمنعَرَج <sup>(٢)</sup> أو بطنٍ وادٍ تطلعت	عليه رياحُ الصيف من كل جانب
تُرقِّق ماء المزنِ <sup>(٣)</sup> فيهن والتقت	عليهنّ أنفاس الرّياض الغرائب
نَفَتْ جَرِيَّةُ الماءِ القُدْى عن متونه <sup>(٤)</sup>	فليس به عيبٌ تراه لشارب
بأطيب مما يقصر الطّرفُ دونه	تُقى الله واستحياءُ تلك العواقب

( ١ ) تحدّر : تنزل . والذوائب جمع ذؤابة ، والذؤابة من كل شيء أعلاه ،  
وشعر مقدم الرأس .

( ٢ ) منعرج الوادى : منطفه بمنة ويسرة .

( ٣ ) جمع مزنة : السحاب يحمل الماء .

( ٤ ) القذى ما يقع : بالعين والشراب من تبنة وغيرها . والماتن : الظهر ، ومن  
الأرض : ما ارتفع وصلب منها .

## الباب التاسع والعشرون

فى ذم الهوى ، وما فى مخالفته من نيل النى

وقد تقدم ذكر الآيات فى ذلك وبعض ماورد فى السنة .

الهوى ميل الطبع إلى مايلأئمه ، وهذا الميلُ خلق فى الإنسان لضرورة بقائه فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح ، فالهوى مستحثُّ لها لما يريد ، كما أن الغضب دافعٌ عنه ما يؤذيه ، فلا ينبغى ذمُّ الهوى مطلقاً ، ولا مدحُه مطلقاً ، كما أن الغضب لا يُذمُّ مطلقاً ولا يُحمد مطلقاً ، وإنما يُذمُّ المقرط من النوعين ، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار ، ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حدٍّ المنتفع به أطلق ذمَّ الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر ، لأنه يندُر من يقصد العدل فى ذلك ويقف عنده ، كما أنه يندُر فى الأمزجة المزاج المعتدل من كل وجه ، بل لا بدّ من غلبة أحد الأخلاط<sup>(١)</sup> والكيفيات عليه ، فخرصُ الناصح على تعديل قوى الشهوة والغضب من كل وجه ، وهذا أمرٌ يتعذر وجوده إلا فى حقّ أفرادٍ من العالم ، فذلك لم يذكر الله تعالى الهوى فى كتابه إلاّ ذمّه ، وكذلك فى السنة لم يحمىء إلاّ مذموماً إلا ما جاء منه مُقيّداً كقوله صلى الله عليه وسلم : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»<sup>(٢)</sup>. وقد قيل : الهوى كمينٌ لا يؤمنُ . قال الشَّعْبِي : وسى هوئى لأنه يهوى بصاحبه ، ومُطلقه يدهو

(١) أخلاط الإنسان : أمزجته الأربعة .

(٢) تقدم تخریجه فى صفحة ٢٣ .

إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في العاقبة ، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً لأعظم الآلام عاجلاً وآجلاً ، فللدنيا عاقبةٌ قبل عاقبة الآخرة ، والهوى يُعنى صاحبه من ملاحظتها ، والمرؤءةُ والدين والعقل ينهى عن لذة تعقب أَلَمًا ، وشهوة تورث ندمًا ، فكلُّ منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك : لا تفعل ، والطاعة لمن غلب ، ألا ترى أن الطفل يُؤثر ما يهوى وإن أدَّاه إلى التآلف لضعف ناهى العقل عنده ، ومن لا دين له يُؤثر ما يهواه وإن أدَّاه إلى هلاكه في الآخرة لضعف ناهى الدين ، ومن لا مرؤءة له يُؤثر ما يهواه وإن تَمَّ<sup>(١)</sup> مرؤءته أو عدمها لضعف ناهى المرؤوءة ، فأين هذا من قول الشافعي رحمه الله تعالى : لو علمتُ أن الماء البارد يثلمُ مرؤءتى لما شربته .

ولما امتنع المكلفُ بالهوى من بين سائر البهائم وكان كل وقتٍ تحدث عليه حوادثٌ جعل فيه حاكمان : حاكم العقل وحاكم الدين ، وأمر أن يرفع حوادث الهوى دائماً إلى هذين الحاكمين وأن ينقاد لحكمهما ، وينبغي أن يتمرّن على دفع الهوى للأُمون العواقب ليتمرّن بذلك على ترك ما تؤذى عواقبه . وليعلم اللبيبُ أن مُدْمَنَ الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذّون بها . وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها ، لأنها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بدّ لهم منه ، ولهذا ترى مدْمَنَ الخمر والجماع لا يلتذّ به عُسْرَ معشار التذاذ من يفعله نادراً في الأحيان ، غير أن العادة مقتضية ذلك فيُلقي نفسه في المهالك لنيل ما تطالبه به العادة ، ولو زال عنه رَيْن<sup>(٢)</sup> الهوى لعلم أنه قد شقّ من حيث قدر السعادة ، واغتمّ من حيث ظنّ الفرح ، وألم من حيث أراد اللذة . فهو كالطائر الخدوع

(١) تلم الجدار وغيره : أخذت فيه شقاً .

(٢) الرين : الغطاء والحجاب الكشيف ، والصدأ يعلو الشيء الجلي ، والذنب

وما غطى على القلب من القسوة للذنب بعد الذنب .



بحبة القمح ، لا هو نال الحبّة ولا هو تخلص مما وقع فيه ، فإن قيل : فكيف يتخلص من هذا من قد وقع فيه ؟ قيل : يمكنه التخلّص بعون الله وتوفيقه له بأمر :

(أحدها) : عزيمة حرّ يغار لنفسه وعيها

(الثاني) : جرعة صبر يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة .

(الثالث) : قوّة نفس تشجّعه على شرب تلك الجرعة ، والشجاعة كأيها

صبر ساعة ، وخير عيشٍ أدركه العبد بصبره .

(الرابع) : ملاحظته حسن موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة .

(الخامس) : ملاحظته الألم الزائد على لذة طاعة هواه .

(السادس) : إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى وفي قلوب عباده ، وهو خير

وأفنع له من لذة موافقة الهوى .

(السابع) : إيثاره لذة العفة وعزّها وحلاوتها على لذة المحصية .

(الثامن) : فرحه بغلبة عدوّه وقهره له وردّه خاسئاً بغيظه وغمّه وهمّه

حيث لم ينل منه أمّنيته ، والله تعالى يحب من عبده أن يراغم<sup>(١)</sup> عدوّه ويغيظه

كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : ( وَلَا يَطَّوُّنَ مَوَاطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا

يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ )<sup>(٢)</sup> وقال : ( لِيَغِيظَ

بِهِمُ الْكُفَّارَ )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

(١) راغم فلافا : هجره وعاداه .

(٢) الآية ١٢٠ . سورة التوبة .

(٣) الآية الأخيرة من سورة الفتح

مُرَاحَةً كَثِيرًا وَسَمَةً<sup>(١)</sup> أى مكاناً يراغم فيه أعداء الله . وعلامة المحبة الصادقة مغايظة أعداء المحبوب ومُراغمتهم .

(التاسع): التفكر فى أنه لم يُخْلَقْ للهوى وإنما هُيَّءَ لأمر عظيم لا يناله إلا بمصيته للهوى كما قيل :

قد هَيَّاوكَ لأمرٍ لو فَطِنْتَ له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل<sup>(٢)</sup>

(العاشر) : أن لا يختار لنفسه أن يكون الحيوانُ البهيمُ أحسن حالاً منه ، فإن الحيوان يميّز بطبعه بين مواقع ما يضرّه وما ينفعه ، فيؤثّر النافع على الضارّ ، والإنسان أعطى العقلَ لهذا المعنى ، فإذا لم يميّز به بين ما يضرّه وما ينفعه أو عرف ذلك وآثر ما يضرّه كان حال الحيوان البهيم أحسنَ منه ، ويدلُّ على ذلك أن البهيمة تصيب من لذة الطعام والمشرب والمنكح ما لا يناله الإنسان مع عيش هنىء خالٍ عن الفكر والهمّ ، ولهذا تُساقُ إلى مَنْحَرِها<sup>(٣)</sup> وهى منهكة على شهواتها لفقدان العلم بالعواقب ، والآدمى لا يناله ما يناله الحيوان لقوّة الفكر الشاغل ، وضعف الآلة المستعملة وغير ذلك ، فلو كان نيل المشتهى فضيلة لما بُغِضَ منه حقُّ الآدمى الذى هو خلاصة العالم ، ووفر منه حظُّ البهائم ، وفى توفير حظ الآدمى من العقل والعلم والمعرفة عَوْضٌ عن ذلك .

(الحادى عشر): أن يسير بقلبه فى عواقب الهوى فيتأمل كم أفاتت معصيته<sup>(٤)</sup>

(١) الآية ١٠٠ سورة النساء . والمراغم : الملبأ والمهرب والحصن ،

(٢) فى لامية المعجم للطبرائى : قد رشحوك .

(٣) المنحر : موضع النحر فى الخلق ، والمسكن تذبح فيه الذبائح ، والجمع

مناهر . الهمل : المتروك بلا عناية ولا رعاية .

(٤) ولعل الصواب : كم أفاتت طاعته من فضيلة لأن الظاهر أن الضمير عائد

على الهوى الخ .

من فضيلة ، وكم أوقعت في رذيلة ، وكم أكلت منعت أكلات ، وكم من لذّة  
فوتت لذات ، وكم من شهوة كسرت جاهاً ، ونكست رأساً ، وقبّحت ذكراً ،  
وأورثت ذماً ، وأعقبت ذلاً ، وألزمت عاراً لا يفسله الماء ، غير أن عين صاحب  
الهوى عمياء .

( الثاني عشر ) : أن يتصوّر العاقل انقضاء غرضه من يهواه ثم يتصوّر حاله  
بعد قضاء الوطر <sup>(١)</sup> وما فاتته وما حصل له .

فأفضل الناس من لم يرتكب سبباً حتى يميز لما تجنى عواقبه  
( الثالث عشر ) : أن يتصوّر ذلك في حقّ غيره حقّ التصوّر ، ثم ينزل  
نفسه تلك المنزلة ، لحكم الشيء حكم نظيره .

( الرابع عشر ) : أن يتفكر فيما تطالبه به نفسه من ذلك ، ويسأل عنه عقله  
ودينّه يُخبرانه بأنه ليس بشيء . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إذا  
أعجب أحدكم امرأةً فليذكر منّا تفيها ، وهذا أحسن من قول أحمد بن الحسين :  
لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسليه <sup>(٢)</sup> لم يسبه  
لأن ابن مسعود رضى الله عنه ذكر الحال الحاضرة الملازمة ، والشاعر حال على  
أمر متأخر .

( الخامس عشر ) : أن يأنف لنفسه من ذلّ طاعة الهوى ، فإنه ما أطاع  
أحدٌ هواه قط إلاّ وجد في نفسه ذلاً ، ولا يغترّ بصولة <sup>(٣)</sup> أتباع الهوى وكبرهم  
فهم أذلّ الناس بواطن ، قد جمعوا بين فضيلتي الكبر والذلّ .

( السادس عشر ) : أن يوازن بين سلامة الدين والعرض والمال والجاه ونيل

---

( ١ ) الوطر : الحاجة . أو حاجة لك فيها هم وعناية . والجمع أوطار .

( ٢ ) يسليه : يأسره .

( ٣ ) الصولة : السطوة أو القدرة .

اللذة المطلوبة ، فإنه لا يحد بينهما نسبة التبتة ، فليعلم أنه من أسفه الناس بيعه هذا بهذا .

( السابع عشر ) : أن يألف لنفسه أن يكون تحت قهر عدوه ، فإن الشيطان إذا رأى من العبد ضعف عزيمة وهمة وميلا إلى هواه طمع فيه وصرعه وألججه بلجام الهوى وساقه حيث أراد ، ومتى أحس منه بقوة عزم وشرف نفس وعلو همة لم يطمع فيه إلا اختلاسا وسرقة .

( الثامن عشر ) : أن يعلم أن الهوى ماخالط شيئا إلا أفسده ، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء ، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة ، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصدّه عن الحق ، وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور ، وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيث يؤلى بهواه ويعزل بهواه ، وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة ، فما قارن شيئا إلا أفسده .

( التاسع عشر ) : أن يعلم أن الشيطان ليس له مدخل على ابن آدم إلا من باب هواه ، فإنه يطيف به من أين يدخل عليه حتى يفسد عليه قلبه وأعماله ، فلا يجد مدخلا إلا من باب الهوى ، فيسرى معه سرّيان السم في الأعضاء .

( العشرون ) : أن الله سبحانه وتعالى جعل الهوى مضادا لما أنزله على رسوله ، وجعل اتباعه مقابلا لمتابعة رسوله ، وقسم الناس إلى قسمين : أتباع الوحي ، وأتباع الهوى ، وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ) <sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى : ( وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ <sup>(١)</sup> )  
ونظائره .

( الحادى والعشرون ) : أن الله سبحانه وتعالى شبه أتباع الهوى بأخس  
الحيوانات صورة ومعنى ، فشبهم بالكلب تارة كقوله تعالى : ( وَلَكِنَّهُ  
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ الْكَلْبُ ) <sup>(٢)</sup> وبالحر تارة كقوله  
تعالى : ( كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ) <sup>(٣)</sup> وقلب صورهم إلى  
صورة القردة والخنزير تارة .

( الثانى والعشرون ) : أن متببع الهوى ليس أهلاً أن يطاع ولا يكون  
إماماً ولا متبوعاً ، فإن الله سبحانه وتعالى عزله عن الإمامة ونهى عن طاعته ،  
أما عزله فإن الله سبحانه وتعالى قال لخليله إبراهيم : ( إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا  
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ) <sup>(٤)</sup> أى لا ينال عهدي بالإمامة  
ظالماً . وكل من اتبع هواه فهو ظالم كما قال الله تعالى : ( بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) <sup>(٥)</sup> وأما النهى عن طاعته فلقوله تعالى : ( وَلَا تُطِيعْ مَنْ  
أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) <sup>(٦)</sup> .

( الثالث والعشرون ) : أن الله سبحانه وتعالى جعل متببع الهوى بمنزلة

( ١ ) الآية ١٢٠ . سورة البقرة .

( ٢ ) الآية ١٧٦ . سورة الاعراف .

( ٣ ) الآيات ٥٠ و ٥١ . سورة المدثر . والحر المستنفرة : الوحشية ،  
والقسورة : الاسد .

( ٤ ) الآية ١٢٤ . سورة البقرة .

( ٥ ) الآية ٢٩ . سورة الروم .

( ٦ ) الآية ٢٨ . سورة الكهف . وفرطاً : إسرافاً .

عابد الوثن فقال تعالى : ( أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ )<sup>(١)</sup> في موضعين من كتابه ، قال الحسن : هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركه ، وقال أيضاً : المنافق عبد هواه لا يهوى شيئاً إلا فعله .

( الرابع والعشرون ) : أن الهوى هو حظار<sup>(٢)</sup> جهنم المحيط بها حولها ، فمن وقع فيه وقع فيها كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » .

وفي الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَرْسَلَ إِلَيْهَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَجَاءَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ عِبَادِكَ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ وَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ، قَالَ : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَجَاءَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَإِذَا هِيَ يَرُكِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ قَدْ دَخَلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتِ بِالشَّهَوَاتِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتِ بِالشَّهَوَاتِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

( الخامس والعشرون ) : أنه يُخَافُ عَلَى من اتبع الهوى أن ينسلخ من

( ١ ) الآية ٤٣ . سورة الفرقان والآية ٢٣ . سورة الجاثية بزيادة الفاء بعد همزة الاستفهام .

( ٢ ) الحظار : كل شئ من حجز بين شيئين كحائط البستان . وحظار الأرض المحاط بها .

الإيمان وهو لا يشعر ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » <sup>(١)</sup> . وصح عنه أنه قال : « أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » <sup>(٢)</sup> .

( السادس والعشرون ) : أن اتباع الهوى من المهلكات . قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات : فأما المنجيات فتقوى الله عز وجل في السر والعلانية ، والقول بالحق في الرضا والسخط ، والقصد في الغنى والفقر . وأما المهلكات فهوئى متبعه ، وشح مطاعه ، وإعجاب المرء بنفسه » <sup>(٣)</sup> .

( السابع والعشرون ) : أن مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه ، قال بعض السلف : الغالب لهواه أشد من الذى يفتح المدينة وحده . وفي الحديث الصحيح المرفوع : « ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » <sup>(٤)</sup> وكما تمرن على مخالفة هواه اكتسب قوة إلى قوته .

( الثامن والعشرون ) : أن أغزر الناس مروءة أشدهم مخالفة لهواه . قال معاوية : المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى ، فاتباع الهوى يزن <sup>(٥)</sup>

( ١ ) تدمم تحريجه في صفحة ٢٣ .

( ٢ ) تقدم هذا الحديث بسنده في صفحة ٤٠٢ .

( ٣ ) تقدم في صفحة ٤٠٣ معزوا إلى المسند وغيره .

( ٤ ) رواه البخارى ومسلم وأحمد في مسنده .

( ٥ ) يزن : يذهب ويضعف .

المُرُوءة ، ومخالفته تنعشها .

( التاسع والعشرون ) : أنه ما من يومٍ إلا والهوى والعقل يعتلجان<sup>(١)</sup> في صاحبه ، فأيهما قوَّى على صاحبه طرده وتحكم وكان الحكم له . قال أبو الدرداء : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله<sup>(٢)</sup> ، فإن كان عمله<sup>(٣)</sup> تبعاً لهواه فيومهُ يوم سوء ، وإن كان هواه تبعاً لعمله<sup>(٢)</sup> فيومهُ يوم صالح .

( الثلاثون ) : أن الله سبحانه وتعالى جعل الخطأ واتباع الهوى قرينين ، وجعل الصواب ومخالفة الهوى قرينين ، كما قال بعض السلف : إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيها أرشد فخالف أقربهما من هواك ، فإن أقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى .

( الحادى والثلاثون ) : أن الهوى داء ودواؤه مخالفته ، قال بعض العارفين : إن شئت أخبرتك بدائك ، وإن شئت أخبرتك بدوائك ، داؤك هواك ، ودواؤك ترك هواك ومخالفته .

وقال بشر الحافى رحمه الله تعالى : البلاء كله في هواك ، والشفاء كله في مخالفتك إياه .

( الثانى والثلاثون ) : أن جهاد الهوى إن لم يكن أعظمَ من جهاد الكفار فليس بدونه ، قال رجلٌ للحسن البصرى رحمه الله تعالى : يا أبا سعيد ، أىّ الجهاد أفضل ؟ قال : جهادك هواك . وسمعت شيخنا يقول : جهاد النفس والهوى أصلُ جهاد الكفار والمنافقين ، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى<sup>(٣)</sup> يخرج إليهم .

( ١ ) يعتلجان : يصطرعان .

( ٢ ) كذا . . . ولعل الصواب : عقله .

( ٣ ) كذا . . . ولعل الصواب : ثم .



( الثالث والثلاثون ) : أن الهوى تخليط<sup>(١)</sup> ومخالفته حمية<sup>(٢)</sup> ، ويخاف على من أفرط في التخليط وجانب الحمية أن يصرعه داؤه . قال عبد الملك بن قُرَيْب : مررت بأعرابي به رمدٌ شديد ودموعه تسيل على خديه فقلت : ألا تمسح عينيك ؟ قال : نهاني الطبيب عن ذلك ، ولاخير فيمن إذا زُجر لا ينزجر ، وإذا أمر لا يأمر ، فقلت ألا تشتهي شيئاً ؟ فقال : بلى ولكني أحتسى ، إن أهل النار غلبت شهوتهم حميةً فهلكوا .

( الرابع والثلاثون ) : أن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق ، ويفتح عليه أبواب الخذلان ، فتراه يلجج<sup>(٣)</sup> بأن الله لو وفق لكان كذا وكذا ، وقد سدَّ على نفسه طرق التوفيق باتباعه هواه . قال الفضيل ابن عياض : من استحوذ عليه الهوى واتباعُ الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق .

وقال بعض العلماء : الكفر في أربعة أشياء : في الغضب ، والشهوة والرغبة ، والرهبة ، ثم قال : رأيت منهن اثنتين : رجلاً غضب فقتل أمه ، ورجلاً عشق ففتنصر . وكان بعض السلف يطوف بالبيت فنظر إلى امرأة جميلة فمشى إلى جانبها ثم قال :

أهوى هوى الدين والذاتُ تعجبني

فكيف لي بهوى الذاتِ والدين

فقال دع أحدهما تنل الآخر .

( ١ ) التخليط . التخبط والاضطراب .

( ٢ ) الحمية : الامتناع مما يضر والوقاية منه

( ٣ ) اللجج بالشئ : الولوع به ، وقد لجج به إذا غرى به فتأبر عليه .

(الخامس والثلاثون): أن من نصر هراه فسد عليه عقله ورأيه ، لأنه قد خان الله في عقله فأفسده عليه ، وهذا شأنه سبحانه وتعالى في كل من خانته في أمر من الأمور ، فإنه يفسده عليه .

وقال المعتصم يوماً لبعض أصحابه : يا فلان إذا نُصر الهوى ذهب الرأي . وسمعت رجلاً يقول لشيخنا : إذا خان الرجلُ في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد - أو قال نسيه - ، فقال الشيخ : هكذا من خان الله تعالى ورسوله في مسائل العلم .

(السادس والثلاثون): أن من فسح لنفسه في اتباع الهوى ضيق عليها في قبره ويوم مَعاده ، ومن ضيق عليها بمخالفة الهوى وسَّع عليها في قبره ومَعاده ، وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله تعالى : ( وَجَزَأْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا )<sup>(١)</sup> . فلما كان في الصبر الذي هو حبسُ النفس عن الهوى خشونةٌ وتضييقٌ ، جازاهم على ذلك نعمةَ الحرير وسعةَ الجنة . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى في هذه الآية جازاهم بما صبروا عن الشهوات .

(السابع والثلاثون): أن اتباع الهوى يصرع العبدَ عن النهوض يوم القيامة عن السعي مع الناجين ، كما صرع قلبه في الدنيا عن مراقبتهم . قال محمد بن أبي الورد : إن لله عزَّ وجلَّ يوماً لا ينجو من شرِّه منقادٌ لهواه ، وإن أبطأ الصَّرعُ نهضةً يوم القيامة صريعٌ شهوته ، وإن العقول لما جرت في ميادين الطلب كان أوفرُّها حظاً من يطالبها بقدر ما صحبه من الصبر . والعقلُ معدنٌ ، والفكرُ مَعَوَّلٌ .

(الثامن والثلاثون): أن اتباع الهوى يحلُّ العزائم ويوهنها ، ومخالفته تشدّها

وتقويها . والعزائم هي مركب العبد الذي يسيره إلى الله والدّار الآخرة ، فتي  
تعطّل المركوب أو شك أن ينقطع المسافر . قيل ليحيى بن مُعَاذ : مَنْ أَصَحُّ النَّاسِ  
عِزْماً ؟ قال : الغالبُ لهواه . ودخل خلف بن خايفة على سليمان بن حبيب بن  
المهلب وعنده جارية يُقال لها البدر من أحسن الناس وجهاً ، فقال له سليمان :  
كيف ترى هذه الجارية ؟ فقال : أصاح الله الأمير مارأت عيناي أحسنَ منها  
قطُّ ، فقال له : خذ بيدها ، فقال : ما كنت لأفجع الأمير بها وقد رأيت شدة  
عجبه بها ، فقال : ويحك خذها على شدة عجبى بها ليعلم هواي أنى له غالب ، وأخذ  
بيدها وخرج وهو يقول :

لقد حباني وأعطاني وفضّلني      عن غير مسألةٍ منه سليمانُ  
أعطاني البدرَ خَوْداً<sup>(١)</sup> في محاسنها      والبدرُ لم يُعطه إنسٌ ولا جانُ  
ولست يوماً بناسٍ فضله أبداً      حتى يعيّنني لحدٍّ وأكفانُ

( التاسع والثلاثون ) : أن مثلَ راكبِ الهوى كمثل راكبِ فرسٍ حديدٍ  
صعبٍ جموحٍ لا لجام له فيوشك أن يصرعه فرسه في خلال جريته به أو يسير به  
إلى مهلكٍ . قال بعض العارفين : أسرعُ المطايا إلى الجنة الزهد في الدنيا ، وأسرعُ  
المطايا إلى النار حبُّ الشهوات ، ومن استوى على متن هواه أسرع به إلى وادي  
الهلكات . وقال آخر : أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا ، واستصعب  
قياده على الهوى . وقال عطاء : من غلب هواه عقله وجزعُه صبره افتضح .

( الأربعون ) : أن التوحيد واتباع الهوى متضادان ، فإن الهوى صنمٌ ولكل  
عبدٍ صنمٌ في قلبه بحسب هواه . وإنما بعث الله رسلاً بكسر الأصنام وعبادته  
وحده لا شريك له ، وليس مرادُ الله سبحانه كسر الأصنام الجسّدة وترك

( ١ ) الخود : الشابة الناعمة .

الأصنام التي في القلب ، بل المراد كسرُها من القلب أولاً . قال الحسن بن علي المطوّعي : صنمُ كلِّ إنسانٍ هواه ، فمن كسره بالخالفَة استحقَّ اسمُ الفتوّة . وتأمل قولَ الخليل صلى الله عليه وسلم لقومه : ( مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ )<sup>(١)</sup> كيف تجسده مطابقاً للتّمايل التي يهواها القلبُ ويعكفُ عليها ويعبدها من دون الله ، قال الله تعالى : ( أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا )<sup>(٢)</sup> .

(الحادى والأربعون) : أن مخالفةَ الهوى مَطْرَدَةٌ للداء عن القلب والبدن ، ومتابعته تجلبه لداء القلب والبدن ، فأمرضُ القلب كلها من متابعة الهوى ، ولو فتشت على أمراض البدن لرأيت غالبها من إيثار الهوى على ما يبغي تركه .

(الثانى والأربعون) : أن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى ، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح . قال أبو بكر الورّاق : إذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وأبغضهم ، فانظر ماذا يتولد من التباغض من الشرّ والعداوة وترك الحقوق وغيرها .

(الثالث والأربعون) : أن الله سبحانه وتعالى جعل في العبد هوىً وعقلاً فأيهما ظهر توارى الآخر . كما قال أبو علي الثقفى : من غلبه هواه توارى عنه عقله ، فانظر عاقبة من استترعنه عقله وظهر عليه خلافه . وقال علي بن سهل رحمه الله : العقل والهوى يتنازعا ، فالتوفيق قرينُ العقل ، والخذلان قرينُ الهوى ، والنفس واقفةٌ بينهما ، فأيهما غلب كانت النفس سعه .

(١) الآية ٥٢ سورة الانبياء .

(٢) الآيتان ٤٣ و ٤٤ . سورة الفرقان

(الرابع والأربعون) : أن الله سبحانه وتعالى جعل القلب مَلَكَ الجوارح ، ومعدن معرفته ومحبته وعبوديته ، وامتنحه بسلطانين وجيشين وعونين وعدّتين فالحقُّ والزهدُ والهدى سلطانٌ ، وأَعوانُهُ الملائكةُ وحِشُّهُ الصدق والإخلاص ومجانبة الهوى ، والباطل سلطانٌ ، وأَعوانُهُ الشياطين وجنده وعدّته اتِّباعُ الهوى ، والنفْسُ واقفةٌ بين الجيشين . ولا يقدم جيش الباطل على القلب إلا من ثغرتها وناحتها ، فهي تخامر على القلب وتصير مع عدوّه عليه فتكون الدائرة عليه ، فهي التي تعطى عدوّها عدّةً من قبلها ، وتفتح له باب المدينة فيدخل ويتملك ويقع الخذلان على القلب .

(الخامس والأربعون) أن أعدى عدوّ المرء شيطانه وهواه ، وأصدق صديق له عقله والملك الناصح له ، فإذا اتَّبَعَ هواه أعطى بيده لعدوّه واستأسر له وأشتمته به وساء صديقه وولّيه ، وهذا هو بعينه هو جهْدُ البلاء ، ودَرْكُ الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء .

(السادس والأربعون) أن لكل عبدٍ بدايةً ونهايةً ، فمن كانت بدايته اتِّباعَ الهوى ، كانت نهايته الذلُّ والصغارَ والحرمان والبلاء المتبوع بحسب ما اتَّبَعَ من هواه ، بل يصير له ذلك في نهايته عذاباً يُعَذَّبُ به في قلبه كما قال أَلْقَائِلُ :

مَارَبُ كَانَتْ فِي الشَّبَابِ لَاهِلًا عَذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَشَيْبِ عَذَابًا

فلو تأملتَ حالَ كلِّ ذى حال سيئةَ زَرِيَّةٍ لرأيتَ بدايتهَ الذهابَ مع هواه وإيثاره على عقله ، ومن كانت بدايته مخالفة هواه وطاعة داعى رشده كانت نهايته العزَّ والشرف والغنى والجاه عند الله وعند الناس . قال أبو على الدِّقَاقُ : من ملك شهوته في حال شببيته أعزه الله تعالى في حال كهولته .

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : بم نلت ما نلت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى ، فهذا في بداية الدنيا ونهايتها ، وأما الآخرة فقد جعل الله سبحانه الجنة نهاية من خالف هواه ، والنار نهاية من اتبع هواه .

( السابع والأربعون ) : أن الهوى رِقٌّ في القلب ، وغُلٌّ في العنق ، وقيد في الرجل ، ومتابعة أسير لكل مئة الملكة ، فمن خالفه عتق من ربه وصار حراً ، وخلع الغل من عنقه والقيد من رجليه وصار بمنزلة رجلٍ سالمٍ لرجل ، بعد أن كان رجلاً فيه شركاء متشاكسون <sup>(١)</sup> .

رب مستور سبته شهوة فغوى ستره فانهتكا  
صاحب الشهوة عبداً فإذا غلب الشهوة أضحي ملكاً  
وقال ابن المبارك :

ومن البلاء والبلاء علامة أن لا يرى لك عن هواك نزوع  
العبد عبد النفس في شهواتها والحُرُّ يشبع تارةً ويجوع

( الثامن والأربعون ) : أن مخالفة الهوى تقيم العبد في مقام من لو أقسم على الله لأبره ، فيقضى له من الخوائج أضعاف أضعاف ما فاتته من هواه ، فهو كمن رغب عن بعة فأعطى عوضها درة . ومتبع الهوى يفوته من مصالحه العاجلة والآجلة والعيش الهنيء ما لا نسبة لما ظفر به من هواه البتة ، فتأمل انبساط يد يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام ولسانه وقدمه ونفسه بعد خروجه من السجن لما قبض نفسه عن الحرام .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : رأيت سفيان الثوري رحمه الله تعالى في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : لم يكن إلا أن وضعت في الحدى حتى وقفت

( ١ ) تشاكس القوم : تعاسروا وتخالقوا . والشكس : السر السوء الخلق  
قال تعالى ( ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ) .

بين يدي الله تبارك وتعالى، فحاسبني حساباً يسيراً ثم أمر بي إلى الجنة ، فبينما أنا أدور بين أشجارها وأنهارها لا أسمع حساً ولا حركة إذ سمعت قائلاً يقول : سفيان بن سعيد . فقلت : سفيان بن سعيد، فقال : تحفظ أنك آثرت الله عز وجل على هوائك يوماً ؟ قلت : إى والله ، فأخذني النثار<sup>(١)</sup> من كل جانب .

وقال عبد الرزاق : بعث أبو جعفر الخشَّابين حين خرج إلى مكة وقال : إن رأيتُم سفيان فاصلبوه، فجاءوا ونصبوا الخشب، وطلبَ ورأسه في حجر الفضيل فقال له أصحابه : اتقِ الله عز وجل ولا تشمت بنا الأعداء ، فتقدم إلى الأستار ثم أخذها بيده وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فبات قبل أن يدخل مكة ، فتأمل عاقبة مخالفة الهوى كيف أقامه في هذا المقام .

( التاسع والأربعون ) : أن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة، وعزَّ الظاهر وعزَّ الباطن، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة وتذله في الظاهر وفي الباطن ، وإذا جمع الله الناس في صعيدٍ واحدٍ نادى منادٍ : ليعلمن أهلُ الجمع من أهل الكرم اليوم ، ألا يُقيمُ المتقون ، فيقومون إلى محل الكرامة، وأتباع الهوى ناكسو رهوسهم في الموقف في حرِّ الهوى وعرقه وألمه ، وأولئك في ظل العرش .

( الخمسون ) : أنك إذا تأملت السبعة الذين يظلمهم الله عز وجل في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظله<sup>(٢)</sup>، وجدتَهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى ، فإن الإمام المسلَّط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه ، والشابُّ المؤثر

---

( ١ ) النثار : ما نثر في حفلات السرور من حلوى ونقود، وبالضم ما تثار من الشيء .

( ٢ ) تقدم هذا الحديث في صفحة ٢٢١ وقد أغفل المؤلف هنا ذكر الرجلين اللذين تحابا في الله

لعبادة الله على داعي شيابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك ، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الداعى له إلى أماكن اللذات ، والمتصدق المخفى لصدقته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك ، والذي دعت المرأة الجميلة الشريفة تخاف الله عز وجل وخالف هواه ، والذي ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشيته ، إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه ، فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدة سبيل عاينهم يوم القيامة ، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحر والعرق كُلاً مبلغ وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى ، فالله سبحانه وتعالى المسؤول أن يعيدنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء وأن يجعل هوانا تبعاً لما يحبّه ويرضاه ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

---

« تم الكتاب والحمد لله »



## الفهرست

صفحة

تصدير	
المراجع	
مقدمة المؤلف	٣
الباب الأول : في أسماء المحبة .	١٦ ✓
الباب الثاني : في اشتقاق هذه الأسماء ومعانيها .	١٧
الباب الثالث : في نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض .	٥٤
الباب الرابع : في أن العالم العلوى والسفلى إنما وجد بالمحبة ولأجلها .	٥٥
الباب الخامس : في دواعى المحبة ومتعلقاتها .	٦٦ ✓
الباب السادس : في أحكام النظر وغائلته وما يحنى على صاحبه .	٩٢
الباب السابع : في ذكر مناظرة بين القلب والعين .	١٠٦ ✓
الباب الثامن : في ذكر الشبهة التى احتج بها من أباح النظر إلى من لا يحل له الاستمتاع به وأباح عشقه .	١١٢
الباب التاسع : في الجواب عما احتجبت به هذه الطائفة وما لها وما عليها في هذا الاحتجاج .	١٢١
الباب العاشر : في ذكر حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس فيه .	١٣٧
لباب الحادى عشر : في العشق وهل هو اضطرارى خارج عن الاختيار ، أو امر اختيارى واختلاف الناس فى ذلك وذكر الصواب فيه .	١٤٢
الباب الثانى عشر : فى سكرة العشاق .	١٤٩
الباب الثالث عشر : فى أن اللذة تابعة للمحبة فى الكمال والنقصان .	١٥٥
الباب الرابع عشر : فى من مدح العشق وتمناه ، وغبط صاحبه على ما أوتيّه من مناه .	١٦٩
الباب الخامس عشر : فى من ذمّ العشق وتبرّم به ، وما احتجّ به كل فريق على مذهب .	١٨٢

- ١٩٧ الباب السادس عشر : في الحكم بين الفريقين ، وفصل النزاع بين الطائفتين .
- ٢٠٣ الباب السابع عشر : في استعجاب تحيّر الصور الجميلة للوصال الذي يحبه الله ورسوله .
- ٢١٢ الباب الثامن عشر : في أن دواء الحبين ، في كمال الوصال الذي أباحه رب العالمين .
- ٢٢١ الباب التاسع عشر : في ذكر فضيلة الجمال ، وميل النفوس إليه على كل حال .
- ٢٥٩ الباب العشرون : في علامات المحبة وشواهدا .
- ٢٨٨ الباب الحادى والعشرون : في اقتضاء المحبة أفراد الحبيب بالحب ، وعدم التشريك بينه وبين غيره فيه .
- ٢٩٥ الباب الثانى والعشرون : في غيرة المحبين على أحبائهم .
- ٣١٦ الباب الثالث والعشرون : في عفاف المحبين مع أحبائهم .
- ٣٥٢ الباب الرابع والعشرون : في ارتكاب سبل الحرام ، وما يفضى إليه من المفسد والآلام .
- ٣٧٧ الباب الخامس والعشرون : في رحمة المحبين ، والشفاعة لهم إلى أحبائهم في الوصال الذى يبيحه الدين .
- ٣٩٤ الباب السادس والعشرون : في ترك المحبين أدنى المحبوبات رغبة في أعلاها .
- ٤٤٥ الباب السابع والعشرون : فيمن ترك محبوبة حراماً فبذل له حلالاً ، أو أعاضه الله خيراً منه .
- ٤٥٩ الباب الثامن والعشرون : فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام ، على لذة الوصال الحرام .
- ٤٦٩ الباب التاسع والعشرون : في ذم الهوى ، وما فى مخالفته من نيل المنى .